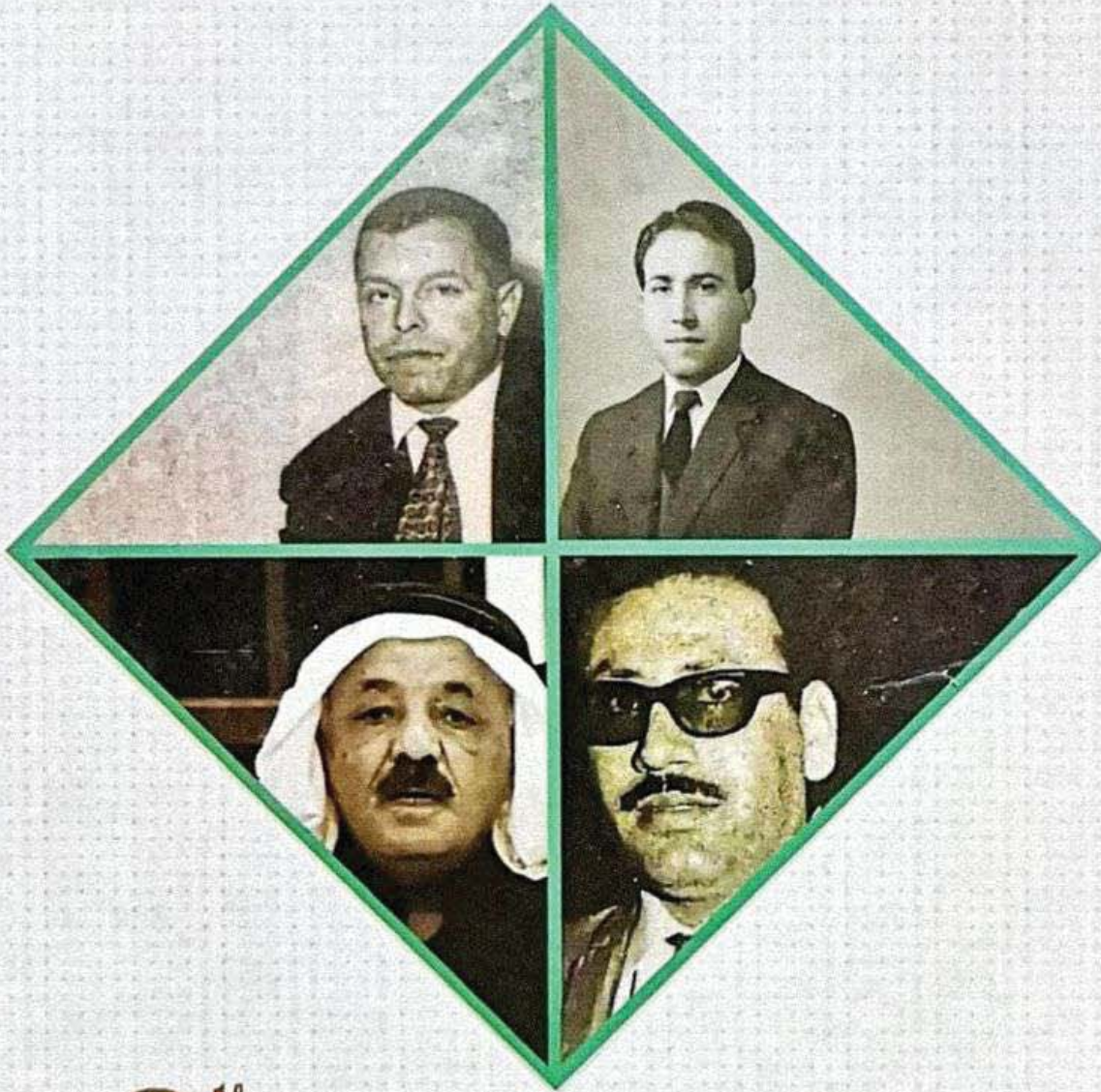


طالب الحسن

بعث العراق

ففي ظل قاداته من الكرد المستعربين



دار اور للناشر
UR Press
دار
بيروت - لبنان

دار الحكمة - بغداد

٢

بعث العراق



ففي ظل قيادته من الكرد المستعربين

الطبعة الأولى
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف



بالاشتراك مع،
دار الحكمة - بغداد
ويطلب الكتاب في العراق وخارجه من،
دار الحكمة - بغداد ، ٠٧٧٠٧٩٥٨٤٤٣

طالب الحسن

بعث العراق

ففي ظل قاداته من الكرد المستعربين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بقلم

المفكر الإسلامي

سماحة آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي

كما يجب الله أن نتحدث عن الصالحين من عباده، ونُشيد بذكرهم، كذلك يجب الله أن نفضح المجرمين والساقطين ونكشف فضائحهم وجرائمهم، وكلاهما ينفع الناس.

أما الإشادة بذكر الصالحين؛ لتتخذ منهم قدوةً وأسوة، وأما نشر فضائح المجرمين وجرائمهم؛ فليعتبر الناس بما آل إليه أمرهم من السقوط والفساد، وليحذروا أن يسلكوا مسالكهم في الحياة، ويسقطوا كما سقط أولئك إلى مزلق الهوى والدنيا والفتن والمغريات، ولئلا يمكّنوا هذه الزمر الفاسدة من رقابهم.

كثيرون الذين يكتبون عن الصالحين وقيمهم، وأخلاقهم، وعبوديتهم لله، وتقواهم، ووفائهم، وعطائهم، وسعة صدورهم.

وقليل أولئك الذين يكتبون عن المجرمين، ودنائهم، وخساستهم، وفسادهم،

وطغيانهم، وجرائمهم، وسقوطهم، وما يؤول إليه أمرهم من الذل والخسران.
ونحن نحتاج إلى النوع الثاني من الدراسات، كما نحتاج إلى النوع الأول من
الدراسات.

كثيرون كتبوا عن موسى بن عمران عليه السلام، ولكن من كتب عن فرعون قليل،
نحن نحتاج أن نقرأ عن فرعون، كما نحتاج أن نقرأ عن موسى بن عمران عليه السلام.
ولقد كنت أود أن يتحدث الخطباء إلى الناس عن قتلة الحسين عليه السلام كما
يتحدثون عن أنصار الحسين عليه السلام.

والنوع الأول من الدراسات نافعة لجمهورنا، كما ينفعهم النوع الثاني من
الدراسات.

وبهاتين الدراستين يتكامل لدى الجمهور الوعي، وفهم التاريخ، وفهم سنن
الله في التاريخ، والوعي السياسي لواقعنا المعاش.
وأكتفي بهذا المقدار من الاسترسال، الذي جاء بصورة عفوية، لأدخل صلب
الموضوع مباشرة.

لقد أحسن وأجاد أخي الأستاذ طالب الحسن حفظه الله في كتبه القيمة عن
بعث العراق، وحكومة القرية، وبطانة السلطان (صدام)، وغيرها، التي أرّخ
بها الحقبة السوداء من تاريخ العراق المعاصر، التي حكم فيها عصابة البعث في
العراق، وأهلكوا الحرث والنسل.

ولم يُسمح أن يقرأ الناس التاريخ في المستقبل من خلال ما دونه مؤرخو بلاط
السلطان في هذه الفترة، ولا أن يمحو مرور الزمان ما ارتكبه هذا الحزب من
الجرائم البشعة من ذاكرة التاريخ.

ولا يخفى على الذين يعرفون الجهود المضنية التي تتطلبها دراسة تاريخية لفترة

مظلمة، مثل هذه الفترة ما بذله الأستاذ طالب الحسن حفظه الله من جهد علمي في تجميع المواد التاريخية لكتبه هذه عن حياة هذه العصابة وعلاقاتها وجرائمها ومفاسدها.

فقد كانت تسعة أعشار هذه العصابة التي حكمت العراق في هذه الفترة غاطسة في الظلمات، والذي كان يعرفه الناس من جرائم هذا الحزب وفساده وظلمه، جزء صغير فقط بالنسبة إلى الشطر الغاطس منه في الظلام.

فقد نشأ حزب البعث في الظلام، وعاش في الظلام، ومارس القتل والخراب والفساد والجرائم في الظلام، وليس بوسع مؤرخ أن يكتب عن هذا الحزب ما لم يغص في الظلام.

وكان على الأستاذ طالب الحسن أن يغوص في هذه الظلمات سنين طويلة باحثاً ومتحرراً ليكشف هذه الصفحات السوداء من تاريخ حزب البعث، ويسلط النور عليها.

عوّضه الله تعالى عن هذا الغوص الشاق في ظلمات البعث بنور في الدنيا ونور في الآخرة.

ولعل الفترة التي أبعد فيها إلى تكريت، مسقط رأس هذا الحزب، ساعدته لاكتشاف وتدوين الكثير من جرائم هذا الحزب ومظالمه ومفاسده، ولولا ذلك لم يتيسر له أن يكتشف جرائم البعثيين في العراق ما اكتشفه ودوّنه وثبته في ذاكرة التاريخ بكتبه هذه.

ونحن اليوم بحاجة شديدة إلى دراسات من قبل هذه الدراسات، لا لكي نعرف التاريخ للتاريخ، ولكن لكي نعرف أولاً أي كابوس رهيب رفعه الله عن صدر العراق، فنشكر الله تعالى، فهو وحده الذي أزال عن صدر العراق هذا

الكابوس الرهيب، وأنقذ العراق من تلك البرهة السوداء من التاريخ، هذا أولاً.
ولنحذر ثانياً من أن تعود هذه العصابة مرةً أخرى إلى مواقع القرار والقيادة
في الحكم.

ولثلاثاً نمكّن هذه العصابة، بسبب غيابنا عن الساحة، وهبوط الوعي السياسي
عند جمهورنا، وسقوطنا في وحل الخلافات الداخلية، أقول لثلاثاً نمكّن هذه
العصابة مرةً أخرى من الفتك بنا، كما فتكوا بنا أول مرة لأكثر من ثلاثة عقود.
ولو تمكّنوا من رقابنا مرةً أخرى لما أبقوا لنا باقية، وهذا ثالثاً.

إن دراسات من مثل هذه الدراسات نافعة لجمهورنا، وتثير في نفوسنا سؤالاً
كبيراً هاماً: كيف وصلت هذه العصابة الموعلة في الإجرام إلى مواقع الحكم
والقرار في العراق.

وما هي العوامل التي سمحت لهم بالوصول إلى مواقع الحكم، وهل لا تزال
تلك العوامل موجودة في أوساطنا؟ أم أن المحنة التي مرت بالعراق لثلاثة عقود
كانت كافية لتزويدنا باليقظة، والوعي السياسي، والإحساس بالمسؤولية تجاه
المسألة السياسية، لنسد طريق العودة على هذه العصابات إلى مواقع الحكم مرة
أخرى.

ما هي هذه العوامل التي تحفظ الأمة وتحصنها من عودة هذه العصابات؟

ولا يحتاج الإنسان إلى حسّ سادس ومرهف، ليعرف أن المشاهد التي نشاهدها
اليوم من القتل، والتفجير، والخطابات الطائفية المتشنجة، والفضائيات المسخّرة
لهذه الغاية، تمهد لعودة هذه العصابة الفاسدة إلى مواقع الحكم من جديد، فهل
من حاذر؟

ولا بد أن نتوقف كثيراً عند هذا السؤال، ولكنني لست الآن بصدد الإجابة

عليه، وإنما أريد أن أبين ضرورة أمثال هذا الدراسات التي أهداها إلينا وإلى أبنائنا
من بعدنا الأستاذ طالب الحسن حفظه الله وجزاه خيراً..

محمد مهدي الأصفى

النجف الأشرف

في ٢٢ / رجب / ١٤٣٤ هـ

ههه والنامهى كئيب

المقدمة

بعد أن لمست الإقبال المتزايد على آخر كتبي الموسوم بـ (بعث العراق من البداية المريبة حتى النهاية الغريبة)، شأنه في التداول السريع شأن من سبقه في الصدور، شرعت حينذاك بكتابة الكتاب الثاني المكمل له في عنوانه الجديد: بعث العراق.. في ظل قاداته من الكرد المستعربين، وربما يكون العنوان اللافت للنظر غريباً، وهو يطرق لأول مرة، ولكنه حقيقي بكل ما للكلمة من معنى.

في الكتاب الذي صدر، كانت لنا جولة مع حزب البعث العربي منذ تأسيسه عام ١٩٤٠ على يد زكي الأرسوزي، وكيفية دخوله لأول مرة إلى العراق عام (١٩٤٤-١٩٤٥) على شكل ثقافة عامة أو تلميحات بوجود تنظيم، على يد الطالبين السوريين فائز إسماعيل وسليمان العيسى، حتى أن الأخير كتب قصيدة وهو في طريقه إلى العراق، وألقاها في أوائل عام ١٩٤٥ وقد جاء فيها:

أرى وطنَ الأحرار قد طال ليُّه غداً يشرق الصبحان البعثُ والفجرُ^(١)

وقد أثار هذا البيت من القصيدة تساؤلات جمّة من طلبة دار المعلمين العالية

(١) فائز إسماعيل: بدايات حزب البعث العربي في العراق (١٩٤٤-١٩٥٠)، ص ١٨٩، وكذلك

انظر: فائز إسماعيل: البدايات في ذاكرة فائز إسماعيل، ص ٥٥.

ببغداد، حول المقصود من كلمة (البعث)، وكان الإثنان (فائز وسليمان) منتسبين إلى حزب البعث العربي، ويحملان أفكار أستاذهما زكي الأرسوزي ويشران بها، وكان كل ذلك يجري قبل أن يسطو عفلق على اسم (البعث العربي) والتنظيم المنضوي تحته، بعد أن تخلى كلياً عن تنظيمه المسمى (حركة الإحياء العربي) بحجة التشابه بين المفهومين (البعث والإحياء)، وهذا كله مسطر بالتفصيل الوافي في كتابنا الأول، الذي خططنا له أن يكون مدخلاً لسلسلة كتب تحمل العنوان نفسه (بعث العراق) ثم تأتي التفصيلات المميزة بين الأجزاء في العنوان الثانوي.

وربما يفاجئ القراء الكرام إذا أكدنا لهم أن نصف أمناء سر القطر الأساسيين لحزب البعث في العراق، تعود جذورهم القريبة إلى القومية الكردية، لأن بعث العراق تعاقب على أمانة سر القطر فيه إلى هذا التاريخ (٢٠١٤م) ستة هم:

(١٩٥٢-١٩٦٠)	فؤاد أحمد الركابي
(١٩٦٠-١٩٦٣)	علي صالح السعدي
(١٩٦٤-١٩٦٦)	عبد الكريم الشبخلي
(١٩٦٦-١٩٧٩)	أحمد حسن البكر
(١٩٧٩-٢٠٠٦)	صدام حسين
(٢٠٠٦ -)	عزت إبراهيم الدوري

وقد وصفنا هؤلاء الستة بالأساسيين، لأن هناك من تسلم أمانة سر القطر لأيام معدودة أو أشهر قليلة مثل: حازم جواد، حمدي عبد المجيد، عبد الخالق السامرائي، وطارق عزيز، وهذه المدد لا يعتد بها، وقد جاءت في ظروف استثنائية، لذلك لم نضعهم في عداد أمناء السر.

فالثلاثة الأوائل فيما تقدم كلهم أكراد مستعربون، وبالنسبة لأول أمين قطري

(فؤاد الركابي) فقد وضحنا أمره في كتابنا الأول الذي افتتحنا به موسوعة بعث العراق المؤملة بإذن الله.

وفي أول زيارة قمت بها للمرحوم ناجي طالب رئيس وزراء العراق الأسبق بمعية السيد معاذ عبد الرحيم، الذي خاطب مضيفنا قائلاً: إن الأخ أبا مشتاق - وهو يقصدني - يؤكد كردية فؤاد الركابي، فقال المرحوم ناجي طالب: إن هذه القضية أثرت على فؤاد في مطلع ستينات القرن الماضي، أي أن كرديته كان مبتوتاً بها منذ ذلك الوقت، وكذلك الأمر بالنسبة إلى علي صالح السعدي الكردي السني، الذي يقطن أبناء عشيرته محافظة أربيل، وسيأتي تفصيل ذلك في محله، إضافة إلى عبد الكريم الشيخلي الذي تعود أصول عائلته السنية إلى قضاء رانية إحدى الوحدات الإدارية في محافظة السليمانية.

أما البكر وصدام اللذان ينتسبان إلى عشيرة البيجات في العوجة، فيحيط نسبهما اللبس والغموض، فمرة يدّعي رموز هذه العشيرة بأنهم من الأسر العلوية^(١) التي ينتهي نسبها إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ويدعمون هذا الادّعاء بشجرة نسب نشرتها كتب السيرة الذاتية لصدام حسين. «في الوقت الذي تؤكد فيه الأسر العلوية والهاشمية في الحجاز والأردن والمغرب أن هذه الشجرة مزورة وغير حقيقية»^(٢).

وقد جاء هذا الكلام مؤكداً لتحقيقنا الذي نشرناه من قبل في كتابنا (حكومة القرية) الذي تصدى بقوة لزيف هذه الشجرة المختلقة وأماط اللثام عن خلفية اختلاقها.

ومرة أخرى يدّعي هؤلاء أن عشيرتهم فرع من عشيرة عبادة، وأن جدّهم

(١) السيد أحمد الرجبي الحسيني: النجوم الزواهر في شجرة السيد الأمير ناصر، ص (١٥-٤٤).

(٢) إبراهيم الزبيدي: دولة الإذاعة، ص ٢٨.

الأمير أحمد الملقب بـ(ناصر الدين) كان أميراً لعشيرة عبادة بحران حلب^(١)، والحق يقال أن عشيرة عبادة العربية العريقة لا تدّعي أنها من السلالة العلوية، وقد عشنا قريبين من كبار شيوخها تضمنا ناحية الفهود في محافظة ذي قار، ولم نسمع منهم يوماً أنهم انتسبوا إلى الإمام علي عليه السلام، إن هذا الانتحال في النسب والكذب والتزوير في شجرة الأصل يثير الريبة والشك، ويضع علامة استفهام كبيرة على انتساب عشيرة البيجات العربي!!

أما عزت إبراهيم خليل الدوري، أمين سر القيادة القطرية الأخير، فهو ينتسب إلى عشيرة (حرب) أو (حروب)، وإن أخاه محمد إبراهيم خليل الدوري، هو شيخ فرعها في قضاء الدور محافظة صلاح الدين^(٢)، ومما تجدر الإشارة إليه أن عزت الدوري الوحيد من ذكرنا ينتمي إلى عشيرة واضحة النسب، ولا توجد إشكالية للطعون والظنون فيها.

إننا عندما نؤكد على أن نصف عدد من تسنموا أمانة السر في القطر العراقي هم من الأكراد، لا نريد بذلك الإساءة إلى إخواننا الكرد، وإنما أردنا بذلك إزالة الإبهام عن حقيقة غائبة تستحق الدراسة والتحقيق، وليس في نيتنا أو تفكيرنا أن نحط من شأن قوم ونرفع من شأن قوم آخرين، خصوصاً إذا كنا نتبنى فكر الإسلام، ونجسد قول الباري عز وجل: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَعُكُمْ﴾^(٣)، وقول رسوله الكريم ﷺ: «كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب، وليتتهنَّ قومٌ يفخرون بأبائهم»^(٤) وقول خليفة رسول الله ووصيه في الديوان المنسوب إليه:

(١) ثامر عبد الحسن العامري: موسوعة العشائر العراقية، الجزء الخامس، ص ٥٤.

(٢) ثامر عبد الحسن العامري، موسوعة العشائر العراقية، الجزء الخامس، ص ٧٨.

(٣) القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٤) جلال الدين السيوطي: الدر المنثور، الجزء السادس، ص ٩٩.

الناس من جهة التمثيل أكفاء أبوهم آدم والأم حواء
 فإن يكن لهم من أصلهم شرفٌ يفاخرون به فالطين والماء^(١)
 ونحن معاشر المسلمين بعد ان أعزنا الله بالانتساب إلى الإسلام، وهو نسبٌ
 مطلقٌ وبلا قيود، ويغنينا عن الانتساب إلى الدوائر الأخرى القومية والعشائرية
 والمناطقية، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبةً بلا سلطان،
 وغنىً بلا مال، فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته»^(٢).

وكما هو واضح لدى الجميع، أن أول من نادى بتفضيل عنصر على آخر هو
 (إبليس) كما يقص ذلك القرآن الكريم في قصة معروفة عندما قال في مقطع منها:
 ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٣) وتبعه في نهجه هذا أدولف هتلر في
 تفضيله الجنس الجرمانى على غيره من الأجناس البشرية، وإن أقطاب حزب
 البعث من هذه الطينة، وسامي الجندي هو من ساهموا في عملية التأسيس في
 بعث الأرسوزي وبعث ميشيل عفلق، يقول: «كنا عريقين معجبين بالنازية نقرأ
 كتبها ومنابع فكرها»^(٤)، أما خال الحزب خير الله طلفاح فيقول: «إن من لم يعتقد
 بأن الجنس العربي هو الأفضل فهو شعوبي»^(٥)، ونحن براء من قوله هذا المخالف
 لقول الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وأوليائه.

ومن خلال ما تقدم أمامنا فريقان: فريق يتبنى أوامر الله تعالى، وفي مقدمته الرسول
 الأعظم صلى الله عليه وسلم، وخليفته أمير المؤمنين علي عليه السلام وحفيده الإمام الصادق عليه السلام،

(١) الإمام علي بن أبي طالب: ديوان الإمام علي، ترتيب وتحقيق وحيد قطب، ص ٤١.

(٢) الدكتور الشيخ عدنان فرحان آل قاسم: مفهوم العزة في الإسلام، ص ١٦.

(٣) القرآن الكريم: سورة الأعراف، الآية ١٢.

(٤) سامي الجندي: البعث، ص ٢٧.

(٥) عبد الخالق ناصر شومان: قراءات، الجزء الأول، ص ٣٧.

وأقوال الفريق الثاني الذي يقوده إبليس وينضم إليه هتلر وأقطاب حزب البعث وخير الله طلفاح.

نحن منحازون إلى مفاهيم وأفكار المجموعة الأولى، وليس لنا خيار غيرها، عليها نحيا وعليها نموت، ثم نبعث من جديد، وفي هذا الخيار يصطف معنا ملايين المسلمين.

يفخر البعثيون من معاصري علي صالح السعدي بأنهم لم يستطيعوا أن يكتشفوا أن السعدي سني أو شيعي، وكذلك الأمر بالنسبة إلى جذوره التي ينتمي إليها، فقد كانت مخفية عليهم أهي عربية أم كردية؟ رغم الرفقة الطويلة التي ضمتهم في تنظيمات حزب البعث العراقي، وهذا صحيح إلى حد ما، خصوصاً إذا كان مولد العضو البعثي في المناطق المشتركة بين السنة والشيعة والعرب والكرد، كبغداد وديالى وكركوك، ثم إن أغلب قيادات بعث العراق، إذا لم يكن جميعهم، لا يمارسون العبادات حتى يتبين الشيعي من السني من طريقة الصلاة مثلاً، ومنهم علي صالح السعدي، وإذا ما جرى مناقشة موقف الإسلام السليبي من حزب البعث فالكل ضد هذا الموقف وينعتونه بالرجعية والتخلف، وإذا صال بعث العراق على الكرد، فيكون السعدي والشيخلي والجزراوي وغيرهم من الأكراد المستعربين في مقدمة المحرضين ضد أبناء قوميتهم الكردية، وفي ظل هذه الضبابية والالتباس لا يمكن فرز الشيعي من السني وكذلك الكردي من العربي، خصوصاً إذا كان هذا الكردي يحسن اللغة العربية كعلي صالح السعدي، إضافة إلى أن الجو السائد آنذاك والأفكار المتداولة بعيدة عن هذه المجالات ولا تسمح بالفرز والتمييز، والجميع غارقون في الملهيات، وهذا ما يؤكد الكاتب البعثي الدكتور علي كريم سعيد: «أما علي السعدي نفسه فلم يكن رجل ملذات، بل شاباً حيويلاً لا يجد حرجاً من ارتياد أماكن لم يعتد ارتيادها المسؤولون الحكوميون، وعندما تعرفت

شخصياً على الشبيب والفكيكي والعزاوي والشيخ راضي والدوري وغيرهم، لم أجدهم يختلفون عن السعدي كثيراً»^(١).

وفي ذروة حملة التبعية التي شنها حزب البعث في العراق على أبناء الوطن مستخدماً شتى أساليب الترغيب والترهيب، حتى دخلته الملايين طوعاً أو كرهاً، ولم تستثن من هذه الحملة المرعبة أبناء القوميات الأخرى، بعد أن انفرد بها حزب البعث العراقي لغياب الأحزاب المعارضة عن الساحة ولفترة طويلة، فانضم الآلاف من الكرد والتركمان والأقليات الأخرى إلى حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق، وتدرج الكثير منهم في سلم الدرجات الحزبية، حتى صار المئات منهم أعضاء في فرق حزبية، وتجاوز العشرات عضوية الفرقة ليكونوا أعضاء شعب بعثية، ومنهم الوزير الكردي هاشم حسن عقراوي، الذي ظل يواجه التنكيل من حزب البعث حتى في موته عندما وصل إلى الصحف المحلية وتلفزيون بغداد عند وفاته بياناً نعي، أولها من أمانة سر القطر لحزب البعث، وفيه نعي الرفيق هاشم حسن عقراوي عضو قيادة شعبة تنظيمات العاصمة، فيما كان البيان الثاني صادراً عن الحزب الديمقراطي الكردستاني (الموالي للسلطة آنذاك) ينعي سكرتيره العام، وكانت فضيحة تداركها لطيف نصيف جاسم وزير الإعلام الأسبق في اللحظات الأخيرة.

وتجاوزت أعداد من هؤلاء المقموعين الشعبة ليكونوا أعضاء في فروع حزب البعث ومكاتبه، وكل هذه الدرجات دون القيادة القطرية كما هو معروف، ولذلك اختصرنا البحث في كتابنا هذا على ثلاث شخصيات قيادية في حزب البعث ذات جذور كردية قريبة هم: علي صالح السعدي عضو القيادة القطرية منذ المؤتمر القطري الأول أواخر عام ١٩٥٥، وأمين سر القطر للفترة من ١٩٦٠ -

(١) الدكتور علي كريم سعيد: عراق ٨ شباط ١٩٦٣، من حوار المفاهيم إلى حوار الدم، ص ١٣٨.

١٩٦٣ على خلفية طرد فؤاد الركابي الأمين القطري الأول، إضافة إلى كونه عضو القيادة القومية منذ المؤتمر القومي الرابع المنعقد في بيروت أواخر آب ١٩٦٠، وظل عضواً فيها حتى المؤتمر القومي السابع ١٩٦٤، إذ تخلص عفلق منه، بعد أن استنفد حاجته فيه، واستعاض عنه فيما بعد بالبعثي الصاعد صدام حسين حيث التقت آمال عفلق وغاياته مع طموح صدام حسين اللامحدود واستعداده لتحقيق تلك الآمال والأهداف، ولذلك انصرف عفلق لرعايته ودعمه وإعداده كبديل ناجح عن كل الذين سبقوه.

تركز بحثنا عن علي صالح السعدي في ثلاثة فصول بعد التمهيد:

الفصل الأول: علي صالح السعدي والقطار الأنكلو أمريكي.

الفصل الثاني: علي صالح السعدي.. رجل الممذات.

الفصل الثالث: السلوك العنيف، والعنف الدموي في شخصية علي صالح السعدي.

وبليه عبد الكريم عبد الستار الشبخلي، أمين سر القيادة القطرية للفترة من ١٩٦٤-١٩٦٦، إضافة إلى عضويته في القيادة القومية التي حاز عليها في المؤتمر القومي التاسع المنعقد في بيروت عام ١٩٦٨، واستمر فيها حتى إعلان تجريدته عن كل مناصبه الرسمية ومواقعه الحزبية في ٢٨/ أيلول/ ١٩٧١، وتعيينه مندوباً دائماً للعراق في الأمم المتحدة.

وكذلك تضمن بحثنا عنه خمسة فصول:

الفصل الرابع: عملية اغتيال الزعيم قاسم الفاشلة.

الفصل الخامس: الشبخلي وما عليه.

الفصل السادس: محطات أخرى في حياته.

الفصل السابع: تجربة قومية للمزايدة.

الفصل الثامن: في سلطة صدام حسين لا مكان للمنافس والمعارض.

ويليه طه ياسين رمضان الجزراوي.

بدأ نجم طه الجزراوي بالظهور في عام ١٩٦٦ بعد انتخابه عضواً في القيادة القطرية من خلال المؤتمر القطري السادس، وظل في موقعه هذا حتى إلقاء القبض عليه ومحاكمته ومن ثم إعدامه، وكذلك قفز الجزراوي في فترة حكم البعث إلى القيادة القومية من خلال المؤتمر القومي الحادي عشر المنعقد في بغداد عام ١٩٧٧، وظل محتفظاً بموقعه هذا أيضاً حتى نهايته المعروفة، وتقلب الجزراوي في مناصب رسمية عدة حتى وصل إلى موقع النائب الأول لرئيس الوزراء، ولما كان بحثنا منصباً على بعث العراق من الناحية الحزبية فإن إيراد المواقع الرسمية يأتي ثانوياً.

وقد تضمن بحثنا الذي يخص طه الجزراوي ثلاثة فصول أيضاً:

الفصل التاسع: طه الجزراوي.. نشأته.. جذورة الكردية.. وتقلبه في المواقع الحزبية والرسمية.

الفصل العاشر: الجزراوي بطل مجزرة ١٩٧٠.

الفصل الحادي عشر: غزو الكويت.. تداعياته ودور الجزراوي فيه.

وكان جزءاً من مادة هذه الفصول الثلاثة المتقدمة، ما نشرته في حلقات تجاوزت السبعين حلقة، تحت عنوان (سيرة تابع ذليل) في صحيفة الموقف المعارضة، التي كانت تصدر في سورية، تناولت فيها رموز النظام، وكان منهم طه الجزراوي، الذي خصصت له ثلاث حلقات منها، وبعد التنقيح والزيادة جمعتها في كراس، صدر عام ٢٠٠٠ تحت عنوان: (طه الجزراوي.. الهزيل المنفوخ).

هؤلاء القادمون إلى الأمة العربية كانوا نكالاً بها، وما ربحت هذه الأمة من هذا

القدوم المشؤوم، بعد أن اصطف النازحون إليها مع شرار القوم فيها، وتأزروا مع العاقين من أبنائها.

وما ربح الكرد كذلك من هذا الانتقال، ولم يحسب لهم، وكان وبالاً عليهم، وكانت معاناتهم الطويلة والآلام المبرحة لا تقل سوءاً مما واجهه العرب وكابدوه، وسوف تحكي فصول الكتاب قصة هؤلاء المنسلخين من قوميتهم الأصلية والمنصهرين في قومية ثانية.

ربما كانت ظروف السكن في مدن بغداد والموصل وديالى ذات الأكثرية العربية شكلت ضغطاً عليهم لا يقاوم، وكانت سبباً في اندكاكهم بالعروبة والتشيع بها، ولا ضير في ذلك أبداً، كما أنه لا بأس في انتقال العربي إلى القوميات الأخرى بسبب هذه الظروف الضاغطة، لأنه أمر طبيعي في ذوبان أفراد في غير قومياتهم.

ولكن الأمر الذي يدعو إلى الاستغراب والدهشة أن جميع أولئك الذين هم من أصول غير عربية كانوا ملكيين أكثر من ملك، في اندفاعهم الشديد وتطرفهم المحموم الذي يتواءم مع اختيارهم لحزب عنصري (شوفيني) هو حزب البعث العراقي، تاركين وراء ظهورهم أحزاباً أخرى يقيهم الانتساب إليها شدة النقد وقساوة التجريح.

ومع وجود مشتركات مهمة بين العرب والكرد في العراق يقف الإسلام على رأسها، ثم تأتي المواطنة المشتركة، والكفاح ضد الاستعمار، والمعاناة المتجانسة لدى الطرفين.

إن هذه المشتركات تتيح فرصة ملائمة لهؤلاء القادمين كي يحسنوا اختيارهم لأحزاب وطنية أو ديمقراطية أو إسلامية، وهي أحزاب مشتركة بين العرب والكرد والتركيان وباقي الأقليات، من دون أن توجه إليها سهام النقد، فيما لو انتسبوا إلى أحزاب ذات مقومات خاصة بالقومية العربية ذاتها، وهذا ما ارتكبه

التمهيد

«ولد علي صالح السعدي في محلة باب الشيخ ببغداد عام ١٩٢٨، وكانت محلة باب الشيخ تضم عدداً من العوائل المعروفة، فقد ترعرع علي السعدي وسط أبناء هذه المنطقة حيث منطقة فضوة عرب، أو محلة التسابيل حيث عائلة آل الخضير، أو محلة الصدرية حيث عائلة الدركلي، أو من محلة رأس الساقية، حيث عائلة العبوسي وآل البقال وغيرهم، وكان معظم أبناء هذه العوائل من أصدقاء علي السعدي الذين رافقوه منذ الدراسة الابتدائية وحتى تخرجه من كلية التجارة وما بعدها»^(١).

عاش الوالد صالح السعدي جزءاً من حياته في مدينة هبهب، وهي بلدة زراعية، اشتهرت بصناعة (العرق) وهو نوع من الخمور العراقية المحلية الصنع، وكان فلاحاً أو وكيلاً لعائلة الحيدري المشهورة، ثم انتقل الوالد من هبهب إلى بغداد في العشرينات من القرن الماضي، وتزوج مرتين، الأولى رزقها الله بولد و بنت، الولد اسمه سعد أصبح عقيداً في الجيش إبان العهد الملكي، وابنته زوجة الدكتور عبد الأمير الأنباري ممثل العراق الأسبق في الأمم المتحدة، أما زوجته

(١) سيف الدين الدوري: علي صالح السعدي، ص ١٤.

الثانية وقيل أنها من أصول كردية، ولدت له ولدين وابنتين، هما عبد المنعم الذي أصبح عميداً في الشرطة، وعلي، أما شقيقته فقد تزوجت من أخوين يسكنان باب الشيخ أيضاً، أحدهما كاسب والآخر هو شامل الشيخلي، الذي أصبح فيما بعد عضواً في محكمة التمييز.^(١)

ولعلي أخ آخر اسمه ساطع، لم يذكره كتاب سيرة علي صالح السعدي عندما تناولوا تركيبة أفراد عائلته، ولأخيه ساطع بنت تزوجها ابن عمها الأستاذ عبد الرحمن محمد أمين مدير عام تربية أربيل السابق، وسوف نبين فيما يأتي من صفحات ما لعائلته من علاقة قريبة جداً بـ(علي صالح السعدي).^(٢)

درج بعض الكتاب المحسوبين على الخط القومي والبعثيين بشكل عام أو أقاربهم من الذين يمارسون صنعة الكتابة على إضفاء بعض الصفات النبيلة على قادة الفترة الشباطية، وهي بمثابة وضع مساحيق لتجميل صورهم المشوهة، لينافسوا فيها ما قام به الزعيم الوطني عبد الكريم قاسم من مواقف مشرفة في التصدي للمحسوبة والمنسوبة.

وقيل أن علي السعدي حينما شغل منصب وزير الداخلية عقب حركة ٨ شباط ١٩٦٣، زاره شقيقه عبد المنعم متوسطاً لديه لنقله إلى دائرة الجنسية والإقامة، إلا أن علي السعدي أمر بإحالتة على التقاعد، واعتُبر هذا الطلب استغلالاً للنفوذ والسلطة.^(٣)

وربما يكون ذلك صحيحاً، ولكنه قول مرسل لا يمكن الاطمئنان على صحته، خصوصاً إذا تناقض مع موقف آخر تؤكد الرواية الدقيقة وتدعمه الوثيقة الصحيحة.

(١) سيف الدين الدوري: علي صالح السعدي، ص ١٢.

(٢) من لقاءاتي مع أستاذنا الدكتور عثمان محمد أمين.

(٣) سيف الدين الدوري: علي صالح السعدي، ص ١٢.

وفي رسالة وجهها علي صالح السعدي بتاريخ ٢١/٩/١٩٦٣، عندما كان وزيراً للإرشاد، إلى نجاد محمود الصافي أحد قادة الحرس القومي، يطلب فيها تعيين مأمون عوني (ابن أخيه) لديهم، ويستجيب الصافي للطلب، ويوافق على تعيينه، ويكتب بهامشه على الرسالة ما يلي: ملازم حازم.. يعين في الاستخبارات و(تخصص) له سيارة، ومبلغ ١٠٠٪ من راتبه، ويختتم هامشه بالتوقيع، علماً أن مأمون عوني هو عريف كاتب في الجيش، ويتسبب إلى معمل تصليح الأسلحة والمهمات في معسكر الرشيد.^(١)

ومن أجل الاطلاع سوف نضع صورة هذه الرسالة في الملحق رقم (١) في آخر الكتاب، وإنه لم يتأكد لنا أن عوني والد العريف الكاتب مأمون هو أخو علي صالح السعدي، رغم أن الرسالة تشير إلى ذلك.

عاش الصبي علي السعدي حياةً معيشية صعبة، إذ فقد والده وهو صغير، وكانت حالته الاجتماعية حال الكثيرين من أبناء المنطقة، وكان معظم سكنة باب الشيخ يعيشون حالة الفقر والمعيشة المتدنية في مستواها، وقد دخل علي السعدي مدرسة باب الشيخ الابتدائية، ثم انتقل إلى متوسطة الرصافة، والتي كانت تعتبر من مدارس باب الشيخ والتي تقع في محلة السنك مقابل السقاخانة. ثم انتقل علي السعدي بعد اجتيازه الدراسة المتوسطة إلى الإعدادية المركزية، وبعد اجتيازه الإعدادية التحق بكلية التجارة، كان علي السعدي موهوباً وخلق فرصاً لنفسه بنفسه، ومع أنه لم يكن طالباً متفوقاً أبداً، فإنه تدبر شق طريقه إلى كلية التجارة، ثم دخوله معترك السياسة بانتمائه إلى حزب البعث العربي الاشتراكي، وتدرج فيه حتى أصبح أميناً لسر القيادة القطرية قبل وبعد حركة ٨ شباط ١٩٦٣.

وعقب نجاح حركة ٨ شباط تزوج علي السعدي من هناء العمري خريجة كلية

(١) المنحرفون: ص ١٦٥.

الآداب، ورزقا بمولودتها الأولى وأسمياها (علياء) ثم المولود الثاني وأسمياه (فارس)». (١)

وعلي صالح السعدي من عائلة كردية، تنتسب إلى عشيرة كردية معروفة يقطن معظم أفرادها في محافظة أربيل، وبعضهم في محافظة ديالى، ولن يتطرق بعثيو العراق إلى نسب السعدي عندما شرعوا في كتابة مذكراتهم في تسعينات القرن الماضي، وما تزال هذه المذكرات مستمرة في الصدور، أما الساسة الكرد فبعضهم من لمح إلى نسبه والبعض الآخر أطنب في التفاصيل، وقد كتب فؤاد عارف في مذكراته قائلاً: «أما موقف علي صالح السعدي من القضية الكردية فإني مقتنع أن علي صالح السعدي كان يرغب عميقاً أن تعالج القضية الكردية سلمياً وديمقراطياً، كما كنت أستدل من أحاديثه معي ومع الرئيس عبد الناصر، أما كيف تبدل موقفه بعد ذلك، فإنه بوصفه حزبياً كان عليه أن ينفذ القرارات الحزبية، وثمة فرق بين الرأي الشخصي والرأي الحزبي، ومما أذكر أن طالب شبيب جاءني وهو وزير للخارجية بعد أن وجدني منفجلاً عقب أحد الاجتماعات التي تناولت القضية الكردية وقال لي: إن موقف علي السعدي جيد إزاء القضية الكردية وأسلوب معالجتها، ولكنه بوصفه كردياً أصلاً، فإنه لا يبدي حماساً كبيراً بشأن الموضوع، لذا فقد كلفني، أي كلف طالب شبيب، أن يتحدث هو ويوضح أبعاد القضية وحقوق الشعب الكردي في الاجتماع.

أي أن علي صالح السعدي لم يكن قادراً أو راغباً في الإفصاح عن كامل رغبته في معالجة القضية الكردية، ومنح الكرد حقوقهم المشروعة كي لا يفسر موقفه تفسيراً عرقياً، وكي لا يكون التفسير مقترناً بقومية السعدي الذي كان كردياً في الأصل». (٢)

(١) سيف الدين الدوري: علي صالح السعدي، ص ١٢.

(٢) فؤاد عارف: مذكرات فؤاد عارف، ص (٢٣٩-٢٤٠).

وفي إشارة غير خافية على المتابع ذكر فؤاد عارف أن السعدي كان يُغلب قرارات حزبه على آمال ومطالب قوميته الكردية، وهذا ما جرى التنويه عنه في مقدمة هذا الكتاب، إضافةً إلى تأكيده القاطع على أن السعدي كان كردياً في الأصل، ولم يزد صاحب المذكرات شيئاً آخر على ما ختم به حديثه.

ولكننا نجد تفصيلات أخرى مفيدة للبحث تناوّلها السيد محسن دزه بي، المسؤول في الحزب الديمقراطي الكردستاني، والوزير السابق، في الجزء الثاني من مذكراته (أحداث عاصرتها) عندما يقول:

«خلال وجود ضيوف، وفي أواخر مارت سنة ١٩٧١، أقامت جمعية الطلبة الأكراد، التي كان يرأسها طارق عقراوي حفلة بمناسبة عيد النوروز، حضرها جمع كبير من الطلبة الكرد، ومن القوميات الأخرى، ومن جميع الاتجاهات، وحضرها المرحوم علي صالح السعدي الزعيم البعثي السابق، ونائب رئيس الوزراء، ووزير الداخلية بعد انقلاب الثامن من شباط سنة ١٩٦٣، وهو من أصل كردي ومن منطقة دزه بي بالذات، وإن أقاربه يعيشون في أربيل في الوقت الحاضر.

جلس السعدي بيننا وأخذ يلوم نفسه على أخطائه السابقة وإنكاره لقوميته الأصلية، وكنا نمزح معه ونتبادل الحديث، وفجأة توجه بعض الشيوعيين نحو مائدتنا، ووجهوا بعض الكلمات غير اللائقة، وحاولوا إثارتة للاعتداء عليه، فنهرتهم على ذلك، وطلبت من رئيس الجمعية إبعادهم، وفي حالة استمرارهم، الطلب منهم مغادرة القاعة، وفي الحقيقة امتثل هؤلاء لهذه التعليمات وهدأوا حين انتهاء الاحتفال ومغادرتنا القاعة»^(١).

(١) محسن دزه بي: أحداث عاصرتها، الجزء الثاني، ص (٢١٧-٢١٨).

قد استفدنا مما تقدم أن السعدي من أصل كردي، ومن عشيرة هي أحد فروع عشيرة دزه بي التي ينتمي إليها صاحب المذكرات، وأن أقارب السعدي يعيشون في أربيل في الوقت الحاضر، كذلك وقفنا على ندم السعدي على ما فرط في حياته من إنكار لقوميته الكردية.

ويقول الكاتب الكردي فرهاد عوني: «أستعيد بذاكرتي لقاءً أجرى لنا بالصدفة مع علي صالح السعدي، أمين سر القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي (١٩٦١-١٩٦٣)، في صالة فندق بغداد بشارع السعدون، في الأسبوع الأول الذي أعقب اتفاقية ١١/ آذار/ ١٩٧٠، عندما كنا نحن الزملاء الثلاثة (أنور عبد الله، وعبد القادر أمين، وكاتب هذه السطور)، أعضاء مكتب التنظيم المركزي لاتحاد طلبة كردستان، متواجدين في الفندق المذكور، حيث كنا ضمن المجموعة المكلفة باستقبال المهنيين الذين كانوا يتوافدون على الفندق لتهنئة أعضاء الوفد الكردي الذي ضم كلاً من: (الشهيد إدريس البارزاني، والمرحوم نوري شاويس، والمرحوم نافذ جلال حويزي، والسادة مسعود البارزاني، والدكتور محمود عثمان، وسامي عبد الرحمن، والشهيد دارا توفيق)، وكنا نحن الزملاء الثلاثة قد اتخذنا مكاناً قبالة السلم الموصل بالصالة من الطابق الأرضي على طخم كنبات حديثة وأنيقة، حيث كنا نرى المهنيين في منتصف درجات السلم، وكان لنا هامش من الحركة والمشاورة والاستفسار فيما بيننا حول هوية الشخص القادم للتهنئة.

لم يكن قد مر على عقد اتفاقية ١١/ آذار/ ١٩٧٠ أكثر من أسبوع واحد، وفي ظهيرة أحد الأيام وبينما كنا نتجاذب الحديث حول أمور الساعة في ذلك اليوم، وإذا بشخصين قدما من مدخل صالة الفندق التي كنا نجلس فيها، فتوجهنا نحوهما لغرض استقبالهما حيث قدم أحدهما نفسه لنا قائلاً: علي صالح السعدي أمين سر القطر السابق لحزب البعث العربي الاشتراكي، ورفيقي فلان (لا أتذكر اسمه في

الوقت الحاضر)، جئنا لمشاركة شعبنا الكردي باحتفاله وتهنئة الأخوة أعضاء الوفد الكردي بهذه المناسبة... وعندما سمعت اسم (علي صالح السعدي)، تذكرت حالاً ما عاناه شعب العراق من مآسي وويلات وفواجع وكوارث وتقتيل جماعي، على أيدي تلك الزمرة التي كان يقودها علي صالح السعدي عندما كان أمين سر القطر للحزب المذكور، في أشنع انقلاب دموي عرفه تاريخ العراق الحديث، حيث قاد بنفسه زمر التعذيب مطبقاً شعاره السيء الصيت (قطعاً حتى الوريد وكسراً حتى العظم)، وتذكرت منهم لتلك الحرب القذرة على كردستان حين أطلقت عليها تسميته بـ(النزهة الوطنية)، وبقي السعدي في واجهة الأحداث حتى ١١ / تشرين الثاني / ١٩٦٣، حين ظهرت مجموعة من الضباط يرأسهم محمد المهداوي وبتكليف من ميشيل عفلق بإزالة علي صالح السعدي وكتلته، وإجراء انتخابات قيادة قطرية جديدة بتهديد السلاح، فتم طرده ونقله بطائرة خاصة إلى إسبانيا مع كل من (حمدي عبد المجيد، ومحسن الشيخ راضي، وهاني الفكيكي، وأبو طالب الهاشمي)، ثم أصبح في عداد المنسيين بعداً عن الواجهة لحين اختياره مستشاراً في رئاسة الجمهورية عام ١٩٧٠، بفضل زوجته (هناء العمري) التي ظلت محتفظة بعضويتها في حزب البعث إلى يومنا هذا، ولا ينسى العراقيون زعيقها يوم انقلاب الثامن من شباط عام ١٩٦٣، وفي ساعاته الأولى حين كانت تخاطب (عمال الشيخ عمر ونساء الأعظمية) بمؤازرة الانقلاب.

جلس السعدي ورفيقه قبالتنا نحن الثلاثة، وبعد الترحيب بهما قال السعدي لنا: أرجو إبلاغ الأستاذ إدريس البارزاني بوجودي هنا، ورغبتني في الالتقاء والسلام على الوفد الكردي، وتهنئتهم بالنصر الذي حققوه، والتقاط صورة تذكارية مع الأستاذ إدريس، في حين لم يتفوه صديقه بكلمة، عندئذ نهض الزميل عبد القادر باتجاه الغرف الداخلية حيث كان السادة أعضاء الوفد الكردي منشغلين باللقاءات الجانبية مع الوفود والشخصيات السياسية العراقية، ولم يشهد فندق بغداد منذ

تأسيسه إلى ذلك اليوم مثل ذلك الازدحام، وبعد فترة قصيرة عاد الزميل عبد القادر محمد أمين وقال للسعدي: (أستاذ لازم تنتظر لحين انتهاء أعضاء الوفد الكردي من لقائهم مع وفد زائر للتهنئة، وأن الأستاذ إدريس سيلتقي بكم، لكنه يعتذر عن التقاط الصورة معكم).

لم يظهر على وجه السعدي علامات الانزعاج وسألنا عن أسمائنا ومواقعنا ضمن البارقي، وحين أعلمناه بالجواب بدأ من تلقاء نفسه بكلام لم نكن نتوقع سماع ذلك في حينه، حيث قال لنا علي صالح السعدي: حققت الثورة الكردية بقيادة مصطفى البارزاني نصراً كبيراً على جمهورية أحمد حسن بكر، الذي لم يعرف الإخلاص للعراق بقدر مثقال ذرة، إنه إنسان حاقد وماكر انتبهوا جيداً، وإنه المسؤول عن إعادة القتال عام ١٩٦٣، كان هو شخصياً (ويقصد البكر) وصالح مهدي عماش ومعهما تجار الحروب من الضباط العراقيين، وإن القيادة الحالية لم تكن شيئاً في الماضي، وقد جاءوا إلى الحكم على أكتاف أخطائنا وصراعاتنا الدموية. وهنا قاطعه الزميل عبد القادر محمد أمين بقوله: هل تعتبر نفسك كردياً يا أستاذ؟

علي صالح السعدي: نعم، أنا كردي وابن كردي ومن منطقتك بالتحديد.

أنور عبد القادر: إذن لماذا لم تعمل شيئاً للشعب الكردي عندما كنت في سدة الحكم عام ١٩٦٣؟

علي صالح السعدي: أخي الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، والحق يقال أن القيادة المدنية لم تكن راغبة في القتال، وكانت تسعى إلى إيجاد صيغة ملائمة لغرض حل المسألة الكردية، وربما كان بتأثيري، أو نتيجة محاولات مع أعضاء القيادة القطرية المتفهمة نوعاً ما، ولكن كتلة العسكريين وعلى رأسهم رئيس الجمهورية عبد السلام عارف، وأحمد حسن بكر، وصالح مهدي عماش، وصبحي عبد

الحميد وغيرهم، كانوا مع القضاء على الحركة الكردية عسكرياً.

كاتب هذه السطور: هل تلعبون دوراً، أو مكلف بأداء مهمة في الوقت الحاضر (شهر آذار ١٩٧٠).

علي صالح السعدي: احمرت وجنتاه، وجاءني جوابه وكأنها (استفزته) بسؤال، حيث قال: (ليش آني طرطور)، آني أحترم نفسي وماضي، هذولة اللي أشوفهم بالقيادة كانوا يتمنون أخذ صورة معاي، هذولة مو ناس أوفياء، حتى لتاريخ حزبهم، نحن الذين بنينا هذا الحزب: فؤاد الركابي، خالد علي الصالح، علي صالح السعدي، أين هم الآن؟!

بقيت تلك الذكريات معي، حيث كنت أروي بعضاً منها لأصدقائي وزملائي، وقد كنت أستذكر مشاهد الانفعالات على وجه السعدي^(١).

توسع فرهاد عوني فيما كتب عن علي صالح السعدي أكثر من سابقه، ودون بعض ملاحظاته عن اللقاء، وسجل الحوار الذي جرى فيه، ورصد بدقة ما تفوه به السعدي من اعتراف بكرديته، وتحديد له لموطن عائلته ومنطقته، وموقفه من حكومة البكر، التي منحته وظيفة مستشار، ويتسلم راتبه منها، دون أن يكلف نفسه تقديم المشورة لها، لأنه يعتقد بأن القيادة الجديدة طارئة على الحزب.

وظل السعدي لسنوات طويلة بعد أن فقد مركزه في حزب البعث يتألم ويجلد ذاته، وينفجر بالبكاء أحياناً، نتيجة لتأنيب الضمير جراء الانتهاكات والدماء التي سالت في الفترة الشباطية من حكم البعث، ورافقه هذه الحالة حتى وفاته، ولم يتوقف السعدي في نقده لحكومة البعث في دورتها الثانية بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، وقد سمع ذمه وتقريعه لها كل من التقاه في تلك الفترة، وأشد ما كان يجز

(١) فرهاد عوني: ذاكرة الأيام، ص (٥٧٩-٥٨٢).

في نفسه ما يراه من تأمر وعدم وفاء بين رفاق الأوس، وسنجد في هذا الكتاب الكثير من حالات الندم المزوجة بالانفعال الشديد.

في عام ١٩٩٢ التقيت بالأخ الكاتب حسن السعيد، وجرى بيننا حديث عن علي صالح السعدي، حتى طاف بنا الحديث حول استعراض جوانب مهمة في شخصيته، واختلفنا في كونه كردياً فيلياً شيعياً، أم هو سني من كردستان العراق، وقد اعتمد الأخ السعيد الرأي الأول، وثبته في كتابه القيم (نواير الغرب) الذي كان وقتها تحت الطبع، وهو الرأي الذي يقول به حنا بطاطو في الجزء الثالث من كتابه (العراق)، وبعد أن اقتنع السعيد بصحة رأيي، لم يستطع أن يتدارك هذه الهفوة التي تسلت إلى كتابه بسبب الاعتماد على كتاب الباحث حنا بطاطو، الذي وضعه الكتاب اليساريون موضعاً يناهى به عن النقد.

ذلك اللقاء نبهني إلى اعتماد الدقة في قراءة كتاب الباحث الفلسطيني حنا بطاطو، وبالأخص الجزء الثالث منه لصلته القوية ببحوثي، وقد وجدت فيه أخطاء تكاد أن تفتك برصانة البحث العلمي، وذلك لأنها تعتمد على السماع دون الفحص والتدقيق، وقراءتي هذه جعلتني أؤمن بأن الباحث قد استقبل الكثير من (المرويات) على علامتها، وكانت مفتقرة إلى المصدقية التي هي عماد كل بحث رصين، ومما يؤسف له أن باحثاً كبيراً كحنا بطاطو يقع تحت تأثير إعلام السلطة العراقية، وملفات الأمن العامة ذات المعلومات الغزيرة التي وضعت بين يديه، دون أن يكلف نفسه عناء التثبت في صحة ما وصل إليه.^(١)

وإلى الآن، لا يزال العديد من الكتاب والباحثين، والمثقفين النادرين، والقراء الممتازين، يعتقدون بأن علي صالح السعدي كردي فيلي شيعي، بعد أن وقعوا أسرى المعلومة الخاطئة التي دونها الباحث حنا بطاطو وتلاقتها المصادر المهمة

(١) انظر للمؤلف: حكومة القرية، ص (٣٤٩-٣٥٦).

الأخرى، فجاء في موسوعة السياسة، الجزء الرابع: «أنه من عائلة فلاحية كردية فويلية مستعربة»^(١).

لم أكن أعلم أن الكاتب السياسي عزيز الحاج قد أشار إلى أخطاء حنا بطاطو أيضاً إلا بعد اطلاعي على شهادته للتاريخ بعد سقوط نظام البعث في العراق، ومضي سنوات على صدورها، وكان الحاج قد بين تلك الأخطاء في موضعين من كتابه، في ص ١١٧ عندما قال: «أخطأ بطاطو إذ اعتقد أن الاعتقالين في تاريخ واحد»^(٢)، وفي ص ١٣٩ وصفه بأنه على باطل عندما أعطى رأيه في أحد الشيوعيين اليهود.^(٣)

في عام ١٩٩٣، تم اختياري لمسؤولية المكتب السياسي لحزب الدعوة الإسلامية في كردستان العراق، وكان مقره في أربيل، منطقة شورش، ورغم الصعوبات الجمة التي واجهتنا في تلك المرحلة، إلا أنها تجربة خصبة وغنية، وقفنا فيها على فرق كبير بين أن يعمل الإنسان في بلده ومع أبناء وطنه، وبين أن يعمل خارج الحدود، العمل خارج الحدود غير منتج، لأنني ومن خلال تجربة شخصية امتدت لأكثر من عقد من الزمان قضيتها في الأهواز، لم أستطع من توفير صديق واحد من عربها، حيث تقطنها أكثرية عربية ساحقة، إذ لا توجد عشيرة في محافظات جنوب العراق الثلاث - البصرة، ذي قار، وميسان - إلا ويوجد لها تمثيل قل أو كثر في المحافظة المسماة بـ(خوزستان)، وقد يكون هذا التمثيل هو الأكثر وقليله في العراق، وقد تكون العشيرة الأصل هناك في الأهواز وفرعها في العراق، ومع هذا التقارب الوثيق، حيث كنا نعيش بين ظهرائي أبناء عمومتنا العرب الأقحاح، إلا أنه لم تتمكن من إقامة علاقة دائمة مع نفر منهم، لوجود حالة من الانغلاق

(١) د. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، الجزء الرابع، ص ١٨٦.

(٢) و (٣) عزيز الحاج: شهادة للتاريخ، الصفحة ١١٧، والصفحة ١٣٩.

المطبق تحول بيننا وبين إقامة علاقة من هذا النوع، وكانت تملك الجميع حالة نفور لا تُدرك أسبابها.

في كردستان كان الأمر مختلفاً جداً، فبناء العلاقة لا يحتاج إلى جهد، والناس مقبلون وليس مدبرين، فكان لنا أصدقاء في كل الميادين، ومن أهمها كانت الجامعة، التي بنينا فيها علاقات ودية متطورة، ومن أعلى المستويات فيها، من المسؤول الأول السيد رئيس الجامعة البرفسور بهرام خضر مولود، إلى عميد وأساتذة كلية الآداب، وبنسب متفاوتة مع الكليات الأخرى، وتعززت هذه العلاقة، بعد أن نضجت لدي فكرة إكمال دراستي في كلية الآداب قسم اللغة العربية، فصار أساتذة القسم أساتذة لي وأصدقاء، خصوصاً ونحن في أعمار متقاربة، ولنطوي ذكريات قسم اللغة العربية بسرعة ونؤجلها إلى الوقت المناسب، كي نصل إلى أن أحد هؤلاء الأساتذة الكرام هو في الوقت الحاضر الأستاذ الدكتور عثمان محمد أمين، أستاذ تاريخ الأدب العربي في كلية الآداب جامعة صلاح الدين، وهو ابن عم علي صالح السعدي، وإن أخاه السيد عبد الرحمن محمد أمين مدير عام تربية أربيل سابقاً، متزوج من قريبته ابنة ساطع صالح السعدي.

وقد أخبرني الدكتور عثمان أن لقب (السعدي) الذي ألحقه علي باسمه، يعود إلى جدهم المشترك (ملا سعدي) أحد الشيوخ المعروفين لدى أبناء جيله، وليس نسبة إلى مدينة (السعدية) كما يعتقد بعض الكتاب والباحثين، وأنهم جميعاً ينتسبون إلى عشيرة (مموندي)^(١) إحدى فروع عشيرة دزه بي الكردية المعروفة، وقد أشار

(١) كانت لقاءاتي مع أستاذنا الدكتور عثمان محمد أمين عديدة ولا حصر لها، في حرم الجامعة وتكاد تكون يومية، وفي مكتبنا السياسي عندما كان يزورنا، وفي بيته عندما كان يدعوني لضيافته، وقد علمت من خلاله أن والده المرحوم محمد أمين زار قريتهم علي صالح السعدي بعد انقلاب ٨ شباط، وعرض عليه استعداده لتوفير حماية له من أبناء عشيرته (مموندي) إذا كان يشعر بخطورة وضعه الأمني، ولكن علي السعدي طمأنه من هذا الجانب، وأوصاه أن لا ينتسبوا لحزب البعث. ◀

إلى ذلك الوزير السابق محسن دزه يبي في الأوراق المارة.

وقد ذكر النسابة ثامر عبد الحسن العامري (مموندي) دون أن يلحق بها الياء الأخيرة، فجاءت في موسوعته عن العشائر العراقية (مموند)^(١)، وعندما سألته عنها قال: إنها هي.^(٢)

➤ وأضاف الدكتور عثمان: إن فارس بن علي صالح السعدي قد اختط طريقه بنفسه، ليكون متديناً وملتزماً بالإسلام، على خلاف ما سار عليه والداه (علي صالح السعدي) و(هنا العمري) في تبني عقيدة ميشيل عفلق.

كما ذكر لي الدكتور عثمان أن أبناء عشيرته (مموندي) حضروا مجلس الفاتحة المقام على روح علي صالح السعدي ببغداد عام ١٩٧٧، وشاهد حضوراً مكثفاً لمسؤولي حزب البعث في مجلس الفاتحة.

(١) ثامر عبد الحسن العامري: موسوعة العشائر العراقية، الجزء السابع، ص ٢٥٢.

(٢) في لقاء مع النسابة ثامر عبد الحسن العامري بتاريخ ١٢/ آذار/ ٢٠١٤.

الفصل الأول

1

علي صالح السعدي
والقطار الأنكلوأمريكي



بعد فشل بعث العراق في تجربته الأولى في السلطة نتيجة للصراع الدائر آنذاك بين أقطابه، أطلق علي صالح السعدي مقولته الشهيرة: «جئنا إلى الحكم بقطار أنكلوأمريكي» وانتشرت في الأوساط السياسية كما تنتشر النار في الهشيم، واعتمدها كتأب وسياسيون في نقدهم وتقريرهم لحزب البعث العراقي، وإدانة ارتباطاته المشبوهة، وظلت هذه المقولة تتصدر المآخذ والطعون التي يستخدمها الكتأب والسياسيون والمناوؤون منذ منتصف الستينات ولعدة عقود لاحقة، ولسعة وحجم انتشارها خلال هذه الفترة الطويلة، صار من الصعب على حزب البعث ردها، لأنها أصبحت بحكم المسلمات التي لا تقبل الشك، وأعتقد أن الشيع الذي يستخدم كدليل في بعض الموارد، له الفضل في ترسيخها وتركيزها بالعقول، من دون السؤال عن خلفيتها والمناسبة التي قيلت فيها، وعند تتبع معظم المصادر التي اعتمدت عليها واستخدمتها في الذم والتخوين، لا نجد أيأ منها قد سمعها من السعدي مباشرة، وإنما هو نقلٌ عن نقلٍ في سلسلة قد تنتهي إلى المصدر، أما الكثرة الكاثرة من البعثيين فكانوا يتعاملون بالصمت المطبق مع هذه المقولة، دون أن يمتلكوا أدوات الرد المقنع، لأن البعث إضافةً إلى أنه يعيش حالة بؤس فكري وثقافي عام، منذ نشأته وإلى الآن، يعتقدون بإمكان صدورها عن علي صالح السعدي، الذي لا يتحفظ على الأسرار لاستخفافه واحتقاره للجميع، وفوضويته التي لا تقف عند حدود، فهي—أي المقولة—وأخرى غيرها يمكن أن

تصدر عنه، لأنه قد أوقع الحزب في مشاكل ومطبات نتيجة لتصرّحاته ضد رئيس الجمهورية عبد السلام عارف، ومجموعة العسكريين المشاركين في الحكم، وضد الإقطاع والرجعية، واخترقت تصرّحاته الحدود العراقية، ليشتبك مع إعلام جمال عبد الناصر المدوي، والمتمثل بمحمد حسنين هيكل، في مقالات نارية متقابلة، وصلت إلى حد التراشق بكلمات من العيار الثقيل، وكادت أن تؤدي إلى أزمة بين البلدين، فهو لا يتوانى عن التصريح الغارق في القسوة والعدوانية ضد أعدائه التقليديين من الشيوعيين والقاسميين، وقد تشمل قسوته المفرطة القوميين أيضاً، إذا أحس منهم منازعة البعث في الملك العضوض والسلطان، وقد بلغ به التماهي أن يضمن برقيات ورسائله كلمات تثير القرف والاشمئزاز، نحو قوله: «سحقاً سحقاً حتى العظم».

أما فرسان الفترة الشباطية، وهم المعنيون الأساسيون في مقولة السعدي، فهم أيضاً كغيرهم لم ينبسوا ببنت شفة خلال هذه الفترة الطويلة، وقلنا (معنيين) نريد به أن وصمة العار هذه تخصهم بشكل مباشر دون غيرهم، فهم وحدهم الذين حملهم القطار الأمريكي إلى السلطة في العراق، فلا بد لهم من الدفاع عن أنفسهم، وحتى الذين كانوا باستطاعتهم الكلام، وامتلكوا قسطاً من الحرية، بعد أن فتحت لهم دول اللجوء أبوابها، ودخلوها محمّلين بأوزار الضحايا التي خلّفوها وراء ظهورهم في العراق المنكوب، جرّاء اعتمادهم البطش والتنكيل بالمعارضين، هؤلاء أيضاً آثروا الصمت ولم يدافعوا عن أنفسهم، ويمسحوا هذا العار الذي لحقهم وحملهم شناره رفيقهم وأمين سر قطرهم علي صالح السعدي.

وبعد سقوط هُبل العراق، ومرور أربعين عاماً على الانقلاب المحمول بالقطار الأمريكي، طالعنا بعض الصحف بالحديث عن هذه المقولة بشكل صريح، وفي مقابلة مع حازم جواد احتلت صفحة كاملة من جريدة الحياة، وعلى مدى إحدى

عشرة حلقة في كل يوم واحدة، تمتد من ٨ شباط ٢٠٠٤ إلى ١٨ شباط ٢٠٠٤، وكان التوقيت محسوباً بدقة من أحد المتحاورين أو من الاثنین معاً، وبدلاً من أن يداوي الحوار الجروح والأخاديد التي حفرتها آلات التعذيب في الأجساد النحيلة الباقية على قيد الحياة، فإنه أعاد إلى الذاكرة جريمة قهر الإنسان لأخيه الإنسان وتخطيمه.

وفي إجابته على سؤالٍ موجه إليه بخصوص القطار الأمريكي الذي حملهم إلى سدة الحكم، يقول حازم جواد: «كان الأستاذ السعودي قريباً جداً إلى حزبياً، ولم أسمع منه هذه العبارة في أي يومٍ من الأيام سواءً قبل ٨ شباط (فبراير) ١٩٦٣، أو أثناء وجودنا في الحكم أو بعده، أقول هذا لأن علي عاد إلى صداقته معي في السنوات العشر التي سبقت وفاته في النصف الثاني من السبعينات، لم أسمع منه حتى ولو مجرد تلميح إلى هذه المسألة، أخشى أن تكون هذه العبارة كتلك التي نسبت إلى أحمد الشقيري عن رمي اليهود في البحر، أريد أن أذكر بالقول المأثور (البينة على من ادعى) أن يسأل عن هذه المقولة من نقلها، كل الدلائل والظروف الموضوعية والسياسية تُسخِّف هذا الادعاء، فهل من مصلحة أمريكا دعم وصول البعث وعبد السلام عارف إلى السلطة، وبرنامجهما هو الوحدة مع جمال عبد الناصر، هل من مصلحة أمريكا إسقاط حكم الانفصال في سورية، ولماذا يلجأ البعث للتعاون مع أمريكا؟ فهل هو بحاجة إلى سلاح؟ أريد أن أقول أن الأسلحة التي وزعناها على الحرس القومي والضباط فجر ٨ شباط، كانت أسلحة مصدرها الجمهورية العربية المتحدة، وصلتنا في ١٩٦٠ بواسطة العقيد أمين الحافظ قائد المنطقة الشرقية في الإقليم الشمالي (سورية).

طبعاً ربما كان هناك من اندسَّ في الأحزاب لمصلحة الدول الكبرى، لكن ذلك لا يعني أبداً أن الحزب جاء بقطار أمريكي أو سوفياتي أو بريطاني، ثم إن نشاطات

وكالة الاستخبارات الأمريكية (C.I.A) تصدر في كتب بعد مرور فترة زمنية محددة، ويتباهى أصحاب الأدوار بما فعلوه، فلماذا لم نقرأ ولو سطرأ واحداً عن القطار الأمريكي الذي حملنا إلى السلطة في ٨ شباط ١٩٦٣»^(١).

ينفي حازم جواد في تعليقه على مقولة علي صالح السعدي، ويعتبرها مفتراة أو أنها من مختلقات الخصوم، والتاريخ العربي والإسلامي والسياسي منه بشكل خاص متختم بالمختلقات، سواء كانت هذه المختلقات شخصيات، أو أحداث، أو روايات، وعلى هذا الأساس فهو يضع هذه المقولة مع هذا الصنف من الموروثات، وجاء نفيه هذا لأنه وثيق الصلة بعلي السعدي، فكانا معاً في القيادة القطرية التي خططت لانقلاب الثامن من شباط^(٢)، بل إنهما دخلا هذه القيادة بعد الانتخابات التي جرت في أعقاب المؤتمر القطري الثاني المنعقد في آذار ١٩٥٨^(٣)، أي قبل ثورة الرابع عشر من تموز بشهور معدودة، وكذلك كانا ضمن المكتب العسكري^(٤) الذي نفذ خطة انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، ودخلا في حكومة البعث

(١) صحيفة الحياة: العدد (١٤٩٣٦)، الأربعاء ١٨ شباط (فبراير) ٢٠٠٤م الموافق ٢٧ ذو الحجة ١٤٢٤هـ مذكرات حازم جواد، الحلقة الأخيرة.

(٢) والقيادة القطرية التي خططت لانقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، كانت تتكون من: علي صالح السعدي (أمين سر القطر)، حازم جواد (نائب أمين السر)، طالب شبيب، حمدي عبد المجيد، كريم محمود شنتاف، عسمن الشيخ راضي، حميد خلخال، فيصل حبيب الخيزران. (انظر، حنا بطاطو، ج ٣، ص ٢٨٤).

فيما يخص (نائب أمين السر) انظر أيضاً عزيز جبر شيال: دور حزب البعث في الحركة الوطنية في القطر العراقي للفترة ١٩٥٨-١٩٦٣، رسالة ماجستير غير منشورة ص (٢٤٣-٢٤٤).

(٣) وكانت القيادة المنتخبة كالآتي: ١- فؤاد الركابي ٢- علي صالح السعدي ٣- شمس الدين كاظم ٤- خالد علي الصالح ٥- حازم جواد ٦- كريم محمود شنتاف ٧- سعدون حمادي ٨- عبد الله الركابي، ويضيف خالد علي الصالح إليها صالح شعبان في كتابه (على طريق النوايا الطيبة) فيكون عددهم (٩) بدلاً من (٨)، وقد ظهر فيها اسماً حازم جواد وعلي صالح السعدي، والأول انتخب فيها لأول مرة، أما علي صالح السعدي فكان فيها منذ المؤتمر القطري الأول.

(٤) وتكونت تشكيلة المكتب العسكري الجديدة من علي السعدي رئيساً وعضوية حازم جواد،

الأولى، ثم دب الخلاف بينهما حتى بلغ أوجه في المؤتمر القطري الاستثنائي المنعقد في ١١/١١/١٩٦٣، حيث أبعد علي صالح السعدي وجماعته إلى إسبانيا^(١)، في هذه الفترة لم يسمع حازم جواد من علي صالح السعدي قصة القطار الأمريكي لا تصريحاً ولا تلميحاً.

وبعد فترة انقطاع قاربت الأربع سنوات^(٢)، عادت العلاقة بينهما من جديد، واستمرت لمدة عشر سنوات، وانتهت بوفاة السعدي في ١٩/٩/١٩٧٧، وفي هذا العقد من الزمان، وبعد عودة المياه إلى مجاريها ينفي حازم جواد أيضاً أنه سمع من علي صالح السعدي كلمته المشهورة، أما الحلقة المفقودة في تعليقه، فهي فترة القطيعة بينهما من (١١/١١/١٩٦٣ - ١٩/٩/١٩٦٧) عندما شحن السعدي ورفاقه في طائرة الشحن العسكرية، التي افترشوا أرضيتها، من هنا بدأت رحلة المعاناة، وقع تحت ضغط الألم النفسي، أدرك ألاعيب السياسة جيداً، صحا تحت صدمة غدر الرفاق، عاد وعيه إليه، وانطلق لسانه بالتصريحات الخطيرة التي لم

➤ طالب شبيب، أحمد حسن البكر، صالح مهدي عماش، عبد الستار عبد اللطيف، خالد مكي الهاشمي، منذر الوندائي، وحر دان التكريتي، في نهاية عام ١٩٦٢ أضيف العقيد عبد الكريم مصطفى نصرت والعقيد ذياب العلكاوي، لتعزيز المكتب برتب كبيرة، وأيضاً بسبب تغيب حر دان لوجوده في كركوك، وخالد الهاشمي الذي انهار أمام عبد الكريم قاسم.

انظر: د. علي كريم سعيد: عراق ٨ شباط ١٩٦٣، ص ٤٧.

(١) وجماعة السعدي هم: حمدي عبد المجيد، محسن الشيخ راضي، هاني الفكيكي، وأبو طالب عبد المطلب الهاشمي.

(٢) الفترة (١١/١١/١٩٦٣ - ١٩/٩/١٩٦٧) هذه الفترة التي أطلقنا عليها فترة القطيعة بين (السعدي وحازم جواد)، وقد حددناها بهذا الشكل التقريبي، فبداية الفترة دقيقة، أما نهايتها فتخمينية، اعتمدنا فيها كلام حازم جواد، الذي قدر عودة العلاقة بعد هذه القطيعة بعشر سنوات قبل وفاة السعدي المصادفة لتاريخ ١٩/٩/١٩٧٧ وبطرح عشر سنوات منها يكون التاريخ ١٩/٩/١٩٦٧ هو نهاية فترة القطيعة تقريباً.

توقف حتى سنة وفاته ١٩٧٧. هذه الفترة تعتبر من أقسى ما واجهه علي صالح السعدي من ضغوط حزبية وسياسية، وأزمات نفسية وحياتية، وفيها انطلقت مقولته كما يحددها مروجوها.

وفي جزء من جوابه يُصعّد جواد نبرته الساخرة، ليصل به التهكم إلى القول: «أخشى أن هذه العبارة كتلك التي نسبت إلى أحمد الشقيري عن رمي اليهود في البحر»، وبعد أن يحشرها في صف المخلّقة المكذوب من الروايات يقول: «كل الدلائل والظروف الموضوعية والسياسية تُسخّف هذا الادّعاء»، فهو يعتبر هذا الادّعاء سخيفاً والمقولة كذلك، ولا ينبغي لأولي العقول أن يتوقفوا عندها لما تحمل من السخف والضعف، ثم يتساءل ويقول: «فهل من مصلحة أمريكا دعم وصول البعث وعبد السلام عارف إلى السلطة، وبرنامجهما هو الوحدة مع جمال عبد الناصر؟»، لكن الأحداث الماضية والظروف الموضوعية أثبتت أن حزب البعث وعبد السلام عارف أبعد ما يكونان عن الوحدة مع عبد الناصر، ولنمعن النظر في هذا الحوار بين علي صالح السعدي وخالد علي الصالح الذي يقول:

«فسألني هل زرت (أبو أحمد)، فرددت عليه من هو أبو أحمد؟، مع أنني أدركت من هو المقصود، فقال: (عبد السلام عارف) فقلت له ولماذا أزوره؟ لقد خرج قبلي من السجن، وأنا لم أخرج إلا منذ أيام، وكيف أذهب إليه في مثل هذه الظروف؟ وواصلت فقلت له: إنني أعتقد بأنه لا يستحق الزيارة أو المجاملة، فأنا أعرفه وأعرف سلوكه، فأخذ يؤكد لي بأن (عبد السلام) قد تغير تماماً، فلم يعد ذلك الشخص العاطفي المتسرع، نضج في السجن، فقلت له ما الذي تغير فيه، إنه كان يقضي وقته في الصلاة، وأنا مقتنع أن صلواته ليست لوجه الله خالصة وإنما خوفاً من الموت فقط، ثم يا (علي) وأرجوك أن تصدقني القول وبشرفك، ألا تعني بتغييره: هو شتمه وانتقاده لـ(عبد الناصر)، فرد (علي): نعم لقد تغير

من هذه (الناحية)، فقلت لعلي بعد أن سمعت إجابته عن تغير عبد السلام: إنكم بسبب حقدكم على عبد الناصر سوف لن يجد الجواسيس وأعداء العروبة ملجأ لهم أفضل من الحزب الذي يقبل بقيادته الجواسيس، وتقوده أنت وعفلق»^(١).

أهمية هذا الحوار تكمن في أنه جرى في أجواء هادئة وبدون تكلف ولا حذر، وبعيد عن الخصوم، لذا جاء صريحاً ويكشف ما في أعماق النفوس من خفايا وخبايا، وبدا متسقاً ومتوافقاً لما طلبه حازم جواد، وكأنه إجابة معدة سلفاً، فيما يخص الطرفين اللذين أشار لهما في تعليقه (أي البعث وعبد السلام عارف)، ثم إنه جرى في نهاية عام ١٩٦١ وعلى أعتاب العام القادم، لأن عبد السلام عارف أُطلق سراحه بعفو من لدن عبد الكريم قاسم في ٢ / ١٢ / ١٩٦١^(٢)، وهو الوقت الذي كان فيه حزب البعث في أقصى غايات الاستنفار، وحشد كل الطاقات، من أجل الانقضاض على حكم الزعيم عبد الكريم قاسم، هذا من جهة، ومن جهة ثانية إنه حدث في مرحلة التفكير بالوحدة، في الوقت الذي كان ينظر إلى الوحدة من الناحيتين المعنوية والاعتبارية بمصاف المقدسات، في هذه الظروف أبرز الحوار النوايا المبيتة من قبل الطرفين المذكورين، فأين هو إذن إيمان حزب البعث وعبد السلام عارف بالوحدة مع جمال عبد الناصر؟.

ثم إن عبد الناصر نفسه يعتقد بأن حزب البعث من القوى التي شجعت على الانفصال عام ١٩٦١، وقد كشف ذلك بقوله: «إن حزب البعث في رأبي انقلب على تجربة الوحدة وحاربها، وكان من القوى التي مهدت للانفصال»^(٣).

(١) خالد علي الصالح: على طريق النوايا الطيبة.. تجرّبي مع حزب البعث، ص ١٧٥.

(٢) أ.د. نوري عبد الحميد العاني، أ.د. علاء جاسم محمد الحربي: تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري، ج ٥، ص (٢٥١-٢٥٢).

(٣) أحمد الشقيري: الهزيمة الكبرى، ج ٢، نقلاً عن الدكتور ذوقان قرقوط: في تاريخ الأمة الحديث، المشروع القومي الذي لم يتم، ص ٤٢٣.

ويشارك ساطع الحصري مع عبد الناصر في رأيه، ويضع حزب البعث في صف الأعداء، الذين أجهزوا على الوحدة ومهدوا للانفصال، فيقول: «وأنا لا أشك في أن (تاريخ الوحدة العربية) سيحكم على سياسة سوريا الذين أيدوا الحركة الانفصالية بأشد الأحكام وأقساها، وأحكامه هذه ستكون بالغة الصرامة - بوجه خاص - على قادة حزب البعث الذين كانوا يتباهون بحمل ألوية الوحدة العربية ونشرها بين الناس».^(١)

وليس في ذلك أدنى شك لأن اثنين من قادة البعث وقَّعا وثيقة الانفصال^(٢)، أما عبد السلام عارف فكان يتهم على الوحدة ويسخر منها.^(٣)

إن البعث وعبد السلام عارف يضمران لعبد الناصر مشاعر لا يمكن معها قيام الوحدة البتة، وهذا ما آلت إليه خلاصة الحوار المتقدم، ولا أعتقد أن ذلك سيكون بعيداً عن مجسات الرصد الاستخباري والسياسي التي استخدمتها الدول الكبرى لمعرفة ما يجري في العراق.

«إن بريطانيا لم تكن مكترثة بما كان يصرِّح به قادة التيار القومي، واندفاعهم العاطفي نحو الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة، وتوصفيهم للرئيس جمال عبد الناصر بـ(الشقيق الأكبر)، لا سيما في خطب نائب رئيس الوزراء العقيد

(١) ساطع الحصري: الأعمال القومية، القسم الثالث، ص ٢٢٧٦، وهو ضمن كتاب (الإقليمية جذورها وبذورها) ص ٢٩، وهو الكتاب رقم (١٥) من سلسلة التراث القومي.

وسبق للحصري أن نشر رأيه هذا في مجلة الحوادث البيروتية الصادرة في ١٥ / ١٠ / ١٩٦١.

(٢) وهما صلاح البيطار وأكرم الحوارني. انظر للمؤلف: بعث العراق من البداية المريبة حتى النهاية الغربية، ص (١١٣-١٢٠).

(٣) انظر للمؤلف: اغتيال الحقيقة.. عبد السلام عارف وإشكالية الكتابة في تاريخه السياسي، ص ٥٦-٥٧، وانظر أيضاً: عبد الكريم فرحان: حصاد ثورة (مذكرات) ص ١٤١، ١٤٤، ١٤٨، ١٤٩.

الركن عبد السلام عارف، الذي أخذ على عاتقه التحدث بشعارات القوميين
الوحدوية في خطابه، التي افتقرت إلى النضج والوضوح الفكري، بل العكس،
فقد وجدت بريطانيا في التيار القومي الوسيلة الفضلى لاستخدامها في صراعها
غير المباشر مع النفوذ السوفياتي والحزب الشيوعي العراقي من جهة، والإنعام
في إذلال القوى والعناصر الوطنية والمعادية للسياسة البريطانية واتهامها
بـ(الشعبوية)^(١) ومعاداتها للأمة العربية من جهة أخرى، وإزاء ذلك، كشفت
وثائق الدبلوماسية البريطانية عن حرصها في دعم نشاط التيار القومي في العراق
باتجاه أهدافها ومصالحها، فقد اعتقدت السفارة البريطانية ببغداد في رسالتها إلى
الخارجية البريطانية في ٣٠ / ٧ / ١٩٥٩، بأن لا خوف على المصالح البريطانية في
العراق في حالة وثوب التيار القومي على السلطة لأن قادة هذا التيار، بحسب رأي
السفارة، بحكم تناقضاتهم الفكرية ومصالحية صراعاتهم، أضعف من أن يحققوا
أهدافهم الوحدوية، أو أن يتركوا في أثناء حكمهم للعراق آثاراً سلبية على مصالح
بريطانيا». ^(٢)

ولم يكتفِ الزعيم عبد الكريم قاسم بتسديده الضربة القوية لبريطانيا بإسقاط

(١) لمزيد من الاطلاع انظر:

خير الله طلفاح في كتابه: الشعبوية.. عدو العرب الأول، الذي يصف فيه مؤيدي الزعيم قاسم
بـ(الشعوبيين) ويصف الزعيم نفسه بـ(الشعوبي القدر).

وكذلك انظر أيضاً:

فؤاد الركابي في كتابه: الحل الأوحده، وهو كراس تكرر فيه مفردة (الشعبوية) ومشتقاتها تسع
مرات، ووصف الزعيم قاسم أيضاً بـ(الوحش الشعوبي).

(2) F.O. 371\140920, letter, no. (66) Top secret, From British Embassy,
Baghdad, to foreign, London, 30 July 1959.

نقلاً عن الدكتور طارق مجيد تقي العقيلي: بريطانيا ولعبة السلطة في العراق، ص ٦١.

الحكم الملكي الحليف، بل راح يضغط على مواطن الوجدع الشديد، وهي جميعها مؤلة لبريطانيا، وأوغل في ممارسة ضغطة على أشدها إيلاماً، مركزاً على مسألتين أساسيتين أفضت مضاجع دهاة السياسة والأمن في الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، وهما قضيتا النفط والكويت.

ففي القضية الأولى تحدى قاسم الإدارة الدولية باستصدار قانون رقم (٨٠) لسنة ١٩٦١، وعلى إثر ذلك تلقى تهديداً مباشراً وصریحاً، من لدن رئيس وفد الشركات المفاوضة في أثناء جولة اجتماعهما في ١٧ / ١١ / ١٩٦١^(١) بعبارة مفادها: «إن الشركات ستعمل على حماية حقها، وسترى ماذا ستكون النتائج»^(٢).

القضية الثانية التي حركها الزعيم عبد الكريم قاسم، ولامست المواطن الحساسة في جسد الإمبراطورية البريطانية، هي تأكيده بوقائع تاريخية عائلية الكويت للعراق ومطالبته بإلحاقها به، وعلى إثر ذلك: «دافعت بريطانيا بشدة عن الكويت، بل وتمسكت بها، حتى أنها هددت باستخدام (حرب نووية) على حد قول أحد الباحثين الغربيين»^(٣).

«ولكي تثبت بريطانيا للزعيم قاسم جدية تهديدها، بادرت بإزالة قطعات من أسطوها البحري في المياه الإقليمية الكويتية في ١٩ / ٦ / ١٩٦١، ثم أردفتها بقوات من المشاة البريطانية بلغت نحو خمسة آلاف جندي»^(٤).

(١) الدكتور طارق مجيد تقي العقيلي: بريطانيا ولعبة السلطة في العراق، ص ٦٢.

(٢) أحمد ساجر جاسم الدليمي: سياسة العراق النفطية ١٩٦٣-١٩٦٨، ص ٢٩. نقلاً عن المصدر السابق.

(3) Charles D.Cremeans, The Arab and the World Nasser's Arab nationalist policy, London, N.D. PP. 114115-.

(٤) جريدة المواطن، بغداد، العدد ٤٢، ٣٠ حزيران ١٩٦١.

الهوامش ١، ٢ نقلاً عن: الدكتور طارق مجيد تقي العقيلي: بريطانيا ولعبة السلطة في العراق، ص (٦٢-٦٤).

وعلى امتداد الموقف البريطاني المتشدد ضد الزعيم عبد الكريم قاسم وقفت القوى القومية العربية تشجب وتستنكر دعوى قاسم بتبعية الكويت للعراق، وصدرت عنها بيانات منددة ومتوعدة، وأكثرها حماساً وتهديداً كان بيان القيادة القومية، الذي جاء متسقاً مع التهديد البريطاني للعراق.

«إن الشعب في العراق، يدرك أن غرض قاسم من طرح هذا الموضوع في هذا الوقت بالذات، هو صرف أنظار الشعب في العراق، عن مساوئ حكمه وجرائمه في حق حركة التحرر العربية والوحدة العربية».^(١)

ثم ارتفعت وتيرة التهديد في البيان، إلى حد السعي لإسقاط حكم الزعيم قاسم بواسطة الجبهة القومية، والذي يعتبر حزب البعث من أطرافها الفاعلة، وفي ذلك إشارة واضحة للفت نظر بريطانيا في تلك الظروف الخطيرة إلى وجود هذه الجبهة (القومية) الجاهزة والمستعدة للتنسيق.

«والإرادة الشعبية في العراق منعقدة بقيادة الجبهة القومية على تحرير العراق (منه) لإعادة العراق إلى دوره الطبيعي في حركة التحرر العربي، والقيام بالتزاماته في تحريك النضال التحرري في الجزيرة».^(٢)

إن بريطانيا لا تبقى مكتوفة الأيدي، وهي ترى احتمال تعرض مصالحها للخطر، وإزاء ذلك لا بد لها من اتخاذ شتى الوسائل لدرء الأخطار المحتملة، وقد يتطلب الحفاظ على هذه المصالح دعم أية حركة سياسية مناهضة لحكم الزعيم وموالية للغرب، وتمثل لسياسة بريطانيا في العراق والمنطقة.^(٣)

(١) حزب البعث العربي الاشتراكي: نضال حزب البعث العربي الاشتراكي عبر بيانات قيادته القومية ١٩٥٥-١٩٦٢ ص ١٦١.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٦١.

(٣) عبد الحميد كاظم حمادي الشكري: العلاقات العراقية - البريطانية ١٩٥٨-١٩٦٣، ص ٢٤٨،

وفي سبيل ذلك تابعت وزارة الخارجية البريطانية المعلومات التي تردّها من سفاراتها في المنطقة، من أجل أن تكوّن صورة للحكم القائم في العراق، وإمكانية المساعدة في تقويضه، إضافةً إلى الإحاطة الكاملة والإمام الواسع بالبديل المتعاون، وهذا ما توضحه الوثيقة التي استلمتها الوزارة من سفارتها بالأردن.

«فقد ذكرت وثيقة بريطانية، أن شعوراً قوياً ساد في الدوائر السياسية الرسمية الأردنية، بأن (ضربة حاسمة ستؤدي إلى سقوط وإنهاء حكم عبد الكريم قاسم)، وكان اعتقاد الأردنيين أن الضربة ستأتي على يد (القوميين العراقيين) الذين يعلق البريطانيون عليهم آمالاً كبيرةً في تغيير النظام»^(١).

وفي الوقت ذاته كانت السفارة البريطانية في بغداد تتقدم في سعيها من أجل توثيق علاقتها بـ(مجموعة الشباب)^(٢) ذوي الميول القومية المعتدلة (الموالين للغرب) حسبما أفادت به وثائق بريطانية لاحقة.^(٣)

«في حينها أكد ألين في رسالته للخارجية البريطانية في ٣١/١٢/١٩٦٢، أن مصادر اتصاله بـ(مجموعة الشباب) قد أطلعتّه بشكل مفصل على خطة انقلابهم المزمع القيام به ضد النظام»^(٤).

➤ نقلاً عن الدكتور طارق مجيد تقي العقيلي: بريطانيا ولعبة السلطة في العراق، ص ٧٢.

(1) F.O. 371164093/ (EQ/05562/), W.Morris, British Embassy, Amman to G.Hiller, Foreign office, London, Reporting comments of wasft Al-Tel in Iraqi situation, 21 september, 1962.

(٢) الشباب: الوصف الذي استخدمه المتممون إلى حزب البعث في توصيف (رفاقهم).

(3) F.O., 371170419/, Tel., no. (92), (FQ 101533/), Confidential, sir R. Allen, British Embassy, Baghdad to Foreign Office, London, 8 February 1963.

الهوامش ١، ٢، ٣ نقلاً عن الدكتور طارق مجيد تقي العقيلي: بريطانيا ولعبة السلطة في العراق ص ٧١.

(٤) الثورة (جريدة) بغداد، العدد ١١٠٠ في ١٧/١/١٩٦٣، البلاد (جريدة) بغداد، العدد ٦٥٨٧ في ١/٢/١٩٦٣.

وقد كان الزعيم عبد الكريم قاسم يدرك حجم التآمر الخطير الذي يضيق الخناق عليه، ويكاد يطبق على حكمه، وعبر عن ذلك غير قليل، وسمى الأشياء بأسمائها، وذكر أن المؤامرة القادمة ستكون على يد سفارتي بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفضح علاقتهما بالقوى القومية التي تتحفز للوثوب على السلطة.^(١)

وتشير الوثائق البريطانية إلى أن السفير البريطاني روجر ألين لعب دوراً كبيراً في بذل الجهود للارتباط بالشباب، وهو عمل ليس بالسهل، كما أنه سعى بنفسه الفاعلية والنشاط ل يتم ما قام به سلفه همفري تريفيليان، الذي نجح في اختراق أمن الزعيم قاسم.

«وكان ألين مقتنعاً بخطة الشباب، إذ قال في هذا الشأن: (تم التأكيد لنا بأن الخطة قد تم وضعها تفصيلاً بشكل جيد، وأن الأسماء المقررة للمناصب الرئيسية قد تم اختيارها). ولضرورات احترازية وأمنية امتنعت مصادر ألين أن تزوده بالأسماء المشتركة بالانقلاب المرتقب، فقد قدر ألين الحس الأمني العالي الذي حملة الشباب والمصادر المتصلة بهم، وعد ذلك ضرورياً في تلك المرحلة الحساسة والحرجة، ومع ذلك، ذكر بأنه يحتفظ ببعض من أسماء أولئك الشباب، وفي شأن التمويل المالي لمجموعة الشباب يبدو أنهم كانوا يعانون من شحة التمويل الذي أعاق تحركهم على نحو فاعل وسريع، فقد تعهد السفير ألين ببذل جهوده لتذليل هذه العقبة».^(٢)

(١) الثورة (جريدة) بغداد، العدد ١١٠٠ في ١٧/١/١٩٦٣، أيضاً:

البلاد (جريدة) بغداد، العدد ٦٥٨٧ في ١/٢/١٩٦٣.

الهوامش ١، ٤ نقلاً عن الدكتور طارق مجيد تقي العقيلي: بريطانيا ولعبة السلطة في العراق، ص ٧٢.

(2) F.O. 371170428/ (EQ/ 0115/ 5G), Secret and personal guard, Sir R. Allen, British Embassy, Baghdad to R.S. Crawford, Foreign Office, London, 31 December 1961, Regarding plots.

نقلاً عن الدكتور طارق مجيد تقي العقيلي: بريطانيا ولعبة السلطة في العراق، ص ٧٢.

التحول الكبير الذي أحدثته ثورة ١٤ تموز في العراق على كافة الأصعدة، ينبغي أن يرافقه تغيير ملحوظ في الجهاز الاستخباري، فالملاحظ أن الأجهزة الأمنية في عهد الزعيم عبد الكريم قاسم لا تختلف عما كانت عليه في العهد الملكي، ولم يطرأ عليها أي تجديد، ثم إن مديرية الأمن العامة، وهي واحدة من الأجهزة الأمنية المهمة، لكنها لم تنل حظها من الاهتمام، ولذلك أفرزت إنتاجاً عادياً، لم يكن بمستوى الأحداث، والأنكأ من كل ما تقدم أن يحتل الموقع الأول فيها العميد عبد المجيد جليل، الرجل الذي يلف وضعه كثير من الغموض، ولاضطراب ما قيل فيه، لا يمكن لأي باحث تحديد الجهة التي يعمل معها، حتى صار هدفاً للاختراق.

نال ثقة الزعيم عبد الكريم قاسم، ولولا تلك الثقة التي أولاها له الزعيم، ما كان له أن يبقى معه إلى الأخير.

وينحو طالب شبيب باللائمة على رفيقه صالح مهدي عمّاش ويحمّله مسؤولية دماء كثيرة ويجرمه، وفي المقابل يأسف على ما جرى للعميد عبد المجيد جليل بقوله: «ولا أدري لحد الآن لماذا أمر بقتل العميد عبد المجيد جليل، الذي ما كان يجب أن يعدم، لأنه أرحم مدير أمن عام في تاريخ العراق كله، ولم يظهر أية عداوة للقوميين أو البعثيين، واصطدم بالشيوعيين أكثر من اصطدامه بنا، ولم يسيء إلى عمّاش وعماد وبهاء شبيب (وكان الأخيران ضابطان) ولا السعدي وكريم شنتاف، عندما تمكن من اعتقالهم قبل ٨ شباط بأربعة أيام، رغم خطورة أمرهم، فلو كان قد حاول وانتزع منهم المعلومات قسراً لأنقذ حكومته»^(١).

إن جزءاً كبيراً من مسؤولية الإخفاق في المحافظة على الأمن وسلامة

(١) د. علي كريم سعيد: عراق ٨ شباط ١٩٦٣.. من حوار المفاهيم إلى حوار الدم، ص (٢٨٠-٢٨١).

الجمهورية الفتية وحياء زعيمها عبد الكريم قاسم تتحملة الأجهزة الأمنية وقتذاك، وبالأخص مديرية الأمن العامة متمثلة بمديرها العام العميد عبد المجيد جليل، الذي لا يمكن تبرئته ووضع ما قام به تحت عنوان قلة الخبرة، فالرجل من المخضرمين في المجالات الأمنية والاستخبارية، ولكن الذي يدعو إلى الاستغراب، أن كل الخطوات الاحترازية التي اتخذها كانت تصب لمصلحة حزب البعث والفئات القومية المتربصة، فهو قد قدم لهم السلطة على طبق من ذهب، بعد أن كرّس جهده لملاحقة الشيوعيين والقاسميين، وترك الباب مفتوحاً على مصراعيه للبعث والفئات القومية، ولم يأت هذا الوضع بعفوية محضة، أو جاءت الأمور على رسلها، وإنما كان العمل باتجاه استلام السلطة مخططاً له بعناية تامة، خصوصاً أن الخطوات التي اتخذها مدير الأمن كانت في غاية الدقة، استهدف فيها متابعة الشيوعيين وأنصار الزعيم قاسم، ووضع كل ما لديه من خبرة في إحصاء أنفاسهم وملاأ السجون بهم، وقد استعان بخبرة مالك سيف سكرتير الحزب الشيوعي الأسبق، الذي خان حزبه، وصار عميلاً لكل السلطات التي تعمل على اجتثاثه وتفتك برفاقه، وكان لواقعة استخدامه مخبراً ضد الشيوعيين قصة مهمة دوناًها في واحد من كتبنا المخطوطة، وأعتقد أن الصفحات القادمة التي تتحدث عن العميد عبد المجيد جليل ستجلبو الضباب والتعتيم عن كل خططه، وتكشف الغموض الذي يحيطها واللبس الذي يكتنفها وتعرضها بلا رتوش أمام أنظار القارئ الكريم ليعطي رأيه فيها بكل حيادية.

يقول إسماعيل العارف: «خفت المراقبة على نشاط القوميين بشكل عام وعلى أعضاء حزب البعث على وجه الخصوص بعد سنة ١٩٦١، لانصراف معظم نشاط أجهزة الأمن إلى مطاردة أعضاء الحزب الشيوعي والمتعاطفين معهم، حتى أن مدير الأمن العام العقيد عبد المجيد جليل وضع مؤيدي ثورة ١٤ تموز ومحبي عبد الكريم قاسم في صف الشيوعيين وصارت أجهزة الأمن تطاردهم، دافعه

إلى ذلك الكره الذي كان يضمه للشيوخ منذ أن كان ضابط استخبارات في العهد الملكي، وقد شكوا إلى عدد كبير من المعلمين مضايقة أجهزة الأمن لهم بسبب تأييدهم العلني لعبد الكريم قاسم وحكومته وثورة ١٤ تموز، فطلبت حضوره إلى دائرتي ونبهته إلى ضرورة التفريق بين مؤيدي الحكومة منهم وبين خصومها، فرد قائلاً: (إنهم شيوعيون) مع علمي بأنهم لا ينتمون إلى حزب سياسي، فقلت له إنك بذلك تسعى إلى تهديم هذا البناء على رأسنا ورأسك»^(١).

كشفت الوثائق البريطانية عملية الخرق الكبرى التي فتحتها السفارة البريطانية بأجهزة الزعيم قاسم الأمنية، واستقر الخرق في رأس الهرم الأمني، فحصلت على معلومات خطيرة قدمتها للمرتبطين بها من أعضاء المكتب العسكري، أو أعضاء القيادات المدنية لحزب البعث، فقد وصف أحد تقارير السفارة مدير أمن بغداد ياسين درويش بأنه «بيدي تحرره من القيود الرسمية في أحاديثه مع المسؤولين كلما أتحت له مناسبة في زيارة لندن، وبأنه أفضل ضمانة لهم في بغداد خلال الأوقات العصيبة التي ستأتي مستقبلاً»^(٢).

أما السير همفري تريفيليان السفير البريطاني الأسبق ببغداد، فقد جاء برسالته التي بعث بها من السفارة البريطانية بموسكو إلى وزارة الخارجية مفادها: «إن مدير الأمن العامة عبد المجيد جليل، كان من وقت إلى آخر يتورط في مؤامرات ضد قاسم، وإن الأمن كان ودياً معنا بدرجة كافية لإخبارنا بمعلومات سرية من وقت لآخر عندما كان يرتب شيئاً ضدنا»^(٣).

(١) إسماعيل العارف: أسرار ثورة ١٤ تموز وتأسيس الجمهورية في العراق، ص ٤١٠.

(2) F.O., 371157662/ (EQ/01517/), P. Hayman, British embassy Baghdad to G.F. Hiller, foreign office, London, 26 January 1961 Reporting conversation with Mr. Yasin Darwish.

(3) F.O., 371170433/ (EQ/ 015/ 119) Sir Humphrey Trevelyan, British

ويبدو الأمر في غاية الخطورة إذا ربطنا الكلام المتقدم بما ذكره الوزير إسماعيل العارف قائلاً: «وقد صرح مدير الأمن العام عبد المجيد جليل أمامي عندما جئت موقوفاً يوم ١٠ شباط (فبراير) ١٩٦٣ في بهو اللواء التاسع عشر، حينما كان يستجوب من قبل علي صالح السعدي وهيئة التحقيق التي شكلت بعد نجاح حركة ١٤ رمضان، تصریحاً يدل على ما كان عليه اتجاه جهاز الأمن في حكومة عبد الكريم قاسم، فقد قال لعلي صالح السعدي عندما صفعه على وجهه وبصق فيه: لماذا تضربني... لولاي لما نجح انقلابكم؟!»^(١).

علّق العميد عبد المجيد جليل نجاح انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ على جهوده هو لا غيره، ونحن نعلم أنه لم يكن هو السبب الوحيد، وكذلك لم يكن على اتصال مباشر مع حزب البعث، ولو كان كذلك لما تعرض للصفع والبصق في وجهه من قبل أمين سر القطر لحزب البعث، الذي أشرف على التحقيق معه، إذن لا بد من أن تكون له علاقة بنجاح الانقلاب ولكن بشكل غير مباشر، ولا بد أن تكون هناك واسطة دقيقة في عملها، ولم تكشف علاقتها بأجهزة قاسم الأمنية للانقلابيين، فمدير الأمن العام بحكم وظيفته الاستخبارية يعلم بأن المعلومات التي يزود بها الواسطة، تأخذ طريقها إلى البعثيين، وعلي صالح السعدي يعلم بأن السفارة تزودهم بمعلومات خطيرة، ولكنه لا يعلم بأن المصدر الأساسي لها هو العميد عبد المجيد جليل، الذي قال كلمته الخطيرة.

فيما تقدم من كلام قرأنا احتجاج طالب شبيب على إعدام العميد عبد المجيد جليل، لأنه قلب مملوء بالرحمة، ورحمته حالت دون أن يستغرق في محاولة الحصول

embassy, Moscow to G. Hiller, Foreign Office, London 21 February 1963. ◀

الموامش ٢، ٣ نقلاً عن الدكتور طارق مجيد تقي العقيلي / مصدر سابق، ص (٧٦ - ٧٧).

(١) إسماعيل العارف: أسرار ثورة ١٤ تموز وتأسيس الجمهورية في العراق، ص ٤١٠.

على اعتراف القادة البعثيين الذين وقعوا معتقلين بين يديه قبل أربعة أيام من انقلاب ٨ شباط، ولم يتخذ موقفاً صارماً وأساليب ضاغطة، أو أية إجراءات تساعد في الحصول على الاعترافات التي من شأنها أن تحول دون نجاح الانقلاب، ولكن تهاونه المدان كلفه حياته وحياة من ولّاه على هذا المفصل المهم في الدولة^(١)، إضافة إلى سقوط النظام برمته، خصوصاً إذا عرفنا أن المعتقلين يشكلون جزءاً فاعلاً في الانقلاب المنتظر، فعلي صالح السعدي أمين سر القطر ومسؤول المكتب العسكري، والمشرف على كل الاجتماعات التي تدرس الخطط الموضوعة لانتزاع الحكم من الزعيم قاسم، فهو مطلع على كل شاردة وواردة قبل اعتقاله، وكريم محمود شنتاف عضو القيادة القطرية، دعي لاحقاً لحضور الاجتماعات التي تخطط للانقلاب، والمقدم الركن صالح مهدي عمّاش عضو المكتب العسكري والمكلف من قبل القيادة مع عبد الستار عبد اللطيف بوضع الخطة العسكرية للانقلاب، وكانت قيادة البعث خارج السجن تتوقع انهيار عمّاش في التحقيق ونزول الكارثة على حزب البعث، وكانت تحسب الأيام والليالي القليلة بين الاعتقال والانقلاب أيام حياة أو موت بالنسبة للحزب في العراق، أما الشخصان الآخران من المعتقلين بهاء، وعماد شبيب، فهما أخوا القيادي في الحزب طالب شبيب، والذي كان خارج منزله عندما كبس وألقي القبض على من فيه، وهما يمتلكان معلومات مهمة تفيد أجهزة الأمن في منع الانقلاب وتقويضه، وذلك لأن منزل الشبيب كان بمثابة المقر الذي تعقد فيه الاجتماعات للإعداد للانقلاب قبل عملية كبسه، وهكذا فوّت العميد عبد المجيد جليل فرصة الصيد الثمين الذي بين يديه، ولولا هذا التراخي واللامبالاة مع المعتقلين، لانتشل نظامه من محنة السقوط المريع.

والغريب المدهش أن علي صالح السعدي الذي حقق مع مدير الأمن العام

(١) انظر: هادي رشيد الجاوشلي: الزعيم عبد الكريم قاسم وموعده مع التاريخ، ص ٨٧.

بشكل سريع تخللته حالات انفعالية وهستيرية مرفوضة، كانت جزءاً من شخصية السعدي الفوضوية، وبعد جولة التحقيق السريعة، أمر صالح مهدي عمّاش بقتل العميد عبد المجيد جليل وأحمد أنفاسه، وكان العقل والمنطق يقضيان إبقاءه لفترة تتحقق فيها الاستفادة من خزانة الأسرار، وقد وضع كتاب وسياسيون علامات استفهام كبيرة جداً على العمل الذي قام به عمّاش، وكانت كل التكهنات تشير إلى أن عمّاش عَجَل بإرسال صندوق الأسرار إلى القبر خشية افتضاح أمر ارتباطه بشكل خاص، وارتباطات حزب البعث المشبوهة بشكل عام، ولا يفوتنا أن ننبه أن السعدي وعمّاش كانا معتقلين لدى مدير الأمن العام، الذي أخذت أنفاسه إلى الأبد، وذهبت معه أسرار خطيرة وكثيرة إلى القبر، كان المدخل لها كلمته التي احتج فيها على ضربه وإهانته من قبل السعدي، لأنها كلمة تحمل بين طياتها الشيء الكثير.

لا أريد أن أحمل القارئ الكريم على تبني رأيي وتحليلي لهذه القصة المثيرة، ولكنني لا أعتقد بأن الرحمة المعروف بها مدير الأمن العام، كانت وراء عدم فتح تحقيق يفضي إلى اعترافات تقي البلاد من كارثة حكم البعث، ولا يمكن الركون إلى هذا الرأي بهذه البساطة، والرأي الذي لا نريد فرضه، ولكننا نرجحه، هو وجود توصية في إلزام مدير الأمن العام، لإجراء تحقيق عادي مع المعتقلين، ليس له تأثير ولا يؤدي إلى فشل خطة الانقلاب، أما الذي قام بهذه التوصية المحتملة، فهو الصديق المشترك، الذي يرتبط بعلاقات ودية مع أجهزة الزعيم قاسم الأمنية من جهة، ومع قادة بعثيين في المكتب العسكري والقيادة القطرية من جهة أخرى، وهذا ما أشارت إليه الوثائق البريطانية، التي اطلعنا على حزمة منها، وهي تدين حزب البعث بالارتباط المشبوه، والذي لم نتناوله بالبحث من هذه الوثائق ما هو أخطر.

وقد سمت هذه الوثائق الأشياء بأسمائها، وأعلنت عن وصف وتقييم المرتبطين بها من قادة حزب البعث، القادة الذين يعول عليهم في صنع الأحداث، من الفاعلين وليس الهامشيين، والغريب أن السفارة اختارت الأشخاص الخطرين في المكتب العسكري والحزب فوصفتهم وصفاً دقيقاً، بدءاً بشيعة السوء أحمد حسن البكر، الأهم في المكتب العسكري من العسكريين، وجاء هذا التقييم بعد أن استكملت السفارة البريطانية ترتيباتها مع أحمد حسن البكر الذي عدّه السفير ألين صاحب «سجل بالتأمر وله ميول بعثية». (١) وبنفس الاتجاه فهو في تقريره تقرير بريطاني لعام ١٩٥٨ «إنه كان مرتبطاً بمصالح معنا وودوداً، لكنه متردد في اتخاذ بعض القرارات المهمة». (٢)

إن التقرير البريطاني يشير إلى ارتباط أحمد حسن البكر بمصالح مع بريطانيا، وقد صدر بتاريخ ١٥/١٢/١٩٥٨، كما تؤكد على ذلك الوثائق البريطانية، أي أن هذا الارتباط جاء بوقت مبكر في عهد الزعيم عبد الكريم قاسم، ويمكن أن يكون قبل الثورة، أو متزامناً معها، خصوصاً وأنه جاء بصيغة الماضي (كان مرتبطاً)، ولم تحدد الوثيقة وقت الارتباط الذي أطلقت به بصيغة الماضي، التي لا يعلمها إلا بريطانيا وحدها بعد هلاك أحمد حسن البكر، الطرف الثاني بالموضوع. لم يكن البكر ضابطاً لامعاً، أو ذا قدرات عسكرية متميزة، أو يمتلك موهبة في الفن العسكري، وإنما كان ضابطاً خاملاً خدم في وحدات غير فعالة، وهو من

(1) F.O., 371170429/ (EQ / 015 /36B), Tel, no. 98, confidential Sir R. Allen, British embassy, Baghdad to foreign office, 8 February 1963.

(2) F.O., 371133067/, Mr R.S. Crawford, British embassy, Baghdad to Mr Selwyn Lloyed foreign office, London, 15 December 1958, enclosing report on leading personalities in Iraq.

الهوامش ١، ٢ نقلاً عن الدكتور طارق مجيد تقي العقيلي: بريطانيا ولعبة السلطة في العراق، ص ٨٠.

الذين تخطأهم الأنظار والحسابات في تقييم الرجال، وربما لديه صفات أخرى تساعده للارتباط بالأجنبي، فهو متأمر يغدر بأقرب المقربين منه، ولا يرمى حرمة لقراءة أو صداقة، بل يطيح بالقرب والصديق بمجرد أن يخوف منهما، ولديه قابلية على أن يكتتم الأسرار ويضمّر العداة.

ولم يكن أحمد حسن البكر الوحيد من أعضاء المكتب العسكري لحزب البعث، الذي أكدت الوثائق البريطانية صلته بالسفارة البريطانية، وإنما تحدثت هذه الوثائق عن علاقة عمّاش وحرّدان بذات السفارة، وأن السفير البريطاني ببغداد ألين كُثف اتصالاته بالضابطین صالح مهدي عمّاش وحرّدان التكريتي الموصوفين، في برقية لاحقة للسفير ألين في التاسع من شباط ١٩٦٣ إلى الخارجية البريطانية (بأنهما صديقان)، ففي شأن الأول وصفته البرقية بأنه (متأمر نشط وذكي)، والقاسم المشترك الذي جمع الاثنين عمّاش وحرّدان (أنهما معاديان للشيوعية)، وأنهما (ميلان إلينا ووديان معنا).^(١)

إن ما ذكرته الوثيقة من مواصفات دقيقة للضابطین عمّاش وحرّدان، تجعلهما على جاهزية تامة للارتباط بالأجنبي وخيانة الوطن، وهل تجد المخابرات الدولية عميلين يمتلكان أفضل من هذه المؤهلات؟، وهل تفوّت المخابرات مثل هذه الفرصة المؤاتية، التي كانت تغامر من أجلها وتقطع المسافات الطويلة عبر البحار والقارات؟.

ومما أفادت به وثائق الدبلوماسية البريطانية، أن أهم اتصال أجرته السفارة البريطانية ببغداد مع البكر وعمّاش في الرابع والعشرين من كانون الثاني ١٩٦٣،

(1) F.O. 371170429/ (EQ/ 015/ 36 G) Tel, no. 105, Sir R. Allen, British embassy, Baghdad to, foreign office 9 february 1963, regarding coup.

نقلًا عن الدكتور طارق مجيد تقي العقيلي: بريطانيا ولعبة السلطة في العراق، ص ٨٠

أبلغتها فيه أن بعض الكتل القومية وبالاتفاق مع حركة القوميين العرب، سوف ينفذون عملية الإطاحة بالنظام في الأسبوع الأخير من شباط ١٩٦٣.^(١)

وهذا ما يؤكد أمير الحلو في مذكراته التي صدرت حديثاً بقوله: «ولكن الحقيقة التي أريد أن أذكرها، أن القوميين العرب كانت لديهم محاولة خاصة للانقلاب على حكم عبد الكريم قاسم في أول أيام عيد الفطر، عند حضور الزعيم إلى نادي الضباط عام ١٩٦٣، ولكن البعثيين سارعوا في تنفيذ انقلابهم، مما دفع بالضباط القوميين إلى مساندتهم بشكل فعال معروف».^(٢)

إن العميد الركن عبد الكريم مصطفى نصرت عضو المجلس الوطني لقيادة الثورة بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، اقتيد إلى السجن العسكري رقم واحد بعد ١٩٦٤/٩/٥ بتهمة تدبير انقلاب عسكري لمصلحة حزب البعث العربي الاشتراكي ضد حكومة عبد السلام عارف، دار بينه وبين جماعة حسن سريع الموجودين في نفس الردهة، حوار قال فيه نصرت رداً على تهمة تعاون البعث مع

(1) Antony nothing, Political diaries: Iraq 1940-1966-, Oxford university press, New York, 1971.

نقلاً عن: هيثم غالب الناهي: خيانة النص في الخريطة السياسية للمعارضة العراقية، ص ١٧٢.
(٢) أمير الحلو: مذكرات أمير الحلو.. نقاط الخبر الأخيرة، ص ٤٠.

في برنامج شهادات للتاريخ في قناة الاتجاه الفضائية، قال أمير الحلو: أن أخاه اختير ضمن مجموعة للتدريب في الموصل لاغتيال الزعيم قاسم، في أول أيام عيد الفطر في نادي الضباط ببغداد، الذي يصادف الأسبوع الأخير من شهر شباط ١٩٦٣، ومما يثير الدهشة والاستغراب معرفة السفارة البريطانية ببغداد بتخطيط وتوقيت حركة القوميين العرب للإطاحة بحكم الزعيم قاسم!!، وفي غمرة السباق المحموم بين حزب البعث وحركة القوميين العرب لاغتيال ثورة ١٤ تموز بشخص قائدها الزعيم عبد الكريم قاسم، قفز البعث في ٨ شباط ليفوز بالغميمة.
انظر:

محمد سعيد الطريحي: جمهورية الزعيم، فصلية الموسم، الجزء ١٠٢، ص ٣٥٩.

أمريكا، وعلى تصريح علي صالح السعدي حول القطار ذي الماكينة الأمريكية: «إن قيادة البعث العسكرية لم تكن تخلو من الألغام، ولكننا سنعود إلى الحكم وسنكفّر عن الأخطاء السابقة»^(١).

إن الثلاثة، أعضاء المكتب العسكري لحزب البعث، أحمد حسن البكر، صالح مهدي عماش، وحر دان التكريتي، الذين صاروا أعضاء في المجلس الوطني لقيادة الثورة بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، وردت أسماؤهم في الوثائق البريطانية كعملاء للسفارة البريطانية ببغداد، وفي حديث غارق في القدم، يعود تاريخه إلى ١٩٦٤ / ٩ / ٥، مر بنا قبل قليل لعبد الكريم مصطفى نصرت شريك الثلاثة في المكتب العسكري قبل الانقلاب، وشريكهم في عضوية المجلس الوطني لقيادة الثورة بعده، يعتقد بوجود ألغام وعلاقات مشبوهة، ويحدد مكانها بـ(قيادة البعث العسكرية) وهو تصويب دقيق يشبه الوثائق البريطانية من دون أن يحدد الأسماء، وهذا يعني أن علي صالح السعدي لم يكن الوحيد الذي يعلم بعمالة رفاقه، التي صورها على شكل مقولة شاعت وتناقلتها الركبان، أما عبد الكريم مصطفى نصرت فهو الآخر قد أطلق كلمة معبرة علّق فيها على حديث سلفه، ولكن كلمته لم تكن مدوية ككلمة السعدي، ولم تأخذ طريقها إلى الانتشار، وكانت محدودة التداول.

والغريب المدهش أن الثلاثة الذين كشفتهم الوثائق البريطانية، ضالعون بالعمالة ومرتكسون على رؤوسهم بالخيانة، وربما هم المقصودون بكلمة عبد الكريم مصطفى نصرت عندما يصفهم بالألغام، هؤلاء هم لا غيرهم المفاوضون الأساسيون مع بطانة الرئيس السابق عبد الرحمن عارف، عندما بدأت هذه البطانة الرديئة بعرض السلطة في سوق النخاسة وبالمزاد العلني، فلم يتقدم من الحركات

(١) د. علي كريم سعيد: العراق.. البيرة المسلحة حركة حسن سريع وقطار الموت ١٩٦٣، ص ٨٣.

والأحزاب العراقية لهذه البضاعة المحاطة بالشكوك، إلا قادة البعث المذكورون للاتفاق مع العملاء المزروعين في القصر الجمهوري -وعبرنا عنهم بالبطانة- على القيام بانقلاب في ١٧ تموز ١٩٦٨، وهكذا عادوا مرة ثانية بفعل المخبرات الدولية إلى السلطة.^(١)

أما الوثائق الأمريكية فهي لم تكن مشاعة بنفس الطريقة التي تُنشر فيها الوثائق البريطانية، وإنما عليها بعض القيود، وفي دراسته عن (سياسة الولايات المتحدة تجاه العراق عهد الزعيم عبد الكريم قاسم ١٩٥٨-١٩٦٣) يوجز الدكتور سنان صادق حسين الزيدي الصعوبات التي واجهته في ملاحقة الوثائق التي تحتاجها دراسته فيقول: «إن عدداً من تلك الوثائق التي تتعلق بالعراق للفترة التي تناولتها هذه الدراسة، قد حذفت من سجلاتها الأصلية المحفوظة لدى وزارة الخارجية الأمريكية، وكثير منها أيضاً حذفت منها عبارات ووضعت مكانها (عبارة حذفت من مصدرها الأصلي لعدم تمييزها) مما يدل على خطورة مضمونها الذي ترى واشنطن ضرورة الحفاظ عليه طي الكتمان».^(٢)

حتى وإن تكتمت الولايات المتحدة على بعض الوثائق الخطيرة، فإن المترشح منها والذي يخص العراق، لا يقل خطورة عن تلك المحاطة بالسرية والكتمان.

«اقتنعت الدوائر الأمريكية في واشنطن وبغداد، أن سياسة الزعيم عبد الكريم قاسم الداخلية والخارجية من جهة، واندفاع الاتحاد السوفياتي إلى التغلغل في

(١) للوقوف على تفاصيل خيانة بطانة الرئيس عبد الرحمن عارف، انظر:

د. زينب عبد الحسن الزهيري: عبد الرحمن عارف، ودوره السياسي في العراق (١٩٦٦-١٩٦٨م)، ص (١٤٥-١٥١).

(٢) الدكتور سنان صادق حسين الزيدي: سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العراق في عهد الزعيم عبد الكريم قاسم ١٩٥٨-١٩٦٣، ص ١٥.

العراق إلى حد كبير من جهة أخرى، سيجعلان من العراق قاعدة سوفياتية»^(١).
«ولم تكن واشنطن على استعداد لإبقاء الحال على ما هو عليه في ظل واقع
صراع القوى الدولية، فتبنت في نهاية عام ١٩٦١ الرأي القائل بضرورة تغيير
حكم عبد الكريم قاسم»^(٢).

إن الأمريكان قد حطوا رحالهم في العراق منذ بداية العهد الجمهوري، وكانوا
يفتشون عن فرائسهم لربطها بـ(CIA) وقد اتصلوا بطالب شبيب، وأبدوا
رغبتهم الملحة بدعم عملية اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم بالمال والسلاح.
وتحمس طالب شبيب لطرح استعداد الأمريكان للمشاركة في عملية الاغتيال
في اجتماعي القيادة القطرية المكرسين لدراسة خطة الاغتيال، وكان ذلك بعد
مؤامرة الشواف في آذار ١٩٥٩، والثورة لم تجتز عامها الأول، والدوائر الأمريكية
قد دخلت بقوة على الخط للمساهمة في اغتيال الزعيم»^(٣).

وهذا هو شأن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) فقد نفذت
عمليات اغتيال قدرة عن طريق عملائها ضد رؤساء وقادة شعوب في أمريكا

-
- (1) Foreign relations of the United States, 1963-1962-, vol. XVIII, no. 149, Telegram from the Department of State to the embassy in Iraq, Washington, February 3, 1963 (F.R.U.S).
 - (2) Foreign relations of the United states, 1963-1962-, vol. XVII, no. 5287 Memorandum from Robert W. Komer of the National Security, Council staff to the president, special assistant for National security, Washington Decemeber 29, 1961.

الهوامش ١، ٢ نقلاً عن:

د. سنان صادق حسين الزبيدي: سياسة الولايات المتحدة تجاه العراق، عهد الرئيس عبد السلام
محمد عارف شباط ١٩٦٣ - نيسان ١٩٦٦ ص ٢٠.

(٣) انظر: خالد علي الصالح: على طريق النوايا الطيبة.. تجرّبي مع حزب البعث ص ١٠١.

اللاتينية وأفريقيا وآسيا، وهو ليس غريباً على نهجها المقيت.

«وتشير الدلائل الموثقة، أنها بدأت فعلاً بنسج خيوط الاتصال والتعاون مع القوى القومية السياسية المناهضة لحكم عبد الكريم قاسم، وكانت بريطانيا الحليف القوي للولايات المتحدة الأمريكية، على علم بهذا التجاذب، لذا سارعت إلى إبلاغ الإدارة الأمريكية بوجهة نظرها حيال التطورات الداخلية في العراق، في تقرير جاء تحت عنوان: احتمالية سقوط قاسم، والعواقب التي ستواجهها المملكة المتحدة والغرب»^(١).

وبعد أن حشدنا في هذا الفصل الكثير من الوثائق الدقيقة والقرائن الصحيحة، التي تؤكد ارتباط أهم قادة انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ بالمخابرات الدولية، وأن الانقلاب هو من صنع تلك الدوائر، ومن أجل أن نثبت صحة مقولة الرجل الأول في الانقلاب علي صالح السعدي، التي تعددت نصوصها بحسب ما سمعها الرواة مباشرة منه، أو عن طريق زوجته هناء العمري.

ونصوص الرواية لا تخرج عن ثلاث، وإن اختلفت المفردات في غيرها:

١- جئنا إلى الحكم بقطار أمريكي.

٢- جئنا إلى الحكم بقطار أنكلو-أمريكي.

٣- جئنا بقطار ماكنته أمريكية (وباقى أجزاء القطار تجميع).

ولكن النص الذي شاع هو (القطار الأمريكي)، وفي أحد كتبي تبين نصاً

(1) Ibid, Memorandum from the Department of state executive secretary to the President special Assistant for national secretary, Washington, June 20, 1962.

نقلاً عن د. سنان صادق حسين الزبيدي: سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العراق، عهد الرئيس عبد السلام محمد عارف شباط ١٩٦٣ - نيسان ١٩٦٦ ص ٢٠.

اختلفت فيه المفردات (وصلنا إلى السلطة بقطار أنكلو-أمريكي) وكنت قد استعرتة من كتاب (نواطير الغرب) لحسن السعيد، الذي عدل عن رأيه السابق وأصدر كتاباً آخر له سماه (القطار الأمريكي) دون أن يشرك معه الـ (أنكلو).

أما المصادر التي ذكرت صيغة (الأنكلو-أمريكي) فهي كثيرة منها كتاب (إلى طالب العلم) بقلم علي الكوراني العاملي، ص ١٧٣.

ومهما يكن من أمر فإن هذه النصوص تصب في محصلة واحدة.

يقول الدكتور مالك دوهان الحسن: «العملية الانقلابية في ٨ شباط ١٩٦٣، قام بها البعثيون وبعض القوميين، ولا يستبعد أن يكون هناك تنسيق مع جهات أجنبية لدعم الانقلاب، فإني شخصياً سمعت من علي صالح السعدي عندما كان موقوفاً معنا في سجن رقم (١)»^(١) بعد اعتقالنا من قبل البعثيين في تموز ٦٨ قال بالحرف الواحد: (إننا في ٦٣ جئنا بقطار أمريكي) فسألته: والآن كيف جاء

(١) عن هذا الاعتقال الذي تحدث عنه (مالك دوهان الحسن) إن السعدي اعتقل صبيحة يوم ١٧ تموز ١٩٦٨ جراء شرط اشترطه عبد الرزاق النايف على قيادة البعث المشاركة له بالانقلاب، ويقضي هذا الشرط اعتقال عدد من القياديين البعثيين مدنيين وعسكريين وعلى رأس القائمة كان علي صالح السعدي، واستسلم البعثيون لهذا الشرط ولم يستطيعوا رفع اسم السعدي من القائمة، وهذه فضيحة كبيرة تدمغ قادة البعث، الذين يقولون أن النايف اتصل بهم في اللحظات الأخيرة من الشروع بالانقلاب، وقبلوه على مضض، وهنا يبدو العكس، إن عبد الرزاق النايف مشارك حقيقي ولاعب أساسي في الانقلاب، يملي شروطه، ويصر عليها، ويرغم البعث على التنفيذ.

وبعد أن انقلب البعثيون على شركائهم في الانقلاب (النايف والداود) في ٣٠ تموز ١٩٦٨، أطلق سراح السعدي، بعد أن أمضى أسبوعين في المعتقل التقى خلالها بالدكتور مالك دوهان الحسن، وحده الحديث الأنف الذكر.

للتفصيل راجع:

سيف الدين الدوري: علي صالح السعدي نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وسلطة البعث الأولى في العراق ١٩٦٣، ص (١٧-١٨).

البعثيون إلى السلطة ثانية؟، فقال: جاؤوا إلى السلطة على ظهور خيل لا يغطيها غطاء، بمعنى بدعم أمريكي مكشوف، وأنا أؤيد ما قاله علي صالح السعدي، وخاصة في تلميحاته بالعبارة الأخيرة، حيث لما كنت وزيراً للإرشاد والثقافة في حكومة طاهر يحيى ١٩٦٦، حدث أن قابلني السفير الروسي د. فاسيلي وسألني عن سبب سماح الحكومة للبكر وجماعته من البعثيين في الظهور بمظاهرة بالباب الشرقي، وبررت له السبب بأنها تضامناً مع الجماهير العربية الحزينة بسبب حصول نكسة حزيران من قبل العدو الإسرائيلي، فردَّ عليَّ السفير: كلا، كلا، إن هذا ليس المبرر الحقيقي لخروجهم بالتظاهرة، وأضاف: (ولأول مرة يصرح سفير دولة عظمى لمسؤول عراقي معتمد لديه) بأن لدولته مخبرات في بلاده، وإنه قدم تقريراً تشير معطياته إلى قرب حلول انقلاب لمصلحة دولة كبرى، وكان يشير أو يلمح إلى دور الولايات المتحدة الأمريكية في هذا الانقلاب^(١).

وبنفس الاتجاه تؤكد هناء العمري ما ذهب إليه زوجها في تصريحه عن ارتباط الانقلابيين ٨ شباط ١٩٦٣، و١٧ تموز ١٩٦٨ بالعامل الدولي.

يقول الدكتور عبد الفتاح علي البوتاني: «عندما كنت أجمع مادة هذا الكتاب (التطورات السياسية الداخلية في العراق، ١٤ تموز ١٩٥٨ - ٨ شباط ١٩٦٣) حاولت أن ألتقي وأقابل زوجة علي صالح السعدي السيدة هناء العمري، ولم نهتد إلى بيتها أنا والبعثي (المخضرم) معاذ عبد الرحيم، وطلبت من خليل إبراهيم حسين (خليل رويتر) أن يأخذني إليها، فقال لي: أنا أعرف لماذا تريد مقابلتها، فقلت: لماذا؟، فضحك: تريد أن تسألها عن علاقة البعث بأمريكا وبريطانيا

(١) توفيق التميمي: شهادات عراقية.. حوارات في ذاكرة عراقية، الجزء الثاني، ص ٢٢٤.

وأكد الوزير السابق الدكتور مالك دوهان الحسن للمؤلف (طالب الحسن) كل ما تقدم وبتفصيل أوسع، بتاريخ ١/٥/٢٠١٤، وفي أول لقاء بينهما.

والتحقق من قول زوجها: (جئنا إلى الحكم بقطار أنكلو-أمريكي)، وأردف قائلاً: لقد سألتها هذا السؤال في الثمانينات فأيدت ما ذهب إليه زوجها وبلا حرج قائلة: وكيف وصل الذين يحكمون الآن إلى الحكم؟، فقلت: إذن لماذا لم تثبت هذا في كتابك موسوعة ١٤ تموز؟، فقال ضاحكاً: تريد أن يعدمني البعث^(١).

إن تغلغل المخابرات الدولية في العراق كان واضحاً لدى أقطاب السياسة في العراق، حتى أن السعودي في حديثه مع الدكتور مالك دوهان الحسن، استعار ظهور الخيل التي لا يغطيها غطاء بدلاً من القطار الأمريكي، للإيجاء إلى انكشاف أمر قادة البعث في عودتهم الثانية إلى السلطة، وبهذا الصدد «يذكر حليم الأعرجي المقرب إلى رئيس الجمهورية عبد الرحمن عارف (١٩٦٦-١٩٦٨)، أن عارف عندما وصلته أخبار عن تأمر البعثيين لقلب نظام حكمه، استدعى أحمد حسن البكر (رئيس الجمهورية بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨) وحذره من التأمر قائلاً: بالله عليك ماذا تفعلون بهذا المشبوه ميشيل عفلق، الساكن في بيروت والذي لدينا عنه معلومات كثيرة لا تشرف أحداً، وهناك من يسافر من العراق إلى بيروت ليتزود منه بالمعلومات والنشرات، ونحن نعرف تماماً أنها تنقل من السفارة الأمريكية في بيروت»^(٢).

عندما يكون هناك عدد من الشخصيات الذين تتباين لديهم الميول والاتجاهات والاختصاص، ويشهد هؤلاء جميعاً بأنهم سمعوا قولة السعودي بخصوص القطار الأمريكي، ولا يجمع أصحاب هذه الشهادات مكان معين ولا زمان محدد، عندما أطلق السعودي قولته، وهم يدلون بشهاداتهم للأمانة والتاريخ، في مثل هذا

(١) أ.د. عبد الفتاح علي البوتاني: التطورات السياسية الداخلية في العراق (١٤ تموز ١٩٥٨ - ٨ شباط ١٩٦٣)، هامش ص ٣٨٦.

(٢) جريدة التأخي، العدد ٤٩٠٣ في ٢٢/١١/٢٠٠٦، نقلاً عن المصدر السابق نفسه: هامش ص ٣٨٦.

الاستقصاء لا يمكن أن يتسرب الشك إلى النفوس بأن المقولة موضوعة، وكان هدفها التشويه والإساءة.

ومن هؤلاء الشهود مالك النبراسي، الذي يقول: إنه سأل علي صالح السعدي في صيف ١٩٧٦، عن صحة ما نقل عنه بأنه قال خلال جلسات المؤتمر القومي السابع للبعث المنعقد في سوريا بعد سقوط بعث العراق في ١٨/١١/١٩٦٣، بأنهم جاءوا إلى الحكم بقطار أمريكي، فأيد ذلك، ولكنه طلب عدم التوسع في نقل ذلك عنه خوفاً على سلامته.^(١)

يقول د. علي كريم سعيد: روى لي شاعر العراق مظفر النواب في برلين: إن علي السعدي بعد عودته من المنفى، عبر عن رغبته بإقامة علاقة طيبة معه أي (مظفر) وكان يلح على خلوة معه يدافع فيها عن نفسه، وكان الشاعر يصده بسبب موقفه من قادة نظام ١٩٦٣، الذي مورست فيه أعمال القتل والتعذيب وتصرفات غامضة أو مشبوهة، وكان السعدي قائداً لذلك النظام (على وجه التقريب)، ورغم الصدود ظل السعدي يلح على النواب الذي لم يتصرف كشاعر فقط بل كقائد سياسي (القيادة المركزية)، ويكرر طلبه كلما تصادفاً في بيوت الأصدقاء المشتركين أو المنتديات العامة، وعندما أذعن النواب واستمع إليه، طالبه السعدي بأهمية أن يصدق ما يلي:

١- إنه (أي السعدي) والخط القريب منه لم يكونوا إطلاقاً على صلة بأي جهة أجنبية، وألح على ضرورة إبلاغ ممثلي الأطراف الوطنية شيوعيين وحركيين وأكراد وبعثيين يساريين بذلك.

٢- طالب القيادة المركزية للحزب الشيوعي العراقي واليسار عموماً بضرورة

(١) ماريون فاروق سلوغت، بيتر سلوغت: من الثورة إلى الدكتاتورية.. العراق منذ ١٩٥٨، هامش بقلم المترجم مالك النبراسي، ص ١٢٦.

الوصول بالتعاون والتخطيط لمسك زمام السلطة، لأنه يعلم أن أخطاراً جسيمة تنتظر العراق، وأكد استعداداه ورغبته الشديدة بمحكمة عادلة وعلنية يقف فيها متهماً ليعترف بحقيقة ما جرى قبل ١٤ رمضان ١٩٦٣ وخلاها، ليصير ممكناً للآخرين الحكم بعدالة على القضايا المتعلقة بتلك المرحلة القاسية، أي أنه طالب بعدم التصديق بالدعايات والأحاديث المرسلة بلا مسؤولية.

٣- قال إنه وبعد دقائق من ثورة رمضان، اكتشف أنه وجماعته يسرون دون إرادتهم بقطار ماكنته أمريكية!!

٤- طالب أن تستمر مفاوضات الجبهة الوطنية بين قوى المعارضة بضرورة قبول (حزب العمال) طرفاً فيها، وإنه مستعد أن ينسحب من قيادة الحزب بسبب ما يعتقدونه من دوره في مقتل قياداتهم في عام ١٩٦٣.

٥- قال عن قيادة ١٧ تموز ١٩٦٨: (كلهم عندهم علاقة مع السفارة البريطانية) ما عدا البكر الذي لا أعرف عنه شيئاً، وبعد ذلك جلسنا إلى بقية الحضور، فقال بحضور أمل الشرقي وعبد الجبار محسن وآخرين: إنه يخاف كتابة مذكراته لأنها ستؤدي لقتله وربما الإساءة لزوجته.

لكن النواب يعتقد أن السعدي كتب شيئاً وتركه في مكان ما، وقد أفادت هناء بما يوحى بذلك، ويقول النواب أن السعدي كرر ذلك عندما التقاه في بيروت.^(١)

استفسر فؤاد عارف من هناء العمري زوجة علي صالح السعدي، وبحضور الدكتور كمال مظهر أحمد في العام ١٩٨٩، عن مدى صحة تصريح زوجها (جئنا بقطار أمريكي) فأجابت: نعم قالها زوجي في باريس في لقائه مع مجموعة من

(١) د. علي كريم سعيد: عراق ٨ شباط ١٩٦٣.. من حوار المفاهيم إلى حوار الدم، هامش ص ٢٩١.

العراقيين، وكرره مراراً في مناسبات عدة.^(١)

يقول يونس الطائي: إن السعدي أخبره في عام ١٩٦٧ بالقاهرة، وكرر في بغداد (إنهم جاءوا، دون قصد، بقطار ماكنته أمريكية).^(٢)

صرح القيادي الكردي محمود عثمان في برنامج (بين زمنين) لقناة أبو ظبي الفضائية ٢٠٠١، عن لقائه بالسعدي في باريس أن السعدي أكد له (أن الغاية تبرر الوسيلة) في معرض إجابته عن صحة تصريحه (جننا بقطار أمريكي).^(٣)

يقول إسماعيل العارف: «وتشاء الصدف أن ألتقي علي صالح السعدي سنة ١٩٦٤ في مصيف بحمدون في لبنان، وكان هارباً من العراق، مطارداً من سلطات عبد السلام، وكان في حالٍ مزري، رث الثياب، بئساً، فذكرته بما قلت له عن عبد السلام عندما كان يحاورني أثناء توقيفي فأجابني قائلاً: «لم يكن بيدي كل شيء، وكنا نعرف ذلك ولكن الذين كانوا وراءه غلبونا، لقد كنا في قطار أمريكي».^(٤)

في معرض حديثه عما تحتزنه ذاكرته عن مرحلة إعدادة لكتابه (ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق)، يقول الدكتور ليث عبد الحسن الزبيدي:

«هناك الكثير من الأمور والمفارقات التي واجهت كتابتي لهذه الرسالة، ورغم ذلك حاولت جاهداً إظهار الحقيقة، وأتذكر جيداً لقائي بأمين سر البعث السابق علي صالح السعدي، الذي كان له الدور الأكبر في انقلاب شباط ١٩٦٣، وإعدام

(١) د. سنان صادق حسين الزبيدي: سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العراق عهد الزعيم عبد الكريم قاسم ١٩٥٨-١٩٦٣، من مقابلة للمؤلف مع فؤاد عارف ص ٢٩٠.

(٢) د. علي كريم سعيد: عراق ٨ شباط ١٩٦٣.. من حوار المفاهيم إلى حوار الدم، هامش ص ٢٩١.

(٣) د. سنان صادق حسين الزبيدي: سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، مصدر سابق، ص ٢٩٠-٢٩١.

(٤) إسماعيل العارف: أسرار ثورة ١٤ تموز وتأسيس الجمهورية في العراق، ص ٤٢٧.

الزعيم وإخوانه، حيث سألته عن مقولته الشهيرة المتداولة عن انقلاب شباط (إننا جئنا إلى السلطة بقطار أمريكي) فأكد لي صحة ذلك، وقال: نعم، لقد كان محرك القطار أمريكياً، مؤلفاً من ثلاث عربات (فاركونات) تحمل ثلاث فئات: بعثيين، قوميين، ورجعيين»^(١).

يقول السيد حسن العلوي: «وحول العامل الدولي في انقلاب ٨ شباط، يستشهد المتحدثون والكتّاب بمقولة وردت على لسان علي صالح السعدي زعيم الحزب، والمساهم في حركة شباط، ونائب رئيس الوزراء آنذاك: (إننا جئنا إلى السلطة بقطار أمريكي).

حدثني هاني الفكيكي عضو القيادة القطرية، وعضو المجلس الوطني لقيادة الثورة، التي أطاحت بحكومة عبد الكريم قاسم قائلاً، وبحضور عدد من الأصدقاء في شهر شباط ١٩٨٧: إن عضواً في حزب البعث، وقد [ذكر اسمه] سأله قبل أيام عن حقيقة ما ينقل على لسان صديقه السعدي، وهل من الممكن توضيح فكرة للرد بها على منتقدي ثورة ١٤ رمضان فأجاب الفكيكي:

نعم سمعته يقول ذلك أكثر من مرة»^(٢).

بعد هذه الجولة الواسعة في توثيق المقولة التي صدرت عن علي صالح السعدي، وسمعتها منه عدد من الشخصيات التي التقته في بلدان مختلفة وأزمة متباينة، ولأسباب كثيرة أخرى، يستحيل أن يتواطأ جميع هؤلاء على الخطأ أو الكذب لا سمح الله، وبعد أن ذكروها مشافهة أو دونها في الكتب والمذكرات أو دونها من سمعها منهم، انتشرت هذا الانتشار الواسع، حتى صارت (أشهر من قفا نيك)

(١) صحيفة ١٤ تموز، العدد (١٢٩) ٩-١٦ تموز ٢٠١٣، من لقاء مع الدكتور ليث عبد الحسن الزبيدي.

(٢) حسن العلوي: العراق دولة المنظمة السرية، ص ٢٦.

كما يقول المثل العربي، تولدت لي قناعة تامة بصدورها عن السعدي بلا شك ولا ريب، ثم عززناها بالوثائق المهمة والقرائن الدقيقة والتعليقات النافعة، لنضعها بين يدي القارئ الكريم وهو حر في التعامل معها، ونضعها أمام أنظار القاعدة البعثية المتورطة، عليها تستفيد منها في تغيير المسار ولو بعد حين.

أنا على يقين بأن قيادة البعث الغارقة في العمالة والارتباط بالأجنبي، تعلم بأن رائحة تورطها فاحت وأزكمت الأنوف، ولا بد أن تدفع عن نفسها هذه التهمة على طريقة (رمتني بدائها وانسلت) فقامت بحملة إعلامية كبيرة تبشر فيها باكتشافها لشبكات التجسس، وشملت هذه الحملة شخصيات ذات انتماءات مختلفة، ولا نريد أن نمضي بعيداً مع كل شخصية، وإنما نأخذ بعضها، ليتأكد من خلالها عدم موضوعية البعث، وعدم صدقه في محاربة التجسس، الذي اتخذ منه وسيلة لتصفية الخصوم، ولنأخذ مثلاً على ذلك، الاتهام الموجه لرشيد مصلح التكريتي، الذي كان صديقاً للبكر منذ عام ١٩٤٣، لأنها متقاربان في العمر، وينحدران من مدينة واحدة، وقد سمعت عن هذه الصداقة المتجذرة كثيراً أيام إبعادي إلى تكريت ومن شخصيات عديدة، وأشارت إلى ذلك في أول كتاب صدر لي قبل سقوط حكم البعث في ٩ / ٤ / ٢٠٠٣، إضافة إلى كونه مشاركاً أساسياً في ٨ شباط ١٩٦٣، وتسلم منصب الحاكم العسكري العام، وساهم في توطيد حكم البعث من خلال موقعه كحاكم عسكري عام، وقد استفاد البعثيون فائدة كبيرة من وجوده في هذا المنصب، مستغلين كرهه للشيوخيين وأنصار الزعيم قاسم، ودفعه لمشاركتهم في شن تصفيات واسعة وبلا رحمة.

لا يمكن معرفة اندفاع رشيد مصلح ليكون البكر هو المفضل لديه من بين السياسيين المحترفين، حتى يأخذ رأيه في القضايا الكبرى والمهمة وفي شؤونه الشخصية، حتى يكون البكر في هذه الحالة وكأنه مثله الأعلى الذي يستشير

في الأمور كلها، ولا يخرج عن طاعته، ولا يخالف رأيه، وفي الحقيقة كان رشيد مصلح مسحوراً بالبكر، ومسخرأ لتنفيذ إرادته.

يقول تحسين معلة: «كنت جالساً عند البكر في بيته، وجاء رشيد مصلح وقال: أبو هيثم، طاهر يحيى سيشكل الوزارة، وقد فاتحني بأن أكون وزيراً للدخلية، فماذا تقول؟»، رد عليه البكر قائلاً: لا تشترك، وقد أيدتُ البكر في ذلك، وذهب رشيد مصلح، وتشكلت الوزارة عصراً، وكنت جالساً أيضاً عند البكر، وعاد رشيد مصلح، وقال: لقد رفضت ذلك على ضوء طلبكم وبأمركم، فقد تنازلت عن الوزارة، ومرتب ٣٠٠ دينار، وسيارة حكومية مع سائقها، كل ذلك إرضاءً لكم»^(١).
ويعلق الدكتور تحسين معلة مضيفاً: «هذا الحديث جرى أمامي ولكنهم حينما وصلوا إلى السلطة أعدموا رشيد مصلح بتهمة التجسس لصالح دولة أجنبية، وأنا أقول: إن شخصاً مثل رشيد مصلح ليس له أطماع بالمراكز العليا مثل الوزارة، لا يمكن أن يكون جاسوساً، لقد قتلوه عن عمد ومع سبق الإصرار»^(٢).

وبعد نكسة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ كثفت شخصيات قومية اجتماعاتها من أجل محو آثار النكسة، والضغط من أجل تشكيل وزارة قوية وقادرة على تحمل الأعباء والمسؤوليات الضخمة، وتضم كل الأطراف القومية، وكان من المشاركين الفاعلين رشيد مصلح، وفي ١٢ حزيران ١٩٦٧، اجتمعت تلك الشخصيات برئيس الجمهورية عبد الرحمن عارف، الذي كان رئيساً للوزراء أيضاً، وقد حقق هذا الاجتماع نتائج سريعة، حيث كلف رئيس الجمهورية ناجي طالب بتأليف الوزارة، فاتصل الأخير بعدد من الشخصيات لهذا الغرض «واتصل بحزب

(١) جريدة الصباح الجديد، العدد (٢٥٠١) الأحد ١٧ شباط ٢٠١٣، الحلقة السابعة من مذكرات تحسين معلة.

(٢) المصدر نفسه ونفس العدد.

البعث، وعرض عليهم الاشتراك بوزارتين فطالبوا بثلاثة.

ثم ذهب السادة أحمد حسن البكر وحر دان التكريتي إلى رئيس الجمهورية، وقالوا له: إنهما مستعدان للاشتراك في الوزارة إذا عُهد برئاسة الوزارة إلى إحدى الشخصيات التالية:

محمود شيت خطاب - رشيد مصلح - إبراهيم فيصل الأنصاري - عبد الوهاب الأمين^(١).

إلى هذا الوقت كان رشيد مصلح موضع ثقة الحركات القومية ومنها حزب البعث، الذي يشترط دخوله في الوزارة أن يكون واحداً من هؤلاء الأربعة رئيساً للوزارة، ومن بينهم رشيد مصلح، فهو مرشح حزب البعث لرئاسة الوزارة، ولكن هذه الوزارة المرتقبة وبحسب الترشيحات المذكورة لم تر النور.

واستمر ممثلو الحركات القومية في حراكهم السياسي من أجل تصحيح الأوضاع المتردية، فوجه ديوان رئاسة الجمهورية دعوة لاجتماع تداولي يحضره ممثلو هذه الحركات.

وفي ٣٠ آذار ١٩٦٨، حضر الجميع ومن جانب السلطة حضر رئيس الجمهورية عبد الرحمن عارف، ورئيس الوزارة طاهر يحيى، ووزير الإصلاح الزراعي عبد الكريم فرحان.

وطرحت مواضيع عدة في الاجتماع، وتداول المجتمعون القضايا مدار البحث، ثم اتفقوا جميعاً على اجتماع ثان، وبعد يومين والجميع ينتظر الدعوة للاجتماع

(١) صبحي عبد الحميد: مذكرات صبحي عبد الحميد.. العراق في سنوات الستينيات ١٩٦٠ - ١٩٦٨، ص ٣٠٤.

الثاني، ولكنهم فوجئوا بتصریحات رئيس الجمهورية في جريدة المنار، التي هاجم فيها الجميع، وقال عنهم بأنهم لا يمثلون إلا أنفسهم، وإنه لن يجتمع بهم مرة ثانية، وغيرها من الكلمات المهينة.^(١)

قرر الجميع قبول التحدي ومواصلة الاجتماعات في دار أحمد حسن البكر.^(٢) «وتوصل المجتمعون إلى نقاط ثبتوها في بيان وجهوه إلى السيد رئيس الجمهورية، ووزعوه بكميات كبيرة على بعض الساسة والمثقفين».^(٣) ويقول أحدهم وهو صبحي عبد الحميد: «وعندما صدر البيان كنت في القاهرة، لذلك لم أوقعه مع الآخرين، ولقد ساهمت في مناقشة نقاطه، وأيدت كل كلمة وردت فيه، ولم أكن أتصل عنه بحجة أنني لم أوقعه.

أثرت الزمرة العميلة (النايف-الداود) على رئيس الجمهورية، وأقنعته بإلغاء هذه الاجتماعات، ومهاجمة السياسيين الذين دعاهم، خوفاً من أن تتمخض الاجتماعات إلى تشكيل وزارة قومية ائتلافية قوية، يكون تأثير أعضائها على رئيس الجمهورية أشد من تأثيرهم عليه، وبذلك يخسرون نفوذهم وينتهي طموحهم».^(٤) وصدر البيان، وكان مذيلاً بأسماء ممثلي الفئات القومية وهم:

أحمد حسن البكر - ناجي طالب - عارف عبد الرزاق - عبد العزيز العقيلي - صالح مهدي عماش - رجب عبد المجيد - عبد الهادي الراوي - رشيد مصلح -

(١) صبحي عبد الحميد، مذكرات صبحي عبد الحميد: ص ٣٠٦.

(٢) المصدر نفسه: ص ٣٠٦.

(٣) المصدر نفسه: ص ٣٠٦.

(٤) المصدر نفسه: ص ٣٠٦.

حردان التكريتي - صبحي عبد الحميد - عبد الستار عبد اللطيف - إسماعيل مصطفى - محمود شيت خطاب.

بغداد في ١٨ محرم ١٣٨٨ المصادف ١٦ نيسان ١٩٦٨. (١)

سيجد القارئ الكريم نص البيان في الملاحق في آخر الكتاب وتحت عنوان (الملحق رقم ٢).

هذا البيان تم التوقيع والموافقة عليه وصدر بالتاريخ المذكور الذي لا يفصله إلا ثلاثة أشهر فقط عن انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، وكما هو واضح أن أربعة من رموز حزب البعث وهم: أحمد حسن البكر، صالح مهدي عمّاش، حردان التكريتي، وعبد الستار عبد اللطيف قد وضعوا تواقيعهم مع توقيع رشيد مصلح، الذي اعتقلوه بعد وصولهم السلطة، واتهموه بالتجسس، فإذا كان البكر ورفاقه الموقعون شرفاء وضد التجسس، لماذا لا يعترضون على حضوره الاجتماعات التي كانت تعقد في دار أحمد حسن البكر طيلة الفترة التي أعقبت نكسة حزيران ١٩٦٧؟.

ولم تكن هذه الاجتماعات للهو وقتل الفراغ، وإنما كانت تهدف إلى إيجاد برنامج عمل مشترك لإصلاح النظام آنذاك، والأدهى من كل ذلك أن رشيد مصلح كان أحد مرشحي البعث لرئاسة الوزراء كما مر بنا، وقد تخطى البعثيون في ذلك شخصيات قومية أخرى مثل: ناجي طالب، وعبد الرحمن البزاز، وطاهر يحيى، وعارف عبد الرزاق، وقد سبق لهؤلاء أن استلموا رئاسة الوزراء خلال الفترات السابقة، ولكنهم تجاوزوا هؤلاء ليرشحوا رشيد مصلح، وهل يجوز لرموز البعث أن يضعوا جاسوساً على سدة رئاسة الوزراء، وهم الذين يعلنون على الملأ، بأن البعث ضد التجسس ويحارب الجاسوسية ويفتك بالجواسيس.

(١) صبحي عبد الحميد: مذكرات صبحي عبد الحميد... العراق في سنوات الستينيات ١٩٦٠ -

إن بحثي هذا ليس دفاعاً عن رشيد مصّحح - فللرجل من يدافع عنه - وإنما هو لإظهار زيف حزب البعث العراقي، وفضح أساليبه الخبيثة، وكشف كذبه وافتراءاته التي يرشق بها خصومه على الدوام، وهي أساليب خسيصة فبعد أن استفاد البعث من الرجل عام ١٩٦٣، في تنفيذ مخططاته، وإبادة أعدائه، وبعد أن استفد منه كل أغراضه، رماه بالتجسس، وتحت وطأة التعذيب الذي لا يطاق، أمره بالاعتراف على نفسه.

ثم على الإنسان أن يكتب ما هو حق، ويجهد نفسه في الوصول إلى ذلك، وقد أعجبني قول الشاعر:

ولا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه^(١)

إن البكر وصدّام أبناء عمومة وعشيرة واحدة تسكن جنوب تكريت، ومن المعروف عنهما أنهما يضمّران الحقد الدفين حين توفر الفرصة المناسبة، فينقضاً على خصمهما، وينفذا ما يمليه حقدهما من طرق غادرة، ومن أهم القضايا المحفورة في ذاكرتهما، هو الإذلال الذي لحقهما، وكان رشيد مصّحح طرفاً فيه، وهو ما لا يمكن غفرانه في منهج البكر وصدّام لذلك لجأ الاثنان إلى التعامل المشين وبطرق خسيصة مع ابن بلدتهم رشيد مصّحح التكريتي، وتقف في مقدمة القضايا التي ظل يعاني منها الاثنان:

١- تجنيد صدّام كمخبر أو وكيل أمن كما هو معروف عنه: وفي هذا الصدد يقول الدكتور وائل نجل رشيد مصّحح: «لن أكشف سراً إذا قلت لك أنني قرأت بعد حركة ١٨ تشرين الثاني، أن والدي كوزير للداخلية كلف صدّام حسين التكريتي بإخباره عن أوكار الحزب السرية، وكان صدّام يتولى مهمة الدليل لقوات الأمن بالكشف عن أوكار حزب البعث السرية، وقيل لنا أن السبب الجوهرى وراء

(١) حسين الصدر: نقاط على الحروف، ص ١٠٩.

إعدامه هو طمس هذه (اللكعة!) في تاريخ صدام.. طمس حقيقة خيانة صدام للحزب!!»^(١).

وسبق أن بينا تورط صدام حسين بهذه المهنة الرديئة في عهد عبد السلام عارف، عندما جنده رشيد محسن مدير الأمن العام ليكون مخبراً أمنياً في منطقة الكرخ، وجند رفيقه عبد الكريم الشيخلي في منطقة الرصافة.^(٢)

إن الذي يتعاون مع أجهزة الأمن وكيلاً ضد حزبه، ويرتكس إلى الحضيض في ممارسة هذه الوظيفة الهابطة، ويحقق رغبة هذه الأجهزة في كتابة التقارير ويأتمر بأمرها، لا يصمد أمام أي ضغط دون الاعتراف على رفاقه، يقول حازم جواد: «في ١٩٦٤، وأثناء وجودي في القاهرة قيد الإقامة الجبرية، بفعل اتفاق بين عبد السلام عارف وجمال عبد الناصر، أرسل صدام يطلب منا دراسة عن تجربة ٨ شباط ١٩٦٣، أعددت وطالب شبيب (وزير الخارجية بعد ٨ شباط) دراسة وافية وأرسلناها له، لكن للأسف وقعت في يد السلطة لدى اعتقاله، وسارع إلى كشف أننا وراء كتابتها».^(٣)

٢- اطلاع على خيانة البكر للبعث، وإهانته والبصق في وجهه، «لقد كره البكر رشيد مصلح، واغتاظ منه وحقد عليه حقداً عظيماً، بسبب موقف جرى بينهما خلال أحداث انقلاب ١٨ تشرين الثاني من عام ١٩٦٣، عندما قرر البكر الانسحاب من الانقلاب في ليلة الانقلاب، مما حدا برشيد مصلح وهو من أبرز المشاركين في الانقلاب، ومن كبار المؤيدين لعبد السلام عارف أن يحتد ويغضب

(١) شامل عبد القادر: الاغتيال بالدبابة، ص ٢٨١.

(٢) للتفصيل انظر للمؤلف: بعث العراق.. من البداية المريبة حتى النهاية الغريبة، ص (٢٢٤-٢٢٥).

(٣) جريدة الحياة: العدد ١٤٩٣٦ في ١٨ شباط (فبراير) ٢٠٠٤ الموافق ٢٧ ذو القعدة ١٤٢٤ هـ من مذكرات حازم جواد.

على البكر، ولم يتوقف مصلح عند هذا الحد مع البكر، بل بصق في وجه البكر، والبكر احتفظ بهذه الإهانة الكبيرة لمصلح سنوات، ثم انتقم منه بعد انقلاب ١٧ تموز، عندما أصبح رئيساً للجمهورية»^(١).

٣- مساهمته في إنجاز كتاب (المنحرفون) مع عبد السلام عارف ومديرية الاستخبارات العسكرية.

في مقابلة الاستجواب والاعتراف التلفزيونية، التي ظهر فيها رشيد مصلح التكريتي منهاراً ومرتبكاً، ومستجيباً لكل ما أملي عليه في زنانات الرعب والمسالخ البشرية.

وبعد أن اعترف بعلاقته مع لطفي العبيدي عميل المخابرات المركزية الأمريكية، خرجت الجمل المتعثرة الأولى من فيه مكرسة لتجميل صورة الحرس القومي وحزب البعث في الفترة الشباطية وتحسينها، في محاولة لإلغاء كل المسطور في كتاب (المنحرفون)، ويريد مصلح في مستهل كلامه على شاشة التلفزيون الإيحاء للمشاهدين أن كتاب (المنحرفون) من إملاءات لطفي العبيدي عميل المخابرات المركزية الأمريكية وتحريضه، أي أن أمريكا وعملاءها كانوا يخططون لتشويه صورة الحرس القومي (البيضاء الناصعة)، وأن الحرس القومي طليعة تقدمية، أدى في كل ما قام به أعمالاً ثورية، ولكنه خضع للتشويه من قبل أمريكا وعملائها، وهذا أحدهم الذي يدلي باعترافاته علناً.

وجاء التوقيت الذي ظهر فيه مصلح وهو يلّمّ صورة الحرس القومي وحزب البعث مناسباً جداً، لأنه لم تمر فترة على المجتمع العراقي خاصة، والعربي عامة، وكانت متخمة بالكراهية والسخط والحقد على أمريكا كفترة الستينات.

(١) شامل عبد القادر: الاغتيال بالدبابة، ص (٢٨٩-٢٩٠).

جاء على لسان رشيد مصلح وهو يضع مساحيق التجميل على صورة الحرس القومي المشوهة لإزالة الندوب عنها قائلاً: «تعرفت على لطفي العبيدي سنة ١٩٦٣، عندما كان يزورني في دائرة الحاكم العسكري وتعددت زيارته... وكان يحرّضني بتشويه سمعة الحرس القومي وحزب البعث أمام المراجعين وأمام المجتمعات، والتزام عبد السلام عارف.

هو كان يحرّضني أن أشوه وأن أتدمر من عمل الحرس وحزب البعث».^(١)

وهذا يدلنا على مستوى الألم والأذى الذي أصاب حزب البعث، جراء الفضائح المنشورة في كتاب (المنحرفون) ويضعنا أمام حالة القلق والتوجس والفضيحة المؤرقة، التي كان يعاني منها حزب البعث العراقي، في فترة حكم الرئيس عبد السلام عارف، فجيء برشيد مصلح أحد المساهمين في كتاب (المنحرفون) ليلغي ويشطب على كل ما كتب فيه.

وهذا الكتاب الخطير يشكل وثيقة إدانة وتجريم لكل الفترة الشباطية السوداء، الممتدة من ٨ شباط ١٩٦٣ حتى ١٨ تشرين الثاني من نفس العام، وهي فترة حكم حزب البعث الأولى، ويضم هذا الكتاب بين دفتيه، وثائق دامغة واعترافات خطيرة لمغتصّبين ومغتصّبات، وتقارير خاصة بضحايا الإرهاب، وكشوفات بمصادرة وسرقات أموال الناس، وصور مفزعة لبقايا من جثث متهرئة دفن أصحابها أحياء، أو ممن ماتوا تحت التعذيب فدفنوا بملابسهم وقيودهم، ورغم قصر الفترة الشباطية، إلا أنها ضربت أرقاماً قياسية مهولة في الإجرام والهتك والتجاوز على حقوق الإنسان، وهذا دليل على وحشية القائمين بها وساديتهم.

إن أعضاء حزب البعث العراقي، وميليشيا الحرس القومي سيء الصيت،

(١) جريدة الثورة، بغداد العدد ٢٤٩ في ١٨ حزيران ١٩٦٩ الموافق ٣ ربيع الثاني ١٣٨٩ هـ السنة الأولى.

هم من قاموا بهذه الأعمال الوحشية، ويبقى كتاب (المنحرفون) وما يحتوي عليه من جرائم وتجاوزات وصمة عار في جبين حزب البعث، وإن هذه الفضائح الخطيرة والتصرفات الهابطة ستبقى ماثلة في شهادة التاريخ^(١)، إلى جنب قريناتها من الأفعال الدونية التي مارسها الإنسان في عصور الانحطاط، بعد أن يضاف إليها ما قام به بعث العراق في المرحلة الثانية من حكمه الأسود، وما تلاها من سلوكيات الإرهاب اللاإنسانية التي يندى لها الجبين.

وفي آخر زيارة قامت بها عائلته قبل تنفيذ حكم الإعدام، يقول الدكتور وائل رشيد مصلح: «أدخلونا عليه في غرفة صغيرة، وكان جميع المحكومين بالإعدام جالسين معه في الغرفة نفسها، وكانت والدتي تبكي بحرارة وحرقة وألم، فقال لها والدي: (اسكتي) ثم أخرج مصحفاً وأقسم به أمامنا: (هؤلاء الجالسون معي الذي سيعدمون يشهدون أمامكم، وأنا أشهد أمامكم، أنه لا صحة أبداً لشيء اسمه قضية تجسس، أنا خدمت البعثيين لكنهم غدروني) ثم سأل أمي: هل اتصلت بالبكر؟، فأجابته أمي: اتصلت بزوجته ولم أستطع الوصول للبكر، فأجابها والدي أمام جميع الحاضرين: لازم ما تروحين إله لأنه إنسان نذل، ثم قال لأمي: لا تخافي أبداً.. أنتِ بطلة، وأمي بك كبير، ثم كتب وصيته إلى أشقائي، وكتب بالحرف الواحد: اخدموا العراق ولكن بعيداً عن السلطة، واهتموا بدروسكم، أنا سأذهب الآن لملاقة ربي، وثقوا أن لا علاقة لي بما يسمى بقضية التجسس، هذا اتهام ظالم.. والبكر نذل»^(٢).

فعلاً وكما ذكر رشيد مصلح إنه خدم البعثيين، ولم تكن هذه الخدمة مقتصرة

(١) انظر: عبد الكريم فرحان: حصاد ثورة (مذكرات).. تجربة السلطة في العراق (١٩٥٨-١٩٦٨) ص ١٦١.

(٢) شامل عبد القادر: الاغتيال بالدبابة (أسرار يومي ٨ و ٩ شباط ١٩٦٣ في حياة عبد الكريم قاسم) ص ٢٨٥.

على الفترة الشباطية عام ١٩٦٣، فترة انسجامه مع البعث وانتمائه إليه، فقد كان طموحه في هذه الفترة كبيراً عندما اقتحم مع ١٧ ضابطاً قاعة المؤتمر الاستثنائي القطري في ١١/١١/١٩٦٣، مطالبين ليكونوا أعضاء في المؤتمر، وكان ذلك قبل سقوط تجربة الحكم البعثي الأولى بأسبوع.

واستمرت مواقفه المساندة لحزب البعث في الفترة اللاحقة عندما كان وزيراً للداخلية، وكان أعضاء البعث مطاردين مشردين وتمتلى بهم السجون.

يقول الدكتور تحسين معلة: «بعد حدوث انقلاب ١٨ تشرين، جاءني البعثيون من منطقة الكرخ (سوق الجديد وسوق حمادة) وذكروا لي بأن جماعة الانقلاب يضطهدونهم ويلاحقون عائلاتهم، فذهبت لرشيد مصلح وزير الداخلية والحاكم العسكري العام، فاعترضت على هذا التصرف، ووعدني خيراً، ولما سألته ماذا سيكون هذا الخير؟، أجب: سترى ذلك، وفي عصر ذلك اليوم توجه رشيد مصلح إلى المنطقة، ومشى في أزقة السوق الجديد وسوق حمادة، وهو ينادي بأعلى صوته: أنا بعثي، والذي يتحرش بالبعثيين سأحاسبه، فانقطع الاضطهاد والتعدي».^(١)

لم يحتفظ البعثيون له بهذا الموقف، وهو كافٍ لإنقاذه، لو كانوا أهلاً لرد الدين، ولكنه كوفئ على ذلك، وبعد أن سلطوا عليه أشرس جلاديهم فسامه سوء العذاب، ولم ينفك عن تعذيبه وإذلاله حتى تركه نصف مجنون.

يقول عزيز الحسيني: «استدعيت في إحدى الليالي من قبل مسؤول كبير في الأمن وطلب مني الجلوس، ثم طلب استدعاء شخص آخر، تبين لي عند دخوله أنه الوزير الأسبق رشيد مصلح، والذي وصل إلى حالة من شبه الجنون بسبب الإذلال الذي مورس ضده في السجن المذكور، فبعد دخوله مباشرة كان في حالة

(١) جريدة الصباح الجديد: العدد (٢٥٠١) الأحد ١٧ شباط ٢٠١٣، الحلقة السابعة من مذكرات الدكتور تحسين معلة.

استعداد عسكري شديد، وحين وجه إليه المسؤول المذكور في تلك الغرفة سؤالاً ساخراً عن عمله، فكان جوابه وبالحرف الواحد وبصوت مرتفع (ج...اس... وس) وطلب منه إطلاق أصوات بعض الحيوانات أو الجري على أربعة، وقد نفذ كل ما طلب منه»^(١).

تناولنا بشكل مفصل قضية واحد من الذين حكمهم نظام البعث بالإعدام وبتهمة (التجسس) الخطيرة، بعد تسلمه للسلطة في العراق في ١٧ تموز ١٩٦٨، ولمسنا المفارقات العجيبة فيها، ومن خلال ما عرضناه بموضوعية، يستطيع القارئ الكريم أن يعطي رأيه بحيادية تامة.

ومدحت الحاج سري هو الشخص الآخر الذي حكم عليه بالإعدام وفي الوجبة ذاتها، التي تتكون من سبعة أشخاص، وبنفس تهمة التجسس.

ومن المعروف أن مدحت الحاج سري هو شقيق رفعت الحاج سري، الذي حكمت عليه محكمة الشعب (المهداوي) بالإعدام، وقد اتخذ حزب البعث من قضية إعدامه ورفاقه ذريعة لتأليب الوضع العام ضد حكم الزعيم عبد الكريم قاسم، كما أن الحزب دبر للزعيم قاسم محاولة اغتيال باءت بالفشل ولنفس الذريعة «لقد كان قرار اغتيال عبد الكريم قاسم قراراً حزبياً، تم تعليقه بعد خطاب قاسم في كنيسة (ماريوسف) ولولا إعدام رفعت الحاج سري ورفاقه لما أقدم الحزب على تنفيذ المحاولة»^(٢).

(١) الدكتور ستار نوري العبودي: عبد العزيز العقيلي.. حياته ودوره العسكري والسياسي في العراق ١٩١٩-١٩٨١ ص ١٧٠.

من مقابلة أجراها الدكتور العبودي في الحلة بتاريخ ٢٠٠٨ مع السيد عزيز الحسيني (معلم متقاعد وسجين قومي في قصر النهاية).

(٢) خالد علي الصالح: على طريق النوايا الطيبة.. تجربتي مع حزب البعث، ص ١٨٤.

وبعد تسلّم بعث العراق السلطة في ٨ شباط ١٩٦٣، كانت مظاهرات البعثيين تجوب شوارع المدن الكبيرة والصغيرة، وهم يعلنون على الملأ بأنهم انتقموا من (قاسم الشعب) لأنه أعدم رفعت وناظم ورفاقهما، وكانت صورهما ترفع في هذه المظاهرات وتزين واجهات الشوارع، وبعد أن انغمس حزب البعث في سلطة التسعة أشهر، عاث في الأرض فساداً، وهتك الحرمات، وصادر الحريات، ولكنه سرعان ما سقط، وتنفس الناس الصعداء، وظنوا أن لا عودة له بعد هذا السقوط المريع، ولكن القطار الأمريكي الجاهز على الدوام حملهم ثانية إلى سدة الحكم في ١٧ تموز ١٩٦٨.

وبعد تسلّمهم السلطة كان أمام أنظارهم سجل تصفية الحسابات مع الخصوم والمعارضين، وكان من بين الذين يراد الانتقام منهم مدحت الحاج سري، الذي أُلقي القبض عليه، وتعرض إلى جولات من التعذيب استمرت طويلاً، ثم لجأ المجرمون إلى تهديده بعرضه، وتحت وطأة العذاب الجسدي والنفسي، استسلم واعترف على نفسه بتهمة التجسس، وهو يعلم بأنها تؤدي إلى الموت، ولم يكفوا عنه، ولم يكتفوا بتوجيه التهمة إلى نفسه، وأوغلوا في إذلاله وتركيعه، ولم تشفع له دماء أخيه رفعت، التي رفعوها لافتة كقميص عثمان، وإنما زاد حجم الضغط النفسي والجسدي عليه للاعتراف على شخصيات محددة، كان على رأسها العلامة السيد مهدي الحكيم، الشخصية الإسلامية البارزة، وابن المرجع الإسلامي الكبير السيد محسن الحكيم، وكان عمل حزب البعث هذا موجهاً لطعن المرجعية الإسلامية في النجف الأشرف بالصميم، باعتبارها أكبر الواجهات المعادية لحزب البعث، وبتاريخ ١٩٦٩/٦/٩ اتهم السيد مهدي الحكيم بـ«التآمر على أمن الدولة والتعاون مع الأكراد في مقاومتهم للنظام، والاتصال بدولة أجنبية»^(١)، وجاءت

(١) صلاح الخرسان: حزب الدعوة الإسلامية.. حقائق ووثائق، ص ٧٨.

هذه التهمة على لسان مدحت الحاج سري، الذي «حاول الانتحار مرتين بقطع وريده، وإن هذا الاعتراف أُخذ منه بالتهديد في عرضه، إذ جاءوا بزوجته أمامه وهددوه، بإما أن تعترف، وإما...!!»، فقال لهم: نعم أعترف ما تريدون، وهذا الحديث مثبت في كتابة كتبها بخط يده على نسخة من القرآن الكريم وأرسلها إلى أهله، بأن كل الذي قلته سواء ما يتعلق بشخصي أو ما يتعلق بالآخرين فإنه لا واقع له، وإنه نتيجة التهديد بالعرض»^(١).

ومن الشخصيات التي لحقها الضرر الكبير في النفس والسمعة التاجر العالمي الحاج عبد الحسين جيتا، الذي أصابه الظلم الفادح من زمرة البعث، باتهامه بالجاسوسية وهي تهمة خطيرة تؤدي إلى الموت.

سمعت به منذ أيام الصبا، وكان اسمه ملاً السمع، تداولته أحاديث الدواوين، وكان جانباً منها يتولاه التجار الصغار في مدينتي، فهم يذهبون إلى البصرة لاستيراد البضائع، ويأتون محملين بها وبأخبار البصرة، وكان جزءاً منها يخص الرجل المحسن عبد الحسين جيتا، وأعمال الخير التي يقوم بها، كبناء المساجد، وإقامة عزاء الحسين ومساعدة المحتاجين، إضافةً إلى دعمه للمرجعية الدينية والحوزة العلمية في النجف الأشرف.

كانت الخارطة السياسية في العراق واضحة أمام أنظار قادة بعث العراق، فكانت الحركة الكردية، والحزب الشيوعي العراقي، والحركات القومية، وفي طرف آخر كانت المرجعية الدينية والحركة الإسلامية تشكل قلقاً كبيراً للنظام الحاكم في العراق، ويحسب لها البعث حساب، فقام بخطوات مدروسة وجادة في محاربتها، فبدأ باتهام أحد أبناء المرجع الحكيم كما مر بنا قبل قليل.

(١) مذكرات السيد مهدي الحكيم المفرغة من الكاسيت على شكل ملازم، ص ٦٩، وليست المطبوعة ككتاب.

وكانت خطة البعث في وجهها الآخر ترمي إلى فرض الحصار الاقتصادي على المرجعية الدينية ومشاريعها الإسلامية، وذلك بتنصيب الموارد التي تصلها وتجفيف منابعها، وكان واحداً منها القضاء على الحاج عبد الحسين جيتا الممول الرئيسي لأعمال الخير.

ظلت ذاكرتي تحتزن الذكرى الطيبة للحاج الوجيه عبد الحسين جيتا، حتى شتاء العام الدراسي ١٩٦٨-١٩٦٩، وكنت طالباً في القسم الداخلي، الذي يحتضن عدداً كبيراً من طلاب نواحي وأقضية لواء الناصرية، وفي إحدى الليالي، نقل الراديو إحدى جولات المحاكمة الخاصة بالحاج عبد الحسين جيتا، وبعد نهايتها وانفضاض الجمع قلت بصوت منخفض: هذه لعبة، فسمعني عادل عبد الحسين غايم وكان محسوباً على الحزب الشيوعي، وصاح بصوت سمعه الجميع: شوفوا.. شوفوا.. فلان يگول: هذه لعبة، يعني (انظروا.. انظروا.. فلان يقول: هذه لعبة).

واشتدت الملاسنة بيني وبينه، وكدنا نشتبك بالأيدي، وبانفعال شديد قلت: نعم إنها لعبة، أما الحاضرون فانقسموا قسمين، منهم معي وليس مع الفكرة التي طرحتها لأنهم لم يعرفوا كما أعرف عن الحاج الشهيد عبد الحسين جيتا، وآخرين معه، ومرت القضية بسلام، وبعد زوال سورة الغضب، تيقنت أن كلمتي كادت أن تؤدي بي إلى نتائج لا يحمد عقباها.

عندما أعلن عن اكتشاف شبكات التجسس على لسان صلاح عمر العلي، صدقت الناس هذا الادعاء السخيف بسرعة وبدون نقاش، والغريب في الأمر أن التصديق والمباركة يدخلان القلوب بدون استئذان، حتى إذا خصت التهمة من هم فوق الشبهات، ومن هؤلاء الحاج عبد الحسين جيتا، الذي يعرفه أهالي البصرة معرفة دقيقة، وهو بعيد كل البعد عن تهمة التجسس الملققة ضده، وبعد سقوط

حكم البعث تعامل العراقيون بصفة عامة، والبصريون بصفة خاصة بحذر من الخوض في قضيته، فلم نقرأ في مظلوميته سطرأ واحداً قبل سقوط حكم البعث الظالم، ومرت السنون على السقوط وظل اسمه مغيباً، قبل أن يضعه الخطيب السيد محمد حسن الكشميري مع الصادقين بعد ٢٠٠٩، ويشير إليه الدكتور عبد الخالق حسين إشارة مقتضبة في كتابه عن الطائفية السياسية في ٢٠١١^(١)، ويتذكره السيد عبد الوهاب الصافي في كتابه عن والده السيد عبد الحكيم الصافي في ٢٠١٢^(٢)، وهي كتابات متأخرة عن هذا الشهيد المظلوم، الذي يعد أول شهيد في سبيل البر والإحسان وتعظيم شعائر الله، بعد عودة البعث ثانية إلى الحكم، ولم يسمَّ باسمه أي شارع أو مدرسة أو موكب، وقد سميت الموكب على كثرتها بأسماء متعددة ومختلفة ومكرورة، ولم يزين واجهة أحدها اسم الشهيد عبد الحسين جيتا، ألم يكن الرجل قد ساهم بجزء من ماله لقضية الحسين عليه السلام، وإن واحداً من أسباب قتله المخفية على الناس هو اهتمامه بهذه القضية الجليلة؟.

«وهذا الشهيد السعيد هو من مواليد كراچي في الهند آنذاك عام ١٩٠٠، وينحدر من عائلة موالية لأهل البيت، وتعرف بخدماتها ومساهماتها وهم من الشيعة الذي يعرفون بالخوجة، وهو الابن الثالث لوالده رجل الخير والإحسان الحاج نور محمد (المعروف) بخيراته ونشاطاته في سبيل نصره أهل البيت، وهو تاجر كبير على النطاق الدولي، ووكيل لشركات مهمة عالمية، هذا وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، انتقل المرحوم الشهيد الحاج عبد الحسين جيتا بهائي گوکل إلى البصرة مع شقيقه الأكبر منه، والذي هو أيضاً من رجال الخير، واسمه الحاج قاسم علي، وأنشأوا مكتباً كبيراً للوكالات البحرية والتجارة الدولية»^(٣).

(١) د. عبد الخالق حسين: الطائفية السياسية ومشكلة الحكم في العراق، ص ١٩٣.

(٢) عبد الوهاب الصافي: من أعلام البصرة.. السيد عبد الحكيم الصافي، ص ٩٧-٩٨.

(٣) السيد محمد حسن الكشميري: مع الصادقين، الجزء الرابع، ص ٣٢٧.

«وفي عام ١٩٦٨ حينما عاد البعثيون الكفرة إلى الحكم دبروا له مسرحية، وهي أنه جاسوس، وأضافوا إليها بعض وجوه الشيعة في البصرة وبغداد كالمرحوم المحامي عبد الهادي البجاري والمحامي صادق الحاج جعفر الحاوي، وللتمويه على الناس أدخلوا في المسرحية يهودياً من البصرة، اسمه عزرا ناجي زلخة، وطبعاً كان الهدف أولاً نشر الرعب والفرع في العراق، ثم مواجهة الشيعة من البداية بإيابة عدد من رجالها وكتابها وتجارها وذلك لخنق الأصوات، وفعلاً ظهر على التلفزيون البعثي المعروف صلاح عمر العلي، وقدم البشارة (حسب تعريفه) إلى الشعب العراقي باكتشافه شبكة جاسوسية يرأسها زلخة ثم ذكر أسماء أعضاء الشبكة وكلهم من رجالات الشيعة، ذكر اسم الحاج عبد الحسين (رحمه الله).

وفي خطوة أخرى متعمدة وخبيثة، عمد رئيس النظام آنذاك أحمد حسن البكر، فشكل ما تسمى بـ(محكمة الثورة) وبرئاسة ضابط شيعي وكان خماراً سيء السمعة اسمه علي هادي وتوت، وقضت المحكمة على هؤلاء المظلومين بالإعدام، وعلقت أجسادهم في ساحة أم البروم في البصرة، في ظاهرة للتشفي والانتقام وبالخصوص من المظلوم الحاج عبد الحسين جيتا، ويجدر ذكره أن جنسية الحاج عبد الحسين جيتا كانت باكستانية، وكان من الممكن أن يتدخل الزعيم الباكستاني آنذاك أيوب خان، لكنه تجاهل الأمر تماماً، لأنه كان من أعداء الشيعة، ولكون الحاج عبد الحسين من أعيان الشيعة في باكستان.

وفي تلك الأيام زار أحمد حسن البكر المرجع الديني السيد الحكيم في منزله بالكوفة، ومن جملة ما أظهره السيد الحكيم من الامتناع هو مه ضوع هؤلاء المظلومين، وهنا أكد البكر إلى السيد الحكيم بأن الأمر طمأن السيد الحكيم بأنه سيفرج عنهم، وبالخصوص الحاج عبد الحسين جيتا، ولكن غدرت العصابة ورئيسها بوعودها، فأعدم الجميع بصورة وحشية، وأكثر من هذا

فلم يخف البعثيون والصداميون حقدهم على الحاج عبد الحسين فتابعوه وهو في قبره، فكانوا يكتبون على قبره، هذا قبر الجاسوس، وعندما يضمحل لون الكتابة، يعود أجلافهم للكتابة مرة أخرى، وتلك من دلائل حقارتهم وحقدهم على الإنسان والإنسانية.

رحم الله هذا الشهيد المظلوم بوسع رحمته»^(١).

ظل العنف الدموي وارتفاع مناسيب القسوة سلوكاً اجتماعياً مخيفاً يظهر في العراق بين فترة وأخرى، وبات هذا السلوك الوحشي ينسف كل ما يتحلى به المجتمع من فضائل وقيم، فما قام به الرعاع يوم ١٤ و ١٥ تموز ١٩٥٨ من عمليات سحل وتعليق لجثث الوصي ورئيس الوزراء في العهد الملكي وما تبعه من أعمال مدانة، يعد انحداراً لا يوصف، نطأطئ رؤوسنا خجلاً مما اقترفته أيدي الدهماء من فعل شنيع، ثم جاءت موجة العنف على أيدي الحرس القومي سيء الصيت، ولم يرَ العراق عهداً اتسم بالسلم النسبي إلا في أيام الرئيس الراحل عبد الرحمن عارف، التي لم تستمر إلا ستين وبضعة أشهر، ثم تعرضت البلاد لاجتياح طوفان الدم العراقي المراق، الذي أهرقه برابرة العصر البعثيون، وعادت ظاهرة تعليق الجثث في الساحات العامة، في ساحة أم البروم بالبصرة، وفي الباب الشرقي ببغداد «ليتسنى للمهارة وطلبة المدارس العبث بجثثهم والبصق عليها وكيل الشتائم والسباب.

وقصد الساحة أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية بصحبة حردان التكريتي وزير الدفاع للتمتع بمنظر المعلقين على أعواد المشانق والتلذذ بحلاوة الانتصار على الأبرياء العزل»^(٢).

(١) السيد محمد حسن الكشميري: مع الصادقين، الجزء الرابع، ص (٣٢٩-٣٣٠).

(٢) مذكرات الطبيب اليهودي العراقي سلمان درويش: كل شيء هادئ في العيادة، ص ٩٤.

استمراراً لقصة القطار الأمريكي الذي حمل حزب البعث مرتين إلى السلطة، كان الحديث عن ثلاث شخصيات مختلفة الانتماءات، اتهمها رموز حكومة القرية (البكر و صدام) بالتجسس للأجنبي، وكان ذلك في السنوات الأولى من حكومتهم الثانية، التي بدأت بانقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، وكان البعث لا يزال جديداً على السلطة، ولم تتطور إمكانياته الأمنية بعد، ولكنه أعلن عن اكتشافه لهذه الشبكات التجسسية.

وقد سمعت وقرأت تصريحات وتعليقات مهمة، تدين عملية تعليق أشلاء المغدورين ممن اتهموا بالارتباط بشبكات التجسس في بداية حكم البعث في ساحتي التحرير ببغداد وأم البروم في البصرة، وكانت هذه التعليقات تتناول حكومة البعث بالنقد الشديد على ممارساتها المنافية للذوق والأعراف والشريعة، والقسم الآخر منها يقول: لقد قام البعث بها لتصفية حساباته مع أعدائه، وتضمنت بعض التصريحات الإشارة إلى أنها مسرحية أو ما شاكلها، وكل هذه النقود جاءت من خارج دائرة البعث، وأخطر ما قرأت بخصوص هذه القضية هو ما ذكره القيادي البعثي السابق حازم جواد بقوله:

«إذاعة بغداد والتلفزيون باسرا منذ الصباح الباكر بالحديث عن إعدام ١٠ أو ١٢، بينهم عدد من اليهود وجنود وأصحاب مخابز، وهناك معلومات علمتها متأخراً من أحد منظمي هذه العملية وهو السيد علي رضا، إن هذه كانت كلها تمثيلية، وإن هؤلاء كانوا معتقلين لدى عبد الرزاق النايف أيام عبد الرحمن عارف، وقيد التحقيق، استدعواهم من الاستخبارات العسكرية إلى قصر النهاية، وبعد ذلك قاموا بهذه التمثيلية، والغرض منها كما قال لي علي رضا^(١) الإرهاب

(١) علي رضا: هو علي رضا باوه من عتاة الحرس الجمهوري سيء الصيت، عمل عام ١٩٦٣ في أفدر حلقة فيه: مكتب التحقيق الخاص (مكتب عمار علوش) المكتب الذي مارس التعذيب والقتل

➤ وهتك الحرمات، وفي كتاب (المنحرفون) الذي نشر جنائيات الحرس القومي اللاأخلاقية، جاء في جانب منه صور لأجهزة وآلات التعذيب المفزعة، التي استخدمها مكتب التحقيق الخاص، وجاء فيه أيضاً تعريف لـ (علي رضا باوه) في الصفحة الرابعة والعشرين: بأنه (معلم وطالب في كلية الحقوق، مسؤول عن جهاز استخبارات، إيراني الأصل) فهو بعثي قبل عام ١٩٦٣، ومن طراز سعدون شاكر وناظم كزار في الفظاظلة والغلاظة، هذه هي صفاته، أما اختصاصه فهو المكوث في أقبية قصر النهاية وزنانات التعذيب في الأمن العامة، ليمارس هوايته المفضلة في قلع الأظافر، وسمل العيون، وإزهاق الأرواح.

سمع به العراقيون عضواً في المحكمة الخاصة التي شكلها مجلس قيادة الثورة بعد يوم واحد من إعلانه اكتشاف مؤامرة ضد الحزب والثورة، يقودها عبد الغني الراوي، في ٢١ / ١ / ١٩٧٠، وكانت هذه المحكمة قد أصدرت قراراتها التي قضت بإعدام العشرات، مذيلةً بالأسماء الكريمة التالية: طه الجزراوي رئيس المحكمة الخاصة، ناظم كزار عضو، علي رضا عضو.

كان ضمن مجموعة شرسة اعتمد عليها صدام حسين في تصفية المعارضين والمشكوك في ولائهم حسب نظرية الأمن الوقائي، وعده حامد الجبوري الوزير البعثي السابق من العناصر الرئيسية في مكتب صدام حسين عندما بدأ في بناء الأجهزة الأمنية جنباً إلى جنب مع سعدون شاكر رئيس المخابرات، وناظم كزار مدير الأمن العام، ومحمد فاضل المدني الذي تولى رئاسة المكتب العسكري فترة، وإلى محمد فاضل ينسب الجبوري اغتيال حردان التكريتي، (الحلقة ٥) من برنامج شاهد على العصر فضائية الجزيرة).

إن الخبث الصدامي لا ينتهي عند حدود، فلم يجد صدام غير هذا الملوث ليجعله مستشاره لشؤون الحوزة العلمية، على اعتبار أن الحوزة إيرانية ولا يصلح لها إلا هذا الإيراني، ثم إنها عملية استخفاف مهينة جداً أن يكون علي رضا باوه لا غيره مبعوث صدام إلى المرجع الخوئي ليعوده ويطمأن على صحته عندما كان في لندن لإجراء الفحوصات.

والأنكى من هذا كله أنه يستغل وجوده قريباً من السيد المرجع ليستفتيه في مسائل غاية في الخطورة، فهو ضالع في جرائم من نوع خاص.

(للتفاصيل انظر: للخطيب السيد محمد حسن الرضوي الكيشميري: قصص ذات أنياب، ص ١٩٤ ← ١٩٧).

وأشار الدكتور جواد هاشم وزير التخطيط الأسبق بأنه كان مدير مكتب العلاقات العامة التابع لمجلس قيادة الثورة (مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام، ص ١٢٢).

➤ والعلاقات العامة هي النواة الأولى لجهاز المخابرات.

صدر بحقه من قبل المحكمة الخاصة برئاسة عزت الدوري ما يلي: «الحكم على المجرم علي رضا باوه بالحبس الشديد مدة سنتين، وفق المادة ٢٤٧ من قانون العقوبات».

لأنه لم يدخل بالعمق في محاولة ناظم كزار، فأصابه شيء من رذاذها، أما رفيقاه بالإجرام ناظم كزار صاحب المحاولة، ومحمد فاضل الذي عرف بتفصيلها، ولم يخبر القيادة، فقد حكمت محكمة عزت الدوري عليهما بالإعدام.

الغريب المدهش أن الحكام الطائفين من أمثال عبد السلام عارف وأحمد حسن البكر وصادق حسين يكيلون بمكيالين، ففي اليوم الأول لانقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ صدرت عدة قرارات، كان من بينها القرار رقم (٣) الصادر عن المجلس الوطني لقيادة الثورة، الذي يرمي إلى تشكيل قوات الحرس القومي، ويوقع عليه الاثنان عبد السلام عارف وأحمد حسن البكر مع بقية أعضاء المجلس، ويباركان ميلاد هذه القوات رسمياً، ويرتديان بدلتا الحرس القومي، ويمارسان تفتيش السيارات، ويعلمان كبقية أعضاء المجلس بما تقتضيه الأيدي الأثمة في مكتب عمار علوش، ويسمعان بالجنث التي تطفو على سطح نهر دجلة، في هذا الوقت يكون علي رضا من أعضاء الحرس القومي المبرزين ومن عناصر مكتب التحقيقات الخاص ويكون اسمه ثانياً مجرداً.

وعندما ينتصر عبد السلام عارف على الحرس القومي، ويتعاون مع الحاكم العسكري العام رشيد مصلح على نشر الغسيل الوسخ للحرس القومي في كتاب (المنحرفون)، وعندما يدون فيه أسماء عناصر مكتب التحقيق الخاص، فيأتي في التسلسل (١٥) اسم علي رضا وتقفز إلى جانبه (الباوه) فيكون اسمه علي رضا باوه، ويكون إيراني الأصل.

وبعد عودة بعث العراق إلى الحكم ثانية صدرت قرارات كثيرة عن القيادة البعثية، ومنها قرار تشكيل المحكمة الخاصة عام ١٩٧٠ كما مر بنا، وكذلك عند تشكيل مكتب العلاقات العامة (المخابرات لاحقاً) يكون اسم علي رضا فيها ثانياً مجرداً من الزيادة، ولكن عندما يغضب عليه أسياده ويحكمون عليه بالسجن تظهر هذه (الباوه) إيحاءً من الطائفين لكرديته الفيلية وجذره الإيراني وتمذهبه الشيعي، وكذلك الأمر بالنسبة لـ(ناظم كزار) فهو أبو حرب عندما يكون عبداً قناً مطيعاً لأسياده، وهو العجمي على لسان سعدون غيدان الذي يقول: (ألف مرة قلت للرفيق البكر والرفيق صدام أن يحترسا من هذا العجمي مدير الأمن العام).

(يُنظر الدكتور جواد هاشم: مذكرات وزير عراقي مع البكر وصادق، ص ٢١٥).

هذا (الباوه) المملوكة أيديه بالدماء يقول عن عملية تعليق أشلاء المتهمين بالتجسس في ساحتي التحرير ببغداد وأم البروم بالبصرة، إنها تمثيلية كان الغرض منها الإرهاب وهو أحد منظميها!!

فقط»^(١)، ومما يؤيد صحة ما ذهب إليه علي رضا باوه بخصوص الذين علقت أشلاؤهم في الساحات العامة بتهمة التجسس، ووصف العملية بأنها تمثيلية، وإنه أحد منظميها، وإنهم كانوا موقوفين منذ عهد الرئيس عبد الرحمن عارف، وعلى ذمة التحقيق، وهذا ما أكده إبراهيم عبد الرحمن الداود في مذكراته التي صدرت على شكل حلقات في جريدة الحياة، ومما قاله بشأنهم: إن اعتقالهم كان قبل نحو شهر من ١٧ تموز.^(٢)

حاول جلادو الأمن العام والمخابرات إلصاق تهمة التجسس بشخصيات سياسية كبيرة، وجرت عليهم أهوال من العذاب، الذي صبه هؤلاء المجرمون من أجل أن يعترف الضحايا على أنفسهم أو على غيرهم، ومن الذين مورست معهم أصناف التعذيب الشديد عبد العزيز العقيلي وزير الدفاع الأسبق، وشهد كثيرون بصموده الأسطوري، واستطاع أن يتحمل ويقاوم التهمة حتى أصيب بعاهة في إحدى رجله.

ومن شهد استجوابه وصلابته وردده الصاعق على سجانیه، خالد علي الصالح الذي يقول بحقه: «ومن تعذيبه وجداله مع جلاديه، سمعته يرد عليهم بأنه ليس بجاسوس، وإذا كان (لظفي العبيدي) جاسوساً لصلته بـ(أندرسون) فالأحرى أن يُسأل (أحمد حسن البكر) فقد كان ضيف الشرف في الوليمة التي أقيمت

(١) صحيفة الحياة، العدد ١٤٩٢٧، في ٩ شباط (فبراير) ٢٠٠٤ الموافق ١٨ ذي الحجة ١٤٢٤ هـ (من مذكرات حازم جواد).

انظر، مير بصري: رحلة العمر من ضفاف دجلة إلى وادي التيمس (ذكريات وخواطر) ص ١٣٩.

وكذلك فاتن محيي محسن: مير بصري.. سيرة وتراث، ص (١٥٠-١٥١).

(٢) صحيفة الحياة، العدد ١٤٦٨٩ الخميس ١٢ حزيران (يونيو) ٢٠٠٣، الموافق ١٢ ربيع الثاني ١٤٢٤ هـ من مذكرات إبراهيم عبد الرحمن الداود.

لأندرسن في فندق بغداد، وعلى الرغم من أن ناظم كزار كان يريد أن يسمع هذا عن سيده، إلا أن تعذيب عزيز العقيلي قد استمر، لقد كان عزيز العقيلي صلباً شجاعاً لم يتخاذل أمام جلاديه، وكانت حالته هذه نادرة التكرار هناك»^(١).

أما الشاهد الثاني الذي سمع منه بأنهم أجبروا شخصاً لا يعرفه فشهد عليه بالتجسس، يقول عبد الكريم فرحان: «انقضى معظم الليل ونام الجميع، كان رأس عبد العزيز قريباً من قدمي، بينما رأسي ملاصق للجدار، كان المكان في غاية الضيق، وليس بوسع النائم أن يرقد على ظهره، إذ لا بد له من أنه يرقد على جنبه ليتسع المكان، نهضتُ وغيّرت الوضع، فجعلت رأسي ملاصقاً لرأس عزيز، وبدأنا نتحدث بصوت خافت، علمت أنه عانى الكثير فقد اعتقل في السرداب، وتعرض لأقسى أنواع التعذيب، وكانت تهمته الجاسوسية، وقد شهد عليه الحسامي وهو فلسطيني يسكن في العراق منذ فترة طويلة، فقد اعترف الحسامي بقيامه بالتجسس، وأكد أنه كان يتعاون مع عبد العزيز العقيلي، وكانا يلتقيان على الدوام في مكتب الكبيسي لبيع المواد الإنشائية في شارع الداوودي، أقسم عبد العزيز ولست أشك في وطنيته وإخلاصه واستقامته أنه لم يسبق له أن رأى هذا الشخص، لكن المحقق أصر على وجوب اعتراف عبد العزيز، وصمد وقاوم وكفوا أخيراً عن تعذيبه، بعد أن أصيبت إحدى رجليه بعاهة»^(٢).

أمام حالات الإذلال وقهر إرادة الإنسان بوسائل لا يمكن تصورها ولا يمكن أن تقع ضمن حدود التخيل، يصبح الموت لدى المعتذب أفضل من الحياة، فيختار بعض المقموعين الانتحار كسبيل للخلاص والراحة، لي صديق عسكري قديم، ساهم في ٨ شباط ١٩٦٣، فصل من الجيش، بعد ١٨ تشرين لأنه بعثي، انحاز

(١) خالد علي الصالح: على طريق النوايا الطيبة.. تجربتي مع حزب البعث، ص ٢٣١.

(٢) عبد الكريم فرحان: حصاد ثورة (مذكرات) ص ٢٤٥.

إلى يسار البعث بعد الانشقاق الكبير الذي عصفت بحزب البعث فصار حزبين، اعتقل صيف عام ١٩٧٢، وكان معروفاً في منطقة الأهوار، زُج به في إحدى زنانات قصر النهاية، سمع باسمه أحد المعتقلين من محافظة واسط، ومن يسار البعث كذلك، فاعترف عليه بأنه مسؤوله دون أن يلتقيا أو يتعارفا، وهو اعتراف باطل لا أساس له من الصحة، ولكن الإنسان قد يلجأ إليه للتخلص مما يصب عليه من أهوال العذاب، أو أنه ينهار ولا يستطيع المقاومة فيملي عليه الجلادون ما يريدون، استجوب ناظم كزار صاحبي، وقال له: إن فلان اعترف عليك بأنك مسؤوله، رفض صاحبي هذه التهمة بقوة، قال له كزار: سنأتي به لتسمع اعترافه عليك، قال صاحبي لناظم كزار: ماذا تريد مني؟ هل تريد أن تنتقم مني أو تريد الحقيقة؟، قال ناظم كزار: أريد أعرف حقيقتك، قال له صاحبي: لي طلب منك وسوف تعرف من خلاله الحقيقة كاملة، وقبل أن يأتي السجين ليعترف علي، قال ناظم كزار: وما هو؟، قال صاحبي: أن تسمح لي بالجلوس في مكانك لمدة ربع ساعة، وجلس صاحبي على عرش ناظم كزار، أتوا بالسجين ليشهد عليه، وحالة الاندهاش ظاهرة على الجميع من هذه المسرحية، قال صاحبي: قلت لهم: اخلعوا عصابة عينيه، حققت معه: ما اسمك، أين تسكن، اسم مسؤولك؟، قال: فلان وسماي بالاسم، قلت له: أين يسكن مسؤولك؟، قال: في منطقة الأهوار، قلت له: هل التقيت به؟، قال: نعم.. عدة مرات، قال صاحبي للسجين المعترف عليه: إن مسؤولك معتقل لدينا وموجود في إحدى الزنانات اذهب واجلبه إلي، ذهب وعاد خالي الوفاض، وكان يرتعش بين يدي سجانیه، وخاطبني سيدي ما عرفته، كيف لا تعرف مسؤولك الذي اجتمع معك عدة مرات، قال: سيدي لم ألتق به ولم أره، سمعت باسمه واعترفت عليه من شدة التعذيب، وكان طيلة الفترة يخاطبني سيدي وسيدي، وأنا أمامه منفوش الشعر، وأكمام سترتي أطول من اليدين، كحال أي سجين جيء به من الزنانة ليجلس على كرسي ناظم كزار، سمع ناظم كزار

الحوار بدقة، التفت إلى السجين وسبه وقال له: هذا الذي حقق معك هو فلان مسؤولك، ضربوه وأخذوه إلى الزنزانة، أما ناظم كزار فربت على كتف صاحبي قائلاً له: تصلح أحسن محقق!!

وبمثل هذا الاعتراف وغيره سيقّ الكثيرون إلى ساحات الموت ومقاصل الإعدام.

لم يبق أحد داخل أقبية قصر النهاية إلا ووجهت له تهمة التجسس، ولم يسلم منها أبناء المراجع والأسر الدينية والعوائل الشريفة، يقول عبد الكريم فرحان: «فتح الحارس فجأة زنزانة مقابلة لزنزانتا، خرج على أثرها حسن الشيرازي، أمسك الحارس بلحيته وصفعه ثم شتمه قائلاً (جاسوس إيراني) وأرجعه إلى الزنزانة».^(١)

ومن المتهمين بالتجسس فؤاد الركابي أول أمين سر للقيادة القطرية في العراق، جيء به مكبلاً ليربط واقفاً على قدميه على باب الزنزانة لمدة يومين، بعد أن رفض أمام القاضي أن يوقع على أنه جاسوس، وكان خالد علي الصالح ماركوناً في هذه الزنزانة، وإن عملية ربطه على باب هذه الزنزانة بالذات، كان مدروساً، ولم يكن عفويّاً أو عن طريق الصدفة، وقد سمع خالد حوار الجلاد مع فؤاد، ثم صار جزءاً من هذا الحوار، الذي يقول عنه: «وفي مساء اليوم التالي سمعت جلاداً يحاور فؤاد، كان يردد كلمة جاسوس، وفؤاد ينفي عن نفسه هذه الصفة، فقال له ذلك الشخص: أنت عادت الحزب، فرد فؤاد بأنه قد صالح الحزب، وأنه لم يفعل أي شيء ضد الحزب، وهنا فتح الباب وبقي فؤاد مربوطاً به، وبقيت أنا جالساً في مكاني، وكان يقف إلى حوار فؤاد ذلك الجلاد وهو الذي كان يحاوره، وعلى الرغم من وجودي الذي تجاوز الشهر إلا أنني لم أعرف أيّاً من هؤلاء باسمه،

(١) عبد الكريم فرحان: حصاد ثورة (مذكرات)، ص ٢٥١.

باستثناء اثنين أو ثلاثة منهم، وهذا الواقف أمامي لا أعرفه، فقال موجهاً كلامه لي: هل تعرف هذا؟، مشيراً إلى فؤاد، فرددت عليه وهل هناك من لا يعرف فؤاد الركابي؟، إن هذا الذي تشير إليه لولاه لما كان لكم حزب ولما كنتم الآن كما أنتم عليه، لقد ناضل فؤاد الركابي طوال سنوات عديدة لكي يقوم هذا الحزب، فهل هذا جزاؤه؟، فرد علي، ولكنه الآن جاسوس، فلم أرد ولم يرد فؤاد، ويبدو أن صمّتي لم يرق له، فقال: إنني أقول لك إنه جاسوس، فقلت له: أنت الذي تقول هذا، فقال: هو الذي اعترف على نفسه، فقلت له: إنني لا أعرفه إلا فؤاد، ولا أعرفه جاسوساً، أنا لست بجاسوس لكي أعرف من هم الجواسيس، وأنا لم أحقق مع فؤاد لكي أعرف أنه جاسوس أم لا، وأعدت عليه أنه فؤاد الركابي، الذي عمل مسؤولاً لحزبكم نحو عشر سنين»^(١).

إن الأجهزة الأمنية البعثية شملت في إجراءاتها التعسفية كل الخارطة السياسية العراقية وبدون تمييز، فكل من يدخل الأمن العامة وقصر النهاية فهو جاسوس ما لم يثبت العكس، بعد أن تنزل فيهم ضرباً وتعذيباً حتى يحتقر الإنسان آدميته كمخلوق كرمه الله تعالى.

ومن الذين تعاملت معهم هذه الأجهزة بوحشية فؤاد الركابي، بعد أن سلطت عليه عتاة شداداً غلاظاً من أجل كسر معنوياته واعترافه، وقد مر بنا ذلك، ولكن قيادة (البكر-صدام) لم تتخذ الموقف نفسه مع علي صالح السعدي، الذي خلف فؤاد الركابي في أمانة سر الحزب، ولو قارناً بين الاثنين نجد أنهما:

١- اختلفا مع حزب البعث في العراق.

٢- شكّل كل منهما تنظيم غير البعث.

(١) خالد علي الصالح: على طريق النوايا الطيبة.. تجربتي مع حزب البعث، ص (٢٣٥-٢٣٦).

٣- صرّحاً ضد بعث العراق تصريحات خطيرة، وكانت تصريحات علي صالح السعدي أشد وأمضى، فهو إضافةً إلى تصريحه مرتين أمام خالد علي الصالح بأن قيادة البعث هي قيادة الجواسيس، وكان تاريخ ذلك عام ١٩٦١، ١٩٦٢، وكان السعدي هو أمين سر هذه القيادة، وبعد الفترة الشباطية أطلق علي صالح السعدي مقولته المدوية: جئنا إلى الحكم بقطار أنكلو-أمريكي.

ومن المفارقات العجيبة أن قيادة (البكر-صدام) عذبت فؤاد الركابي عذاباً شديداً من أجل أن يعترف على نفسه بالتجسس، ولم تكتفِ بذلك وإنما اغتالته داخل السجن قبل انتهاء محكوميته، وتركت علي صالح السعدي ولم تستجوبه، أو على الأقل تستفسر منه عن الجواسيس الذين يعرفهم ويستنكر وجودهم في قيادة البعث ومكتبه العسكري!!

وظل السعدي إلى قبيل وفاته يندد بقيادة البعث في ٨ شباط ١٩٦٣، وقيادته اللاحقة في ١٧ تموز ١٩٦٨، ويصفهم بالجواسيس دون أن يعترض عليه معترض، بل إن هذه القيادة المشبوهة، التي تكيل بمكيالين على عكس كل التوقعات، فإنها قربت السعدي وكرمته وعينته مستشاراً لرئيس الجمهورية من دون أن يداوم وظيفياً، وكانت تلبية طلباته المادية التي لا تتوقف عند حد، لأنه كان يصرف ماله ووقته في احتساء الخمر، وكلما يفرغ جيبه يتصل بالشايب (البكر) ليتمه بالمال الذي يصرفه على ملذاته، والبكر يلبي طلباته، والسعدي يفتخر بذلك ويتبجح أمام زائريه.

قصة لطفي العبيدي

يوجد إجماع لدى الحركات والقوى السياسية العراقية، على أن لطفي العبيدي هو أحد عملاء أمريكا الخطرين في العراق في ستينات القرن الماضي، وقد ظهرت معالم هذا الارتباط بشكل سافر من خلال علاقته بالمبعوث الأمريكي إلى العراق

أندرسون في ذلك الوقت، ويشكل العبيدي مع ناصر الحاني وعبد الرزاق النايف ثلاثياً خطيراً في علاقته مع أمريكا، ويبقى الإجماع قائماً بالنسبة لعمالة هؤلاء الثلاثة.

وقد كشف عبد العزيز العقيلي جزءاً من علاقة لطفي العبيدي بأحمد حسن البكر أمام جلاديه، ولم يكفوا عن تعذيبه كما مر بنا، ويبدو أن قيادة البعث في حكومتها الثانية استطاعت أن تقضي على ناصر الحاني في الأشهر الأولى من وصولها إلى السلطة، لأن الحاني كان يمثل قطب الرحي في اجتماعات عقدت في داره ببيروت، وفي داري الملحقين الثقافيين البريطاني والأمريكي ببيروت، من أجل تفويض حكم الرئيس عبد الرحمن عارف، وكان يحضر هذه الاجتماعات أحد الثلاثة: عمّاش وحرّدان وصدّام.^(١)

واستطاعت هذه القيادة أن تبعد عبد الرزاق النايف عن العراق بطريقة مرعبة، لم تحدث إلا في الأفلام البوليسية، وظل النايف مرعوباً طيلة الفترة اللاحقة لتسفيره، حتى تمكنت أجهزة البعث من قتله في حملة الملاحقات وتصفية الحسابات لطمر الفضائح والعلاقات المشبوهة.

«وقد نشر لطفي العبيدي في الصحافة اللبنانية في نهاية الستينات، صور شيكات مسلمة إلى قيادة سلطة ١٧ تموز ١٩٦٨، مما أدى بالمخابرات العراقية إلى شن حملة اغتياالات وملاحقات شملت كتلة العبيدي - الحاني - النايف، في كل مكان داخل وخارج العراق.»^(٢)

ولأن أقطاب البعث كانوا من المتورطين بهذه العلاقة المشبوهة، فقد طال مسلسل التصفيات الجسدية كل من له علاقة بلطفي العبيدي، من أجل دفن

(١) د. علي كريم سعيد: عراق ٨ شباط ١٩٦٣ .. من حوار المفاهيم إلى حوار الدم، ص ٢٨٩.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٨٩.

الفضائح، وإثارة الرعب بمن يتناولها بالتصريح أو التلميح.

يقول خالد علي الصالح: «في منتصف إحدى الليالي رأيت الحبل يلتف حول قضبان الفتحة أعلى باب زنزانتني، وهذا يعني أن ضحية ما يتم ربطها من يديها وتترك واقفة على قدميها، وأثناء جدهم معه، ومن ردهم عليه، اتضح أنه رجل كبير السن، وقد تم جلبه من فندق بغداد، وطبعاً كانت توجه له الشتائم بسبب نزوله في ذلك الفندق، فكانوا يقولون له أنت جاسوس لأمریکا، فكان رده: كيف أتجسس على بلدي وقد منحني الله كل شيء، وذكر أنه يمتلك مدينة (الزهور) في الموصل، وكل ما فعله كما سمعته منه أنه فتح بيته عندما جاء ابن أخيه (لطف العبيدي) مع ضيوفه وهم في طريقهم إلى حقل المشراق، فهل يعقل أو يقبل منه ألا يفتح باب داره لابن أخيه، كما قال، وذكر أنه لم يكن يعرف من الذي كان بصحبة ابن أخيه، ربطوه وتركوه على الرغم من أنه طلب منهم أن يجلبوا له الدواء من حقيبة ملابسه فهو مريض بـ(الربو) ولم يجلبوا له الدواء، وبعد تركه دعا الله أن ينقذه من هذا العذاب، ولم يمضِ من الوقت أكثر من ربع ساعة حتى رأيت الحبل الذي يربطه قد شُد، فقلت في نفسي: ربما أغمي على الرجل، هو خارج الزنزانة وأنا بداخلها والباب مغلق، فما عساني أستطيع فعله، وبعد خمس دقائق من توتر الحبل جاء الجلادون، فأخذوا يتهامسون فيما بينهم: لقد مات!! فقلت في نفسي: سبحان الله، هل استجيب دعاؤه فأنقذه الله من العذاب، وبكل برودة أعصاب وكان شيئاً لم يحدث، ذهبوا فجلبوا سكيناً قطعوا بواسطتها الحبل، فسحبوا هذه الضحية إلى مكان لا يعلمه إلا الله، ومع وفاته كانوا ينادون على اسمه (وقد نسيته) كلما حضر أهله جالين له طعاماً وملابس، على أساس أنه ما زال موقوفاً، وأثناء وجودي في القاهرة، جاءني شخصٌ من الموصل ليسألني هل أنني متأكد من وفاته؟، فقلت له

ما سمعته، فقال: إن ذويه يريدون توزيع التركة ليس إلا». (١)

هذه واحدة من قصص الألم العراقي، ماذا عمل هذا الرجل الطاعن في السن والمريض، حتى يعامل بهذه الطريقة، ويسلط عليه الشذاذ والأفاكون من أمثال سالم الشكرة، وحسن المطيري، وسعد ابن المطربة الريفية وحيدة خليل، لا أعتقد أن فترة غارقة في الظلام مرت بالعراق كهذه الفترة، التي أراد فيها بعث العراق أن يستأصل العواطف من الإنسان ويلغى مشاعره، كما حدث مع هذا الرجل المسن عم لطفي العبيدي، ولكنه -أي البعث- لن يستطيع أن يقطع الطريق على أحمد حسن البكر في إقامة علاقاته المريبة مع لطفي العبيدي نفسه، فقد كان للبكر زوار من نمط خاص، يترددون بين حين وآخر، ويختلي بهم على انفراد، دون أن يسمع أحد ما يدور بينه وبينهم «وعلى رأس أولئك كان لطفي العبيدي، رجل المخابرات الأمريكية المشهور والمبعوث الخاص للملحق العسكري الأمريكي في بيروت، وكان البكر ضيف الشرف في وليمة أقامها العبيدي في فندق بغداد على شرف المبعوث الأمريكي أندرسون، وكان ذلك بداية عام ١٩٦٨، قبل انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، ولم يكن هذا هو اللقاء الأول للبكر بأندرسون، فقد نظم العبيدي لقاءات عديدة بين أندرسون والبكر قبل ذلك». (٢)

ويبدو أن هذه العلاقة المريبة بين البكر ولطفي العبيدي، كانت مكشوفة للعديد من السياسيين العراقيين ومن مختلف الانتماءات والتوجهات، ولكن البكر الذي يطلق عليه حازم جواد وصف (كبير السحرة) لا يأنف من إقامة مثل هذه العلاقات. يقول تحسين معلة: «كان يتردد على البكر الكثيرون، وأتذكر أنني زرته في أحد الأيام، وكان جالساً عنده صبحي عبد الحميد وشخص آخر يلبس نظارة سوداء،

(١) خالد علي الصالح: على طريق النوايا الطيبة.. تجربتي مع حزب البعث، ص (٢٣٢-٢٣٣).

(٢) عبد الإله توفيق الفكيكي: الوهم والحقيقة.. في انقلاب ١٧-٣٠ تموز ١٩٦٨، ص ٣٨.

ولم أعرفه، سلمت عليهم وجلست، وكان صبحي يعرفني من قبل، فردوا عليّ السلام، وسألني البكر: يبدو أنك لا تعرف الأخ؟، وأشار بيده إلى ذلك الشخص صاحب النظارة السوداء، فقلت له: كلا، قال: إنه الأستاذ لطفي العبيدي وهو تاجر، لقد انتبعت في الحال إلى الاسم، الذي سبق لي أن سمعت به، حيث كانت الشائعات تدور حوله بين بعض القياديين، على أساس أنه شخص غير مأمون الجانب، ولديه علاقات سرية مع الأمريكان، وبعد خروج صبحي ولطفي انتظرت بعض الوقت، ثم قلت للبكر: أبو هيثم من أين جئت بهذا الشخص؟، حاول البكر التعذر بأنه جاء لزيارتي ولا أستطيع أن أطرده.

قلت له: ماذا تقول نحن نريدك رئيساً للجمهورية، وأن تكون بالنسبة لنا كياناً قائماً بذاته، ولا نريد أن يأتي هذا الشخص وأمثاله، وحاول البكر أن يطمطم القضية، وشعر بنوع من الإحراج، واستأذنت بعد ذلك للخروج.^(١)

أكدت المصادر الدقيقة وشهادات شهود العيان الثابتة، على العلاقة المريبة بين أحمد حسن البكر ولطفي العبيدي، الذي كان الوسيط المؤتمن بين البكر والمبعوث الأمريكي أندرسون، وقد مهد العبيدي للقاءات عديدة بين الاثنين.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الجرم الذي حُكم على أساسه بالإعدام على كل من: رشيد مصلح التكريتي^(٢)، يوسف جواد المعمار^(٣)، زكي عبد الوهاب^(٤) وآخرين،

(١) جريدة الصباح الجديد، بغداد، العدد ٢٥٠١، الأحد ١٧ شباط ٢٠١٣، الحلقة السابعة من مذكرات الدكتور تحسين معلة.

(٢) جريدة الثورة، بغداد، العدد ٢٤٩، السنة الأولى، الأربعاء ١٨/٦/١٩٦٩ الموافق ٣ ربيع الثاني ١٣٨٩هـ.

(٣) جريدة الثورة، بغداد، العدد ٢٤٥، السنة الأولى، الخميس ١٢/٦/١٩٦٩ الموافق ٢٧ ربيع الأول ١٣٨٩هـ.

(٤) جريدة الثورة، بغداد، العدد ٢٥٧ بتاريخ ٢٧/٦/١٩٦٩.

هو علاقتهم بـ(لطفى العبيدى)، وظهروا على شاشة التلفزيون مكرهين لتأكيد ذلك، ولأجل توسيع دائرة التشويه والإساءة فقد اعترفوا مجبرين أيضاً على شخصيات كبيرة مثل عبد الرحمن البزاز، فؤاد الركابى، عزيز العقيلى، شكرى صالح زكى.

ولكن هذه العلاقة المشبوهة التى سببت فى قطع الرقاب، كانت برداً وسلاماً على أحمد حسن البكر، لأن البعث كعادته يكيل بمكيالين.

الفصل الثاني

2

علي صالح السعدي..
رجل الملهذات!



إن وصف علي صالح السعدي بـ(رجل المملذات) على لسان الرئيس جمال عبد الناصر كان دقيقاً إلى حدّ ما، وجاء هذا الوصف ولم يكن عبد الناصر على معرفة قديمة بالسعدي، وإنما تمت لقاءاتهما لأول مرة بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، الذي أنهى حكم الزعيم عبد الكريم قاسم عدو الطرفين، ولم تمتد فترة العلاقة الحميمة طويلاً، وإنما كل المدة كانت لا تتعدى الأيام المحصورة بين ٨ شباط ١٩٦٣ إلى ٢٣ تموز من العام نفسه، وانتهت بالخطاب المدوي الذي ألقاه عبد الناصر بمناسبة ذكرى ٢٣ يوليو، وفيه جاء على لسانه النعت المذكور، وسعّر هذا الوصف الخلاف بين الطرفين وتطور إلى الانتقادات المتبادلة.

ولم يأت هذا التقييم من فراغ، وربما كان نتيجة طبيعية لتقارير المباحث المصرية، التي كانت تلاحق زوار مصر من المسؤولين فتطّلع على هواياتهم من خلال ما يعكسه السلوك الشخصي والتصرفات الفردية، وكانت مصر آنذاك في الستينات هي مصر الفن والسينما والمسرح والانفتاح اللامحدود، فوجد فيها علي صالح السعدي فرصته في اقتناص المتعة المفقودة بلا حرج، ونقل عاداته السيئة التي كان يزاؤها بسرية إلى العلن، فوصلت إلى عبد الناصر ليطلع عليها بشكل مفصل.

وجاء وقت القطيعة وتبادل الاتهامات، ليعلن كل طرف مساوئ الطرف

الآخر، واختار عبد الناصر أهم مناسبة لديه، وهو العارف بأن خطابه فيها تنتظره الملايين في الوطن العربي، فنزل وصفه للسعدي بـ(رجل الملذات) كالصاعقة على رؤوس البعثيين في العراق، وحاول البعثيون الرد ولكن هيهات، وأتى لهم مجارة ماكنة الإعلام الناصرية، وظلت هذه الكلمة ترن في الآذان رغم مرور السنين، أما دفاع طارق عزيز عن السعدي فلم يسمع به أحد.

لم يكن عبد الناصر ضد انفتاح مصر، وإن الملاهي والنوادي الليلية، وأماكن الأنايس والطرب كانت مفتوحة بعلمه وبمباركته، ولكن اعتراضه ونقده على مزاوله تلك الملذات فيها بطريقة شرهة ونهم مفضوح، ويبدو أن السعدي المعروف بتسرع وعدم اتزانه وفوضويته الغربية، لم يضع حدوداً لتصرفاته وسلوكه كرجل دولة مدعو في ضيافة رئيس دولة أخرى، وإنما أطلق العنان لشهوته في الاستمتاع بلا حدود، ولم يستطع أن يكبح جماح غرائزه، فتمثلت نفسه الضعيفة لإشباعها بطريقة لا يستسيغها الآخر.

ولم يوفق البعثيون في دفاعهم عن الرفيق علي صالح السعدي، ولننظر ماذا يقول الدكتور علي كريم سعيد: «قيل الكثير عن تصرفات علي السعدي خلال زيارته مع عمّاش وطالب إلى القاهرة، وزياراته الأخرى خلال مباحثات الوحدة، وفي الحقيقة، لم يكن في تصرفاته ما يستدعي مثل هذا النقد، فقد كرر في القاهرة ما كان يقوم بمثله في بغداد»^(١).

ولو أننا أخذنا بكل ما انتقده عليه منتقدوه من أعمال شائنة وسلوكيات رخيصة، يصح لنا أن نقول بأنه من الخطأ أن ينقل كل ممارساته في بغداد إلى القاهرة، لأن فيها القبيح الكثير، ومن هذا الكثير المعروف يمكن أن نعرض بعضه ليساعدنا في رسم صورة مقارنة لشخصية علي صالح السعدي الحقيقية، وعندما نعرف ذلك

(١) د. علي كريم سعيد: عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم، هامش ص ١٣٨.

ينقلب ما أبداه الدكتور المذكور من دفاع إلى الضد من السعدي ورفاقه المذكورين وليس في صالحهم.

«أما علي السعدي نفسه فلم يكن رجل ملذات، بل شاب حيوي لا يجد حرجاً في ارتياد أماكن لم يعتد ارتيادها المسؤولون الحكوميون، وعندما تعرفتُ شخصياً على الشيبب والفكيكي والعزاوي والشيخ راضي والدوري وغيرهم، لم أجدهم يختلفون عن السعدي كثيراً»^(١).

هذا لم يكن دفاعاً عن السعدي وإنما إساءة إلى المذكورين جميعاً، وإلى الحزب برمته، إذا كان من ذكرهم الدكتور الراحل من طينة علي صالح السعدي.

إن متطلبات العمل الحزبي تجعل المسؤول مكشوفاً أمام أعضاء حلقتة، وقد دون خالد علي الصالح انطباعات مهمة عن مسؤول شعبة بغداد آنذاك علي صالح السعدي، ولأننا لا نريد أن نأتي على كل الوقائع التي دونها، وإنما نأخذ منها ما يخص البحث، وهو في إحداها يقول:

«أما الواقعة الثانية مع مسؤولنا في قيادة الشعبة، أي (علي صالح السعدي) فقد كانت مباشرة وذات دلالة، لقد كان مطلوباً من كل مسؤول فرقة أن يأتي باشتراكات الأعضاء وتبرعاتهم وتبرعات الأنصار، في بداية كل شهر كحصيلة عن الشهر السابق، وكنا نقوم بتسليمها إلى (علي السعدي)، وهو (أي علي) يقوم برفعها إلى القيادة، ولم يكن ما يتم جمعه على مستوى بغداد كلها يتجاوز (٤٠) ديناراً شهرياً، وفي أحد الأشهر قمنا بتسليم المبلغ المذكور إلى (علي)، وعند الاجتماع التالي أخبرنا (علي) بأن لصاً قد تسلق سور البيت ودخل الحديقة، وكان هو (أي علي) قد ترك مكانه وترك في المكان نفسه (سترته) وعندما عاد لم يجد

(١) د. علي كريم سعيد: عراق ٨ شباط ١٩٦٣، ص ١٣٢.

الاشتراكات في جيبه فقد سرقها ذلك اللص، أخذنا الأمر حقيقة مسلماً بها، إلا أننا طلبنا من (علي) أن يكون أكثر حرصاً في المستقبل.

وفي الشهر التالي قمنا بتسليم ما تم تجميعه إلى (علي).. وفي الاجتماع التالي فوجئنا به يعيد لنا رواية اللص وسطوه على الاشتراكات، وزاد هذه المرة، حيث ذكر بأن قلمه الباركر قد سرق مع النقود، ولا أدري ماذا دار في مخيلة كل منا بشأن هذه السرقات، ولكننا -أنا وكريم شتاف- روينا لفيصل الخيزران قصة سرقة الاشتراكات من علي صالح السعدي، وهنا سخر منا فيصل، وقال: هل صدقتم ما رواه عن اللصوص - إنه قد بدد هذه الاشتراكات على القمار - ولم أتمالك نفسي فرثيت لحالي علناً، حيث كنت في أغلب المرات أذهب على قدمي قاطعاً المسافة من الكرادة حتى الوزيرية لأنني لا أملك (عشرة فلوس) أدفعها للحافلة، ثم أفاجأ بمسؤولي (أمين سر القيادة) يبدد هذه الاشتراكات في القمار!!

وفي الاجتماع التالي سمينا مسؤولاً مالياً من بيننا، لكي لا تضيع الاشتراكات مرة أخرى»^(١).

هذه نزوة واحدة من نزوات علي صالح السعدي في العراق، مارسها في بغداد قبل أن يصل حزبه إلى الحكم، فكان إضافة إلى عدم أمانته، صار يبدد الاشتراكات على مجونه وعبثه، بدلاً من استغلالها في ضرورات العمل الحزبي، فتحول في نظر رفاقه إلى شخص غير مؤتمن وتزعزعت ثقتهم فيه، يقول خالد علي الصالح بعد أن استوعب الصدمة: «وهكذا مرت هذه الحادثة، ولكنني أضمرت في نفسي ألا أمنح (علي) مرة أخرى الثقة التي كنت قد منحتها له فيما سبق»^(٢).

لعبت الخمرة دوراً أساسياً في حياة علي صالح السعدي، كما لعبت في رأسه على

(١) خالد علي الصالح: على طريق النوايا الطيبة.. تجربتي مع حزب البعث، ص ٤٧-٤٨.

(٢) المصدر نفسه: ص ٤٨.

الدوام، وكانت همه الكبير، وشغله الشاغل، يحنسها في كل الأوقات، ولا يفارقها في حله وترحاله، ولم تكن حالة عابرة أو نزوة مؤقتة، بل كانت عادة دائمة وظاهرة مستحكمة، لمسها عنده كل من التقاه من رفاقه في الحزب أو الآخرين من خارج دائرة الحزب، فهو قد أولاها اهتماماً أكثر من كل شيء في حياته، حتى استوعبت كل فراغه، وهيمنت عليه في أخريات حياته، حتى إنني لم أقرأ عن قائد سياسي أو مسؤول حزبي كبير سيطرت الخمرة على كل كيانه كما سيطرت على السعدي واستحوذت على تفكيره، وهذا ما وقفنا عليه من خلال القراءة المكثفة في ما كتب عنه في المصادر التي تناولت جزءاً من حياته، ولحبه إياها وشدة شغفه بها، ظننت أنه سيوصي قبل موته، كما أوصى بذلك الشاعر الخليل:

إذا مِتُّ فادفني إلى أصل كرمية تروي عظامي بعد موتي عروقها^(١)
بعد إطلاق سراح خالد علي الصالح من السجن نهاية عام ١٩٦١، على أثر اشتراكه في عملية اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم في ٧/١٠/١٩٥٩، زاره السعدي للتهنئة، ثم التقاه بعدها مرات متعددة، كانت الخمرة حاضرة في كل هذه اللقاءات أو في معظمها، وقد تحدث عنها خالد بإسهاب، ومن أجل أن تكتمل الصورة وتتضح علاقة السعدي بالخمرة ومعاقرتها بصورة تلفت الانتباه، لا بد من استعارة أجزاء مهمة من كلام خالد علي الصالح ليتأكد لنا حضورها الفاعل في حياته.

ولا أعتقد أن السعدي في زيارته إلى القاهرة كان متمنعاً أو متجنباً شربها، بل

(١) أبو محجن الثقفي: الديوان، ص ٢٣.

وقيل أنه توفي في أرمينيا، وقيل أن من رأى قبر أبي محجن، أنه بين شجيرات الكروم، وأن فتياناً من الأرمن يخرجون بطعامهم وشراهم فيتزهمون عنده، فإذا شربوا صبوا كأسه على قبره.
عبد الخالق ناصر شومان: قراءات، الجزء الأول، ص ٢٤٢.

المتوقع هو الارتقاء في حاناتها، بالشكل الذي لفت انتباه المباحث المصرية التي تدون كل صغيرة وكبيرة لترفعها إلى الرئيس، لأنه كان في أيام النضال السلبي، وهو لا يمتلك غير اشتراكات الأعضاء وتبرعات الأنصار، فكان لا يتردد من إنفاقها على متعه وشهواته، وسواء في ذلك كان قد صرفها على الخمر أو القمار، وهما من الملذات التي قصدهما عبد الناصر في خطابه.

ويعدُّهما الشهيد سيد قطب من اللذائذ وهو يتحدث عن الخمر والقمار بقوله: «وكلتاهما لذة من اللذائذ التي كان العرب غارقين فيها، يوم أن لم تكن لهم اهتمامات عليا ينفقون فيها نشاطهم، وتستغرق مشاعرهم وأوقاتهم».^(١)

إن زيارات علي صالح السعدي إلى القاهرة، هي زيارات رسمية لمناقشة قضية الوحدة بين الأقطار الثلاثة، ونفقاته تتحملها الدولة المضيفة، أو من ميزانية دولته وفي مقدمتها تأمين حاجياته.

إن عبد الناصر أوجز فأجاد، واختصر الموقف بكلمتين لا غيرهما، بل كانتا رصاصتين أطلقهما على السعدي، فأردى الإعلام البعثي البائر صريعاً، ولم تستطع انتشاله آلاف الكلمات التي سطرها طارق عزيز في حديث الأربعاء على صفحات جريدة الجمهورية.

إن فيما رواه خالد علي الصالح بعد خروجه من السجن، ليجد قيادة الحزب وقد هيمن عليها المطرودون والمعاقبون بقيادة علي صالح السعدي، وفي لقاءاته بالسعدي ترددت الخمرة في ثنايا كلامه مراراً، حتى وكأنه كان قاصداً من إيرادها ليشير إلى حالة الابتذال والإسراف التي يعيشها السعدي وأفراد قيادته، وقد لمح إلى ذلك تلميحاً وهو يصف المائدة التي أعدت بعناية تامة، بمناسبة خروجه

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، المجلد الأول، ص ٢٢٨.

وزملائه في القيادة السابقة من السجن بقوله:

«جاءني إلى الدار (علي وحازم) -أو أحدهما لا أتذكر بالضبط- واصطحباني إلى بغداد لحضور وليمة أقامتها القيادة القطرية بمناسبة خروجنا من السجن، فذهبوا بي إلى بيت في العطفية، وكانت مفاجأة، فالوليمة في بيت طالب شبيب، ولو كنت أعلم مسبقاً بهذا الأمر لاعتذرت، وقد وجدت إياد سعيد ثابت حاضراً كذلك، وعلى الرغم من أن الوليمة كانت في بيت طالب شبيب، إلا أنني لا أتذكر أن لقاءنا كان دافئاً ولا أذكر أنني جاملته، أو جاملني، ولقد جلس إلى جنبي كل من علي وحازم وانشغلت معهم عن بقية الحضور.

لقد كانت الغرفة التي جلسنا فيها عامرة بزجاجات (الويسكي)، لقد كان علي كل منضدة صغيرة ثلاث زجاجات ويسكي، والمنضدة التي تتوسط الغرفة عليها أكثر من ست زجاجات، والواقع أن كثرتها تلفت النظر، وأخذتها على أنها تعبير عن يسار حال المضيف أكثر ما اعتبرتها كتعبير عن الحفاوة بالمحتفى بهم، وبدأ الحاضرون في تعمير الكؤوس، ولما قدم لي علي إحدى هذه الكؤوس اعتذرت عن الشرب، وقلت إنني ممنوع طبيياً من تناول الكحول، ولقد خرجت من السجن وأنا أعاني من التهاب حاد في المعدة والاثني عشري، وأنا أعالج في مستشفى (شامل السامرائي) وقد منعني الطبيب من تعاطي أي مشروب كحولي حتى ينتهي العلاج على الأقل، فشكراً، ومع ذلك ألحوا كثيراً لكي أشرب، ولم أراجع عن إصراري، وبالمناسبة فإن (إياد سعيد ثابت) لم يشرب كذلك على أساس أنه لم يشرب أصلاً، وانتهت الوليمة وتركنا البيت، وعدت إلى دار والدي في سلمان باك»^(١).

عاد طالب شبيب إلى العراق، بعد أن أبعدته فؤاد الركابي عن القيادة القطرية

(١) خالد علي الصالح: على طريق النوايا الطيبة.. تجربتي مع حزب البعث، ص ١٧٨-١٧٩.

لثبوت «صلته بالأمريكان»^(١) على حد تعبير فؤاد الركابي نفسه، وبعد وصوله إلى بيروت تلقفه ميشيل عفلق، ورشحه للمؤتمر القومي الثالث، بهدف صعوده إلى عضوية القيادة القومية، رغم معارضة القيادة القطرية على هذا الترشيح.

وبعد أن تخلص عفلق من فؤاد الركابي، أعاد طالب شبيب قائداً في قيادة قطر العراق، ومعه علي صالح السعدي وحازم جواد المجددان حزياً من قبل فؤاد الركابي، فتشكلت من هؤلاء وغيرهم القيادة القطرية الجديدة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه القيادة التي قادت حزب البعث العراقي من مطلع الستينات حتى نهاية عام ١٩٦٣، كانت تحتضن عدداً من الجواسيس، ولذلك أطلق عليها علي صالح السعدي نفسه «قيادة الجواسيس»^(٢).

فيما تقدم تحدث خالد علي الصالح عن المائدة العامرة بزجاجات الويسكي، وكانت كثرتها ملفته للنظر، ومما هو جدير بالملاحظة أن حضور الخمرة لم يكن احتفاءً بالخارجين من السجن فحسب، وإنما كانت ترمي إلى أهداف أخرى لم تتحقق، وقد كشفها خالد علي الصالح بقوله:

«ويبدو أن تلك الوليمة لم تكن للتكريم، وإنما كانت محاولة لكشف الأسرار، فبعد عدة أيام، نقل لي أديب الجادر- أو خير الدين حسيب عن أديب- بأن علي السعدي قد قال لـ(أديب) أنني رفضت أن أتناول الويسكي في تلك الوليمة، لكي لا أسكر فأفشي أسراري عن التكتل والانشقاق الذي كانت قيادة عفلق بالعراق، تزعم بأنني أسعى إليه، وعندما سمعت هذه الرواية، قلت: يبدو أن أساليب النضال قد تطورت في (التنظيم الذي تقوده القيادة الجماعية-الموضوعية) وأخبرت من نقل لي (شكوى علي) بأن يخبره بأنني (خالد) على استعداد لكسر

(١) خالد علي الصالح: على طريق النوايا الطيبة، ص ١٠٢.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٧٤.

أوامر الطبيب، وفي أي وقت يرغب، وأن أشرب معه (أي مع علي صالح السعدي) أي نوع من الكحول - باستثناء منتوج هبهب - ولير من الذي سوف يفشي أسراره منا أولاً^(١).

إن الممارسات الحزبية المبنية على الشكوك والظنون قد تأخذ أنماطاً غير مستساغة ضد الأعضاء أحياناً، وهي عامة وليست خاصة بحزب البعث، ولكن عندما تصل إلى هذا الحد من الرداءة فهي سمة يتميز بها هذا الحزب، وابتكار غريب في أعرافه وتقاليده، التي تأخذ به إلى محاولة الوصول إلى الأسرار.

إن العمل الحزبي النظيف - على قلته وندرته - ينبغي أن يكرم أعضاءه، الذين تحتطفهم السجون والمعتقلات من ساحات العمل، ويعمل ما في وسعه بعد خلاصهم من المعاناة للاحتفاء بهم وإظهار حالات التقدير والاحترام لهم.

إن الاحتفاء الذي أقامته القيادة القطرية لخالد علي الصالح كان طبيعياً ومطلوباً، لولا هذه الضميمة التي رافقته، والمصيدة التي وضعت على الموائد من أجل الوصول إلى أسراره، فقد تحول من تقليد حزبي مقبول إلى ممارسة لأخلاقية قدرة.

وبغض النظر عن كون خالد علي الصالح، والمبادئ التي يحملها، والعقيدة التي يدافع عنها، ويدخل السجون والمعتقلات من أجلها، ويقضي أكثر من سنتين مغيباً في سبيلها، بغض النظر عن هذا وذاك، فإنه قيادي في بعث العراق قبل أن يسجن، وليس من الإنصاف أن يعامل بهذه الطريقة التي لا تنم عن الذوق والأخلاق، خصوصاً وأنه قد خرج للتو من السجن، ويحتاج إلى الاحتضان وتضميد الجراح.

(١) خالد علي الصالح: على طريق النوايا الطيبة.. تجرّبي مع حزب البعث، ص ١٧٩-١٨٠.

ويواصل خالد علي الصالح حديثه عن اللقاء المرتقب مع علي صالح السعدي
إذ يقول:

«وبالفعل أخبر صاحبنا -صاحب علي وصاحبي- أخبر (علي) بما قلته، ولم يضيع
علي الفرصة، فجاء هو -أي علي- وحازم جواد في مساء أحد الأيام إلى (سلمان باك)
وقالوا بأنهم سوف يبيتون عندنا، وبعد حوالي الساعة، قام حازم جواد ليغادر معتذراً
بأن لديه موعداً ونسي أمره وتذكره الآن، فغادر، ويبدو أنهما حضرا كل بسيارة خاصة
به، وبقي (علي) على أساس أنه سينام عندنا في سلمان باك، وعند المساء تلمس علي
كتفه فقال إنني أعاني من الآلام في كتفي وسبب الألم البرد، ولو نمت هنا فسوف
يزداد الألم، لأن البيت ليس دافئاً بما يكفي، ولهذا السبب فقد اقترح أن نذهب
سويلاً إلى بغداد، ونبيت في أحد بيوت الحزب، وأيضاً فإن شقيقته في الوزيرية تريد
أن تراني، وكانت سيدة طيبة وكريمة، حيث كنا نجتمع في بيتها في الأيام الماضية،
ذهبنا إلى بغداد في سيارته، وعند أول ساحة بعد عبورنا للمعسكر الرشيد، توقف علي
في تلك الساحة، ونزل من السيارة وذهب إلى أحد المخازن ليشتري علبة سجائر،
ثم عاد وفي يده زجاجة (براندي) وقال هذا لن يؤذي المعدة، فرددت عليه، وكنت
أدرك مقدماً الغرض من هذه الرحلة: لو كنت جلبت (ويسكي) لكان أفضل -ولا
أدري هل فهم قصدي أم لا- فقال هذه أفضل لك ولي.

وذهب بنا إلى أمام سينما النصر ليشتري طعاماً، فلما اشترى ذلك الطعام، عاد
بسيارته بالاتجاه الذي جئنا منه، قائلاً: فلنترك زيارة شقيقتي إلى الغد صباحاً
فالوقت الآن متأخر، واتجه صوب بغداد الجديدة ثم تجاوزها وذهب إلى منطقة
المشتل، ودخلنا هناك داراً كان يحمل مفاتيحها، دخلنا الدار وكانت تلك الدار
مفروشة بقناني الويسكي الفارغة، فعادت إلى ذاكرتي أيام الاختفاء الأولى وكيف
كنا نتصرف.

المهم كنا لو حدنا، وقلت في نفسي: سنرى (يا علي) أين سيفقد صوابه أولاً ويدلي بأقواله، وصممت ألا أدعه يسبقني في الشراب، فكنت أفرغ من تناول كأسه قبله ثم أبدأ بتناول الكأس التالية قبله، وبدأ كما كنت أتوقع، يسرد لي قصصاً عن نضاله ونضال حزبه، وكيف أن زملاءه يتآمرون عليه، وأعاد علي قصة الجواسيس الذين تم فرضهم عليه من قبل (ميشيل عفلق) وهنا ذكر اسم سعدون حمادي، ثم انطلق في تصوره للمستقبل: لو أنني قبلت أن أتفق معه فسيكون الحزب طوع أمرنا، ثم أخذ يبكي، ولم أفهم سبباً لبكائه في تلك اللحظة، فأنا لم أنطق بكلمة واحدة أياً كانت، وأخذ بكأؤه يزداد حدة، فأخذت الكأس من يديه وأبعدت زجاجة البراندي بالقليل الذي بقي فيها عنه، وطلبت منه أن يكف عن البكاء ويذهب ليغتسل وينام، فالوقت ليس بوقت حديث عن المستقبل، وفعلاً انصاع وترك الشرب، وذهب ليغسل وجهه وعاد وغرق في النوم حتى الصباح»^(١).

إن الذي استوقفني في الكلام المتقدم ليس حضور الخمرة الدائم في أكثر اللقاءات التي حدثت بينهما، وإنما الدار الحزبية أو الوكر الحزبي، التي يمتلك علي صالح السعدي مفاتيحها، وهي دار خاصة بالحزب، لا يعرفها إلا عدد محدود من الحزبيين القياديين للسرية المطبقة التي يعمل بها الحزب في فترة ما يسمى بالنضال السلبي، وهي الفترة الحرجة التي تمر بها الأحزاب في مراحل عملها السرية، ويكون فيها الحزب في أقصى حالات التأهب والحذر والكتمان.

في هذه الدار لم يجد خالد علي الصالح آلات الطبع ووسائل التثقيف الحزبي، أو حتى الأسلحة المتيسرة التي يحتاجها الحزب وقت الضرورة، وإنما وجد الدار مفروشة بقناني الويسكي الفارغة، ومما يدل أن هذه الدار التي خصصت كمكان لاختفاء الأعضاء في أيام الملاحقة، ولإنجاز الأمور الحزبية والقضايا الهامة، كانت

(١) خالد علي الصالح: على طريق النوايا الطيبة.. تجربتي مع حزب البعث، ص (١٨٠-١٨١).

تؤدي دوراً آخر هو اللهو والمجون، فهي بمثابة نادي سري يقضي فيه السعدي ورفاقه أوقات فراغهم الممتعة، وإن دورها كنادٍ لتوفير المتعة والأنس هي الأساس، أما الأمور الحزبية الأخرى فتأتي استثناءً، ولم يأت هذا الاستنتاج اعتباطاً، وإنما كان مبنياً على مخلفات وآثار كل منهما.

المعروف عن حزب البعث أنه حزب المؤامرات والاعتقالات السياسية، وتصفيات الخصوم ومن يقف في طريقه، وهو يعطي لهذه القضايا الأولوية، في مسيرته السياسية، أما الثقافة فلا يوليها اهتماماً، وإن أعارها اهتمامه فلم يكن إلا في حدوده الدنيا، ولذلك فهو من الأحزاب المصابة بالبوؤس الفكري والجذب الثقافي، وقد واجهت انقلابي شباط ١٩٦٣ مشاكل جمّة سببها الضياع الفكري الذي يعيشه الحزب بعد أن سطا على الحكم في العراق، دون أن تكون له تجربة سابقة، ولم يعد برنامجاً للحكم، فكان هذا التحول أشبه ما يكون بـ(قفزة إلى المجهول) على حد وصفهم لحالتهم آنذاك.

«ولم يجد النظام له سنداً يعتمد عليه في أيديولوجية الحزب، وكان مفكر البعثيين الأول، ميشيل عفلق، قد توقف عن التفكير والتنظير منذ مدة، وكانت الأحداث قد تجاوزت الأفكار التي قد صاغها في الأربعينات والنصف الأول من الخمسينات، وعلى العموم، فحتى هذه الأفكار كانت شديدة العمومية وقليلة التحديد، كما كانت تحتوي على الكثير من بقايا منتجات الطواحين الرومانسية الأوربية القديمة، والقليل مما كان نتيجة للتفكير المنظم بخصوص الوضع الحياتي العربي، وكان للبعثي أن يبحث بلا طائل في كل أدبيات حزبه -مثلاً- عن تحليل موضوعي واحد لأي من مشاكل العراق، ولن يجده، وبدلاً من الفكر، لا يمكنه أن يعثر إلا على شعارات عريضة وغامضة، وبدا وكأن الكل عاجز عن إنتاج الأفكار، على الأقل باللغة المفهومة لشخص شبه عامي مثل علي صالح السعدي،

الذي اشتكى بعد كارثة البعث قائلاً: (لقد فتشنا حتى هلكنا عن مفكرين اشتراكيين يمكنهم أن يساعدونا، ولكننا لم نجد أحداً)، ولم يكن عفلق هو الغاية، فقد كان السعدي ومعظم رفاقه ينظرون إليه على أنه رجل من الطراز القديم ولا صلة له بالواقع، ولأن هؤلاء كانوا فقراء جداً من الناحية الفكرية، فإنهم وضعوا الكثير من الثقة في قواهم الجسدية، وكان الحكم بهذه الطريقة أسهل بكثير، وكان دوستويفسكي قد قال مرة: الأصعب هو امتلاك الفكرة والأسهل هو قطع الرؤوس^(١).

ومما أثار السخرية مرة، أن علي صالح السعدي قال: «لو قرأنا كتاب (الثورة والدولة) للقائد لينين، لما أفلتت منا السلطة، قالها أمام كبار، بعد انقلاب عارف ولجوته إلى سورية من جديد، قالها أمام حضور مؤلف من إلياس مرقص، وإحسان مرّاش، وعبد الرحمن منيف، وياسين الحافظ، وصاحب هذه السطور (حمدان الحمدان)، ردّ مرّاش بأسلوب حمصي ساخر، لماذا لا تقرأوا قبل أن تحكموا، ضحك الجميع وبينهم السعدي (رحمه الله)»^(٢).

وفي الوقت الذي يقال فيه أن الحديث عن علي صالح السعدي يعني الحديث عن حزب البعث العربي الاشتراكي، لأن علي السعدي والحزب وجهان لعملة واحدة لا يمكن الفصل بينهما^(٣)، وذلك للدور الذي لعبه السعدي في قيادة الحزب، نجد أن القيادي البعثي الفلسطيني ناصيف عواد يجرد علي صالح السعدي من بعثيته حينما يقول: «وفي الحقيقة أن السعدي لم يكن ماركسياً ولم يكن بعثياً أيضاً، وهو

(١) حنا بطاطو: العراق. الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، الكتاب الثالث، ترجمة عفيف الرزاز، ص (٣٢٨-٣٢٩).

(٢) حمدان الحمدان: صدام مر من هناك، ص (٢٥-٢٦).

(٣) سيف الدين الدوري: علي صالح السعدي، ص ٩.

المسؤول الأول في رأيي عن قمع الشيوعيين بعد ٨ شباط ١٩٦٣» (١).

وقد ورد هذا الحديث إثر تبني السعدي للمنطلقات النظرية التي أطلقها ياسين الحافظ، ذي الخلفية الماركسية، بعد أن أعلن عن افتقار حزب البعث للنظرية الفكرية أمام عفلق في المؤتمر القومي السادس عام ١٩٦٣. (٢)

وظل حزب البعث، والعراقي منه بوجه خاص، يعاني من هذا المرض الخطير مرض الفقر الثقافي، وإلا ماذا ترك لنا حزب البعث من مراجع فكرية ومصادر ثقافية، خلال عمره الطويل ومنذ أول دخول له في العراق عام ١٩٤٧؟ وقد مرت أكثر من ستة عقود على ذلك الدخول المشؤوم، ألم يخلف لنا الأمين العام للحزب صدام حسين المختارات التي جمعت في عشرة أجزاء عام ١٩٨٨؟ ثم أُضيف إليها إفرزاته للأعوام التي تلت، فظهرت المؤلفات الكاملة في ثمانية عشر مجلداً تضم أحاديثه وخطبه المتناقضة، حتى إن اللجنة التي اختيرت للتصحيح والتشذيب والتنقيح قد عجزت عن إزالة التناقض والخلط والالتباس المبعوث في ثنايا أحاديثه!!

ومع أن صدام يعتبر أكثر ارتباطاً بالكتاب من سلفه في أمانة سر القطر أحمد حسن البكر، وخلفه عزت الدوري، وقد بدأ بالقراءة من وقت مبكر.

سمعتُ المرحوم ممدوح كامل التكريتي يقول: «في عام ١٩٥٨ اعتقل خير الله طلفاح بتهمة التحريض على قتل ابن عمومته سعدون الناصري، وذهبنا إلى زيارته في المعتقل، وفي معتقله وجدنا شاباً طويلاً أسمر اللون يقرأ في مجلة (الهلل) سألت عنه، قيل هذا ابن أخته (صدام)».

(١) سليم النجار: مرافق الذاكرة.. حوارات مع ناصيف عواد.. من رام الله إلى مكتب صدام حسين، ص ٦٥.

(٢) المصدر نفسه: ص ٦٤.

وروي عن صدام نفسه، أن الكتاب كان له خير جليس في سجنه الأخير، شغل أكثر وقته وبدد عنه الملل، «وبدأت ساعات النهار الطويلة، وراء القضبان، تقصر شيئاً فشيئاً عبر رحلات الفكر في (روائع الأدب العالمي) كل نهار كان يبدأ برواية وينتهي بنهايتها، ما أكثر ما قرأ صدام في تلك النهارات الطويلة من كتب الأدب والفكر والفن». (١)

كما أن كل شيء في الوجود يحمل السلب والإيجاب معاً وينسب متفاوتة، أو ترشح منه الآثار الإيجابية والسلبية، وكذلك القراءة فهي نعمة ونقمة، ويستطيع القارئ توجيهها بحسب اهتمامه، وبما يخدم أياً من النجدين لديه، نجدي الخير والشر.

«وفي حديث شخصي، جرى بين الكاتب (باقر ياسين) وبين صدام حسين عام ١٩٦٦، وفي بيت أحمد حسن البكر، حيث طلب (صدام) من الكاتب الانتقال إلى بغداد للمساعدة في القضايا الكتابية والفكرية، وقال خلال الحديث: لقد تركت ورائي في السجن مكتبة كاملة، وعند الاستفسار من صديق مشترك آخر كان مقرباً منه في ذلك الوقت عن طبيعة الكتب التي كان يهتم بها، فقال: أكثر الكتب التي قرأها خلال سجنه تتعلق بمرحلة ستالين!». (٢)

وكانت تلك هي الطامة الكبرى.

أما سلفه أحمد حسن البكر فلم يترك شيئاً يذكر، لأنه أمي ولا يجيد غير الغدر والتأمر، حتى سمي بـ(دودة الانقلابات)، أما خلفه الأمين العام الحالي عزت الدوري فهو خالي الوفاض، ومعروف لكل العراقيين بأميته وتخلفه وتردده على تكايا الدروشة والضرب بـ(الدرباش).

(١) الدكتور أمير إسكندر: صدام حسين.. مناضلاً ومفكراً وإنساناً، ص ٩٠.

(٢) باقر ياسين: الاجتثاث ودكتاتوريات العقيدة الواحدة في العراق، ص ١٨٣.

إن بعث العراق خلال ستة عقود ونصف خلت، منها ثلاثة عقود ونصف كان فيها الحاكم المطلق على العراق، وقد سخر كل ثروات البلاد الهائلة في حروبه شمالاً وجنوباً وشرقاً وبدد فيها كل إمكانيات البلاد الكبيرة، ولم يخصص إلا نزراً قليلاً للفكر والثقافة، يذهب معظمه إلى جيوب كتّاب سيرة الطاغوت، وفي شراء ضمائر رؤساء تحرير الصحف العربية والعالمية التي تغطي ما يسمى بانتصاراته في حروبه المدمرة.

وعلى هذا الأساس لم يجد خالد علي الصالح في وكر الحزب عام (١٩٦١-١٩٦٢) مكتبة تلفت انتباهه، أو مصدراً ثقافياً، أو على الأقل كتاباً، فلم ير من قبيل هذا الشيء البتة، وإنما وجد الدار مفروشة بقناني الويسكي الفارغة، التي عبّ ما فيها السعدي في جوفه، وكذلك فعل الرفاق الآخرون.

وكما هو واضح للجميع، أن أي حزب من الأحزاب يعتمد في موارده المادية على اشتراكات الأعضاء، وتبرعات المؤيدين والأنصار ومن لهم علاقة به، وقد مر بنا أن كل اشتراكات بعث العراق في بغداد بلغت ٤٠ ديناراً، وقد خطفها اللص المختلق مرتين من سترة علي صالح السعدي، ولنفترض أن الاشتراكات قد تضاعفت نتيجة لاختلاف الظروف بين المرحلتين من الناحية الزمانية وأعداد المتتمين للحزب، ولكن مع كل التوقعات فإن الاشتراكات لوحدها لا يمكن أن توفر مستلزمات العمل الحزبي الكثيرة والمتنوعة، وتوفير الحياة الباذخة المأجنة، التي رصدها القيادي السابق في حزب البعث خالد علي الصالح من خلال مخلفاتها المنتشرة في الوكر الحزبي وقال بحسرة: «فعادت إلى ذاكرتي أيام الاختفاء الأولى، وكيف كنا نتصرف» وقد مررنا بذلك في حديثه الآنف الذكر.

إن علي صالح السعدي كان هادفاً في هذا اللقاء الذي تم بينه وبين رفيقه القديم خالد علي الصالح، وذلك من أجل أن يحصل على أسرار مهمة يخفيها عنه رفيقه

خالد، ولكن سعي السعدي باء بالفشل، ولم يستطع أن يصل إلى ما يخفيه رفيقه، بل على العكس من ذلك، فإنه فتح خزانة أسراره، وأعاد عليه ما ذكره من قصة الجواسيس في القيادة، حتى أنه تحت تأثير الخمرة تورط في فضح سعدون حمادي بعد أن عده من الجواسيس الذين فرضهم عليه ميشيل عفلق، وقد ذكرنا ذلك في أحد كتبنا الصادرة، عند تناولنا بالتفصيل الدور المشبوه لسعدون حمادي في الفصل الثاني من كتابنا الموسوم (بطانة السلطان... أشباه رجال في دائرة الضوء)، وبعد أن فضح كل مستور ولم يبق شيء في خزانة أسراره أجهش بالبكاء، وظل يواصل بكاءه الذي لم تعرف أسبابه.

البعثي القيادي الوحيد الذي أخذت الخمرة حيزاً واسعاً من حياته علي صالح السعدي، وما من أحد قد كتب عنه إلا وذكر رفيقته هذه بالتفصيل والإسهاب أو بالإيجاز والاختصار، وقد تكون هي مركز الحديث أو تأتي عرضاً وبدون قصد، ومن خلال هذا السلوك ووجه انتقادات لصاحب هذه السيرة إن تصريحاً أو تلميحاً.

يقول فخري قدوري: «بعد مضي بعض الوقت حدث طرق علي باب شقتي في مدينة كولونيا وكان الوقت ليلاً، وإذا بي وجهاً لوجه أمام عضوي القيادتين القومية والقطرية علي صالح السعدي وحمدي عبد المجيد، وكان قد دلهما علي رفيق في السفارة العراقية بمدينة بون العاصمة آنذاك.

كانت دهشتي كبيرة لهذه المفاجأة، إذ كنت في الواقع علمت من الأخبار قبل أيام من الحدث أن تحولاً وقع في العراق يوم ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٣، وأن علي صالح السعدي أخرج من منصبه كنائب لرئيس الوزراء، وأبعد مع رفيقه حمدي عبد المجيد بطائرة إلى العاصمة الإسبانية مدريد، لكنني لم أكن أتوقع أن يغادر السعدي ورفيقه عبد المجيد مدريد خلسة إلى بون ثم إلى كولونيا.

قدمت لهما الشاي والمرطبات، في الوقت نفسه الذي كان السعدي أخرج من خزانتي زجاجة ويسكي كنت قد تسلمتها هدية من زميل ألماني، كان عبد المجيد قليل الكلام محاولاً التعبير عن هدوئه، فيما كان ألم الأحداث بان على وجهه، وتحدث السعدي طويلاً حول تطور الأوضاع في العراق، وأمله باستعادة الخط (الثوري) داخل الحزب والدولة نفوذه، وعودة الأمور إلى نصابها، وكان هادئ الأعصاب نسبياً، يمارس الضحك والدعابة أثناء الحديث، ويتململ بين الحين والآخر بسبب مضايقة (المسدس) الذي كان يحمله على جنبه، وحين سألته كم من الوقت سيمضي في ألمانيا أجاب إنها فترة وجيزة، وحين انتهى السعدي من تناول المشروب الروحي بالكامل وحده، كان أفرغ ما في قلبه من حديث ليودعني وزميله عبد المجيد بعد منتصف الليل بقليل^(١).

تناولنا من هذا الكلام المتقدم في كتابنا السابق (بعث العراق) خصلة الشجاعة المدعاة في علي صالح السعدي، وقد أثارها فينا حمله المسدس على جنبه وهو يجوب به البلدان من بغداد إلى جنوب أوروبا ثم إلى وسطها، دون أن يستخدمه في أشد الظروف حرجاً، عندما نكّل به رفاقه في بغداد، وخرج منها مذموماً مدحوراً، أما الآن فالموضوع مختلف تماماً، لأننا نتولى بالبحث والنقد الخمرة في عالم السعدي، فالضرورة ألحت علينا استخدام الكلام المتقدم لنقد حالة أخرى، وهي أن السعدي دخل ضيفاً إلى شقة الدكتور فخري قدوري الذي أكرمه وزميله حمدي عبد المجيد بما تقتضيه أصول إكرام الضيوف، ولم يكتف السعدي بذلك، وإنما أخرج من خزانة الرجل زجاجة ويسكي مهداة له، ومن دون استئذانه، ولطمعه يستقل في شربها وحده، وهذا ما أشار إليه قدوري، ومن إشارته ندرك أن السعدي عندما

(١) الدكتور فخري قدوري: هكذا عرفت البكر وصدام.. رحلة ٣٥ عاماً في حزب البعث، ص (٤١-٤٢).

يرى الخمرة يفقد اتزانه، قبل أن يفقد صوابه بتناولها.

ظل السعدي أسيراً للخمرة حتى أخريات حياته، وكان يتناولها بشراهة المدمنين، يقول الدكتور ليث عبد الحسن الزبيدي: «ولعل أغرب ما لاحظته في لقائي مع السعدي، هو مقابلته لي في نادي المنصور صباحاً ومعه قنينة ويسكي بدأ يحتسي منها قائلاً: لن أترك هذا المكان حتى أشرب بطل الويسكي بكامله، وحتى أفقد القدرة على المشي فيأتي جماعتي ليحملونني إلى البيت، وهكذا في كل يوم وعندما تنفذ نقودي وأستفلس أتصل بالرئيس البكر، وأطلب أن يرسل لي المزيد من المال وأقول له: لولاي ما كنتم بمناصبكم هذه»^(١).

يتفاجئ كل من يقرأ هذا الكلام، الذي يعرض شخصية السعدي على حقيقتها، فقد أتى لإجراء اللقاء حاملاً قنينة الويسكي منذ الصباح الباكر، وإن اللقاء قد حدد في وقت سابق، والسياقات تقتضي تأجيل احتساء الخمرة في هذا الوقت لسببين، الأول: إنه يحتاج إلى التركيز وحضور الذهن، للإجابة عما يطرح من أسئلة تخص مرحلة مهمة من تاريخ العراق السياسي المعاصر، الثاني: إن وقت الصباح هو وقت النشاط والعمل والفعالية، ولا يصلح لاحتساء الويسكي وغيره من المواد المسكرة، والتوقف عنه في هذه الساعة يعني احترام اللقاء والضيف، ولو أن الأمور جرت على طبيعتها، فمن غير الممكن أن يحسب الدكتور ليث الزبيدي هذه الحالة الشاذة من علي صالح السعدي من أغرب ملاحظاته، ثم إن السعدي المدعو إلى هذا اللقاء من أجل الاستفادة منه ليكشف عن أمور مهمة كان فيها لاعباً أساسياً في النصف الأول من الستينات، ولكنه جاء ليطلع الطرف الثاني في اللقاء على شذوذه وانحرافه بقوله: لن أترك هذا المكان حتى أشرب (بطل)

(١) صحيفة ١٤ تموز: العدد (١٢٩) من ٩-١٦ تموز ٢٠١٣ من لقاء مع الدكتور ليث عبد الحسن الزبيدي.

الويسكي بكامله، وحتى أفقد القدرة على المشي، فيأتي جماعتي ليحملونني إلى البيت، والأغرب في كل ما كشفه السعدي من فضائح، أن الرئيس البكر كان ضالعا في إمداده بالأموال لتغطية إسراره ليستمر في عبثه وهواه.

في المصادر المتوفرة لدينا والتي تحكي عن حقبة الخمسينات والستينات، سواء كان ذلك في مذكرات السياسيين، وما كتب عن هذه المرحلة من رسائل جامعية أو بحوث أو كتب تؤرخ لهذه الفترة، فإننا في جميعها لن نجد ما يشير إلى أن علي صالح السعدي كان متهاكاً في علاقاته الجنسية كما هو الحال في شراسته في معاقره الخمرة، ولكننا نستشف من الوصف الذي أطلقه الرئيس جمال عبد الناصر عليه في كونه (رجل الملذات) يريد به أشياء أخرى، ولا نعتقد أنه كان قاصداً احتساءه للخمرة فحسب، لأن هذه الحالة كانت معروفة للقاصي والداني، وحالة السعدي هذه واضحة لعبد الناصر وضوح الشمس، وقد شخصها فيه منذ الزيارة الأولى التي قام بها علي صالح السعدي إلى مصر، فجاء في رسالة لعبد الناصر أرسلها بتاريخ ٢٣/٢/١٩٦٣ إلى عبد الحكيم عامر عندما كان في اليمن، قيّم فيها أعضاء الوفد العراقي الذين قابلوه جاء فيها: «إن السعدي قال لطلعت (صدقي) في الأوبرج بعد أن شرب ١٤ كأس ويسكي، إننا لا نريد أن نقابل الرئيس مرة أخرى لأنه بلشف الجميع بكلامه وتحليله، ورغم ذلك سأقابل معهم أول يوم العيد بعد عودتهم من الجزائر وقبل سفرهم (إلى بغداد).

وفي رأيي أنهم شباب يحتاج إلى رعاية وتوجيه، وقد لاحظت أنهم في شدة التعب، لدرجة أن السعدي نام في أول جلسة، عموماً أعتقد رغم أخطاء البعث أن واجبنا أن نحافظ على ثورة العراق، وليس لهم إلا اللقاء معنا»^(١).

(١) محمد حسنين هيكل: سنوات الغليان.. حرب الثلاثين سنة، الجزء الأول، ص (٦٨١-٦٨٢).

إن حالة الفوضى والتسرع والارتجال التي طبعت تحركات فرسان انقلاب ٨ شباط، وهم يغادرون بغداد في وفد رسمي لتهنئة الرئيس جمال عبد الناصر بذكرى الوحدة، وفي شهر شباط نفسه، وقد حدث ذلك بعد أيام من انقلابهم، ومن دون أن يلتقطوا أنفاسهم، اجتمع قليلو الخبرة هؤلاء مع عبد الناصر السياسي المعروف، فكانت المفاجأة أو لنقل الفضيحة، وهي نوم السعدي في أول اجتماع يضمه بعبد الناصر، وقد رصد الأخير ذلك ودونه في رسالته إلى عبد الحكيم عامر، هذه الفضيحة تضاف إلى أخرى مثلها نقلت إلى أسماعه، بأن السعدي شرب ١٤ كأساً من الويسكي، ولمزيد من الاطلاع نضع صورة هذه الرسالة في الملحق رقم (٣) في آخر الكتاب.

ثم توالى الزيارات ولا ندري ماذا كَوَّن عبد الناصر من انطباع عن هؤلاء. كما لا نعتقد أن رجال المباحث المصرية زودوا رئيسهم بهذه الحالة الشاذة فقط، وبنى عليها وصفه الذي جاء بصيغة الجمع (الملذات)، ومن هذا كله نستنتج أن السعدي كان متورطاً بأخريات مثلها، ولكن هذه الأخريات لم تطفح في حياته لتصل إلى مستوى إيغاله النهم في معاقرة الخمرة، وفي هذا الصدد توجد إشارات إلى غير الخمرة في حياة علي صالح السعدي، خصوصاً إذا عرفنا أنه لم يتزوج من هناء العمري إلا بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، وبعد أن تجاوز عمره الخامسة والثلاثين، ومن هذه الإشارات ما جاء على لسان أحمد أبو صالح القيادي البعثي السوري في شهادته على العصر، وهو يصف واحدة من جولات محادثات الوحدة

➤ وهذا الجزء من الرسالة ورد أيضاً في آخر الكتاب في الوثائق، ضمن الوثيقة رقم ٤٦ ص (٩٣٥-٩٣٦) ويخط جمال عبد الناصر نفسه.

أما بالنسبة لـ (طلعت صدقي) الذي ورد اسمه في هذا الجزء من الرسالة فهو ضابط سوري في مكتب الشؤون العربية، وكان مسؤولاً في ذلك الوقت عن تنظيم رحلات الوفود العربية في الجمهورية العربية المتحدة.

عام ١٩٦٣، حيث قال ساخرًا: «عندما كنا منهمكين في النقاش ووصلنا إلى أن نبحت عن تحديد عاصمة الوحدة، وكل منا يريد لها عاصمة بلاده قطعاً، ولكن الجميع فوجئوا بمداخلة علي صالح السعدي عندما قال: نريد دمشق عاصمة للوحدة، وعندما سئل عن السبب قال: فيها نسوان حلوات أي نساء جميلات، فأظهر المخبوء داخل اللاشعور، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه»^(١).

فهو لم يقل أنه اختار دمشق لأنها احتضنت ميلاد البعث وعلى أرضها نشأ وترعرع، ومنها انطلق لتكون له فروع ومن هذه الفروع ما تشكل في بغداد، ولم يقل أن فيها ميشيل عفلق وصالح البيطار وأكرم الحوراني قادة البعث المخضرمين، وإنما قال ما يخفيه تحت طي لسانه، كما وصف أمير المؤمنين علي عليه السلام هذا النمط من الناس بقوله: «المرء مخبوء تحت لسانه»^(٢)، فقال فيها نسوان حلوات، هذا هو الهدف من اختيار دمشق عاصمة للوحدة في تفكير السعدي، بل هو الهدف من قيام الوحدة الشاملة.

«ألقي علي صالح السعدي كلمة الوفد العراقي أمام عبد الناصر.. مشدداً أن تكون الوحدة هذه المرة مدروسة وليست مرتجلة كالوحدة العربية السابقة بين مصر وسوريا، التي انفرط عقدها سنة ١٩٦١، وكان عبد الناصر آنذاك لا يرغب بأي نوع من التعاون مع البعثيين و ينتظر بصبر أن تنتهي تلك الضيافة الثقيلة لـ(علي صالح السعدي) ورفاقه، وفي الليل كان لعلّي ومرافقيه من فرسان القيادة القطرية شأن آخر، فقد رتبت لهم السفارة العراقية ليلة حمراء في شقة (فنانة

(١) الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، المختار من حكمه ومواعظه رقم الحكمة (٢٢) ص ٤٩٠.

(٢) المصدر نفسه: رقم الحكمة (١٣٨) ص ٥١٢.

صاعدة) وكانت غرفة السفرة (الطعام) تزدهم بأنواع المشروبات، ولما توالى كؤوس الطلاء، وتعتج السكر رؤوس السهاري، (اقتربت) الفنانة من علي لتمزح معه، وهي تتقن الدرس الذي (تعلمته) في المخابرات المصرية، فسألته قائلة: يا باشا ما معنى وحدة مدروسة؟ فما كان منه إلا أن ضربها على فخذاها قائلاً لها: هذه هي الوحدة المدروسة^(١)، لقد نالت الوحدة العربية كل التقدير والتبجيل على لسان السعدي وهو يسمي عاصمتها للأقطار الثلاث، وعندما يريد لها وحدة مدروسة ويحدد مكانها.

كانت لنا جولة من البحث والتقصي للأسباب التي ضغطت على عبد الناصر ليصف علي صالح السعدي بـ(رجل المملذات) وبعد مواصلة التدقيق في المقولة، وجدنا أن ردود الفعل لعبت دورها ليرد عبد الناصر على تصريحات بعثية ضد حركة جاسم علوان التي استهدفت حكم البعث في سورية، ودخل البعث العراقي ليؤازر شقيقه البعث السوري في حملة تصريحات سَعَرَت الموقف، وعلى أثرها اشتبك مع عبد الناصر في مهاترات إعلامية صاخبة، وكان ردّه متوقعاً.

وفي خطابه الذي ألقاه في ٢٢/٧/١٩٦٣ بمناسبة العيد الحادي عشر لثورة ٢٣ تموز/ يوليو، هاجم عبد الناصر حزب البعث السوري والعراقي على حد سواء، وفيما يخص بعث العراق قال فيه: «امبارح حتى راديو بغداد اشترك في العملية، راديو بغداد طالع بيقول إن حاجة غريبة خالص، أن جاسم علوان ده راجل المملذات، ودي أبعد حاجة عن جاسم علوان، أما بغداد كل بغداد عارفة مين هو راجل المملذات، والقاهرة أيضاً تعرف مين هو راجل المملذات، مش بس بغداد»^(٢).

(١) لطفي عبد الرحيم: مذكرات سياسي عراقي، ص (٢٧١-٢٧٢).

(٢) صحيفة الأهرام القاهرية في ٢٣/٧/١٩٦٣ نقلاً عن:

سيف الدين الدوري: علي صالح السعدي، نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وسلطة البعث الأولى في العراق ١٩٦٣، ص ٣٧٨.

وفي ختام هذه الجولة أصبحت القناعة واضحة لدينا، بأن عبد الناصر كان قاصداً في رده على بعث العراق وهادفاً فيما يقول، وكانت شخصية السعدي المملوءة بالثغرات والمكشوفة للعيان في إسرافها بالمغامرات العابثة تعطي مجالاً كبيراً لمن يتناولها بالنقد والتجريح، وتساعد خصومها في الوصول إلى أسراره ومواطن ضعفه براحة تامة.

وكان تركيزنا في هذا البحث على الجانب الذي سلب من علي صالح السعدي لبه وظل مسحوراً فيه وهو عالم الخمرة، الذي هيمن عليه وصار أسيره كل حياته، أما الجوانب الأخرى مثل تعاطيه للقمار فكان تركيزنا عليه أقل من الحالة الأولى لأنه يأتي بالمرتبة الثانية، وذلك بحسب ما تعرضت إليه المصادر المتوفرة، وكذلك الأمر بالنسبة لاهتماماته الجنسية التي تأتي بعدهما، أما بالنسبة لعبد الناصر فإن لديه معلوماته الدقيقة التي بنى عليها تصريحه المدوي آنذاك، وهذا ما نشرته وسائل إعلامه في تلك المرحلة.

«وقد أشار عبد الناصر إلى الحفلات التي أقيمت لعلي صالح السعدي والوفد المرافق له في منازل الفنانين كفريد الأطرش ونادية توفيق»^(١) في زيارته الأولى لمصر في ٢٢/ شباط/ ١٩٦٣، ومشاركته في تقديم التهاني بمناسبة عيد الوحدة المصرية السورية.^(٢)

(١) مجلة آخر ساعة، القاهرة، العدد ١٩٦١ في ٤ أغسطس (آب) ١٩٦٣ نقلاً عن:

الدكتورة علياء محمد حسين الزبيدي: العهد العارفي في العراق ١٩٦٣-١٩٦٨، ص ٣٦.

(٢) ليس صحيحاً ما ذكرته الدكتورة علياء محمد حسين الزبيدي في كتابها (العهد العارفي في العراق) فيما يخص أول زيارة قام بها السعدي لمصر في ٢٣/ ٧/ ١٩٧٣، وإنما الصحيح ما ذكرناه أعلاه أي في ٢٢/ ٢/ ١٩٦٣ وليس للتهنئة بثورة ٢٣ يوليو وإنما للتهنئة بذكرى الوحدة المصرية السورية، وفي التاريخ الذي ذكرته الدكتورة علياء وقعت القطيعة بين بعث العراق وعبد الناصر، لذا اقتضى التنويه.

”
الرأي قبل شجاعة الشجعان

هو أولٌ وهي المحل الثاني

أبو الطيب المتنبي

”
لا يوجد سوى قوتين في العالم: السيف والعقل، على
المدى الطويل، العقل هو الذي يهزم السيف

نابليون بوناپرت

**السلوك العنيف والعنف
الدموي في شخصية
علي صالح السعدي**

إن السلوك العنيف وعدم السيطرة على الانفعالات، والغضب الذي لا يقف عند حدود، أفقدت علي صالح السعدي السيطرة على مشاعره في مواطن كثيرة، وبعد أن انضمت إليها قواه الجسمية المتينة، فكان بهذه وتلك مرهوب الجانب ويخشاه الجميع، وقد سهلت هذه الصفات ولوج السعدي إلى ساحة البعث، وكان البعث من جانبه يحتاج إلى أعضاء من هذا الطراز لحاجته إليهم في المواجهات والاشتباكات مع الحركات المنافسة في الساحات العامة والتظاهرات، فكان كل من الاثنين بحاجة إلى بعضهما، فالسعدي يمتلك طاقات بحاجة إلى تفرغها، وحزب البعث من جانبه قد بنى مسيرته على العنف وهو بحاجة إلى هذا النمط من الرجال، وعلى أساس هذه المواصفات طلب الدكتور تحسين معلة من فؤاد الركابي الموافقة على ضم السعدي للحزب.

يقول الدكتور تحسين معلة: «أعود إلى واحد من أبرز أعضاء التكتل، والذي أصبح لاحقاً من أهم الشخصيات السياسية المسؤولة في الدولة العراقية بعد ثورة ٨ شباط ١٩٦٣، التي قادها حزب البعث العربي الاشتراكي ضد سلطة الزعيم عبد الكريم قاسم، ألا وهو علي صالح السعدي، الذي شغل آنذاك منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، فقد كان السعدي كما أسلفت ليس بعثياً، وأنا من كسبه إلى الحزب وهذه الواقعة قصة أوردتها هنا:

في عام ١٩٥٢، زار بغداد وفد طلابي من الجامعة الأمريكية يمثل رابطة العروة الوثقى في الجامعة، وكان معهم ثابت المهائني، وقد تحول معظمهم لاحقاً إلى حركة القوميين العرب، التي ظهر اسمها عقب ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، فنظمت لهم محاضرة في نادي البعث الذي كان يرأسه عبد المجيد محمود، وتولاه فيما بعد عبد الرحمن البزاز، وفي خلال المحاضرة، حدثت ملاسنة بيننا وبين الوفد، فاتخذ علي صالح السعدي موقفاً عنيفاً ومسانداً لنا ضد الوفد، في حين لم يكن آنذاك بعثياً، وقد شعرت بتعاطف نحوه لموقفه هذا، فاقترحت على فؤاد الركابي ضمه إلى الحزب فوافق على ذلك، وربطه به بصورة فردية، ثم تطور وضعه فأصبح عضواً فعالاً في الحزب، لكنه بطبيعته يمتاز بالنزعة الانقلابية، فانضم إلى كتلة الخيزران وقדوري ضد فؤاد الركابي»^(١).

إضافةً إلى العوامل المتقدمة التي ساعدت في انتساب علي صالح السعدي إلى حزب البعث، يتحدث رفيقه وصديقه صفاء محمد علي عن بدايات تلك المرحلة فيقول: «منذ نهاية الأربعينات وبالذات عقب نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ حينما كنا طلاباً في الإعدادية المركزية، وكان من أصدقائنا آنذاك عبد اللطيف العاني، وكان قومياً متحمساً، دائم المواجهة مع الطلبة الشيوعيين في الإعدادية، حتى يصل الأمر به إلى ضربهم، إلا أنه فيما بعد انقلب وأصبح شيوعياً متحمساً وأخذ يتحدث لنا عن الفكر الشيوعي والصراع الطبقي وأهمية العمال والفلاحين في المجتمع، لدرجة أننا تأثرنا بكلامه وثقافته هذه، وذات يوم أعطانا موعداً في مقهى بالباب الشرقي مقابل سينما السندباد، وصلنا أنا وعلي صالح السعدي، وحينها لم نكن نعرف شيئاً عن الحزبية سوى أننا نحمل أفكاراً وطنية، وفي المقهى وجدنا عدنان الراوي أحد دعاة القومية العربية، وحينها أخبرناه بالموضوع، شرح لنا موقف القوميين السليبي

(١) الصباح الجديد، بغداد، العدد (٢٤٩٢) ٦/ شباط/ ٢٠١٣ من مذكرات تحسين معلة.

من الحزب الشيوعي، بسبب موقف الاتحاد السوفياتي والشيوعية الدولية المؤيد لقيام دولة إسرائيل، وهنا بدأ تأثير كلام عدنان الراوي علينا كبيراً، حيث تعاطفنا مع ما طرحه من آراء، وفي تلك الفترة التقينا يعرب فهمي سعيد الشخصية القومية، ونجل أحد قادة حركة رشيد عالي الكيلاني، وأحد العقداء الأربعة أو ما يسمى بالمرجع الذهبي، ودعانا إلى محاضرة قال إنها ستلقى في نادي البعث، في منطقة العيواضية ببغداد، وحينما وصلنا أنا وعلي صالح السعدي إلى هناك، دخلنا النادي، حيث وقف كما أتذكر باسل الكبيسي الشخصية القومية يتحدث عن المسألة القومية، وموقفها من قضية فلسطين، ودعا إلى الثأر لذلك، وحينما أكمل الكبيسي محاضرتة، وقف شخص أسمر نحيف وصغير الجسم ليعقب على حديث الكبيسي، فقال له: أنت تدعو إلى الثأر، فما هي الوسائل المادية لديكم لتحقيق ذلك؟، وأضاف: نحن في حزب البعث لدينا كذا وكذا.

أعجبنا بطرح هذا الشاب النحيف وبأفكاره، ولم نكن نعرف آنذاك شيئاً عن حزب البعث، وأبدينا تأييدنا لما طرحه هذا الشاب، الذي عرفنا فيما بعد اسمه كريم محمود شنتاف، حتى أن يعرب فهمي سعيد عاتبنا، وقال لنا: أنا أدعوكم معنا وأنتم تؤيدون شنتاف.

وعقب انتهاء الندوة تحدثنا مع كريم شنتاف، وأبدينا له رغبتنا في الانضمام إلى البعث، وبالفعل فقد تم إلحاقنا بتنظيمات البعث، وكان أول مسؤول لنا هو عدنان العزاوي، إلا أن العزاوي هذا كان كسولاً، وكنا متحمسين فهو أحياناً يترك الاجتماع بنا، ويذهب إلى السينما، إذ كان من رواد دور السينما إذ لا يعرض فيلم إلا ويذهب لمشاهدته.

وعن ترديد قسم العضوية في حزب البعث... أتذكر التقى بنا فؤاد الركابي،

ورددنا معه أنا وعلي صالح السعدي قسم العضوية، بحضور علي ما أتذكر جعفر قاسم حمودي وتحسين معلة، إلا أن الركابي قال لنا في الحزب لا توجد علاقات شخصية، لذلك فسيكون كل واحد منكم في حلقة، وهذا ما تم فعلاً»^(١)

حزب البعث حقل خصب للأمراض الحركية الفتاكة، ومن الأمراض التي أصابته مبكراً، وهو لا يزال في مرحلة نموه المريب، التكتل والمحورية، وهما مرضان خطيران يفتكان بأي مكون يصيبانه، وقد وجد السعدي ضالته في حزب البعث، فانتفى إليه، بعد أن أيقن أن الحزب يمكن أن يكون سبيلاً لتحقيق مآرب شخصية وطموحات فردية، فانضم إلى أول تكتل بدأ بالظهور في حياة الحزب، لأن السعدي مجبول على المغامرة العنيفة والمبادرة في تعزيز المحاور، وهما حالتان سلبيتان يمكن ملاحظتهما على امتداد حياته الحزبية.

لم تكن بقية الأحزاب بمنأى عن الإصابة بهذا المرض العضال، مرض المحورية، الذي كان وراء مشاكل بالغة التعقيد في مسيرة بعث العراق، وإذا استطعنا تشخيص علي صالح السعدي باعتباره أبرز المتلبسين في تبني هذه الظاهرة الخطيرة التي عصفت ببعث العراق عام ١٩٦٣ وأسقطته، فإن آخرين صنوه موجودون في الأحزاب الإسلامية والقومية والوطنية كانت لهم أدوار مماثلة، يمكن لأصحاب الاختصاص بتاريخ هذه الأحزاب أن يحددوا لنا هؤلاء المحوريين ودورهم في تصديق أحزابهم وتمزيقها.

بدأ علي صالح السعدي حياته الحزبية حاداً متطرفاً، يثير المشاكل داخل الحزب لأتفه الأسباب، متسرعاً لا يحسب للتأني أي حساب، طموحاً لاحتلال الموقع

(١) سيف الدين الدوري: علي صالح السعدي نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، وسلطة البعث الأولى في العراق ١٩٦٣، ص (٢٣-٢٥).

الأول في اللجنة أو القيادة، لذلك كانت نزاعاته تترى مع مسؤوليه، متخذاً من تبني سياسة المحاور سلماً يرتقي فيه.

«وفي يومي ٢٥ و٢٦/٦/١٩٥٥، كُيس الوكر الطباعي للحزب في دار نجاد الصافي في الأعظمية، ودار جاسم محمد حمزة في الكرادة، فأوقف على أثرها (٢٢) حزبياً من ضمنهم فؤاد الركابي وجاسم محمد حمزة، وبقي من أعضاء القيادة القطرية، جعفر قاسم حمودي، تحسين معلة، وشمس الدين كاظم خارج التوقيف، وكان تحسين معلة مكماً في دراسته وعلى أبواب الامتحانات في الكلية الطبية، فتم الاتفاق على قيام عضوي القيادة القطرية بإدارة كل العمل الحزبي بالمداولة معه، وبعد أن خفت الملاحقات من قبل أجهزة السلطة، زار تحسين معلة فؤاد الركابي أمين سر التنظيم وهو في الموقف، واتفقا على تصعيد سجاد الغازي، من مكتب الاتصال الخارجي ليكون عضواً في القيادة القطرية ومسؤولاً عن مكتب الاتصال الخارجي، وعهدت إليه مسؤولية الرفاق الموجودين في معسكر السعدية وهم: علي صالح السعدي، زكي الخشالي، حكمت البزاز، حميد خلخال، ودحام الآلوسي، كما تم الاتفاق على خروج جاسم محمد حمزة من القيادة القطرية ضماناً لأمنها.

وحدث خلاف حزبي بين سجاد الغازي مسؤول مكتب الاتصال الخارجي، وبين علي صالح السعدي الذي احتج على تعيين مسؤول عليه، وكان يعد نفسه أقدم منه حزبياً وأكثر منه نضالاً، ففضل سجاد الغازي أن يكون بعيداً عن المسؤولية، وبذلك خرج من القيادة القطرية»^(١).

هذا السلوك الفوضوي في المعايير الحزبية، الذي لا ينم عن إخلاص ومبدئية، وإنما يترشح منه اللهاث وراء المصالح الذاتية، ساهم في إحباط قرار أمين سر

(١) حامد قاسم محمد الجبوري: نشأة حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق، ص (٦٢-٦٣).

القطر فؤاد الركابي، والذي تضامن فيه من خارج السجن، المتبقي من أعضاء القيادة القطرية في تصعيد سجاد الغازي إلى القيادة المذكورة، بعد أن ظهر التصدع واضحاً في البنية الحزبية من خلال الاعتقالات المفاجئة، ولكن علي صالح السعدي لم يترك قيادته تسترد نفسها وترمم وضعها في سد النقص الحاد فيها، ليدخل صراعاً جانبياً مع سجاد الغازي بحجج واهية وغايات شخصية، يضطر فيه الأخير لترك مسؤوليته في القيادة القطرية.

وفي الوقت ذاته سرعان ما أطلق سراح جعفر قاسم حمودي من الاعتقال، لأنه أعطى براءة من الحزب الشيوعي الذي لم يكن عضواً فيه، وكان ذلك رضوخاً لأمر السلطة مقابل إطلاق سراحه، وعاد جعفر إلى عمله بالحزب واستمر بنشاطه، دون أن يحاسب على تصرفه، ودون أن تحرك القيادة ساكناً ضده، بعد أن تركت الحبل على الغارب، فاحتج الأعضاء خارج القيادة على سكوتها، كما احتجوا أيضاً على تصرف جعفر قاسم حمودي داخل السجن واعتبروه سلوكاً متخاذلاً.

يقول خالد علي الصالح: «وأثناء احتجاجنا على سكوت القيادة عن تصرف جعفر، ظهر شخص إلى جانبنا في احتجاجنا، إلا أنه تصدر تلك الحملة على القيادة، حيث كان أكثرنا اندفاعاً في الاحتجاج والسخط والمطالبة بفصل جعفر من الحزب، وكان هذا الشخص هو علي صالح السعدي - لم أكن أعرفه من قبل - وقيل لنا إنه طالب في كلية التجارة، وكان من بين الطلبة الذي أرسلتهم الحكومة إلى دورة سكرين»^(١).

لم يترك السعدي أية فرصة يستطيع فيها إشباع حاجته في سعيه المحموم للوصول إلى المركز الأول في القيادة، مهتبلاً هذه الفرصة في إعلان معارضته أو احتجاجه أو غير ذلك من الوسائل، ولقد كان فؤاد الركابي هدفاً في صولاته

(١) خالد علي الصالح: على طريق النوايا الطيبة، ص ٤٣.

الاحتجاجية وسخطه، فبعد أشهر معدودة من استيزار الأخير في حكومة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ طالبه السعدي بالاستقالة.

يقول خالد علي الصالح: «تواصلت الحملة ضد التيار القومي، فتم إقصاء عبد السلام عارف من الوزارة وإبعاده إلى خارج العراق، كما تم إخراج فؤاد الركابي من وزارة الإعمار وتعيينه وزيراً للدولة، وهذه ضربة موجهة مباشرة من السلطة إلى التيار القومي، وعلى هذا الأساس اجتمعت قيادة الحزب لمناقشة هذه الخطوة المعادية، واتخاذ موقف للتعبير عن معارضة هذه الخطوة، وعند اجتماع القيادة، تم طرح رأيين أحدهما يدعو إلى استقالة فؤاد الركابي من الوزارة، والآخر طالب باستمراره في الوزارة مع الاستعداد لاستقالته بعد فترة من الزمن، وعندما طرح هذا الأمر للتصويت لم يصوت مع الاستقالة سوى (علي صالح السعدي) حيث طلب استقالة فؤاد من الوزارة تضامناً مع عبد السلام عارف، أو احتجاجاً على إخراجهم، ولا أتذكر أن أحداً من الحاضرين قد أيد (علي السعدي) في موقفه...

وبقي علي صالح السعدي على موقفه مطالباً باستقالة فؤاد، وبصراحة لا أتذكر إن كان حازم جواد قد صوت مع علي أم لا، المهم أن القيادة صوتت باستمرار فؤاد في الوزارة، ومع هذا فإن علي صالح السعدي لم ينصح لرأي الأكثرية، فأخذ يتصرف بصورة تتنافى مع قواعد الانضباط الحزبي، وفي الجلسة التالية للقيادة تمت مناقشة (السعدي) على تصرفه ذلك وعدم التزامه برأي الأغلبية، وقد طالبته بأحد أمرين: إما أن يستمر بالعمل مع الالتزام برأي الأكثرية، لكي يعطي لنا الفرصة على تركيز جهودنا للإعداد للمرحلة القادمة، فيرى إن كانت الأغلبية على صواب أم خطأ، فإذا اتضح خطأنا فأننا أول من يتنحى عن أية مسؤولية في الحزب وأعترف بخطأي، وإذا أصر على سلوكه هذا -وهو الأمر الثاني- فأننا أقترح تجميده، وحتى نرى أي جانب منا على صواب، وبالفعل تم تجميد علي

صالح السعدي وإخراجه من القيادة القطرية، وكانت هذه هي المرة الأولى التي نختلف فيها بهذا الشكل، وفي الواقع فإنني كنت أرى في اندفاع علي بمطالبته باستقالة فؤاد من الوزارة، أمراً لا يتعلق بمصلحة الحزب»^(١).

لم يكن هذا بداية الخلاف، أو كما يقال القشة التي قصمت ظهر البعير، وإنما سبق لعلي صالح السعدي أن اتخذ موقفاً شديداً ضد فؤاد الركابي، عندما دخل في التكتل المؤتلف ضده والمكون من فخري قدوري وفيصل حبيب الخيزران، في المؤتمر القطري الأول المنعقد في كانون الأول ١٩٥٥، كما مر بنا في ما تقدم من كلام لتحسين معلة.

إن الكلام المتقدم قد وقعت أحداثه بعد ثورة ١٤ تموز، وعندما يعبر عنه خالد علي الصالح بقوله: «كانت هذه هي المرة الأولى التي نختلف بها بهذا الشكل» فهو يقصد الخلاف في القيادة القطرية المنتخبة في المؤتمر القطري الثاني المنعقد في آذار ١٩٥٨، وهو لم يكن عضواً في القيادة القطرية السابقة التي وقع فيها خلاف أيضاً.

وإذا كنا قد نوهنا إلى الأسباب التي تضغط على السعدي وتدفعه لالتخاذ مثل هذه المواقف، فقد كشفها أكرم الحوراني واضعاً يده على الجرح وهو يقول: «لقد تعرفت على علي صالح السعدي بمناسبة قبل ثورة الثامن من شباط؛ كانت الأولى في منزل عبد الغني قنوت قبيل استقالتنا من حكومة الوحدة، وقد حاولت يومذاك التوفيق بينه وبين فؤاد الركابي، وعندما سألته عن أسباب الخلاف بينهما قال لي: إن هذا الخلاف بسبب عقلية الركابي البرجوازية، فهو يسمح لشرطي الوزارة أن يفتح له باب السيارة.

كان ذلك حجة مضحكة من علي صالح السعدي، فقد كنت مدركاً أن الخلاف

(١) خالد علي الصالح: على طريق النوايا الطيبة، ص (٨٣-٨٥).

بينهما هو على رئاسة الحزب وبتحريض ودعم من ميشيل عفلق، إذ أن فؤاد الركابي في تلك الفترة كان مقرباً من جمال عبد الناصر»^(١).

إن صفة التناقض في القول والفعل صفة ذميمة لا يمكن للسياسي أن يعتمد عليها، وهي قد تتطور إلى الكذب، وإلا كيف يمكن أن نوفق بين ما ذكره السعدي كسبب من أسباب خلافه مع فؤاد، ويعتبره سلبية ينتقص فيها منه، وبين ما ذكره في مكان آخر معتبراً تصرف الركابي إيجابية تحسب له، وهذا ما دونه خالد علي الصالح قائلاً: «ومن الطريف أن فؤاد قد حضر إلى اجتماعنا بسيارة الوزارة، وعلقت في ذهني ملاحظة علي صالح السعدي عندما استدار فؤاد إلى الجانب الآخر ليدلف إلى السيارة، وذلك بدلاً من الصعود إليها من الباب الذي قام بفتحه سائقها، فقال السعدي: إن فؤاد بتصرفه هذا قد أثبت أنه سيبقى شعبياً في سلوكه على الرغم من منصب الوزارة»^(٢).

هل يوجد تناقض أشد من هذا الذي يختلف فيه السعدي اختلافاً بيناً، فنسمع له رأيين في موضوع واحد لا يستحق هذا الاهتمام.

وعندما دب الخلاف بين عفلق وفؤاد الركابي، سرعان ما خفَّ السعدي للاصطفاف مع ميشيل عفلق، وبإيعاه بشكل مطلق وذاب فيه، ولم يطق أن يسمع أحداً ينتقده، وقد عنف رفيقه هاني الفكيكي عندما اكتشف خطورة نهج عفلق على مستقبل الحزب، وحول هذا التحذير يقول الأخير: «كان أول من صارحته علي صالح السعدي، الذي حذرني من مفاتحة أي حزبي آخر بذلك، مضيفاً إنه عفلقي، وسيبقى معجباً بعفلق مؤمناً به مهما حدثته عن عيوبه»^(٣)، وهكذا انحدر

(١) أكرم الحوراني: مذكرات أكرم الحوراني، المجلد الرابع، ص ٣١٤٨.

(٢) خالد علي الصالح: على طريق النوايا الطيبة، ص ٧٢.

(٣) هاني الفكيكي: أوكار الهزيمة.. تجرّبتني في حزب البعث العراقي، ص ٢٠٧.

في تقديس عفلق والاندكاك فيه، تبعاً لما عُرف عنه من مزاجية ونفس مسكونة على حب الخلاف والصراع من جهة، ومجبولة على صنع التكتلات والمحاور من جهة أخرى، ومن خلال متابعة فصول حياته نجد أنه لا ينفك عن العمل على أساس المحاور، فلا يمكن أن يبرز محور في البعث إلا ويكون السعدي طرفاً فيه، وعندما لمس عفلق هذه الصفات فيه استخدمه كأداة لتحقيق مآربه ضد خصومه، وفي صراعه مع فؤاد الركابي ضم إليه آخرين كفيصل حبيب الخيزران، وبعد أن حشدتهم في المؤتمر القومي الرابع من أجل إسقاطه، وكانت طريقة عفلق المعتمدة هي اللعب على التناقضات، وقد جنى عفلق فوائد كبيرة من استخدامه لهذا التكتل، وكان ذلك قبل أن يبرز صدام حسين في عالم الحزب والسياسة، وقد أدرك عفلق في حاسته السادسة أن هذا القادم الجديد يفوق رفاقه جميعاً في إمكاناته التي لا تتوفر عندهم، فبدأت علاقته به بتقريبه والاعتماد عليه، أما علي صالح السعدي وكتلته فأخذ يتخلص منهم بالتدرج، ويلفظهم واحداً تلو الآخر لفظ النواة، ولا أدل على تحليه عن السعدي بعد أن استنفد كل ما يحتاجه منه، من ازدرائه ونقده العاصف له في المؤتمر القطري الاستثنائي السوري، عندما وجه كلامه لعلي صالح السعدي قائلاً: «من المؤسف أن أضطر إلى القول بأن الرفيق علي مطبوع على الدسائس».^(١)

ظل السعدي على موقفه العدواني من فؤاد الركابي حتى بعد أن ترك الأخير حزب البعث، ومن أسوأ ما عمله مع أمين سر القيادة القطرية الأسبق، الذي يُعد الباني الحقيقي لبعث العراق خلال عشر سنوات حافلة بالعمل الدؤوب والنشاط المكثف، وجاء السعدي ليستورث حزباً قوياً، وبني تنظيمية متينة، كان فؤاد قد بذل

(١) صحيفة المحرر، دمشق، ١٧-٢٠ آذار ١٩٦٤. نقلاً عن: سيف الدين الدوري: علي صالح السعدي، نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، وسلطة البعث الأولى في العراق، ص ٦٢٢.

جهوداً مفضية في بنائها، والسعدي نفسه مدين في تكوينه البعثي لفؤاد، الذي تفرغ له وأولاه اهتماماً خاصاً، وخصص له من وقته في علاقة اتصال فردية من أجل نميته سياسياً وفكرياً وتنظيمه حزبياً، ولكن السعدي بقي أسير نزعتة الفوضوية وسلوكه المتطرف، الذي ظهر بشكله السافر في الأيام الأولى للانقلاب، ويمكن أن نقف على واحدة من تجاوزاته الصارخة على فؤاد الركابي، التي يدونها حازم جواد قائلاً: «الشرح الثاني حدث عندما عاد فؤاد الركابي رئيس حزب البعث الأقدم، والمحكوم بالإعدام في عهد عبد الكريم قاسم إلى دمشق في طريقه إلى بغداد، لا أعلم حتى الآن كيف التقى علي السعدي بالركابي في العاصمة السورية، فأغظ له بالكلام وهدده بأنه لن يسمح له بالعودة إلى العراق، وفي إحدى الليالي كنت وطالب الشيب في فندق (أمباسادور) عندما دخل علينا مدير أمن بغداد المقدم محمد الحلو، وأبلغنا أن فؤاد الركابي وصل إلى مطار بغداد، وأن علي صالح السعدي أصدر أمراً باعتقاله وتسفيره في اليوم التالي إلى القاهرة، عقدت الدهشة لساني، فقبل يومين كان وزير التجارة العراقي شكري صالح زكي في مكنتي برفقة وزير التجارة البريطاني، الذي كان يزور العراق، وأبلغني بنية فؤاد الركابي العودة إلى العراق، وما إذا كان هناك مانع دون ذلك، فأكدت له أنه مرحب به كونه مناضلاً ورئيساً سابقاً للحزب، فكرت بإصدار أمر مضاد لأمر علي وأن أطلب منه طرح الموضوع في القيادة، ولكن طالب نصحني بالأثير أزمة مع علي السعدي، لأن مرؤوسيه لن يأخذوه على محمل الجد بعد ذلك، وأعيد فؤاد الركابي إلى القاهرة»^(١).

﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾^(٢).

(١) صحيفة الحياة، العدد ١٤٩٣٢ في ١٤/٢/٢٠٠٤ الموافق ٢٣ ذو الحجة ١٤٢٤ مذكرات حازم جواد.

(٢) القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية ١١١.

إن ما جرى على فؤاد الركابي من تخويف وعدم السماح له بالنزول من الطائرة وتهديده بالعودة من قبل رفيقه علي صالح السعدي، قد جرى هذا المشهد على السعدي نفسه بعد سنوات قليلة.

تقول زوجته هناء العمري: «إنها التقت رئيس الوزراء ناجي طالب، وأخبرته بنية علي صالح السعدي العودة إلى العراق، وأنه على استعداد لتقديمه إلى المحكمة، فيما إذا كانت هناك أية تهمة ضده، فأجابني بأن الوضع محتقن ولن نستطيع السماح له بالعودة.

وتضيف هناء العمري قائلةً: فأجبت ناجي طالب: ولكن لا يجوز أن تمنعوا شخصاً هو يطلب تقديمه للمحاكمة إذا كانت هناك تهمة ضده، فكرر رفضه لعودة السعدي»^(١).

«وفي بداية أيلول (سبتمبر) ١٩٦٧، أغلقت حكومة الفريق طاهر يحيى الدعاوى المقامة ضد (٩) من المسؤولين خلال حكم حزب البعث في العراق عام ١٩٦٣، بموجب مرسوم جمهوري أصدره الرئيس عبد الرحمن عارف، وهم: علي صالح السعدي نائب رئيس الوزراء، ووزير الداخلية، وقائد القوة الجوية العميد حردان التكريتي وحميد خلخال وزير العمل والشؤون الاجتماعية، والدكتور مسارع الراوي وزير الإرشاد، والمقدم منذر الوندائي القائد العام للحرس القومي، وهاني الفكيكي عضو القيادة القطرية لحزب البعث، وعمار علوش، وبهجت شاكر»^(٢).

«يقول فهمي محمود شكري: ولما عدت إلى بغداد في نهاية عام ١٩٦٣، كان علي السعدي في داخل الأزمة التي أدت إلى إبعاده عن العراق، ولم ألتق به إلا بعد

(١) سيف الدين الدوري: علي صالح السعدي، ص (١٦-١٧).

(٢) المصدر نفسه: ص ١٦.

عودته من منفاه عام ١٩٦٧، إذ في يوم من أيام ذلك العام كنت جالساً كالمعتاد مع صديقي وقريبي ضابط الشرطة حسن عبد الجبار في مقهى ياسين، تلك المقهى التي كانت أشبه بالمقر العام لـعلي صالح السعدي ورفاقه وأصدقائه، والتي كانت تضم منضدة للعبة البلياردو، وكان علي السعدي من المولعين بهذه اللعبة وكان يجيدها إجادةً تامةً ومتفوقاً فيها، جاءنا أحد الأصدقاء، وقال لنا إن علي صالح السعدي، قد عاد إلى بغداد على متن طائرة حطت في أرض مطار المثني، ولم يسمح له في بداية الأمر بالنزول من الطائرة، وطلبت منه سلطات الأمن في المطار العودة على الطائرة نفسها، ولم يكن من السهل طبعاً أن تغادر الطائرة، وبقيت جاثمة على أرض مطار بغداد -مطار المثني سابقاً- وعلمنا بعدها أن علي السعدي والآخرين الذي أبعادوا معه من رفاقه، قد صدر قرار من الحكومة العراقية بالعمفو عنهم وعودتهم إلى الوطن، إلا أن سلطات الأمن في المطار، لم تبلغ بهذا القرار وأخبرت مديرية الأمن العامة، حيث جاء إلى المطار مديرها العام أنور ثامر العاني، وهو من أقرباء رئيس الجمهورية آنذاك عبد الرحمن عارف، وبعد اتصالات بين أنور ثامر ورئيس الجمهورية انتهت المشكلة، وعاد علي السعدي إلى بغداد.^(١)

فيما تقدم وقفنا على السلوك العنيف والتصرف لفظ لـعلي صالح السعدي ضد مسؤول حزبه الأول فؤاد الركابي، وكان الأمر سيان لديه وفؤاد يقود الحزب، أو بعد تنحيه وابتعاده عنه، وإذا كانت تجاوزات السعدي على الشخص الذي هيا له أسباب الصعود في الحزب، ومكّنه سياسياً وتنظيمياً قد احتلت مساحات واسعة، لنا أن نتصور مدى هذا السلوك العاطفي العدواني مع الآخرين.

إن السعدي بتناوله لبعض الأعمال الصغيرة الهابطة التي لا يتناسب القيام بها مع موقع رجل الدولة، ولا تليق بسمعة الوزير، فضلاً عن كونه نائب رئيس

(١) سيف الدين الدوري: علي صالح السعدي، ص (١٥-١٦).

الوزراء وأمين سر القطر، لأنه بهذا أهان نفسه وأدان موقعه الحزبي والرسمي، ونخص بالذكر تلك الأعمال التي مارسها بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣.

وفي واحد من التصرفات اللامسؤولة التي تقمص فيها علي صالح السعدي دور الشرطي، فأنتجت مشادة كلامية كادت تتطور إلى نتائج سيئة جداً، بين نائب رئيس الوزراء والأمين القطري علي صالح السعدي، وبين عضو المكتب الفلاحي والأمين القطري لاحقاً صدام حسين.

يروى هذه الحادثة صديق صدام حسين، إبراهيم الزبيدي قائلاً:

«حضرت ذات مرة لقاءً ساخناً بينهما بالمصادفة، ففي حفل كان مقاماً على قاعة مسرح الخلد ببغداد، برعاية أمين سر القيادة القطرية نائب رئيس الوزراء ووزير (الإرشاد) علي صالح السعدي، كنت المذيع المكلف بنقل فقراته إذاعياً وتلفزيونياً وعريفه أيضاً، وبعد أن قدمت مطرباً، توقعت أن لا ينتهي قبل ساعة على أقل تقدير، أردت أن أستريح وأن أتمشى قليلاً في حدائق القاعة، فوجئت بصدام وأحمد طه العزوز يقفان على جانب سلم مدخل القاعة، يتسكعان ويتفرجان على الداخلين والخارجين، وقفت أسلم عليهما وأتبادل معهما الحديث، فإذا بعلي صالح السعدي يخرج من القاعة في تلك اللحظة مغادراً قبل انتهاء الحفل الذي يرعاه، وحين شاهدنا استدار واقترب منا مؤنباً ومعنفاً ومتهماً إيانا بقلة الأدب والتحرش بالنساء، أما أنا فقد اعتذرت منه، وهممت بالعودة إلى داخل القاعة، أما صدام فقد تصدى بهدوء بالغ لأمين عام حزبه علي السعدي وفاجأه متحدياً: إذا لم تحرس وتنقلع من هنا فسوف أهينك على مرأى من حراسك وبقية الناس، صمت علي بضع ثوانٍ أظنه حسبها مع نفسه، ففضل تلافياً الفضيحة، ثم استدار وغادر المكان دون كلام، بعدها عاتبت صدام لأنه أشركني في موقف التحدي والمشاكسة، وعرضني للفصل من وظيفتي، فرد عليّ ساخراً مني ومن القادة

(الجبنة) الذين أخشى أذاهم، وكان لا يتوقف عن السخرية من علي السعدي ومن أعضاء آخرين في القيادة وينعتهم بالجبنة والنفاق.

لذلك كان طبيعياً ومنطقياً أن ينخرط صدام، وعلى الفور، في أي عمل ينال من تلك القيادة، وقد شارك بفاعلية وحماس في الانقلاب الذي ما يزال البعثيون يعتبرونه عملاً خيانياً ويطلقون عليه اسم (ردة تشرين)، الذي قام به عبد السلام عارف والعسكريون البعثيون طاهر يحيى ورشيد مصلح وأحمد حسن البكر وحردان التكريتي ضد الحزب والحرس القومي»^(١).

إن الإنسان ينتظر وهو ينتمي إلى أي حزب من الأحزاب أفكاراً جديدة وروحاً وثابة ومنظومة قيمية، تضاف إلى كيانه على المستوى الشخصي، وفي علاقته العضوية مع بقية المنتسبين أو مع المواطنين عامة، ويشعر الفرد أن مجموعة من الصفات والخصال والأعراف الحركية الكامنة أو المفقودة لديه تبدأ بالظهور التدريجي بعد انتسابه الحزبي، وهذا هو السائد في الأحزاب السياسية، ولكن هذا الأمر يكاد يكون مفقوداً تماماً في تقاليد حزب البعث العراقي، وكل ما تقدم هو دليل صارخ في الرد على المعاندين الذي يعتقدون أن حزب البعث أضاف منظومة قيمية جديدة كان المجتمع العراقي أحوج ما يكون إليها، وعلى العكس من ذلك تماماً، إن بعث العراق انقلب على مئول وخلال وأعراف كان المجتمع قد ورثها من تعاليم دينه الحنيف ومن تقاليد عروبه وحضارته فطمسها، واستبدل مفاهيم غيرها، فتحوّلت الوشاية المحرمة في الدين الإسلامي، والذميمة في التراث العربي إلى واحدة من خصائص العمل الثوري، وعلى ضوء ذلك صار الحزب والمجتمع كله ساحة لحركة التقارير الكيدية والانتقامية.

في الصفحات القليلة الماضية، قرأنا كيف تعامل علي صالح السعدي مع

(١) إبراهيم الزبيدي: دولة الإذاعة. سيرة ومشاهدات عراقية ١٩٥٦-١٩٧٤، ص (٢٨٥-٢٨٦).

مسؤول البعث السابق فؤاد الركابي معاملةً قاسيةً خاليةً من الذوق والأخلاق، ولا تتم عن لياقات رجل الدولة، ووقفنا على العلاقة الحزبية المتطورة التي ترشحت عنها خصائص التخاطب الرفيع بين علي السعدي وصادق حسين، في الفترة التي يقود فيها حزب البعث العراق، وهما ينفذان هذه العملية كل من موقعه، ثم يخلف صدامً علياً في قيادة الحزب والدولة لاحقاً.

ظل منسوب تجاوزات علي صالح السعدي ومخالفاته في تصاعد مستمر، وتعدت هذه المرة حدود العراق إلى سورية بعد انقلاب آذار ١٩٦٣، للإساءة إلى قائد سابق في حزب البعث، وهو في ذات الوقت أحد الساسة المعروفين، وذلك بتلفيق قضية واصطناع تهمة، كانت من نسج خيال قادة البعث في سورية وتنفيذ علي صالح السعدي، من أجل تشويه سمعة ذلك السياسي وإسقاطه سياسياً.

يقول حازم جواد: «نقلت وكالات الأنباء في بداية آذار تصريحاً لعلّي صالح السعدي، بأنه عثر على وثائق خطيرة في مكتب عبد الكريم قاسم، تفضح علاقة أكرم الحوراني به، وتؤكد تسلمه مبالغ مالية كبيرة من الزعيم، وكانت الوثائق التي عثر عليها في مكتب عبد الكريم قاسم جميعها موجودة في حوزتي، ولم أجد شيئاً فيها من هذا القبيل، اتصلت بالسعدي وسألته عن هذه الوثائق المزعومة، فقال: لا توجد وثائق، ولكن الإخوان السوريين (يقصد قيادة ٨ آذار) طلبوا مني أن أصرح بذلك للتشهير بأكرم الحوراني، فقلت له: إننا لسنا بوقاً لهؤلاء، وإذا كانت هناك فعلاً وثائق موجودة فليحققوا بها مع أكرم الحوراني، ولا ينسبونها إلينا، هذا الأمر غير صحيح وسأضطر لتكذيبه»^(١).

إن علي صالح السعدي لم يأخذ العبرة من الخطأ الذي وقع فيه وهو يقصف

(١) جريدة الحياة: العدد ١٤٩٣١، الجمعة ١٣ شباط ٢٠٠٤، الموافق ٢٢ ذو الحجة ١٤٢٤ هـ
مذكرات حازم جواد.

أكرم الحوراني قصفاً عشوائياً، بعد أن وجه إليه تهمة لم تثبت صحتها، وكان عليه أن يأخذ الدرس وألا يدس أنفه في مشاكل يصعب عليه التخلص منها، ولكنه تمادى في تصرفه اللامدروس ليوجه مدفعه الرشاش خارج الحدود أيضاً وباتجاه جمال عبد الناصر بالتحديد، وبواسطة محطة إذاعة سببت له مشاكل هو في غنى عنها، وقد سبق له أن أثار مشكلة أحرقت اليابس والأخضر، وأتت على المتبقي من العلاقة الهشة بين حزب البعث وجمال عبد الناصر، من خلال برقيته المشهورة إلى قيادة ٨ آذار في أعقاب حركة جاسم علوان ضد حكم البعث في سورية، التي جاء فيها عبارته الشهيرة: «سحقاً لهم حتى العظم»^(١)، ولم تكن الجماعة في حاجة إلى تحريض، إذ أن السوريين شكلوا محكمة ثورية وبدأوا الإعدامات، وجاء في برقيته دعوته للسوريين إضافةً إلى سحق العظم بألا «تأخذكم رحمة بأصحاب المملذات والمصالح»^(٢).

رد عبد الناصر: «عليها مباشرة في (٢٢) تموز ذكرى عيد الثورة، عندما ألقى خطاباً حمل فيه بعنف على القتلة الفاشست الذي قال أنه ليس على استعداد لتنفيذ الوحدة معهم، وروى قصة المفاوضات والخلافات الأولية، وأعلن انسحابه من ميثاق ١٧ نيسان، وقال: إن القاهرة وبغداد تعرفان من هم رجال المملذات، ومن هو رجل المملذات الذي يطالب بسحق العظم.

كان علي شبه ضائع ومثقل الضمير، إذ لم يكن يتوقع ما حدث»^(٣).

وبعد هذا الضياع الذي لا يحسد عليه، ووخز الضمير الذي ظل يؤنبه بما

(١) جريدة الحياة: العدد ١٤٩٣٣، الأحد ١٥ شباط ٢٠٠٤، الموافق ٢٤ ذو الحجة ١٤٢٤هـ، الحلقة الثامنة من مذكرات حازم جواد.

(٢) المصدر نفسه ونفس العدد.

(٣) المصدر نفسه ونفس العدد.

اقترفت يدها، ولكنه لم يرعو وظل سادراً في فوضويته وتمرده واستهتاره، يخرج من مطب ليقع في آخر، ومما زاد الطين بلة، استمراره في نقد عبد الناصر والهجوم عليه من خلال إذاعة نصبها باعتباره وزيراً للإرشاد.

وبصدد هذه المشكلة التي أثارها السعدي يقول حازم جواد:

«استمرت مجموعة السعدي في نهجها التخريبي التأمري، وفوجئت شخصياً لدى تسلم نشرة التنصت السرية، بخبر عن التقاط بث إذاعة موجهة إلى الجمهورية العربية المتحدة (مصر) تهاجم الرئيس جمال عبد الناصر بعنف، اتصلت بمدير وكالة الأنباء العراقية السيد شاذل طاقة سائلاً عن هوية الإذاعة، ومركز البث، واعتقدت بأنها تنطلق من سورية، وفاجأني بالقول: ألا تدري، وحين أكدت له أنني لست على علم، قال: الأستاذ علي صالح السعدي (وزير الإرشاد) أمر بإقامة هذه الإذاعة، وعين العاملين فيها وحدد لها خطها الدعائي المعادي لعبد الناصر.

ذهبت في اليوم نفسه إلى اجتماع مجلس قيادة الثورة، وقلت للسعدي أمام الجميع: (قمنا بجهد خارق لإقناع الرئيس عبد الناصر بزيارة بغداد، والتي نأمل أن تتم في غضون أسبوعين، فما هي قصة الإذاعة، وهل صحيح أنك وراء إنشائها؟)، أصيب الجميع بالذهول وانتظروا رد السعدي، الذي احمرَّ وجهه على جاري عاداته وقال: (أنا أمرت بنصب الإذاعة، وأعترف أمامكم بخطأي ومستعد لتقبل أي إجراء ضدي).

وفي صباح اليوم الثاني جاء السفير أمين هويدي ليقابل الرئيس عبد السلام عارف، ومعه رسالة خطية من الرئيس جمال عبد الناصر يقول فيها: إنني استجبت دعوتكم لزيارة العراق، وكنت متهيئاً لفتح صفحة جديدة من الثقة والعلاقات الأخوية، لكننا فوجئنا في الأيام الأخيرة وبشكل قاطع بوجود إذاعة سرية تطلق على نفسها تسمية مصرية، تذيع ضدي وضد النظام المصري ومقرها بغداد، لقد

تعرضت وتعرضت الجمهورية المتحدة لحملة إذاعات سرية منذ قيام الثورة حتى اليوم، وكنا لا نغير هذه الإذاعات اهتماماً، فالشعب المصري يقف مع ثورته وقيادته، لكن نصب إذاعة معادية في بغداد في الوقت الذي أستعد فيه لزيارتكم يجعلني في حلٍّ من هذه الزيارة، وأشكركم»^(١).

هل يوجد تخريب بمثل هذا التخريب المتعمد للعلاقات العربية، التي تعيش أزهى أيامها المشحونة بالشعور القومي في فترة توهجها سنوات الستينات، التي كان فيها الحس القومي طاغياً بشدة ومهيماً على أبناء الأمة بقوة، ليصنع تياراً قومياً أشبه ما يكون بالتيار الإسلامي، الذي نشهده هذه الأيام، ولكن التيار القومي يختلف عن التيار الإسلامي في كونه أكثر ترتيباً ولا يتخلله العنف والفوضى وله رمز هو جمال عبد الناصر، ومع هذه المقومات هل ينتظر المغامر علي صالح السعدي من الرئيس جمال عبد الناصر أن يغض الطرف عن سلوكه الفج، الذي لم يوفر شيئاً من كلمات النقد والتحامل إلا واستخدمها ضده، وعبد الناصر هو عبد الناصر الذي يعيش خيلاء لا نظير لها في أفضل أيام عزه طيلة مدة حكمه، وهي فترة العشر سنوات التي تلت انتصاره في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، وقبل انكساره في نكسة حزيران ١٩٦٧، وهو يشعر بأنه المرشح لقيادة الأمة العربية بلا منازع من خلال الالتفاف الشعبي الملفت للانتباه حول قيادته والتأييد له، وهل يقف من لديه كل ما تقدم مكتوف الأيدي أمام تهور علي السعدي واندفاعه.

ومنذ الاجتماع الأول الذي جمع الاثنين، استطاع عبد الناصر من تقدير حجم الوفد العراقي وإمكاناته ومهاراته، وتمكن من الغوص في تحليل شخصيات أعضائه وسبر أغوارها، وبالأخص شخصية رئيس الوفد المضطربة، فقد رصده

(١) جريدة الحياة: العدد ١٤٩٣٤، الإثنين ١٦ شباط (فبراير) ٢٠٠٤، الموافق ٢٥ ذو الحجة ١٤٢٤ هـ الحلقة التاسعة، من مذكرات حازم جواد.

وهو يتحدث بانديفاع شديد نحو الوحدة، ويريدها وحدة مدروسة، وعندما ينام في الاجتماع الأول من لقاء الوفدين، وعندما تنقل له مخبراته بأنه شرب ١٤ كأساً من الويسكي في جلسة واحدة، أو عندما تقام له في القاهرة حفلات ماجنة يتفوه فيها بكلمات سوقية، تصحبها أعمال دونية، كانت موضع نقد حاد واستهجان حتى من أقطاب حزب البعث أنفسهم، حيث يقول أحدهم:

«ووصلتنا في ما بعد أخبار عن تصرفات قام بها الوفد العراقي في القاهرة، ولم تكن تليق بأناس خرجوا للتو من ثورة قدمت شهداء، وما كان ينبغي لهم الانغماس في الملذات والحفلات التي كانت تقام لهم في منازل الفنانين كفريد الأطرش ونادية توفيق»^(١).

ثم لا بد من تأكيد ملاحظة ثانية على حالة الارتباك والتناقض الذي يعيشها بعث العراق في تأليف وفوده وفي توقيت سفرها، فهو لم يلتقط أنفاسه بعد انقلاب شباط المشؤوم حتى سارع إلى تشكيل وفد لتهنئة عبد الناصر بذكرى الوحدة، وكان ذلك في ٢٢ شباط ١٩٦٣ أي بعد أسبوعين مضت على انقلابهم، وقبل أسبوعين من انقلاب ٨ آذار في سورية، ثم شهد هذا التسرع والانديفاع الشديد تراجعاً بنفس الدرجة ونكوصاً مريعاً، عندما قام بعد فترة رئيس الوفد نفسه من التهكم على عبد الناصر ونقده، وكان هذا السلوك الأهوج سبباً في إلغاء زيارته المرتقبة.

يقول حازم جواد: «تخريب الزيارة كانت القشة التي قصمت ظهر البعير، فقد تبين أن الطرف الآخر انتقل في التخريب إلى الخارج بعد الداخل وضد عبد الناصر بالذات، وشعرت أن عملية التخريب نفذت بأدوات عراقية، ولكنها انطلقت من

(١) حازم جواد، مذكرات حازم جواد... الرجل الذي قاد البعث إلى السلطة ١٩٦٣، حلقات نشرتها جريدة الحياة، وجمعت مع الردود عليها في كتاب، ص ٨٩.

إجاءات سورية، وكما أوضحت في أكثر من محطة»^(١).

بعد دراسة مكثفة استندت على أدق المصادر، واقرنت بالدليل والوثيقة والقرينة الدقيقة، اعتمدنا فيها رواية الرفاق والأصدقاء أولاً، وتجنبنا الاعتماد على روايات الأعداء إلا نادراً، وبعد التأكد من صحتها، وكانت جولة قطعنا فيها شوطاً طويلاً، وقفنا فيه على أنماط من السلوك التي تتحكم بشخصية علي صالح السعدي.

ومن هذه الأنماط السلوكية التي نثبتها في دراستنا هذه هي: حدة الطبع والتطرف في الأحكام (الودي منها والخصامي) والمزاجية في إصدار الأحكام، والحساسية اتجاه من يخاصم، والتنافس مع الرأس دائماً سيان ذلك في الحزب أو الحكومة، والسعي لتأزيم المواقف مراراً، والخشونة في التعامل والسلوك الفظ، وعدم السيطرة على الانفعالات والغضب الذي لا يقف عند حدود، وإثارة المشاكل داخل الحزب لأتفه الأسباب، والتسرع الذي لا يحسب للتأني أي حساب، والفوضى في الاحتجاج والسخط في المطالبة، والطموح الطاغوي لاعتلاء ناصية الموقع الأول، وصعوبة انقياده ومحاسبته والإصرار على الرأي وعدم الاعتراف بالخطأ.

والسعدي ذو شخصية مطبوعة على الدسائس، ومسكونة على حب اللهو والمغامرات في اقتناص المتعة المفقودة، والمدمنة على معاورة الخمرة، والمقلدة لرجال العصابات في الحركات البوليسية والسينمائية، والسلسلة تطول، ويا ليت أن يقف الاندفاع المحموم عند هذا الحد، ليبقى سلوكاً عنيفاً دون أن يتعداه إلى العنف الدموي، ولكن الطامة الكبرى عندما يتعلق بدماء الناس وأرواحهم وما يملكون.

في يوم ٩ شباط ١٩٦٣ شهدت غرفة الآلات الموسيقية في الإذاعة فوضى

(١) جريدة الحياة: العدد ١٤٩٣٤، الإثنين ١٦ شباط (فبراير) ٢٠٠٤، الموافق ٢٥ ذو الحجة ١٤٢٤هـ، الحلقة التاسعة، من مذكرات حازم جواد.

عارمة، ومهاترات صاحبة وجلبة وضوضاء أحدثها القتلة في وجوه أسراهم: عبد الكريم قاسم، فاضل عباس المهداوي، طه الشيخ أحمد، كنعان خليل حداد، وقاسم الجنابي، الذي أنقذته في اللحظات الأخيرة علاقاته الودية السابقة مع نفر من هذه العصابة، تحدث في هذه الجلبة عبد السلام عارف، أحمد حسن البكر، علي صالح السعدي، صالح مهدي عماش، وعبد الستار عبد اللطيف، أما بقية القتلة فكانوا متفرجين وموافقين على ما يصدر عنها من أحكام، كان أكثر المتحدثين تهوراً وشراسة علي صالح السعدي، شتم عبد الكريم قاسم ووصفه بعديم الشرف، ونهر المهداوي بقوله: انجب وإلا قتلتك، أي (اخرس وإلا قتلتك)، وكانت الكلمات الملعونة تخرج من فيه كأنها قذائف مدفع رشاش، وكان لها أثرها في تأجيج الموقف ودفعه إلى نهايته المأساوية، ولو أن الجميع كانوا مصممين مسبقاً على قتل أسراهم، وهم ليسوا بحاجة إلى التحريض أو إلى المقدمات المشجعة على القتل، لأن الشهية إلى الدماء مفتوحة لديهم جميعاً.

وفي يوم ٩/٢/١٩٦٣ المشؤوم فقد العراق أحد القادة المخلصين من أبنائه الوطنيين، بعد أن تكالبت عليه قوى الشر العالمية، مستندةً إلى تشجيع عملائها الإقليميين والمحليين، واستعدادهم للبذل والتضحية من أجل القضاء عليه، حتى بات بلا مؤازر، وفي هذا الصدد، لم أجد رأياً صريحاً لأحد الإسلاميين من حيث الخطورة والسبق على امتداد الساحة الإسلامية، كما جاء في المذكرات المخطوطة للشهيد عبد الزهراء عثمان محمد، المعروف بـ(عز الدين سليم) التي بدأ بها في شهر رمضان ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م وجاء فيها:

«ومن أكبر مشاكلنا المستعصية أننا لا نتعلم من التجارب التي تمر أبدأ، لقد حاربت الحركة الدينية الشيعية عبد الكريم قاسم دعماً للإرادة السنية، التي أضر حكمه بمصالحها، حتى ساهمت حركتنا في إسقاط عبد الكريم قاسم، الذي

أعطى فرصاً لتغيير المعادلة السياسية في العراق، فلم نحقق شيئاً»^(١).

وبعد مرور مدة طويلة تزيد على خمسة عشر عاماً ظهرت كتابات تشير إلى نفس الاتجاه، فجاء في أمالي السيد طالب الرفاعي قوله: «على العموم كان عبد السلام يمارس سياسة طائفية، ولكن أخاه عبد الرحمن عارف (ت ٢٠٠٧) لم يكن طائفيًا، وهو شبيه بعبد الكريم قاسم في هذا المضمار، بل إن عبد الكريم كان يميل إلى الشيعة، وقد أخطأنا بحقه، نحن قتلنا عبد الكريم قاسم، وليس البعثيين، بمعنى ألبنا عليه وقتل»^(٢).

وبعد مقتله انفتحت بوابات جهنم على أنصاره ومؤيديه، الذين لم يكن باستطاعتهم صد الهجمة الشرسة المدعومة دولياً وإقليمياً، فاقيد الآلاف إلى مراكز التحقيق والتعذيب في قصر النهاية وغيرها من المسالخ البشرية المنتشرة في كافة أرجاء البلاد، وتعرضوا إلى أنواع البطش والتنكيل.

وبعد أن رأى طالب شبيب الإسراف المرعب في القتل والتوجه العام للإيغال في هذه الجريمة، وسمع لاحقاً بأخبار الجثث التي تطفو في نهر دجلة، وهي سابقة بعثية قبل أن نراها اليوم مجسدة على أرض الواقع، ومرّ أمام عينيه شريط المآسي اليومية على يد الانقلابيين وقطعان الحرس القومي، قال كلمته المشهورة: أنا لا أريد أن يعلق بدمتي غير دماء عبد الكريم قاسم وصحبه، وكان هو ممن حضر فعلة دار الإذاعة الشنيعة، ويقوله هذا يحمل جميع الحاضرين أوزار الدماء التي أهرقت فيها، وقد أصابت أيديهم ووثيابهم وضمايرهم بقعاً منها، وربما كان يريد إيقاف حمام الدم المتدفق لأن الإنسان أي إنسان يمر في حالات الندم والأسف ووخز الضمير.

(١) الشهيد عبد الزهراء عثمان محمد (عز الدين سليم): صفحات من أيامي، ص ٨٠.

(٢) رشيد الخيون: أمالي السيد طالب الرفاعي، ص ١٢٠.

ومما يثير الدهشة ويلفت الانتباه السرعة المخاطفة في حركة علي صالح السعدي وهو يخرج من السجن لينتقل إلى الإذاعة حتى لا تفوته المشاركة في المشهد الدامي، ويتوجه بذات السرعة إلى معسكر الرشيد ليباشر التحقيق بنفسه مع العديد من الموقوفين، ومن ضمنهم إسماعيل العارف وزير المعارف (التربية) في عهد قاسم، وقد استقبله السعدي في هياج وعنف وعريضة قائلاً له: «وقعت بيدي الآن فيلى كم قطعة سوف أمزقك»^(١).

لنتدبر ماذا تخفي هذه الكلمات؟ هل تستبطن غير القتل؟ وإذا أطلقنا على قائلها بأنه وحش كاسر بملامح إنسان، هل يلومنا من أحد؟، وهل هذه صفات نائب رئيس الوزراء، ولياقات وزير الداخلية، ومواصفات أمين سر القيادة القطرية لحزب البعث في العراق، أو هي صفات جلواز في غرف التحقيق والتعذيب؟!.

ومما يؤكد أن السعدي بيده تحديد مصير هؤلاء الموقوفين، قوله مخاطباً إسماعيل العارف، بعد أن طلب منه الأخير أن يسمح له بالكلام: «تفضل تكلم، ربما إذا تكلمت ستنقذ رقبتك من المصير المحتوم»^(٢)، وهذا يعني أن السعدي كفيل بتحديد المصير المحتوم.

وقد مر بنا تحقيقه مع مدير الأمن العام العميد عبد المجيد جليل، وقد تعمد إهانته وضربه والبصق في وجهه، قبل أن يرسله إلى ساحة الإعدام هو والعميد داود الجنابي قائد الفرقة الثانية السابق، والمعروف بمناصرته للحزب الشيوعي، والمقدم حسين خضر الدوري عضو محكمة الشعب، وغيرهم، وبعد إعدامهم يُتلى بيان من الحاكم العسكري العام رشيد مصالح التكريتي الجاهز دوماً طيلة

(١) إسماعيل العارف: أسرار ثورة ١٤ تموز وتأسيس الجمهورية في العراق، ص ٤٢٥.

(٢) المصدر نفسه: ص ٤٢٥.

الفترة الشباطية، لتغطية الإرهاب الدموي لقطعان الانقلابيين، وإخراجها وكأنها أصدرت وفق الأحكام القانونية.

وبعد هذه الإدانات الفاضحة التي تدمغ قيادة حزب البعث بقسميها المدني والعسكري، حاولت القيادة المدنية للحزب أن تخفف من بطش السعدي ودوره في الدماء المراقبة، وتعطيه دوراً ثانوياً، وتلقي باللائمة على العسكريين لدورهم المباشر في هذه المجازر المرعبة.

يقول طالب شبيب: «أما حوادث الإعدامات الفوضوية، وبشكل خاص مجزرة معسكر الرشيد ضد ضباط لم تكن سمعتهم سيئة، فقد تمت بأمر من صالح مهدي عمّاش وبحضور السعدي، إذ جيء بهؤلاء في الليلة الثانية للثورة، وجرى ضربهم وإهانتهم وإدانتهم بأعمال مختلفة ثم قتلهم، ولم نكن حينذاك في حالة اجتماع لنقرر أو نصادق على تلك الأحكام التي نفذت، ولكننا عندما سمعنا بما حصل لم نعلق أو نعترض، واكتفيت شخصياً بعدم التصويت، وأسدل الستار على هذه القضية، بعد أن أصدرنا في اليوم التالي أحكاماً رسمية بإعدام أولئك القتلى وغيرهم، وبررنا قرارنا استناداً إلى مسؤولياتهم في جوانب من القمع خلال عهد عبد الكريم قاسم، فصادقنا على ما أقدم عليه عمّاش وسكت عنه السعدي وأذيع القرار على لسان رشيد مصلح التكريتي وكان حاكماً عسكرياً عاماً»^(١).

وبعد أن تلطخت يده بدماء المغدورين، حاول السعدي نقل إرهابه الدموي إلى سورية، فهو لا يأنس إلا بقطع الرؤوس، ولا يشفي غليله أن يرى انقلاباً بلا دماء، وهذا ما يؤكد عضو القيادتين القطرية والقومية منصور سلطان

(١) د. علي كريم سعيد: عراق ٨ شباط ١٩٦٣ .. من حوار المفاهيم إلى حوار الدم، ص ١٩٣.

الأطرش^(١)، وهو يتحدث عن العنف الدموي قائلاً:

«وبمناسبة الكلام عن العنف وفلسفته، أتذكر الآن ما رواه الكثيرون عن رفيقنا علي صالح السعدي، عندما قدم إلى دمشق لأول مرة بعد الثامن من آذار، وكان حزب البعث في العراق قام قبل شهر ونيف بانقلاب على عبد الكريم قاسم، فأعدمه هو وأعوانه، قال علي رحمه الله:

(١) منصور سلطان الأطرش:

- ولد في القرية، محافظة السويداء السورية ٣ شباط (فبراير) ١٩٢٥، قبل نشوب الثورة السورية الكبرى.
- أتم دراسته الابتدائية والإعدادية في مدارس شرقي الأردن ودمشق وبيروت (اليسوعية).
- أكمل دراسته الثانوية في مدارس دمشق (اللايك والتجهيز).
- درس العلوم السياسية والتاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت بين الأعوام ١٩٤٦ و ١٩٤٨
- وحصل في العام ١٩٤٨ على درجة الـ BA.
- خلال الأعوام ١٩٤٩ و ١٩٥١ درس الحقوق في جامعة السوربون في باريس.
- انتسب إلى حزب البعث العربي في العام ١٩٤٥.
- عضو المجلس التأسيسي للحزب في العام ١٩٤٧.
- دخل السجن لأسباب سياسية ثلاث مرات: في العامين ١٩٥٢ و ١٩٥٤ زمن أديب الشيشكلي، وفي العام ١٩٦٦ بعد حركة ٢٣ شباط (فبراير) ثم عاش منفياً في بيروت بين تموز (يوليو) من العام ١٩٦٧ و ١٧ نيسان (أبريل) من العام ١٩٦٩ حيث عاد إلى سورية.
- رفض تسلم منصب الوزير عدة مرات، إحداهما في عهد الانفصال ١٩٦١-١٩٦٣.
- عضو القيادتين القطرية والقومية للحزب.
- عضو مجلس قيادة الثورة في ٨ آذار (مارس) ١٩٦٣.
- عُيّن وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية في ٩ آذار (مارس) ١٩٦٣.
- عضو مجلس الرئاسة ١٩٦٤.
- رئيس المجلس الوطني للثورة ١٩٦٥-١٩٦٦.
- متزوج من المدرّسة هند الشويري، وله ولدان، المهندس نادر والدكتورة ريم.
- توفي في ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٦.
- (الجيل المدان، سيرة ذاتية، ص ٤٨٥-٤٨٦).

ما كودم! ما هذه الثورة؟!»^(١).

لا نريد أن نغلق بحث العنف الدموي دون أن نستوعب الدرس ونأخذ العبرة، التي سنجدها جاهزة في ثنايا كلام قادة كبار في حزب البعث، وقد مر بنا قبل قليل كلام أحدهم، وقد أصابته الدهشة وهو يروي كلمة السعدي المؤسسة للإرهاب: «ما كودم! ما هذه الثورة؟!».

وقد وردت هذه الكلمة الغارقة في العنف والدموية في مصدر آخر غير ما ذكر، يقول مطاع صفدي:

«ومنذ أن قدم (السعدي) لأول مرة إلى دمشق بعد ثورة آذار، وقابلته الجماهير الغاضبة وأفرعته.. وصرخ في وجه حراسه من بعثيي دمشق: ما كودم.. ما كودم! كانت تلك الصرخة هي عنوان مخطط الدم، للثامن عشر من تموز، ولساعة الصفر من أجل قيام امبراطورية عفلق والسعدي.

فماذا كانت نتيجة ساعة الصفر تلك، إنها صفر، ولكن بعد بحر من الدماء»^(٢). ولنستمع إلى الآخر وهو جلال السيد أحد مؤسسي بعث ميشيل عفلق حيث يقول: «قال المؤرخون أن الحجاج بن يوسف قد أذل العرب في سلوكه الإرهابي حتى كاد ينتزع منهم جذوة الأنفة والإباء وعزة النفس، وهذا القول ينطبق على حكم البعث، فقد كان الإرهاب الذي مارسه سبباً في انتزاع الأنفة وعزة النفس والإباء، وفي ظهور أعراض الذل والمسكنة على الإنسان العربي الخاضع لحكم البعث»^(٣). هذه هي نتيجة حكم حزب البعث، التي توصل إليها جلال السيد أحد

(١) منصور سلطان الأطرش: الجيل المدان.. سيرة ذاتية، ص ٣٤٤.

(٢) مطاع صفدي: حزب البعث.. مأساة المولد مأساة النهاية، ص ٣٢٢.

(٣) جلال السيد: حزب البعث العربي، ص ٢٤٤.

مؤسسي حزب البعث، ونحن بدورنا نعرضها ليتدبرها المطالبون بعودة حزب البعث إلى الحياة السياسية.

وتحت ضغط الآلام الممضة عليه يعترف السعدي أمام غسان شربل قائلاً: «أنا لا أقول أنني كنت بريئاً أو رحيماً، أنا أيضاً من عجينة القساة، وقال: صدقنا الشعارات وقتلنا البلد وربما الأمة، كان سلوكنا صبيانياً ولم نعرف معنى السلطة والدولة والمؤسسات، غرقنا في أحقادنا ومخاوفنا، غرق الشيوعيون في دمنا وغرقنا في دمهم.

فجأة توقف عن الكلام وراح يضرب يده بعصية على رجليه، كان الوقت قريباً من منتصف الليل، نهض الرجل متثاقلاً لتغيير الأسطوانة، ولم يكن آخر ما يريد سماعه غير ترتيلة بصوت فيروز عن صلب المسيح تقول فيها: (أنا الأم الحزينة وما من يعزيها)، بدا واضحاً أن ذاكرة السعدي تعذبه، وأن ذاكرة العراق تعذبه أيضاً»^(١).

ونختم البحث بما ذكره أكرم الحوراني، الذي التقى السعدي مرتين سجل فيهما انطباعه عنه بقوله:

«بدا لي علي صالح السعدي إنساناً طيباً، لا يخطر على البال أن سيكون ذلك الجزار السادي»^(٢).

ويضيف الحوراني الذي لجأ إلى العراق عام ١٩٧٣، قائلاً: «كان علي صالح السعدي يزورني بلا انقطاع، ويظهر لي مودته وثقته وندمه.

لقد أصبح إنساناً محطمًا، ما أن يستعرض ما مضى من أحداث ثورة الثامن من

(١) غسان شربل: صدام مرّ من هنا، ص ٢٦.

(٢) أكرم الحوراني: مذكرات أكرم الحوراني، الجزء الرابع، ص ٣١٤٩.

شباط في العراق، حتى ينفجر باكياً بصورة تدعو إلى الرثاء، وكان يُحمّل ميشيل عفلق مسؤولية كل ما ارتكبه الحزب بعد المؤتمر الخامس سواء في سورية أو في العراق، ولقد حدثني بعض عارفه أنه كثيراً ما يستيقظ في الليل فزعاً على صراخ المعذبين، ومن أُغرق في نهر دجلة من الشيوعيين»^(١).

إنها نهاية تعيسة، ما أتعسها، اللهم إنا نعوذ بك من نهاية مثلها، وإنها لخاتمة مأساوية لا نتمناها لأي بشر، وهي خسارة لا توصف، بل هي الخسران المبين، خسران في الدنيا، وخسران في الآخرة، لولا أملنا برحمة الله تعالى.

وبعد هذه الانتكاسات الحادة، أصيب بأزمات قلبية سافر بسببها إلى لندن للعلاج، وعن رحلته العلاجية هذه يقول السيد شوكت حبيب الشيب:

«كنت على موعد مع علي صالح السعدي، الذي كان يقيم في فندق الشيراتون بلندن، وكذلك المحامي يحيى الدراجي الصديق المقرب من السعدي، وكنت مقيماً في شقة استأجرتها مقابل الفندق الذي يقطن فيه كل من السعدي والدراجي، وكنت على موعد مع السعدي في الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم، وحينما اتصلت به تلفونياً بغرفته لم يرد علي، وحاولت أكثر من مرة فلم أجد جواباً، واتصلت باستعلامات الفندق وأبدينا قلقنا من ذلك، وبالفعل صاحبنا أحد موظفي الاستعلامات إلى غرفة علي السعدي، وحينما فتحنا الباب ودخلنا وجدناه نائماً على السرير بملابسه وقد فارق الحياة»^(٢).

في غرفته بفندق الشيراتون بلندن يوم ١٩ أيلول ١٩٧٧^(٣).

(١) أكرم الحوراني: مذكرات أكرم الحوراني، الجزء الرابع، ص ٣١٤٩.

(٢) سيف الدين الدوري: علي صالح السعدي نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، ص ١٣.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٣.

**عبد الكريم عبد الستار
الشيخلي وعملية اغتيال
الزعيم قاسم الفاشلة**



عبد الكريم عبد الستار الشихلي

ولد عبد الكريم عبد الستار الشихلي عام ١٩٣٥^(١) في بغداد، من عائلة كردية تعود جذورها إلى محافظة السليمانية، وأكد ذلك السيد عادل مراد القيادي في الاتحاد الوطني الكردستاني، في برنامج شهادات للتاريخ مساء يوم ٢ / ١ / ٢٠١٤، من فضائية الاتجاه، قال فيه: إن ضياء الشихلي أخو عبد الكريم الشихلي كان يقول: أنا كردي من رانية، القضاء الذي يعود إلى محافظة السليمانية. عمل والده في التعليم في مدارس بغداد، وهو ثالث من استولى على أهم موقع في حزب البعث، وهو أمانة سر القطر العراقي بعد انتهائه بعشر سنوات، وهو الكردي الثالث، الذي وصل إلى هذا الموقع الحساس بعد فؤاد الركابي وعلي صالح السعدي، دون أن ينافسهم على هذا الموقع الذي يسيل له اللعاب من رفاقهم العرب، بل كان هؤلاء الأقحاح منقادين لرفاقهم الكرد بكل سهولة ويسر من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٦٦، وهي فترة من أهم الفترات التي مرت على العراق في حراجتها وخطورتها.

المدهش في الأمر، أنه كيف تسنى لهؤلاء الكرد المقموعين في كل فترات الحكم بعد تأسيس العراق الحديث، أن يصلوا إلى أهم المواقع في حزب خاص بالعرب،

(١) جهاد كرم: بعثيون من العراق كما عرفتهم، ص ٨٤.

انظر كذلك: حنا بطاطو: العراق. الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، الكتاب الثالث، ترجمة عفيف الرزاز، ص ٤٠٣ الجدول، وص ٤٦٣ الجدول، وص ٤٧٢ الجدول.

وإلى ذلك تشير تسميته بـ(حزب البعث العربي)، والأمر مقبول بالنسبة للأحزاب
الأممية والإسلامية التي لا تشترط جنساً معيناً للانتماء، كالحزب الشيوعي وحزب
الدعوة الإسلامية، فعزیز محمد قاد الحزب الشيوعي العراقي أكثر من ثلاثة
عقود، وكذلك خالد بكداش الكردي السوري قاد الحزب الشيوعي السوري
فترة طويلة، والأمر نفسه بالنسبة إلى عزیز الحاج الكردي الفيلي وهو يقود الحزب
المنشطر من الحزب الشيوعي العراقي المسمى بـ(القيادة المركزية)، وحزب
الدعوة الإسلامية هو الآخر لا يشترط فيمن يقوده أن يكون من جنس معين،
بل هو يرضخ لقيادة المسلم، ولا مانع أن يقوده الفارسي أو العربي أو الكردي
أو التركماني، ولذلك كان آية الله محمد مهدي الآصفي في قمة هرم الحزب كل
أعوام الثمانينات والتسعينات، أما الأحزاب ذات الطابع القومي كحركة القوميين
العرب، وحزب البعث العربي الاشتراكي، والحركات القومية الأخرى فلا يصح
أن يقودها أشخاص من الجنس غير العربي، ولذلك كانت بعض الحماقات التي
قام بها حزب البعث العراقي في محيطه المحلي والإقليمي ذات أسباب وخلفيات
عنصرية شوفينية، وهي كذلك عندما يعترض أحمد حسن البكر على وجود غير
العرب في قيادة حزب البعث في العراق، بعد سقوط تجربة حكمه الأولى على يد
عبد السلام عارف في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣.

يقول جبران مجدلاني عضو القيادة القومية لحزب البعث: «بعد الانقلاب
قررنا في القيادة القومية تشكيل قيادة سرية للعراق، وكان من أعضاء هذه القيادة
أحمد حسن البكر وصادق حسين وطارق عزيز وعبد الكريم الشيعلي وغيرهم،
ووصل إلى القيادة كتاب سري من البكر يقول فيه: إن وضع العراق خاص،
ولتسهيل الأمور يستحسن ألا نعين في القيادة مسيحياً مثل طارق عزيز، وكردياً

مثل عبد الكريم الشيخلي»^(١).

أكمل عبد الكريم الشيخلي دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية في بغداد، ثم دخل كلية الطب جامعة بغداد في العهد الملكي، «وعند افتتاح الكليات (في ٢٩/١٢/١٩٥٦) قام الحزب بتجمعات داخل الكليات، وقد كان أقوى تلك التجمعات وأكبرها، التجمع الذي تم في الكلية الطبية، حيث أنزل البعثيون العلم العراقي ورفعوا بدلاً عنه علم الحزب والثورة العربية، وقد اعتُقل الكثير من طلبة الكلية الطبية البعثيين، وطلب نوري السعيد -بصفته وزير الدفاع آنذاك- مقابلة اثنين منهم كانا يدرسان في الكلية الطبية على حساب وزارة الدفاع، وهما حقي وإسماعيل حقي، وعبد الكريم عبد الستار الشيخلي، اللذان اعتُقلا بعد المقابلة وأودعا السجن المركزي»^(٢)، ثم فصل الشيخلي من الكلية لنشاطه السياسي، وأعادته الزعيم عبد الكريم قاسم إلى مقاعد الدراسة الجامعية بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨^(٣)، ولكنه كافأ عبد الكريم قاسم فيما بعد بالتأمر عليه، فكان من أبرز منفذي عملية الاغتيال الفاشلة ضد الزعيم قاسم في ٧/١٠/١٩٥٩، بل هو المشرف على العملية ساعة التنفيذ.

انخرط الشيخلي في صفوف حزب البعث العراقي مبكراً، ويعدّه هاني الفكيكي من الجيل الثالث لحزب البعث بقوله: «أما أبرز الذين أذكرهم ممن انتسبوا معي في ١٩٥٤ وقبيلها وبعيدها، مشكّلين الرعيل الثالث للحزب، فكانوا أبو طالب

(١) غسان شربل: صفحات من حياة مؤسس حزب البعث بعد رحيل صدام وخراب البصرة، حوارات أجراها غسان شربل مع رزان عفلق وقياديين في حزب البعث، جمعت في كتاب، ص ٩٢.

(٢) هادي حسن عليوي: دور حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق، في الحركة الوطنية منذ تأسيسه حتى ١٤ تموز ١٩٥٨، ص ٢١٢.

(٣) محكمة الشعب (محكمة المهداوي) محاضر جلسات المحكمة العسكرية العليا، الجزء العشرون، ص ٣٢٣.

الهاشمي الشيعي، الذي أقامت عائلته في العاصمة بغداد برغم أصلها في مدينة العمارة الجنوبية، وعدنان عبود القادم من عانة، وحمدان الراوي، وعبد الكريم الشيخلي، وفائق البزاز، وسامي حميد، ومقداد العاني، وطه السامرائي، وعبد الخالق السامرائي وغيرهم»^(١).

سمع العراقيون لأول مرة باسمه في أعقاب عملية الاغتيال الفاشلة على لسان المتهمين من زمرة الاغتيال، ومن خلال اعترافاتهم أمام العقيد فاضل عباس المهداوي في محكمة الشعب، وكان الشيخلي أبرز أعضاء الزمرة المكلفة بالتنفيذ من قبل حزبهم حزب البعث العراقي، ولكونه أحد الرماة الأساسيين على سيارة الزعيم قاسم في شارع الرشيد ببغداد، ورغم الدور الذي لعبه فيها، إلا أن مقتل عبد الوهاب الغريري أثناء العملية خطف الأضواء المسلطة على الشيخلي، وبعد موت الغريري نسج الخيال الشعبي له أساطير، لأن ظاهرة الموت تغني الناس وتشغلهم بالميت دون الحي، فيكون الميت في قصصهم هو البطل، خصوصاً إذا كان سقوطه في حالة تحدٍّ لأحد الأبطال المعروفين، يضاف إلى ذلك أن إعلام حزب البعث كان مهتماً بتخليد الغريري كبطل وهو أمر طبيعي، ولكنه بالمقابل صنع تصوراً خاطئاً فيمن كان مشرفاً على عملية الاغتيال وقت الشروع، وهذا التصور يخالف ما أدلى به المتهمون في قفص الاتهام، ويجانب الحقيقة.

نقرأ كثيراً عن السبب الرئيس في عملية اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم، هو إقدامه على إعدام رفعت الحاج سري، وناظم الطبقجلي، وأعوانها في أعقاب مؤامرة عبد الوهاب الشواف، وقد أوجب هذا الخطأ القاتل الحماس في نفوس قادة بعث العراق، ليختاروا نفرأ من منتسبي حزبهم وإعدادهم للتصدي للزعيم جراء ما اقترفت يده، ولكن الحقيقة التي تدحض اختلاق هذا السبب، هو أن حزب

(١) هالي الفكيكي: أوكار الهزيمة... تجربتي في حزب البعث العراقي، ص (٦٧-٦٨).

البعث كان يفكر ويخطط للقضاء على الزعيم قاسم قبل هذا التاريخ، لأن الحزب مطبوع على التآمر سواء كان ذلك عندما يقوده فؤاد الركابي، أو يتزعمه صدام حسين، فهو حزب لا يُؤمَّن ولا يمكن الاطمئنان إلى جانبه، ولذلك ذكرنا مراراً أنه حزب المؤامرات.

والسبب المذكور يمكن أن يكون جوهرياً ومقبولاً، فيما إذا كانت فكرة المؤامرة لا تستحوذ على عقل البعث وتفكيره قبل أن تندلع مؤامرة الشواف بأقل من شهر، فقد جاء على لسان فؤاد الركابي العقل المدبر لعملية الاغتيال قائلاً:

«كان ذلك قبل ثورة الموصل بأقل من شهر، عندما اتصل بي الشهيد رفعت الحاج سري بواسطة الرئيس الأول الركن صبحي عبد الحميد.

لقد زرت صبحي عبد الحميد في داره.

كان ذلك في مساء أحد أيام شهر شباط (فبراير) ١٩٥٩، بعد استقالي وخسة وزراء آخرين من وزارة عبد الكريم قاسم، أطلعني صبحي عبد الحميد على رأي الشهيد رفعت الحاج سري باستعداد الجيش للتطويع بقاسم، وسألني عن مدى استعداد حزب البعث في الإسهام بهذه العملية، وسأل بشكل خاص عن مدى استعدادنا لتولي مهمة قتل قاسم في هذه الخطة الانقلابية.

كان الحديث بيني وبين هذا الضابط الشاب، حديثاً عمق إيماني بأن الجيش العربي في العراق لن يستنيم لطنمة باغية تتحكم في مصير شعبه.

لقد بحثنا عملية اغتيال عبد الكريم قاسم، وأبدت استعداداً أولياً للإسهام في العملية.

وعندما عدت في اليوم الثاني لأجتمع بالقيادة وجدت إجماعاً منقطع النظير، على ضرورة تحملنا أعباء هذه العملية.

وما زلت أتذكر حتى الآن تلك الليلة التي اجتمعنا فيها في بيت مدحت إبراهيم جمعة في المأمون، وكان هناك إياد سعد ثابت، وخالد الدليمي، وكريم محمود، ومدحت إبراهيم جمعة، وعبد الله الركابي، وطالب شبيب.

وبعد يومين أو ثلاثة تطوع للقيام باغتيال قاسم الشهيد فاضل الشكرة، الذي حكمت عليه محكمة المهداوي فيما بعد بالإعدام لاشتراكه في ثورة الموصل. ووضعنا خطة لتنفيذ ذلك.

وكان مجمل تلك الخطة إلقاء حقيبة مليئة بالقنابل والمتفجرات على سيارة عبد الكريم في نهاية شارع الرشيد، حيث يستدير نحو ساحة التحرير، على أن يتم إلقاء هذه الحقيبة من شقة في الطابق الأول من بناية تقع في منطقة الاستدارة عند نهاية الشارع.

ولكنني عندما عدت لأعرض الخطة على الضابط الشاب، لبحثها من الناحية الهندسية العسكرية، بدا بعد دراستها، أن الخطة غير مضمونة النجاح، ولا بد من التفكير في خطة أخرى، بيد أن الأحداث لم تمهلنا، إذ اندلعت ثورة الموصل، واضطر الشهيد الشكرة للسفر إلى الموصل للمشاركة فيها^(١).

(١) فؤاد الركابي: الحل الأوحده، ص (٢٨-٣٠).

كنت أعتقد كما يعتقد غيري - وأقصد السيد أحمد الحبوبى - أن كراس الحل الأوحده لفؤاد الركابي جاء دفاعاً عن موقفه في عملية اغتيال الزعيم قاسم أمام القيادة القومية، التي جمدهت مع بعض أعضاء قيادته القطرية، وعلى أثر ذلك ثارت بينهما عواصف من النقد والتشهير والتخوين ونحوها من الكلمات النابية، ووصل الأمر بينهما إلى حد القطيعة بتاريخ ٢٨/٩/١٩٦١ يوم انفصال الوحدة المصرية السورية، ولم يباشر فؤاد بكتابة كراسه فور اشتباكه مع عفلق وقيادته القومية، إذ يقول: «ما كان لي أن أنشر هذه الصفحات التي طويت ما فيها من حقائق وأسرار نحراً من أربع سنين إلا بعد اندثار الحكم القاسمي، لما في نشرها، قبل ذلك، من فضح لعدد غير قليل ممن أسهموا فيها»، الحل الأوحده ص ٥٧.

إن ثمة تناقضات رافقت الموافقة على اتخاذ قرار عملية الاغتيال، ففؤاد الركابي يصفه بالإجماع منقطع النظر^(١)، في حين يقول طالب شبيب:

«ولم تعد الحياة ثمينة ولذلك عندما دعا المرحوم فؤاد الركابي لاجتماع القيادة القطرية، واقترح خطة لاغتيال عبد الكريم قاسم وافق عليها أكثرية أعضاء القيادة الحاضرين، وكنا خمسة: فؤاد الركابي وخالد علي الصالح وإياد سعيد ثابت ومدحت إبراهيم جمعة وأنا، وحضر معنا عبد الله الركابي، ولم أكن أعلم هل كان عبد الله على وجه التحديد مجرد مرافق لفؤاد بوصفه ابن خالته والأمين على أسراره وإقامته ومعيشته، أم كان عضواً في القيادة، فلم أرغب بالسؤال، إلا أن الأمر اتضح لي نسبياً عندما لاحظت عدم مشاركته بالتصويت، فكنا اثنين رافضين (أنا ومدحت) مقابل ثلاثة موافقين على خطة الاغتيال فؤاد وخالد وإياد»^(٢).

وبعد أن تم تحديد عناصر الزمرة المنفذة بواسطة منظماتهم الحزبية، كُلف عبد

➤ هذا الكلام لا يعد مبرراً لهذا التوقف عن الكتابة، خصوصاً إذا عرفنا أن اعترافات الموقوفين الـ(٥٧) بسبب العملية لم تبق سراً مكتوماً، وأن أربعة مجلدات من محاضر محكمة الشعب تضم اعترافات وأسراراً أضعاف ما كتبه فؤاد في كراسه، وأن اعترافات سمير عبد العزيز النجم وشاكر إبراهيم حليوه لم تبق شيئاً مستوراً، وإن الزعيم قاسم عفا حتى عن المشاركين فعلاً في إصابته، وأطلق سراحهم نهاية عام ١٩٦١. وقد أجل فؤاد كتابة كراسه حتى انتهى منه في ١٥ شباط (فبراير) ١٩٦٣ بعد أسبوع فقط من انقلاب ٨ شباط، وجاء توقيته ضمن عدة مقالات كتبها في تلك الفترة القصيرة لمغازلة حزب ميشيل عفلق في العراق، وكعربون مهد به لعودته التي باءت بالفشل، لتصدي علي صالح السعدي له وإعادته من حيث أتى.

انظر:

١- أحمد الحبيوبي: أشخاص كما عرفتهم، ص ٦٠.

٢- للمؤلف: بعث العراق من البداية المريبة حتى النهاية الغريبة، ص ٣٤١.

(١) فؤاد الركابي: الحل الأوحده، ص ٢٧.

(٢) د. علي كريم سعيد: عراق ٨ شباط ١٩٦٣، من حوار المفاهيم إلى حوار الدم، ص ٢٦.

الكريم الشيخلي لجمع السلاح من رشاشات ومسدسات ورمانات يدوية، ورغم كونه لم يصل إلى موقع قيادي في ذلك الوقت، إلا أنه كان لولب العملية، اختاره الحزب للسفر إلى الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة (سورية) من أجل التدريب على السلاح، وضمن الاتصال قبل المباشرة بالتنفيذ، بعد أن فشل ياسين عبد الجبار السامرائي في هذه المهمة، وكان عبد الكريم الشيخلي المندفع لها بتهور، يردد بتهكم قبل سفر رفيقه السامرائي إلى سورية: «إن هذا لا يدبر شيئاً، أنا أعرفه فقط كشخنة».^(١)

وصل الشيخلي إلى دمشق، وحول هذا الأمر يقول هاني الفكيكي: «في دمشق كان اتصالي الحزبي بحازم جواد، الذي فرّ من المعتقل إلى سورية أواخر ١٩٥٨، وبينما كنا نخضع لدورة تدريب على السلاح في بلدة حرستا، فوجئنا أنا وحازم باستدعاء أمر المعسكر لنا، فوجدنا عنده عبد الكريم الشيخلي، الذي أرسله الحزب من بغداد للتدريب على السلاح، ومنه علمنا أن الحزب يعد لعملية اغتيال لعبد الكريم قاسم، وهي جزء من عملية انقلابية كاملة».^(٢)

وبعد عودة الشيخلي من سورية، أشرف على تدريب زمرة التنفيذ في منطقة الحصوة القريبة من قضاء المسيب، إضافةً إلى كونه أحد الرماة الأساسيين على سيارة الزعيم في شارع الرشيد ببغداد، وإضافةً له كان سمير عبد العزيز النجم، وعبد الوهاب الغريبي، وحاتم حمدان العزاوي، وأحمد طه العزوز، وصادم التكريتي، وهؤلاء هم الرماة المسلحون، والأخيران منهم العزوز وصادم حسين لحماية الرماة الأساسيين الأربعة، أما دور سليم عيسى الزئبق فهو وضع سيارته في عرض الشارع، لتخفف من حركة سير سيارة الزعيم أو إعاقتها بالكامل، وهو

(١) محكمة الشعب (محكمة المهداوي) محاضر جلسات المحكمة العسكرية العليا الخاصة: إصدار وزارة الدفاع، الجزء العشرون، ص ٥٨.

(٢) هاني الفكيكي: أوكار الهزيمة.. تجربتي مع حزب البعث العراقي، ص ١٣٨-١٣٩.

يحمل مسدسين للمشاركة والمشاغلة ولم يستعملهما بالحادث، أما دور طه ياسين العلي فهو استلام الإشارة، التي تنبئ بانطلاق الزعيم قاسم من وزارة الدفاع إلى البيت أو بالعكس، وينتظرها متأهباً في عيادة الدكتور حازم البكري، فإذا كانت (محمود) التي تبدأ بالحرف (م)، فهي تشير إلى أن الزعيم قادم من باب (المعظم) التي تبدأ بالحرف (م) أيضاً، وإذا كانت الإشارة (شكري) التي تبدأ بالحرف (ش) فإنه قادم من الباب (الشرقي) الذي يبدأ بالحرف (ش) أيضاً، سالكاً شارع الرشيد في الذهاب والإياب.

نفذت الزمرة مساء يوم ٧/١٠/١٩٥٩ ما مرسوم لها من قبل قيادة البعث القطرية، وسقط الزعيم جريحاً وكذلك مرافقه قاسم الجنابي، وقتل سائقه، أما المهاجمون فقتل منهم عبد الوهاب الغريزي، وأصيب سمير النجم بجروح بليغة، وأصيب صدام حسين بساقه الأيمن بجراح طفيفة بعد أن تابعه شرطي المرور وأطلق عليه النار.

ونقل الزعيم الجريح إلى «مستشفى دار السلام حسب طلبه»^(١) وفي نفس الليلة التي أصيب فيها زاره العميد إسماعيل العارف، فوجده رابط الجأش صلباً كعادته وسمع منه كلمة رائعة كعادته أيضاً، قال فيها: «لا بأس إنهم شباب (مدفوعون) ولكن الله معنا».^(٢)

لم يتوعد ولم ينذر بالويل والثبور لمن اعتدى عليه بجرم مشهود، سبب إصابته بجروح رقد جرائها في المستشفى فترة حتى تماثل للشفاء، وإنما قال كلمته الخالدة

(١) د. عقيل الناصري: عبد الكريم قاسم في يومه الأخير (الانقلاب ٣٩)، ص ١٩٩.

انظر أيضاً، شوكت خزندار: سفر ومحطات... الحزب الشيوعي العراقي، رؤية من الداخل، ص ٤١.

انظر كذلك، جعفر الحسيني: ثورة في العراق ١٩٥٨-١٩٦٣، ص ٣٠١.

(٢) إسماعيل العارف: أسرار ثورة ١٤ تموز وتأسيس الجمهورية في العراق، ص ٣٨٧.

أنفة الذكر، التي تؤسس للعفو، والعفو عند المقدرة من أرقى منازل العفو في حياة الإنسان، وهو شأن النفوس الكبيرة بلا شك، أما التي صغرت وضمحلّت فشأنها التهديد والوعيد وإزهاق الأرواح وحرق المدن، كرد فعل لإصدار منشور أو رفع لافتة منددة، أو كتابة على الجدران معارضة.

وقد شهد العراق خلال خمسة وثلاثين عاماً حكماً بوليسياً أغرق البلاد بالدماء وسام الناس سوء العذاب على الشبهة والاحتمال أو على التقارير الكيدية.

وجمال عبد الناصر أبرز خصوم الزعيم قاسم المعاصرين لفترة حكمه القصيرة، لم يتورع عن افتعال أساليب غاية في الرداءة للإيقاع بمعارضيه، وحادث المنشية المفتعل كان سبباً في زج الآلاف بالسجون، وفي إعدام أبرز مفكر إسلامي عرفته الساحة المصرية آنذاك.

وكانت ردة فعل عبد الناصر عنيفةً جداً ضد الإخوان المسلمين بعد حادث المنشية الذي لم يصبه بضرر، ولو سلّمنا جدلاً أنه لم يكن مفتعلاً، وهو عملية اغتيال فاشلة، لم يترتب عليها سفك دماء، ولكنه يسمح لنفسه بدعم زمر إرهابية مأجورة، بالمال والسلاح للتصدي لرئيس حكومة بلادها وتصيبه جراح وتخضبه بالدماء، وعملية الاغتيال خطط لها فؤاد «وشجعه على ذلك الملحق العسكري المصري في بغداد عبد المجيد فريد»^(١).

في غالبية الأحزاب توجد مرافق ولجان كثيرة لاستيعاب الطاقات الشبابية المتنوعة، وهي موجودة في العمل السري، وتتسع وتتنوع بعد استلام الحكم، وللأعضاء حق الاختيار للعمل في هذه المرافق ولا يوجد إكراه، وإنما يحدد ذلك الكفاءة والاختصاص، والرغبة إلا ما ندر، ومن الحزبيين من يختار الجانب

(١) مصطفى دندشلي: حزب البعث العربي الاشتراكي، ص ٢٤٤.

التنظيمي، ويفضله على غيره، ومنهم من يبدع في المجالات السياسية والثقافية والفكرية، أو يكرس بعضهم جهده في واجهات العمل الاجتماعي، وإلى جانب ذلك توجد مرافق حزبية قادرة، لا يلجها إلا المنحرفون وأصحاب السوابق والساقطون.

وحزب البعث العراقي عام ١٩٥٩، قد تعدى عدد منتسبيه المئات -إذا لم نقل أكثر من ذلك- ولكن المتطوعين لهذا العمل المدان عدد محدود جداً، فهم إضافةً إلى أعضاء القيادة القطرية لا يتجاوزون العشرين عنصراً، ولم يكن هؤلاء المتطوعون بأشجع من الباقين، الذين لم يقدموا على مثل هذا الانحدار الخطير، ولكن النفوس الوضيعة ترغب دائماً في ممارسة الأعمال الهابطة الدونية.

وعمليات الاغتيال أو قتل الغيلة أياً كانت مبرراته، لا يخرج من إطار الأعمال القذرة، ويضاف إليها، وربما يفوقها في الهبوط إلى الحضيض مرابطة أعضاء الحزب -أي حزب- في زنانات التعذيب لممارسة هوايات قلع الأظافر وسمل العيون وبقر البطون، واستخدام الضغوط النفسية في تركيع وإذلال الخصوم.

وعبد الكريم الشихلي الذي ألقع عن إكمال دراسته في كلية الطب، التي تفضي إلى الأعمال الإنسانية المحترمة، ليختار حزب البعث بدلاً منها، ويدخله من أحط أبوابه، باب القتل المريع وسفك الدماء.

وكما هو واضح للجميع أن ارتكاب الجريمة تبدأ بسيطة وحقيرة، ثم تتطور وتتفاقم لتصل إلى حالات مرعبة ونتائج وخيمة، وعبد الكريم الشихلي أوغل في ذلك أيما إيغال، حتى أن هذا الانحدار صار سلوكاً عاماً في تركيب شخصيته، وسنتحدث عن ذلك بالتفصيل فيما يتقدم من كلام.

كان عبد الكريم الشихلي يعتقد بأن ما يقوم به من أعمال باندفاع وتهور مشهودين، هو السلوك الحزبي الأمثل، ولذلك كان مغامراً بالذهاب والإياب إلى

سورية سرأ، وبطرق محفوفة بالمخاطر، من أجل التدريب على الأسلحة، وإمكانية الحصول عليها، وهو أكثر أفراد الزمرة تحركاً من أجل جمعها في داخل العراق، والحال نفسه عندما أراد سليم عيسى الزئبق تأجيل العملية بعد أن شاهد الجموع الغفيرة من المواطنين تملأ شارع الرشيد وتحيط بسيارة الزعيم، خشية من أن تقع إصابات في صفوفهم، وطلب منهم التأجيل بواسطة ياسين العلي قبل أن ينزلوا من الشقة، وكذلك بعد أن نزلوا مسرعين، استوقف الزئبق الشيخلي والغريري وقريباً منهم يقف سمير النجم، وخاطبهم من أجل الغرض نفسه، وهو تأجيل العملية، ولكن الشيخلي أو الغريري تجاهلا الأمر، ونادى أحدهم بصوت عالٍ: «يا الله، يا الله، أو عز للجماعة أن يرموا، أن يبدأ بإطلاق النار».^(١)

وأسرعوا إلى الشارع ويتبعهم سمير النجم، وأطلقوا النار وسقط الغريري مضرجاً بدمه وأصيب سمير وصادام، وسقط من الطرف الآخر سائق الزعيم وجرح هو ومرافقه، واستخدمت جثة الغريري كشاهد جرمي ودليل للوصول إلى الفاعلين، ودُوِّهَم الوكر وألقي القبض على المشاركين، وعلى قسم آخر نتيجة الاعترافات، وفر عدد من أعضاء حزب البعث، قياديين وأعضاء عاديين إلى سورية الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة، وكان أول من دخل حدودها القيادي مدحت إبراهيم جمعة، والتقى به هاني الفكيكي الذي يقول: «وبعد أيام وصل إلى أبو كمال عبد الكريم الشيخلي، الذي حدثني بتفاصيل العملية وملابساتها، وكيف أنه واظب على الدوام في الكلية الطبية، إذ كان طالباً فيها، وكنا أنذرنا الأجهزة الأمنية الحدودية وطلبنا إليهم الإكثار من الدوريات العسكرية على الحدود لاستقبال الهاربين وحمايتهم».

(١) محكمة الشعب (محكمة المهداوي)، محاضر جلسات المحكمة العسكرية العليا الخاصة، إصدار وزارة الدفاع، الجزء العشرون، ص ٣٦٩.

وتوالت على مدى أسابيع عناصر الحزب القيادية في لجوئها إلى أراضي الجمهورية العربية المتحدة، وتحول البيت الريفي المتواضع الذي أسكنه إلى قلعة أمان واستقرار، إذ وصل فيصل حبيب الخيزران، وستار الدوري وشفيق الكهالي، وفالح المجول، وفؤاد الركابي، وعلي صالح السعدي، وحازم جواد، وعبد الله الركابي، وفاضل الشاهر، وشكري الحديشي، وأحمد العزاوي وغيرهم.

وبعد أيام وصل إلى مخفر المدينة اثنان من الشبان المشاركين في محاولة الاغتيال هما فاتك الصافي، وصادم حسين التكريتي^(١).

هرب هذا العدد رغم أن الاعتقالات لم تطل إلا المشاركين في العملية، زائداً العناصر التي طالتها الاعترافات، حتى بلغ العدد الكلي (٥٧) متهماً، بخلاف ما جرى في حادث المنشية، وخلاف ما أشاعه صدام حسين فيما بعد من اعتقال أبرياء بجريرة قراباتهم المتهمين في قضايا سياسية.

وبنجاحة عبد الكريم الشيخلي من الاعتقال بدأت مرحلة جديدة في حياته، وحاول مع من هرب من الطلبة إكمال دراساتهم الجامعية في سورية، ولكن معوقات وضعها رئيس الجامعة الدكتور أحمد السمان أمامهم، حالت دون ذلك، «وانتهى الأمر بأن طلب إلينا السراج ترك الأمر له لمعالجته، ناصحاً الذين يريدون الالتحاق بالدراسة فوراً الذهاب إلى القاهرة، وكان في عداد هؤلاء صدام حسين التكريتي، وعبد الكريم الشيخلي، وفاتك الصافي، وحاتم حمدان العزاوي، ومن دون أن يتخذ أي إجراء ضد الدكتور السمان الذي لم يغير موقفه»^(٢).

ولكن الشيخلي المتحمس للدراسة الجامعية في سورية، هو غيره في مصر، عاد إلى العراق بخفي حنين، عاد إليها كما كان فيها، وبعد أن أمضى أكثر من ثلاث سنوات،

(١) هاني الفكيكي: أوكار الهزيمة.. تجربتي في حزب البعث العراقي، ص (١٤١-١٤٢).

(٢) هاني الفكيكي: أوكار الهزيمة.. تجربتي مع حزب البعث العراقي، ص ١٥٣.

وهو لما يزل طالب المرحلة الثانية في كلية الطب، وخرج من الدنيا وهو كذلك.

وتعرف الشيخلي عند الإعداد لعملية الاغتيال على آخر ملتحق بها، وهو صدام التكريتي - كما كان يسمى حينها - أثناء الرمي في منطقة الحصوة، أو عندما يجمعها الوكر الحزبي، وكان صدام آنذاك لم يبلغ درجة العضوية بالحزب، فهو حديث عهد بالانتماء لحزب البعث، ولا يفصل بين انتمائه عام ١٩٥٩ وبين أحداث العملية الفاشلة التي جرت في نفس العام إلا بضعة أشهر^(١)، ثم هرب كل على انفراد إلى سورية، وحاز فيها صدام على العضوية في الحزب، واختلف قادة البعث في من منحه درجة العضوية اختلافاً بيناً، بلغ حد الكذب، وقد أوضحنا هذا الاختلاف في أحد كتبنا المنشورة^(٢).

وسافراً سوية إلى مصر وسكننا في شقة واحدة، وتعمقت العلاقة بينهما أكثر، واطلع عبد الكريم الشيخلي على معظم أسرار صدام الشخصية وغيرها للفترة الممتدة من نهاية عام ١٩٥٩ - ١٩٦٣، وتعرف عن قرب على اتصالاته المشبوهة، ولاحظ تسلقه الخاطف لمواقع الحزب المهمة، فقد اشترك صدام حسين في عملية الاغتيال الفاشلة، وهو ما يزال نصيراً لم يكسب درجة العضوية، وقد نالها استثناءً كما يؤكد ذلك حازم جواد^(٣)، ويمكن أن يصدق على عبد الكريم الشيخلي من هذا التاريخ فصاعداً، بأنه خزانة أسرار صدام بحق^(٤).

(١) انظر:

أ- إبراهيم الزبيدي: دولة الإذاعة، ص ٢٦٣.

ب- هاني الفكيكي: أوكار الهزيمة... تجربتي مع حزب البعث العراقي، ص ١٤٢.

(٢) المؤلف: بعث العراق من البداية المريبة حتى النهاية الغربية، ص ٢١٠-٢١٣.

(٣) جريدة الحياة: العدد ١٤٩٢٦ في ٨ شباط ٢٠٠٤ الموافق ١٧ ذي الحجة ١٤٢٤ هـ الحلقة الأولى من مذكرات حازم جواد.

(٤) في اليوم التالي لعملية اغتيال عبد الكريم الشيخلي الذي جرى يوم ٨/٤/١٩٨٠، صعدت

والذي يعرف نفسية صدام وعقدها وأمراضها المستعصية، يعتقد بأنه يكره ثلاثاً إلى حد المقت: المحسن إليه، والمتفوق عليه، والذي يعرف السلبي من أسراره، فهو لاء بالنسبة إليه مصدر إيلاام نفسي لا يطاق، وجزء من ضحاياه يمكن أن يندرجوا تحت هذه العناوين الثلاثة، ويمكن أن يوضع عبد الكريم الشيخلي في واحد منها أو في جميعها، وهي حالة مرضية غريبة أن يوضع هؤلاء جميعاً في عداد الأعداء ومع المسيئين.

ورغم أن الشيخلي لم يترك شيئاً مدوناً عن حياته السياسة عامة، أو عن فترة الثلاث سنوات التي قضاها في مصر خاصة، ولم يترشح منها إلا نزر قليل، لم يصدر عنه، وإنما عن آخرين، وأكثرها عن غريمه صدام.

كان عبد الكريم الشيخلي يلاحظ تسلق صدام الخاطف لمواقع الحزب المهمة فهو «بمجرد هبوطه أرض القاهرة، انضوى تحت لواء التنظيم الحزبي في مصر، وما فتئ يتصاعد في مراتبه بتصاعد نضاله، حتى صار عضواً في لجنته القيادية التي ما كانت تشرف على التنظيم داخل مصر وحدها، وإنما على التنظيمات الأخرى المنتشرة في شمال أفريقيا العربي، وقطاع غزة والسودان، والجزيرة العربية كذلك»^(١).

وظل الشيخلي في تفوقه على صدام حزبياً، فهو أمين سر التنظيم البعثي في مصر حسب رواية صدام نفسه^(٢)، وقد انتخب مندوباً عن رفاقه لمقابلة ممثل رئاسة

➤ مع المرحوم فليح حسن الجاسم في سيارته، سألتني هل سمعت أخبار ليلة البارحة؟، أجبت بالنفي، قال: قتل أمس عبد الكريم الشيخلي مستودع أسرار صدام، ثم تناول شطراً من سيرته، وأضاف: إن السلطة ضالعة بالعملية.

(١) أمير إسكندر: صدام حسين.. مناقلاً ومفكراً وإنساناً، ص ٦٦.

(٢) توجد رواية أخرى تخالف ما ذكره صدام مراراً، يرويها السيد أحمد الجبوبي في كتابه أشخاص كما عرفتهم، حول مسؤول التنظيم البعثي في مصر فيذكر أنه مدحت إبراهيم جمعة، لأنه أثناء

الجمهورية العربية المتحدة، بعد أن كتب خمسة من البعثيين العراقيين المحكومين بالإعدام، إلى رئاسة الجمهورية يشكون فيها المضايقات التي تسببها المباحث المصرية.^(١)

وكانت المباحث المصرية تركز على صدام حسين لشكوك تجمعت لديها تشير إلى علاقاته المشبوهة، «وبين الحين والآخر، كان صدام يعود إلى بيته فيجده قد فتش ركناً ركناً، وأن أوراقه قد قرئت، ولعلها صُورت أيضاً»^(٢).

«كما أن أرشيف الإدارة العامة لمباحث أمن الدولة المصرية، يضم كتاباً (سرياً جداً) وتحت رقم (١٦٨٢٩ رد) والمؤرخ بتاريخ ١٩/٦/١٩٦١، وهو مرسل إلى المدير العام لشؤون اللاجئين السياسيين، ومما جاء فيه:

أثناء مراقبة المستر (وليم) نائب القنصل الأمريكي، تكررت عدة تقارير عن لقاءاته باللاجئ السياسي العراقي (صدام حسين) وشوهدا معاً في مقهى (تريامف) بمصر الجديدة، وكازينو الهرم السياحي»^(٣).

ولا يمكن أن نتصور أن لاجئاً عراقياً تعرض لملاحقة المباحث المصرية بقدر ما تعرض له صدام حسين، فقد كان الأكثر تعرضاً لمراقبة هذه المباحث وتجميعها للمعلومات عنه واقتفاء أثره، ولأن قصته مع المباحث المصرية كانت مشهورة ويعرفها جل اللاجئين، فهو لم يستطع إخفاءها، عندما شرع بإملاء سيرته الذاتية على الدكتور أمير إسكندر في بداية تسلمه للسلطة، ولكنه بحثها من ناحية التبرم

➤ عملية اغتيال قاسم التي سببت لهم الهروب كان عضواً في القيادة القطرية، انظر للجبوي كتابه المذكور ص ٦٠.

(١) د. أمير إسكندر: صدام حسين.. مناقلاً ومفكراً وإنساناً، ص ٦٦.

(٢) المصدر نفسه: ص ٦٦.

(٣) حسن السعيد: نواظير الغرب، هامش ص ٣٥٣.

والأذى الذي واجهه ورفاقه البعثيين من ملاحقات ومتابعة، فقد أعطاهما صفة الجمع وشمل الآخرين معه، حتى تكون منسجمة مع الرسالة التي بعثوها إلى رئاسة الجمهورية، ومن خلال الحديث عن ذلك، دسّ في ثنايا الكلام، أن بيته كان يفتش ركناً ركناً، وأن أوراقه قد قرئت وصورت، ولكن هذه الإجراءات الأمنية لم يُنبئ عنها مدحت إبراهيم جمعة مسؤول التنظيم البعثي حسب رواية الحبوبي، وعبد الكريم الشيخلي مسؤول التنظيم البعثي في مصر حسب رواية صدام نفسه، ولماذا هذه الحملة الأمنية خصت صدام دون غيره؟

وفي لقاء لي في أحد فنادق مدينة الكويت مع زياد فيصل الصانع ابن مسؤول حزب البعث في الكويت، والنائب المعروف في مجلس الأمة الكويتي، سألته عن علاقة والده بصدام حسين، أجاب بأن ذلك يعود إلى ما بعد عام ١٩٥٩ عندما التحق والذي بجامعة القاهرة، لنيل شهادة البكالوريوس في التاريخ، وفي القاهرة تعرف على صدام الهارب إليها جراء مشاركته في عملية اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم، وجرى تعارفهما من خلال قصة مهمة في حياة صدام، حيث فوجئ والذي في أحد الأيام باندفاع رجل داخل شقته، تطارده المباحث المصرية لعلاقاته المشبوهة التي تجمعت لديها من خلال متابعتها له، أخفاه والذي فترة من الزمن في شقته، وضيّقه وأكرمه وحافظ عليه حتى هدأت المطاردة، وعادت الأمور إلى طبيعتها الاعتيادية، ومن خلال هذه الحادثة ومنذ تلك الأيام التي قضاها صدام في شقة والذي، صار صديق صدام المقرب.^(١)

(١) تم اللقاء بطلب مني بتاريخ ١٣/٤/٢٠١٢ مع زياد نجل النائب الكويتي فيصل عبد الحميد الصانع مسؤول تنظيمات حزب البعث في الكويت، الذي رُجّ مع أسرى الكويت عند اجتياحها، لعدم قبوله رئاسة الحكومة المؤقتة، التي طلب صدام تشكيلها بعد غزوه الهمجي، وانتهت أخبار الصانع مع ما انتهى إليه مصير الأسرى المغدورين، وقد ترتب على أسر فيصل الصانع آثار أخرى داخل قيادة النظام.

كل هذا كان حاضراً مجسماً أمام الشيخلي، وتختزن ذاكرته أسراراً أخطر لأنه كان مسؤول اللجنة التي تشرف على التنظيم في مصر، ويسكن مع رفيقه صدام في شقة واحدة، هذان السببان جعلاه أكثر اطلاعاً من غيره على ما يدور حوله، ومع هذا فإن الشيخلي عمق علاقته بصدام ووثق منه واطمأن إليه، وفضّله على غيره من الرفاق، فيما يلي من فصول سيأتي بيان ذلك، وكان صدام من جانبه -وهو القادر على إخفاء نواياه- يخطط أن يكون الشيخلي تابعاً ذليلاً، وليس متبوعاً، وقد تمكن من ذلك بعد أن سجل عليه كل إخفاقاته وعيوبه وفشله، ليعرضها عليه في أيام ضعفه وتراجعته، وهو الوقت المناسب الذي يترصده صدام، وهو أسلوبه الناجح في تركيع الرفاق وإذلالهم.

لذلك لم يردنا عن طريق الشيخلي شيئاً من فضائح صدام التي أزكمت الأنوف وتناقلتها الركبان، سوى أنه «كان شديد الانتقاد، لاذعاً في أحاديثه، لم يستثن أحداً حتى صديقه (صدام) ذاته، ولم تفارقه المرارة، ولا مشاعر الغضب، ولا الكلمات النابية أحياناً»^(١) وبقيت خزائن الأسرار مقفلة ليأخذها معه إلى القبر.

➤ قال حسين كامل عندما كان هارباً في عمان: إن صدام غضب من ملاحظة أبداها (سعدون شاكر) بشأن فيصل الصانع البعثي الكويتي، الذي رفض الاشتراك في الحكومة المؤقتة، مما اعتبره صدام موقفاً متخاذلاً بقوله: «إن هدايا الكويتيين إلى سعدون خربته، متهماً إياه بإقامة علاقات شخصية ومصالحية على حساب الحزب»، انظر: صحيفة الرأي العام الكويتية، العدد ١١٧٢٩، الاثنين ١٩٩٩/٨/٢.

وصار سعدون شاكر بحكم المنسيين، بعد الملاحظة التي أبداها بشأن رفيقهم وصديقهم المشترك فيصل الصانع.

ونسي صدام ما لقيه من حماية وتكريم وإحسان أسداها الرجل الكويتي يوم كان صدام طريداً خائفاً، تقفو آثاره المباحث المصرية، والذي يعرف صدام يجد أنه شخص مريض ومأزوم ممن أحسن إليه وأكرمه، وفيصل الصانع من قائمة طويلة من المحسنين، الذين يمكن أن يوضعوا تحت عنوان: (جزاء سنهار).

(١) جهاد كرم: بعثيون من العراق كما عرفتهم، ص ٦٦.

أما صدام ذاته فلم يكن رحيماً بالشيخلي صديقه ورفيق دربه، وكان قاسياً عليه في نقده إلى أبعد الحدود، والقسوة سلوك قاتل تلبست في طبيعة صدام، الذي لم يوفر شيئاً له في هجومه العنيف عليه، بعد اثنتي عشرة سنة من مصرعه على يدي سبعاوي أخيه غير الشقيق، وبعد أن أفرغ جعبته من كلمات التحامل والحقده عليه، أخذ يضرب به مثلاً على الكسل والخمول، والنزق واللابالية أمام المنظمات الحزبية السورية، إذ يقول: «ولهذا فأنا أعطيكُم مثلاً آخر هو الرفيق عبد الكريم الشيخلي - رحمه الله - الذي كان أميناً لسر قيادة الفرع في مصر، وكانت قيادة الفرع في القاهرة، وقد أنيطت بهذا الفرع مهمة قيادة المنظمات الحزبية في المغرب العربي وفي الأرض المحتلة وقطاع غزة، وفي الكويت واليمن، وقد كان كل منها بمستوى شعبة، فضلاً عن الجزيرة العربية (السعودية) حيث كان التنظيم بمستوى فرقة.

وأضاف صدام قائلاً:

لقد كان عبد الكريم الشيخلي كسولاً، وكان شاباً نزقاً، كان قليل الانتباه للعمل الحزبي، وكنا أيامها نحدد مواعيد الاجتماعات والحركة بوقت يسبق بزوغ الشمس، حيث يكون بواب العمارة نائماً، ولا يستطيع أن يرصد حركتنا في الذهاب والإياب، أو يحدد لها توقيتاً ليخبر به أجهزة الأمن، وكان عبد الكريم الشيخلي يحب النوم، وكلما حاولت إيقاظه ليلتقي برفاقه المسؤول عنهم، فإنه لا يستجيب فما كان مني غير أن أذهب وأرتب له الموعد، ثم أعود لأوقظه من جديد كي يذهب لملاقة رفاقه والاجتماع بهم، واستمر عبد الكريم الشيخلي على هذا الحال»^(١).

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يتعرض فيها الشيخلي للنقد والتجريح،

(١) شامل عبد القادر: لمحات صحفية من عراق صدام حسين ١٩٦٨-٢٠٠٣، ص (٢٠٨-٢٠٩).

وقد سبق لظه الجزراوي أن يتناوله فاتحاً ومهدداً الطريق أمام سيده ليدي بدلوه، وقد جاء الكتاب الذي ألفه الجزراوي عن صدام، وكأنه قد خصص مساحة منه للتشهير بالرفاق القياديين الذين بطش بهم سيده، فقد شمل ذمُّه عبد الخالق السامرائي، وغانم عبد الجليل، ومحمد عايش، ومحيي عبد الحسين الشمري، وعبد الله سلوم السامرائي، وكأنه جاء بهذا الكلام الرخيص لتبرير الفتك، وما تعرضوا له من أذى وتعسف.

وأما عبد الكريم الشيخلي، فقد تحدث الجزراوي عن اهتمام وعناية صدام به، فهو يشيد بهذا الدور، ويلمز الشيخلي من قناة طويلة بقوله:

«وموقفه من الرفيق عبد الكريم الشيخلي عضو القيادة القطرية السابق، حيث رعاه رعاية تامة، رغم أنه كان في أحيان كثيرة يتجاوز في تصرفاته ويقع بأخطاء كبيرة لا تنسجم ومسيرة الحزب والثورة، تمييزاً من الرفيق صدام حسين لدوره، كونه كان ضمن المجموعة التي قادها لتنفيذ عملية التصدي للطاغية عبد الكريم قاسم، وقد منحه فرصاً عديدة لتصحيح أوضاعه وأخطائه، وكان قلبه الكبير يتسع لكل هفواته.

ورغم الرعاية والحنان التي كان يسبغها الرفيق صدام - ، على الرفيق عبد الكريم الشيخلي، فإنه كان من الجانب الآخر صريحاً في الحديث معه لتوجيهه وتذكيره بأخطائه، وهذه هي صفة الرفيق صدام حسين، حيث عُرف عنه قدرته على الصراحة والمواجهة مع كل الرفاق وجهاً لوجه دون أي تردد.

وقد استمر الرفيق صدام حسين يرعاه حتى بعد أن غادر صفوف القيادة، فشمّل عائلته برعايته وحنانه، انطلاقاً من حسه الثوري وفلسفته في أن رفاق

الدرب لا بد أن يمنحوا كامل الفرص لتجاوز أخطائهم وسلبياتهم»^(١).

بعد هذا المديح الفجج والنفاق المفضوح، لا ينجل الجزراوي من الكذب، وهو ينسب قيادة المجموعة التي نفذت عملية الاغتيال الفاشلة في شارع الرشيد إلى سيده صدام، في الوقت الذي لا يوجد فيه أي مصدر من المصادر الموثوقة يؤيد ذلك، ولا يوجد أي باحث موضوعي يرى هذا الرأي، لأن صدام جيء به لسد فراغ حدث في زمرة الاغتيال نتيجة انسحاب ياسين السامرائي^(٢)، وقد كان هناك تردد في قبوله، لأنه حديث عهد بالحزب، ولم تكتمل لديه شروط العضوية البعثية، ثم من يصدق أو يعقل أن نصيراً عمره الحزبي بضعة أشهر يقود مجموعة أعضاء سبقوه في الانتماء، وفي النشاط الحزبي، وفي الدور في العملية ذاتها؟!، حتى أن أحدهم وهو سمير عبد العزيز النجم كان عضو قيادة فرقة الأعظمية آنذاك!!

وبواسطة ماكنة إعلامه الرهيبة استطاع صدام أن يسلب من رفاقه إنجازاتهم وما حققوه من أعمال، وما كسبوه من عناوين وألقاب، ويخطف الأضواء المسلطة عليهم، ويدهائه المعروف حوّل ابن عمه البكر من الرئيس القائد إلى الأب (القاعد)، وأفرغ ميشيل عفلق من محتواه ليكون الأمين العام للحزب مع وقف التنفيذ منتظراً هلاكه، ونافس عبد الكريم الشيخلي وهو في قبره ليعلن للملأ بواسطة أقلام مأجورة بأنه قائد زمرة الاغتيال في يوم ٧/١٠/١٩٥٩، ولم يكن طه الجزراوي بأول مفترٍ فيها كما مر بنا، وإنما يتحرك طابور من الإعلام المضلل بهذا الاتجاه، ومن هؤلاء من يؤلف كتاباً، ويكتب له مقدمة -عدي صدام حسين- يصف وضوح عنصر البطولة «من خلال الأحداث التي عاشت وسطها شخصية

(١) طه ياسين رمضان: صدام حسين الرفيق والأخ والقائد، ص (٦٨-٦٩).

(٢) إن أدق المصادر تشير إلى أن العضو المنسحب هو ياسين السامرائي، وهو الصحيح، وخطأ ورد اسم شاكر إبراهيم حليوه في كتاب دولة الإذاعة لإبراهيم الزبيدي، ص ٣٦٣.

القائد، فهو الذي قطع الصحراء دون خوف وكان سنه عشر سنوات، وهو الذي كان على رأس مناضلي الحزب في عملية اغتيال الدكتاتور عبد الكريم قاسم، وقد جرح على أثرها في ساقه، ثم هرب بعدها إلى سورية، وهو الذي اقتحم القصر الجمهوري بأول دبابة إبان ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨، ونجحت الثورة نجاحاً باهراً، وهو الذي... وهو الذي»^(١).

والقائمة تطول ولا تنتهي هذه الأسطوانة المشروخة في المديح الفج ومنح البطولات الزائفة.

وإن المتابع يستطيع أن يقف على حقيقة ما جرى يوم ٧/١٠/١٩٥٩ في شارع الرشيد، ويتأكد من ذلك من خلال ما دوّن ساعة الحدث، وفيما بعد على لسان بعض المنفذين الذين أدلوا باعترافهم كاملة أمام محكمة الشعب (محكمة المهداوي) وقد ترشح منها أن الرماة الأساسيين هم: عبد الكريم الشبخلي، وسمير عبد العزيز النجم، وعبد الوهاب الغريزي، وحاتم حمدان العزاوي، وأصحاب الأدوار الثانوية لحماية المهاجمين صدام التكريتي ومسؤوله الحزبي في فترة ما أحدثه العزوز، الذي يقول مخاطباً المهداوي: «سيادة الرئيس اسمح لي أوضح لك عن الرشاشة التي كانت بيدي.. الرشاشة التي كانت بيدي، ليس فيها محل ليمسكها بيده، وقبلها كانت للقتيل نفسه، وبعد أن أوضح كريم الشبخلي -لأن كريم كان هو المسؤول ساعة التنفيذ- فقال أنت دورك ليس مثل دور عبد الوهاب فزوري تعطيه رشاشتك على اعتبار كان فيها مقبض، فأعطاني الرشاشة التي ليس فيها مقبض، وأنا كنت أعرف أنها كانت مقبوضة، فالتى كانت بيدي غير مقبوضة»^(٢).

(١) مشتاق محمود حسين: صدام حسين القائد، تقديم عدي صدام حسين، ص ٣٦.

(٢) محكمة الشعب (محكمة المهداوي) محاضر جلسات المحكمة العسكرية الـ ١١، اصة، الجزء العشرون، ص ٣٢٥.

لم يكن صدام حسين النموذج الأمثل عندما كان لاجئاً في القاهرة، ولم ينقل لنا أيُّ من اللاجئيين، وهم كثر، أن صدام كانت له ميزة تميزه عن رفاقه وغيرهم، في أي مجال من مجالات الحياة في مصر، ولم تذكر له منقبة خلال ثلاث سنوات وبضعة أشهر قضاها هناك، ولذلك فهو عندما يتكلم عن نفسه ويرفعها إلى عليين، ويتحامل على رفيقه عبد الكريم الشيخلي ويحط منه ويجعله أسفل سافلين، والقصة المشتركة بينه وبين الشيخلي شهودها موزعون على الوطن العربي، ومعهما نفر من العراقيين، لأنهما كانا عضوين في فرع حزب البعث في مصر أمين سره عبد الكريم الشيخلي، وعضو قيادته صدام حسين، ويشرف هذا الفرع على تنظييات الحزب في مناطق عربية حددها صدام في كلمته مدار البحث، أو في ما أملاه على أمير إسكندر من سيرته الذاتية، وفي هذا الأمر نحتاج إلى طرف آخر محايد يصف لنا كيف كان صدام في مصر، من دون أن يبخسه حقه، فجاءت لنا رواية المحامي أحمد الحبوبي لتضع النقاط على الحروف.

«كنت محامياً عندما لجأت إلى القاهرة، وهناك عدد كبير من اللاجئيين العراقيين بينهم صدام حسين، الذي كان يُعرف باسم صدام حسين التكريتي، وليس صدام حسين المجيد بعد توليه رئاسة العراق، كان يسكن في الدقي، وفي غرفة يتقاسمها معه عبد الكريم الشيخلي صديقه المفضل، الذي قتله في منتصف ثمانينات القرن الماضي^(١)، وقُتِل بسبب عبارة قالها الشيخلي عندما كان سفيراً في الهند: (تره إحنا عصابة تحكم).^(٢)»

-
- (١) قتل عبد الكريم الشيخلي في بداية الثمانينات وبالتحديد ٨ نيسان ١٩٨٠ وليس في منتصفها.
(٢) هذه العبارة نطق طارق عزيز بها بشبهها وبقي إلى آخر عهد صدام، يقول حازم جواد «في يوم تشيع العقيد عبد الكريم مصطفى نصرت، الذي اغتالوه، وكنت واقفاً عند باب جامع الإمام الأعظم أتقبل التعازي، وإلى جانبي كان اللواء عبد الغني الراوي، جاء طارق عزيز وقدم التعازي، وقال: (أنا لم اكن أتصور أن أشتغل مع عصابة مثل هذه) وكان هذا الحديث أمام

كنت أجد صدام منظوياً على نفسه، وعندما يحضر لقاءً أو حواراً أو ندوة في مقر التجمع كان صامتاً على طول، ولا ينبس ببنت شفة إطلاقاً، فقط يتفرج، ويقضي ساعات طوالاً في مقهى (ديانا) وفي كل مرة يأتي فيها إلى التجمع، أو إحدى نشاطاته الثقافية والسياسية، يحضر مرتدياً نعال أبو الإصبع»^(١).

➤ الراوي، الذي لا أذكر بياذا علق، جريدة الحياة، العدد ١٤٩٣٦ في ١٨/٢/٢٠٠٤، الحلقة الأخيرة من مذكرات حازم جواد، إنهم يذكرون ذلك ويستنكرونه لفظاً ويستمرون بالعمل مع العصابة الحاكمة.

(١) شامل عبد القادر: مجزرة قاعة الخلد تموز ١٩٧٩، ص ١١١، من لقاء للمؤلف مع السيد أحمد الحويبي.

عبد الكريم الشخيلي
وما عليه



البدايات في الأعمال القذرة والمنحطة تبدأ صغيرة، ثم تتطور في حياة الإنسان، وهذا ما يؤكد علماء النفس والاجتماع وفقهاء القانون والتشريع الإسلامي، إذ يبدأ مقترف الجريمة والسلوك العدواني بالصغير منهما ثم يتصاعد تدريجياً إلى أعمال عدوانية خطيرة، وقد تكون البداية مصحوبة بالخوف والندم، اللذين يزولان في نفس المتجرى بالتدرج أيضاً.

إن الشخصية المريضة والمصابة باعتلالات نفسية عدوانية ولو بدرجات دنيا، تكون استجابتها لممارسة العدوان أكثر من غيرها، وأسرع لتلبيته.

«طرق بابَه أحمد طه العزوز، وصحبه إلى شخص آخر اسمه إياد سعيد ثابت، نظر إليه إياد بعمق، وقال له بصوت هادئ رزين واضح النبرات: (الواجب) هو ضرب عبد الكريم قاسم، فهل أنت مستعد؟»

على الفور أجاب صدام حسين بصوت فيه رنين فرح: بالطبع أنا مستعد!!»^(١)

وهذا ما يفسر لنا أن قيادة البعث وهي تعد العدة لاغتيال الزعيم قاسم، كيف أنها خاطبت منتسبيها، من أجل استحصال قبولهم في المشاركة في عمل شائن، ورغم تشجيعها لم يندفع معها بهذا الذي تتمناه وتحض عليه إلا ثمانية أعضاء انسحب أحدهم لأسباب غير معروفة، وكاد أن يلحق به آخر، لولا تلافى عبد

(١) د. أمير إسكندر: صدام حسين.. مناقلاً ومفكراً وإنساناً: ص ٤٥.

الكريم الشيخلي أمره، فعجزت القيادة عن سد النقص بعضو آخر، وتعذر عليها ذلك، فاضطرت إلى الاستعاضة عنه بنصير التحق توأ في صفوف الحزب، ولم تكتمل لديه شروط العضوية، ولم يستوعب المفردات الأولى من مفاهيم الحزب، ولكنه من أهل السوابق رغم صغر سنه، وعلى أساس خلفيته الدموية تم التعويض به لسد الفراغ.

أما عبد الكريم الشيخلي وبقية المشاركين فلا نعرف عن خلفياتهم السلوكية والأخلاقية إلا اللمم، ولكن عملية الاعتداء الأثيم من دون خوف أو وجل أو وخزة ضمير، والاندفاع نحوها من دون حساب للتناجج والخسائر بالأرواح حتى ولو كانت في حدودها الدنيا، فإن ذلك إشعار بأن هؤلاء المشاركين هم من فاقدى الإحساس بعواقب الأمور، ومن المراهقين الذين سلب الشحن القومي عقولهم، في سنوات كان فيها الحس القومي طاغياً، فاستغلته الأحزاب والحركات القومية في تجنيد الشباب إلى الموت، خصوصاً تلك التي تفكر بعقلية التآمر، كما يجري اليوم من استغلال شرير ومدنس للصحة الإسلامية.

إن هذه البداية بالنسبة لطالب الطب عبد الكريم الشيخلي تعتبر المدخل ونقطة الشروع في ارتكاب مآثم وجنایات أخرى، وهي بداية غير مشرفة إذا قيست على أساس قيم المجتمع وأعرافه، ومن تلك اللحظة بدأ الخط البياني للولوج في مستنقع الأعمال القذرة والدونية في صعود ملحوظ.

«إن السلوك العدواني هو سلوك مكتسب أثناء الحياة بفعل عوامل اجتماعية، وبأنه يتعزز ويتواصل بفعل هذه العوامل، ويتحقق هذا الاكتساب للسلوك العدواني نتيجة للتعرض لمثله، والتعلم من نماذجه، خاصة إذا اقترن ذلك بالمكافأة على القيام به، أو توقع هذه المكافأة».^(١)

(١) الدكتور علي كمال: النفس.. انفعالاتها وأمراضها وعلاجها، الجزء الثاني، ص ٧٦٧.

إن الاثنین صدام حسین و عبد الکریم الشیخلی ظهرت علیهما أعراض موت الضمیر بعد حادثة رأس القرية في شارع الرشید، ولو أن الأعراض في صدام باتت أكثر وضوحاً وأقدم عمراً، لأنه قد مارس الجريمة والعدوان قبل هذه الحادثة، بعد قتله لابن عمومه سعدون الناصري، ولذلك كان صدام والشیخلی في سباق محموم للإیغال في ارتكاب الجرائم فيما بعد، والارتكاس في مستنقع الرذيلة، وفي هذا المجال فاق الاثنان بقية أفراد الزمرة، ولما كان السلوك العدواني هو سلوك مكتسب أثناء الحياة، فإن الاثنین كانا يتقاسمان غرفة واحدة، ومسؤولية مشتركة، ويعيشان في أجواء متشابهة، وإحساسات متقاربة، تملیها حالات الإحباط والحین والغربة، وفي ظل هذه المؤثرات وأخرى غيرها، لا يمكن بأي حال من الأحوال، أن نتصور انعدام ظاهرة التأثير المتبادل في أنماط سلوكهما، وعلى أساس ما تقدم نتوصل إلى نتيجة حتمية مفادها: إن تأثير أحدهما بالآخر أمر مسلمٌ به، وهذا ما يمكن لأي باحث ملاحظته على سلوكهما في الفترة التي تلت عودتهما من القاهرة.

وربما أدرك حزب البعث بحسه الحركي وعقليته العدوانية، أن الطباع التي جُبل علیها الاثنان، لا تصلح إلا في تدمير الآخر، ولذلك اختير لهما الموقع الذي يتناسب مع تلك الطباع المنفرة.

وبعد عودتهما إلى بغداد في أعقاب ٨ شباط ١٩٦٣، عملاً معاً في مكتب التحقيق الخاص، وأصبح قصر النهاية مقراً لهذا المكتب الجديد، الذي تتبعه جميع هيئات التحقيق وفي مقدمتها مقر محكمة الشعب سابقاً، ومركز تحقيق المأمون، والنادي الأولمبي، ونادي النهضة، وكان مكتب التحقيق يضم إلى جانبها قتلة آخرين ومجرمين محترفين من أمثال: عمار علوش وناظم كزار، وسعدون شاكر، وخالد طبره، وعلي رضا باوه، فوجد كل منهما ضالته.

یصف أحد قياديي الحزب أعمال هذا المكتب في فترة الحكم ما بعد ٨ شباط

قائلاً: «أما الإعدامات التي كانت تصدر بقرار من مجلس قيادة الثورة، فقد أوقفت نهائياً، ولم نوافق بعد مرور الأسابيع الأولى على اقتراحات الإعدام من أية جهة جاءت، غير أن أمراً موازياً حل محل تلك القرارات، وبدأ يجري في الأقبية والمعتقلات السرية بإدارة رجال معوجين من أمثال: عمار علوش، وناظم كزار، وعبد الكريم الشيخلي، وصدام التكريتي، وسعدون شاكر، وخالد طبرة، وأسماء أخرى معروفة، وبدأ الإرهاب يمارس بطرق أخرى دون علم وتوجيه القيادة القطرية.. ولكننا كنا نسمع عن جثث تطفو على سطح دجلة، ونتساءل عن من يقوم بذلك؟!»^(١)

إضافةً إلى الأسماء المتقدمة كانت قيادة الحرس القومي^(٢) تشكل لحمة هذا المكتب وسداه، ويسمى أيضاً بمكتب عمار علوش الجلاد المعروف الذي كانت أوامر التعذيب تصدر منه، وكان يقوم بإطلاق سراح بعض الموقوفين مقابل مبالغ معينة، فقد أخذ من المدعو فاروق الطائي مبلغ (٢٠٠٠) دينار مقابل إطلاق سراحه.^(٣)

(١) د. علي كريم سعيد: عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم، ص ١٩٢.

(٢) وتشكلت قيادة الحرس، حسب البيان رقم (٤) من المجلس الوطني لقيادة الثورة:

استناداً إلى ما جاء في بياننا المرقم (٣) أصدرنا التعيينات التالية:

- ١- العقيد الركن عبد الكريم مصطفى قائداً لقوات الحرس القومي.
 - ٢- أبو طالب عبد المطلب الهاشمي برتبة رئيس مؤقتاً معاوناً لقائد قوات الحرس القومي.
 - ٣- نجاد محمود الصافي برتبة رئيس مؤقتاً عضواً في هيئة القيادة.
 - ٤- صباح محمد باقر المدني برتبة ملازم أول مؤقتاً عضواً في هيئة القيادة.
 - ٥- أحمد محمد العزاوي برتبة ملازم أول عضواً في هيئة القيادة.
 - ٦- عطا محيي الدين برتبة ملازم أول مؤقتاً عضواً في هيئة القيادة.
- انظر: أ. د. جعفر عباس حميدي: تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري، الجزء السادس، ص ١٠.

(٣) المنحرفون: ص ٢٢.

وقد قام هذا الملوث باعتباره المسؤول الأول بانتهاكات لا حصر لها، هو وأمثاله من المعوجين على حد تعبير عضو القيادة القطرية الذي يضيف قائلاً: «إن هذه العناصر الدموية اعتادت أن تحصل على دعم وإسناد بعض الضباط، وأهمهم من حيث المركز والفعالية صالح مهدي عماش، وطاهر يحيى التكريتي، ورشيد مصلح التكريتي، وبدرجة أقل أحمد حسن البكر، وهؤلاء وغيرهم جهزوا مراكز التعذيب الرئيسية في بغداد بالمال والسلاح دون علمنا»^(١).

ومن الاعتراف السابق يمكن أن نقدر حجم الدور الذي لعبه عبد الكريم الشيخلي في سفك الدماء وإزهاق الأرواح، وهتك الأعراض، ومصادرة الحريات، وفي الحقيقة كنت غير مطمئن لإيراد اسم صدام حسين وعبد الكريم الشيخلي ضمن زمرة التحقيق الخاص وعلى لسان طالب شبيب، واعتبرت ذلك تماشياً مع موجة الكره المتصاعدة لصدام وأعوانه في سنوات التسعينات، التي صدرت فيها مذكرات الشبيب وبتعليقة الدكتور علي كريم سعيد، وكنت أتردد في اقتباس هذه المعلومة، وذلك لأن كتاب (المنحرفون) الوثيقة الخطيرة التي أقضت مضاجع البعثيين وقطعان الحرس القومي، لم يرد فيها أي ذكر لصدام حسين وعبد الكريم الشيخلي، مع أنها ذكرت بشكل وافٍ عناصر مكتب التحقيق الخاص، وربما يعود السبب في عدم تسجيل أي شيء ضدّهما إلى الدور الثانوي الذي لعبه صدام حسين إلى جانب عبد السلام عارف وأحمد حسن البكر في دعم انقلاب ١٨ تشرين الثاني ضد البعثيين، وعمل كل من صدام التكريتي وعبد الكريم الشيخلي كمخبرين في جهاز أمن العقيد رشيد محسن، وكذلك حفظ لهما عبد السلام عارف ورشيد مصلح -المشرفان الحقيقيان على كتاب المنحرفون - دورهما في عملية اغتيال عبد الكريم قاسم، ولذلك لم يرد في الكتاب أيضاً أسماء الزمرة التي نفذت

(١) د. علي كريم سعيد: عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم، ص ٩٢.

الاعتداء على الزعيم، مع أن مصادر كثيرة أوردت أسماءهم إلى جانب مسؤولياتهم في قطاعات الحرس القومي سيء الصيت.

ومنذ خمسة عشر عاماً مرت على نشر مذكرات طالب شبيب في طبعتها الأولى عام ١٩٩٩، ظهرت مصادر أخرى لم تقتبس من المصدر المذكور، في الوقت الذي تؤكد فيه هذه المصادر أن صدام حسين وعبد الكريم الشيخلي عملاً في مكتب التحقيقات الخاص مع عناصر ملوثة من طينتهم.

ومما يعطي تأكيداً على عملها معاً في مكتب التحقيقات الخاص في قصر النهاية عام ١٩٦٣، عودتهما باندفاع شديد إليه -أي قصر النهاية- بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، ومرابطتهما فيه ليلاً ونهاراً، وأضافا إلى خبرتهما التي اكتسبها في مكتب التحقيق الخاص، خبرات جديدة وأساليب متطورة في التعذيب ونزع الاعترافات، ولكن هذه المرة تحت تسمية جديدة هي مكتب العلاقات العامة، الذي تحول فيما بعد إلى رئاسة المخابرات العامة.

يقول القيادي البعثي اللبناني جهاد كرم فيما يخص عبد الكريم الشيخلي أنه: «رجع إلى بغداد بعد قيام حكم البعث في ١٤ رمضان عام ١٩٦٣ وأنيطت به مسؤولية المشاركة في اللجان التحقيقية التي استجوبت الشيوعيين المعتقلين»^(١).

ولم تتوقف الشهادات التي أدلى بها أصحابها، وهم يؤكدون على ضلوع الشيخلي في استجواب الشيوعيين وأنصار عبد الكريم قاسم، والتحقيق معهم وانتزاع الاعترافات منهم، بالترغيب والترهيب وشتى وسائل التعذيب، التي ساهم في تطويرها بعد أن أدخل فيها ما درسه في كلية الطب بشكل سلبي ومعكوس، وبما تتناسب مع مهنة الجلواز في زنانات الرعب، حتى نقلت عن

(١) جهاد كرم: بعثيون من العراق كما عرفتهم، ص ٦٤.

تفنه في إذلال ضحاياه قصص غريبة، وابتكارات مخيفة يندى لها الجبين.

وبدلاً من أن يتخذ الشيخلي مكانه المناسب لاختصاصه كطالب في كلية الطب، ومن خلاله يستطيع أن يخدم الحزب والثورة - وهو أهون الشرين - إلا أنه لم يبرح مكانه المفضل وهوايته المحببة، في قطع أصابع اليد وقلع الأظافر، وسمل العيون وتكسير العظام، وأعمال شائنة أخرى تقشع لها الأبدان، أصر على ممارستها في أقبية مراكز التحقيق، حيث عفونة الدماء المراقبة والأعضاء المتورة والجلود المحروقة.

فقد ترك الشيخلي العمل في المستشفيات والمراكز الصحية، وتخلّى عن المراقبة في وحدات الطوارئ والإسعافات السريعة، وأدار ظهره لردهات المرضى التي يتجسد فيها كل الخير والعطاء الإنساني، ليستعوض عنها بأماكن أثبتت براعتها في تشويه أعضاء الإنسان وصناعة العوق والعلل الدائمة، وفضّل الأخيرة على الأولى، لأنه إنسان غير سوي، تعمّق فيه الانحراف ولا يستطيع معالجته بسهولة. ومن الذين شاهدوه في تلك الأماكن الملوثة الموبوءة العميد عبد الهادي الراوي، الذي نقل ما شاهده عياناً إلى (عاد الفرعون) عام ١٩٧٤، عندما كان الراوي لاجئاً في القاهرة.

«يقول (العميد) عبد الهادي الراوي: كنت عضواً في المكتب العسكري لحركة القوميين العرب السرية التنظيم، عندما صدر مرسوماً جمهورياً بعد نجاح انقلاب ٨ شباط عام ١٩٦٣ بتعييني محافظاً للناصرية، وفي أيار من العام نفسه وضعت السلطة يدها على انقلاب فاشل دبّته الحركة، وكنت من المشاركين فيه، فجاءت ثلة من البعثيين إلى مقري ووضعوا عصا على عيني ونقلوني بالسيارة، وبعد ساعات من السير، أنزلتُ في مكان، عرفت فيما بعد، أنه قصر النهاية، وفي باحة أجلسوني، وما زالت العصا على عيني، وكنت أسمع إلى جانبي مباشرة شاباً

يبكي بحرقة، وعرفت أن البعثيين جلبوه لاشتراكه في الانقلاب القومي الفاشل، ورحت أهدأ من روعه وأقول له: عيب على الرجل أن يبكي، وخاصة الرجل الذي يختار العمل السياسي وأنت ما زلت شاباً، ولا يجوز أن تبكي، وإذا كنت تخاف من نتائج العمل السياسي فلماذا اخترت العمل في السياسة؟!^(١)

اقرب مني المحقق - والكلام ما زال لعبد الهادي الراوي - وقال لي: كيف تقبل على نفسك وأنت (عميد) في الجيش أن يقودك هذا الشاب الذي يبكي، وهو في الوقت نفسه عضو في المكتب السياسي، تخيل لو كانت حركتكم قد نجحت من أين ستعرف أن هذا الشاب الذي يبكي سيكون قائداً سياسياً؟!^(٢)

يقول الراوي: سألتني المحقق إن كنت أعرف هذا الشاب من خلال تهديج صوته وهو يبكي، فأنكرت معرفتي به، ثم قال المحقق: إنه سينزع عن وجهي العصاة لأتمكن من رؤية هذا الشاب والتعرف عليه، وبعد أن قام المحقق بنزع العصاة فشلت في معرفة وجه الشاب، لأنه أيضاً كان معصوب العينين، وبعد لحظات قام المحقق بنزع العصاة عن وجه الشاب، وصعقت أن يكون هذا الشاب الباكي المنهار أمامي هو الأستاذ أمير الحلو عضو المكتب السياسي للحركة!!^(٣)

ويضيف الراوي: التفت إلى المحقق الذي عرفته بعد نزع العصاة عن عيني وتبين لي أنه البعثي كريم الشيخلي، وقلت له: أنا مسلم وسأقول لك كلاماً أرجوك لا تفهم منه تنازلاً مني أو جبناً أو محاولة لإطلاق سراحني، بل هو قسم أن لا أنضم أو أنتمي إلى حركة سرية بعد الآن، وبعد هذا الموقف، وإن زوجتي طالق إن حثت بوعدني!!^(٤)

ومما يقض مضاجع القيادة البعثية ويؤرقها ما قام به مكتب التحقيق الخاص

(١) شامل عبد القادر: لمحات صحفية عن عراق صدام حسين ١٩٦٨-٢٠٠٣، ص ٢١٤، من لقاء أجراه المؤلف مع عاد الفرعون.

من مجازر تعتبر وصمة عار في جبين حزب البعث برمته، حيث اتخذت عصابات متوحشة من قصر النهاية مكاناً لـ (مكتب التحقيق الخاص) هذا المسلخ البشري الذي تتبعه مكاتب التحقيق الأخرى بها فيها مقر التحقيق في محكمة الشعب سابقاً، ومركز تحقيق المأمون، ومركز تحقيق النادي الأولمبي، ومركز تحقيق نادي النهضة، ومركز تحقيق الجعيفر.^(١)

في هذا المسلخ كان يقبع عبد الكريم الشيخلي مع مجرمين من طينته ليهارسوا ما يسمى بالتحقيق بأساليب حضارية مع أسراهم، ويكشف الدكتور تحسين معلة جانباً مما شاهده في قصر النهاية من انتهاكات وتجاوزات خطيرة عبر عنه بالمسلخ البشري الرهيب، ونحن عندما نورد وصفه، لأننا طالما نعتمد شهادات البعثيين على بعضهم، لما لهذا الأمر من وقع خاص في النفوس، لخلوّه من التحامل والخصومة واللغة الثأرية، ولأنهم أقرب إلى الحدث من غيرهم، ولأن بعضهم يفتتح على البعض الآخر، وكثيراً ما تنكشف أسرارهم، وتحسين معلة كما هو معروف، بعثي من القيادات الأولى، ومن الجيل الأول للبعث في العراق، وكان عضواً في أول قيادة قطرية منتخبة عام ١٩٥٥.

يقول الدكتور تحسين معلة: «ذهبت إلى قصر النهاية بناءً على طلب حمدي عبد المجيد لمعاينة المرضى من الشيوعيين، وقد بدأت من السرداب (القبو) فرأيت سلام عادل نائماً وسط القاعة، طاوياً نفسه على الأرض، معصوب العينين ومدمى.

ورأيت أيضاً عبد الرحيم شريف العاني في الحالة نفسها، وكذلك حسن عويّنة، الذي كنت أعرفه من النجف، وكانت تربطني به علاقات جيدة، ورأيت هناك أيضاً عبد القادر إسماعيل البستاني، وحمدي أيوب وآخرين لم أتعرف عليهم بسهولة،

(١) جريدة الصباح الجديد: العدد ٢٤٩٨ في ١٣/١/٢٠١٣ من مذكرات الدكتور تحسين معلة، (الحلقة السادسة).

وكانوا بحالة يرثى لها، وبنامون بشكل مباشر على أرضية السردات الرطبة.

وتحدثت معه بحرية تامة، وكاننا صديقان، ولكنني تحاشيت الاستمرار بالحديث مع حسن عويّنة، ابن مدينتي وزميلي في الصف الدراسي بثنوية النجف، وكذلك لم أواصل حديثي مع عبد الرحيم شريف، الذي أعرفه عن قرب، لأنه عديل أخي المرحوم عبود معلّة، لشعوري بالخجل أمامه.

حاولت تضميد جراحاتهم بقدر ما توفرت لدي الفرصة، وانتقلت إلى ردهات أخرى، كتبت لهم الأدوية المطلوبة، وكنت أعاود زيارتهم يوماً تقريباً طوال أسبوع كامل.

تعاملت مع السجناء الشيوعيين تعاملًا طبيًا، كطبيب تحمل مسؤولية إنسانية تجاههم، وبكونهم مرضى يحتاجون إلى الرعاية الطبية، إذ كانوا جميعهم تعرضوا إلى تعذيب وحشي للغاية، كان رأس أحدهم مضروباً وقد غطته الدماء، فأعطيته بعض الأدوية، وآخر مجروحاً فقمّت بتضميد جراحه، وبينهم من كان يعاني من آلام في المعدة، فوصفت له الأدوية أيضاً، وأتذكر أن عبد القادر إسماعيل البستاني حين ظهر على شاشة التلفزيون، وكذلك حمدي أيوب، قد شكراني أمام الملأ، لتقديمي المساعدات الطبية لهما.

لا تفارقني لحظة لقائي هناك الدكتور محمد الحلبي، ابن أخ الطبيب أحمد الحلبي، وكان قد تعرض إلى تعذيب رهيب، وكان جالساً على الأرض، ويدها معقوفتان، وجروحه تنزف من الأعلى إلى الأسفل، قال لي: دكتور اكشف علي، ألا أحتاج إلى غذاء؟، فقلت له: أنا طبيب وليست لي مسؤولية في التحقيق، وقضية الطعام من صلاحية المحققين، وليس من صلاحية عملي، قال: عفواً.

ثم جاءوا بهاشم جواد وزير خارجية حكومة عبد الكريم قاسم، وأعطوه وجبة عشاء، وهي عبارة عن خبز وتمر، فسألته: هل تشكون من شيء؟، فأجاب

مذهولاً: ماذا تعني؟، فقال له أحد الحرس القوميين: هذا الدكتور تحسين معلة، فوقف مرتجفاً وهو يتمتم، فقلت له: أنا طيب وأستطيع مساعدتك.

ويواصل الدكتور تحسين معلة وصفه لما جرى في المسلخ البشري الرهيب، وعن حادثة أفقدته رشده وأثارت اشمئزازه، يقول:

لكي أكون منصفاً فأقول للتاريخ أن عبد الرحيم شريف والآخرين الذين عاجلتهم، كانوا في غاية الصلابة، ومنهم محمد الجلبلي، الذي كان جسمه ينزف من كثرة الجروح والذي سألني: هل أحتاج إلى حليب ولحوم؟، فقلت له: سأصف لك ذلك، ولا أدري هل سيجلبونه لك أم لا، وفي اليوم نفسه حصلت حادثة مزعجة ضد المعتقلين، فصممت أن لا أعود إلى قصر النهاية، هذا المسلخ البشري الرهيب، فقد كنت واقفاً مع مدحت إبراهيم جمعة في غرفته، وكان مسؤولاً في المعتقل، وكنت على وشك أن أخرج لمعاينة المرضى، فجاءوا بأحد المعتقلين، وكان كما أعتقد عاملاً بسيطاً يشتغل في ساحة الشيخ عمر، وكان ينشط في خط العمال للحزب الشيوعي العراقي، وكما أذكر كان اسمه كوركيس، وينحدر من الطائفة المسيحية، قال له مدحت: لماذا لا تعترف؟، فقال: والله يا عمي هذا الكلام غير صحيح، فلا يوجد لدي شيء أقوله.

وهنا خاطب مدحت الحرس قائلاً: خذوه، فأخذوه إلى الغرفة الجانبية، وبعد لحظات ونحن ما نزال نتجاذب أطراف الحديث في الغرفة أنا ومدحت، كان العامل يتعرض إلى الضرب من قبل الحرس، ولشدة الضرب وشعور العامل بالألم، أخذ يصيح بأعلى صوته: آخ..آخ..آخ..آخ، والحرس يواصلون ضربه من دون انقطاع، فذهبت إلى تلك الغرفة، وفتحت الباب لأشاهد المنظر، وإذا بي أراه معلقاً من يديه بمروحة السقف الهوائية، والضرب يتهاوى عليه من دون توقف، بحيث كانت الدماء تتدفق منه كالشلال.

وفي الحال أصبت بصدمة أفقدتني رشدي، وأثارت اشمئزازي، فخرجت إلى مدحت، وقلت له: مدحت ماذا يفعلون؟، فقال لي: أخي إنهم لا يعترفون، فتركت المكان، وأنا مصاب بالدوار، بحيث لا أستطيع أن أتذكر كيف وصلت إلى البيت، ومنذ ذلك الحين لم تطأ قدماي أرض قصر النهاية، وإلى حد بعيد قطعت عهداً على نفسي بأن لا أقرب من ذلك المكان أبداً.^(١)

إن إجراء مقارنة سريعة في هذا المقطع، لا في عموم الحياة، بين الطبيب البعثي تحسين معلة، وبين طالب الطب عبد الكريم الشبخلي ومنتظر بماذا يحكم المنصفون، قطعاً سوف لا تكون النتيجة في صالح الأخير، لأن الإنسان بطبيعته مفطور على نبذ الظلم وكره الظالمين، والوقوف أو التعاطف مع المظلومين.

تحدث الطبيب معلة عما شاهد ورأى من أهوال وفضائح لا يمكن أن تغطي، وتجاوزات لا تغتفر، وعالج أجساماً «تعرضت إلى تعذيب وحشي للغاية» وتحدث مع أحدهم وكانت «يداه معقوفتين وجروحه تنزف من الأعلى إلى الأسفل»، ولاحظ هاشم جواد وزير خارجية حكومة عبد الكريم قاسم مذهولاً من هول الكارثة، وتوجه إلى غرفة التعذيب، بعد أن حمله الصراخ المنطلق منها إلى فتحها فرأى بعينه الدماء التي تتدفق من كوركيس العامل المسيحي (كالشلال) -على حد تعبيره- وبعد أن قام بمسؤوليته الإنسانية لمدة أسبوع لم يستطع أن يواصل عمله من شدة ما تعرض له من إعياء وصدمة، وهو يرى وحوشاً كاسرة متسلحة بالقوة والسلطة وآلات الإذلال، على آخرين مجردين عزل لا يستطيعون دفع ما يقع عليهم من أذى، ولا حول لهم ولا قوة.

قد وصف لنا تحسين معلة صنوف التعذيب التي نزلت على أجساد النزلاء في

(١) جريدة الصباح الجديد: العدد ٢٤٩٨ في ١٣/١/٢٠١٣ من مذكرات الدكتور تحسين معلة، الحلقة السادسة.

قصر النهاية، وأوضح لنا صورة ما جرى من تعسف، كشاهد عيان من داخل المؤسسة البعثية، وبعد أن قام بمهامه كطبيب ولمدة أسبوع، كان وقع الصدمة عليه شديداً، فلم يستطع مواصلة عمله الإنساني، وأخذ عهداً على نفسه، وقرر أن لا يعود إلى هذا المسلخ البشري الرهيب - على حد وصفه - في الوقت الذي كان فيه رفيقه عبد الكريم الشيخلي مع نماذج من معدنه الرديء، يتلذذون من صيحات الألم، ويتفننون في صنع العاهات، وربما كانوا يضحكون ويقهقهون ويلهون، وكان بإمكان الشيخلي ورهطه الانصراف إلى غير هذه المهمة القذرة، وكان المجال مفتوحاً أمامه ليعود إلى رشده ويصحح مساره، ويكون طبيباً بعثياً، ولكن ليس بصورة وحش.

إن قيادة بعث العراق المدنية والعسكرية، ومن شاركهم بالحكم في الفترة الشباطية، مسؤولون مسؤولية كاملة عن كل ما جرى في تلك الفترة من مجازر وانتهاكات وتجاوزات يحاسب عليها القانون، يقول عضو قيادة البعث المدنية طالب شبيب: «في الأسبوع الأول للثورة قرر المجلس الوطني لقيادة الثورة تشكيل لجنة عليا من مسؤولين في الحزب، لديهم معرفة تنظيمية وسياسية بتركيبة الحزب الشيوعي وأساليب العمل السري المعتمدة، وذلك بعد تكاثر عدد المعتقلين الشيوعيين، ولعدم وجود لجان متخصصة تكفي للنظر في قضاياهم، وأيضاً بسبب عدم الثقة بالأجهزة التقليدية الموروثة من عهد عبد الكريم قاسم، وكان من بين المكلفين بهذه اللجنة أعضاء من قيادة فرع بغداد وشعبها، كنجاد الصافي، وأبو طالب الهاشمي، ومدحت إبراهيم جمعة، وأحمد العزاوي، وبهاء شبيب، وعمار علوش، ثم التحق بهم ناظم كزار وصادق التكريتي، وعبد الكريم الشيخلي قبل تعيينه معاوناً للملحق العسكري في بيروت.

واستطاعت هذه اللجنة في فترة قصيرة كشف الحجم الحقيقي للتنظيم العسكري للحزب الشيوعي»^(١).

إن إلقاء نظرة متفحصة على عناصر هذه اللجنة تدلنا على أن تاريخهم حافل بالتجاوزات وبنسب متباينة.

ثلاثة من هؤلاء هم: أبو طالب الهاشمي ونجاد الصافي وأحمد العزاوي، من قادة الحرس القومي سيء الصيت، ولا تحتفظ ذاكرة العراقيين من تجربة الحرس القومي غير القتل والقمع، وصور مفزعة لأجساد متهرئة استخرجت من حفر وقبور جماعية، وغيرها من الممارسات الشاذة.

وأربعة من أعضاء اللجنة وهم: عمار علوش وناظم كزار وصادق حسين وعبد الكريم الشيخلي، وهؤلاء هم رؤوس مكتب التحقيق الخاص، وقد تحدثنا مفصلاً عن مخالفات هذا المكتب القانونية والشرعية والأخلاقية.

ومدحت إبراهيم جمعة هو مدير السجن (قصر النهاية) وقد مر بنا كيف يأمر حرسه القومي للقيام بمهامهم في التعذيب والترويع ومصادرة الحريات، وما نقله الدكتور تحسين معلة عنه وعن حراسه يبعث الخوف والاضمئزاز.

وإذا كان طالب شبيب لم يمارس التحقيق حسب ادعائه، فقد تكفل هذا الدور أخوه بهاء شبيب الذي «مارس تعذيب المعتقلين في اليوم الأول للانقلاب واقترب العديد من الجرائم منها: قتل عضو منطقة بغداد متي الشيخ في الساعة الثالثة والنصف من صباح ١٤/٢/١٩٦٣، وأمام صديقه محمد باقر الجلبلي، وانتقل بعد ذلك إلى قصر النهاية ليصبح أحد الجلادين فيه»^(٢).

(١) د. علي كريم سعيد: عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم، ص ١٧٥.

(٢) ثمينة ناجي يوسف ونزار خالد: سلام عادل سيرة مناضل، الجزء الثاني، ص ٣٨٥.

باختصار شديد، وشبيه بالتعاريف تكلمنا عن مواصفات أعضاء هذه اللجنة المختارة، وإن الاختصاص الذي تفرزه هذه المواصفات غير خافٍ على الجميع، وقد قال طالب شبيب: إن هذه اللجنة تم اختيارها لعدم وجود لجان متخصصة، ومن هذا الكلام نفهم أنها البديل المناسب لتلك اللجان، ولا ندري بأي فن من الفنون، وبأي قسم من العلوم، تخصص أعضاء هذه اللجنة في مواجهة مثل هذه القضايا، ولم يذكر لنا طالب شبيب الأساليب الحضارية التي استخدمتها هذه اللجنة، حتى تمكنت في فترة قصيرة من كشف الحجم الحقيقي للتنظيم العسكري للحزب الشيوعي، ولا شك أن هذه الأساليب غير خافية على أولي الأبواب.

إن المجلس الوطني لقيادة الثورة المؤلف من أعضاء القيادة القطرية لحزب البعث، وكوادر عسكرية بعثية، إضافةً إلى عبد السلام عارف مسؤولون مسؤولية كاملة عما اقترفته هذه اللجنة في عملها.

إن القيادة البعثية المدنية المشاركة في المجلس الوطني لقيادة الثورة، كانت تضع مسؤولية الجرائم التي اقترفت في فترة الحكم هذه على أكتاف العسكريين المشاركين في المجلس نفسه، وتعتبرهم متورطين في انتهاكات خطيرة ومجازر خسيصة، ونحن نعتقد أن فرسان الفترة الشباطية مدنيين وعسكريين جميعاً ارتكبوا مخالفات كبيرة وبنسب متفاوتة، ولم يسلم الجميع من أوزار تلك المجازر التي شاركوا فيها بشكل مباشر أو غير مباشر، وقد مر بنا أن عاملاً مسيحياً اسمه كوركيس سألته مدحت إبراهيم جمعة، وكان يقف معه الدكتور تحسين معلة، وأنكر السجين ما نسب إليه، فأوعز مدحت إلى الحراس القوميين المحيطين به قائلاً لهم (خذوه)، وهي تعني إلى غرفة التعذيب، وعندما تعالى صراخه، دخل الدكتور معلة غرفة التعذيب فوجده بحالة يرثى لها، فكرر راجعاً إلى غرفة مدحت إبراهيم جمعة مدير السجن ليتنفض بوجهه ويقول له بلهجة استنكارية: ماذا يفعلون؟، فيأتيه جواب القيادي البعثي:

«أخي إنهم لا يعترفون» ولأنهم كذلك فهم يستحقون ما ينزل عليهم من عذاب، وبهذا المنطق التبريري المتهافت يريدون إقناع الناس.

وهذه الذريعة التي تمسك بها قادة البعث، لا يمكن أن تكون جواباً للقانون والشرع والأخلاق، لأن عدم الاعتراف لا يجيز التعذيب وتدمير الإنسان حتى الموت.

أما عضو القيادة القطرية، ووزير الخارجية طالب شبيب، فهو يتحدث في الحلقة (١٦) من مذكراته المنشورة في جريدة الزمان الدولية عما شاهده في زيارته لقصر النهاية، ويلخص واحدة من الجرائم التي ارتكبت ضد الخصوم السياسيين قائلاً: «وكنت قبل السفر للقاهرة، أي بعد الثورة (الانقلاب) بأيام قد زرت قصر النهاية، فرأيت حسن عويبة في حالة يرثى لها، وأمرت بالكف عن التحقيق معه ومعالجته حتى عودتنا من السفر، كي تتاح فرصة محاورته (ويقصد تعذيبه لانتزاع المعلومات منه) حول ما قيل عن ترؤسه لفرق الاغتيال التي تزعم أنها تستهدف قيادة حزب البعث، جلست أمامه وكان بعض أعضاء قيادة الحرس وفرع بغداد ما زالوا يحققون معه (علي صالح السعدي هو الذي حقق معه) قلت له: لماذا لا تعترف؟ (هذا هو الحوار)، أجب: أنا عقائدي ومقتنع بمبادئ، ولا يمكن أن أخون رفاقي ومبادئ، قلت: إن هؤلاء سيلحقون بك الأذى وربما تقتل.

فقام من مجلسه وكان يرتدي ملابسه الداخلية فقط، وسحب لباسه الداخلي وأراني ظهره وقفاه الممزقين وقال: ماذا سيفعلون أكثر من ذلك، فأنا أصبحت لا أشعر بقسوة التعذيب مهما كان نوعه.

وقد عجل الجلادون في قتله تحت التعذيب، جراء تحديه لهم واستهانته بهم»^(١).

إن طالب شبيب الذي رأى ظهر حسن عويبة وقفاه ممزقين، ربط بين إيقاف

(١) ثمينة ناجي يوسف ونزار خالد: سلام عادل سيرة مناضل، الجزء الثاني ص (٣٨٨-٣٨٩).

التعذيب وبين الاعتراف، فإذا لم يكن هناك اعتراف فإن التعذيب سيستمر حتى الموت، وقد صرح بذلك، وكان يتحلق حوله بعض قادة الحرس وفرع بغداد، وهم في حالة تحفز قصوى، وينتظرون نهاية ما سمي بالحوار للانقضاء على الضحية وافتراسه، وقد وقع شبيب في مطب قاتل، عندما قال: إن هؤلاء وهو يشير إلى بعض قادة الحرس وفرع بغداد، وهم ما يزالون يحققون معه، بأن هؤلاء سيلحقون بك الأذى وربما تُقتل، ولكن من الذي سيقتله؟، بعض قادة الحرس وجلهم أعضاء في فرع بغداد للحزب، وهذا يعني أن فرع بغداد مستنفر بالكامل لتدمير حسن عويبة وقتله، وفرع بغداد حزبياً يأتي بعد القيادة القطرية، لأنه أهم وأكبر الفروع، أي أن كبار مسؤولي البعث يشاركون في التعذيب والتحقيق، وهم جميعاً مصممون ومتفقدون على قتل الذي لا يعترف تحت التعذيب، ولا أعتقد أن هناك فرقاً بين قاتل يحمل الكبرياج ويهوي به ليمزق جسم الضحية، وآخر يقول له: إن هذا سيقتلك، وأنا موافق وأبارك عمله حتى موتك أو تعترف.

أما القيادي الآخر، فهو حازم جواد عضو القيادة القطرية ووزير الدولة، فهو يقول: «اتصل بي مدحت إبراهيم جمعة نهاية آذار (مارس) وأبلغني أن سلام عادل يطلب الاجتماع بي أو بعلي السعدي، الذي كان في مصر، ارتحت للطلب إذ اعتقدت بأنه يريد تزويدنا معلومات والتوصل إلى تسوية، خصوصاً أن الحملة السوفياتية تصاعدت ضدنا، ذهبت وبرفتي طالب شبيب، والتقيته في غرفة مدير المعتقل في قصر النهاية.

(نفي حازم جواد أن يكون سلام عادل قد تعرض للتعذيب وأضاف): سألته لماذا طلبتني؟، فقال: إنه يريد الاحتجاج على التعذيب والمعاملة السيئة للمعتقلين، فقلت له: أدلوا بما لديكم من معلومات وينتهي التعذيب»^(١).

(١) جريدة الحياة: العدد (١٤٩٣٠) في ١٢ شباط (فبراير) ٢٠٠٤، الموافق ٢١ ذي الحجة ١٤٢٤ هـ من مذكرات حازم جواد، الحلقة الخامسة.

هذا هو القيادي المدني الثالث الذي يضع الاعتراف شرطاً لوقف التعذيب المؤدي إلى الموت، والمدهش أن هؤلاء القادة جميعاً يتكلمون بنفس اللغة وذات المنطق، لغة التعذيب المخيف، ومنطق الموت الرهيب.

وقد سبق لحازم جواد أن زار قصر النهاية قبل لقائه بسلام عادل، وعن زيارته هذه يقول: «وخلال زيارة لي إلى المعتقل قابلت عبد اللطيف الحاج، الذي كنت معتقلاً وإياه قبيل ١٤ تموز، وهو شقيق عزيز الحاج الشخصية الشيوعية المعروفة، كانت آثار الضرب واضحة على وجهه، إذ اعتقل مع المقاومين في منطقة بته الكردي، سألته هل من داع لهذه المقاومة؟، فقال: أنت حزبي وتعرف أننا ننفذ التعليمات رغماً عنا، ولكن علاقتي مع هذا الحزب الذي ليس منه فائدة انتهت منذ الآن، وأنا مستعدٌ للتعاون».^(١)

ونتيجة لهذه الحملة الشرسة التي شنها قطعان الحرس القومي وقيادات بعث العراق على المحتجزين لديهم في قصر النهاية، وفي مراكز التحقيق الأخرى، انهار بعض الموقوفين وأعلن البعض الآخر استعداده للتعاون نتيجة للعذاب النازل على أجسادهم، وقد أعطي هؤلاء المتعاونون الأمان، كما مر بنا على لسان قادة البعث، وتغيرت المعاملة القاسية تجاههم، بعد أن أفرغوا من المعلومات التي يحملونها، وتأكد الجلادون من خلوهم منها، عزلوهم في مكان آخر، خشية أن يتعرض لهم بسوء الموقوفون الذين استبسلوا وصمدوا حتى النهاية، وبحسب الوعود المعسولة التي ألزم بها قادة البعث ومدير معتقل قصر النهاية أنفسهم، وكان المعتقلون المتعاونون يأملون إطلاق سراحهم، ونتيجة للضغط والإكراه الشديدين، كتب بعض الذين لم يستطيعوا تحمل التعذيب الشديد رسائل معنونة

(١) جريدة الحياة: العدد (١٤٩٣٠) في ١٢ شباط (فبراير) ٢٠٠٤، الموافق ٢١ ذي الحجة ١٤٢٤ هـ، من مذكرات حازم جواد.

إلى المجلس الوطني لقيادة الثورة، كلها خنوع واستسلام وطلب العفو، ومن هؤلاء:

شريف الشيخ عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، بديع عمر نظمي العضو السابق في مكتب الثقيف التابع للجنة منطقة بغداد للحزب الشيوعي، حسين الوردي عضو لجنة بغداد في الحزب الشيوعي العراقي، حسين علي الهورماني عضو مكتب سكرتارية اتحاد الشبيبة الديمقراطي العراقي، عبد الستار مهدي محمد رضا مسؤول المكتب الفلاحي لدى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، عصام القاضي مسؤول لجنة بغداد للحزب الشيوعي العراقي، ولطيف الحاج علي حيدر من تنظيمات الخط العسكري.^(١)

ولم يكتفِ الجلادون من بعض من تقدمت أسماؤهم بكتابة الرسائل المذلة، فعرضوهم على شاشات التلفاز، ليدلوا باعترافاتهم المأخوذة قهراً مع آخرين غيرهم، ومن هؤلاء: عبد القادر إسماعيل البستاني، إبراهيم كبة، عدنان جلميران، عصام القاضي، حسين الوردي، باسم مشتاق، شريف الشيخ، حسن عمر الأفغاني، حمدي أيوب، بديع عمر نظمي، وحسن عبود.^(٢)

ورغم ما لحق بهؤلاء من حيف وأذى كبيرين، فإن أفانين ومكر وخداع حزب البعث وأعضائه القائمين على العمل في زنانات التعذيب ومقاصل الإعدام، لم تتوقف أبداً، وهي في حالة نمو وابتكار دائمين، فعمدوا إلى إسقاط المتعاونين معهم سياسياً، وذلك بالاعتماد على مجموعة منهم، أسسوا منها تشكيلاً، أُطلق عليه فيما بعد اسم (لجنة المساعي الحميدة)، وأريدَ لهذه المجموعة أن تتولى مهمة التعذيب النفسي لدى المعتقل بإثارة اليأس والقنوط من مستقبل العمل السياسي لأحزابهم.

(١) وزارة الإرشاد: السلسلة السياسية (١) الكتاب الأسود (اعترافات الشيوعيين)، ص ١٢٣.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٢٣.

وعن بدايات هذا الأمر يتحدث صالح مهدي دكلة، العضو السابق في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي قائلاً: «ما إن تم إدخالنا إلى (القصر) وهو أشبه بمجزرة لذبح الغنم منه بقصر كانت تسكنه العائلة المالكة والأمير عبد الإله، حتى دفعوني إلى إحدى غرف التعذيب، وعلقوني بحبل يتدلى من سقف الغرفة من إحدى رجلي، وبدأوا ينهالون علي بالضرب، وسرعان ما فقدت الوعي، لفرط ما تعرضت له في البصرة من تعذيب، ولسوء حالتي الصحية بعد إطلاق النار علي، فتحت عيني لأجد حوالي رفاقي القدماء يقفون وهم يتناوبون الحديث، أذكر منهم المرحوم عبد القادر إسماعيل، عصام القاضي، شريف الشيخ، حمدي أيوب، عدنان جلميران، علي حسين الرشيد، ابن عم قائد الفيلق ماهر الرشيد، سلطان ملا علي، وباسم مشتاق، والكل يحثني على التعقل لأن الثورة ليست إلا ثورة وطنية، ونحن الذين أخطأنا تقدير الموقف، فلم ألثفت إلى أي منهم سوى عبد القادر إسماعيل البستاني الرجل الأشيب موجهاً إليه الكلام، هل أنت مقتنع بما يقال يا أبو أحمد؟، وهي الكنية التي كنا اعتمادنا أن نخاطبه بها، فإذا به يتلثم وتغورق عيناه بالدموع!»^(١)

لم يبق جلاذو بعث العراق من الخطط الجهنمية نوعاً إلا وجربوه على ضحاياهم، فبعد جولات التعذيب الرهيبة التي أفرزت نوعين من الرجال، الصامدين إلى النهاية، وهؤلاء مصيرهم الموت حتماً، والمستسلمين المتعاونين وهؤلاء هم الصنف الثاني، الذي أجريت عليهم اختبارات وخطط خبيثة من أجل الإمعان في إذلالهم وإسقاطهم سياسياً، فمن إجبارهم على كتابة الرسائل، إلى فضحهم أمام الملأ من على شاشات التلفاز، إلى دخولهم في مجموعة ما يسمى بالمساعي الحميدة، وأخيراً لم يسلم منهم من الموت إلا القليل.

(١) صالح مهدي دكلة: من الذاكرة (سيرة حياة) ص ١٠١.

إضافةً إلى الأسماء المتقدمة كان عدد آخر من المعتقلين في قصر النهاية، لم يكن لديهم مواقع مهمة في الحزب الشيوعي العراقي، ولم يكونوا قد ارتقوا إلى المواقع الحزبية لأصحاب الأسماء المتقدمة، فلم تذكر أسماءهم في وسائل الإعلام البعثية، وكانوا أيضاً من المتعاونين مع لجان التحقيق التي تتصل بمكتب التحقيق الخاص للتنسيق وأخذ الأوامر، ومن أهم عناصر هذا المكتب صدام التكريتي وعبد الكريم الشيخلي.

وفي عملية خسيصة خالية من المروءة، ولا تمت بصلة إلى الأخلاق والقيم وحفظ العهود، سطا رجال صالح مهدي عمّاش في عملية قرصنة خبيثة، ليأخذوا (٣٠) موقوفاً من المتعاونين مع الجهات التحقيقية، من الذين حصلوا على عهود الأمان والسلامة بعد اعترافهم في قصر النهاية، من هؤلاء لطيف الحاج علي حيدر، الذي جاء في رسالته إلى المجلس الوطني لقيادة الثورة ما يلي:

«وكلي أمل أن تكون هذه التحية مقبولة لديكم، تكفيراً عن بعض الآثام التي ارتكبتها أثناء وجودنا في الحزب الشيوعي، كما أرجو أن تنظروا لنا بعين الصفتح والغفران، عسى أن تكون بقية طاقاتنا المتواضعة في خدمتكم.

مع أعمق التحيات

١٩٦٣ / ٣ / ٢

المخلص

لطيف الحاج علي حيدر

عضو الحزب الشيوعي (مقدم)

من تنظيمات الخط العسكري^(١)

(١) وزارة الإرشاد: السلسلة السياسية (١)، الكتاب الأسود (اعترافات الشيوعيين) ص ١٥.

وسبق أن ثبتنا اللقاء الذي جمع لطيف الحاج مع حازم جواد، الذي ما ينفك عن إعطاء الأمان لكل من يعترف، ويدلي بمعلومات للجان التحقيقية، ولكن لطيف الحاج رغم تعهداته أمام حازم جواد وتوسلاته في رسالته المؤلمة، سيق مع مجموعة قوامها ثلاثون شيوعياً إلى ساحات الموت لينفذ بهم الإعدام بأمر من صالح مهدي عمّاش «وكان أحد أهم أبطال مجزرة عمّاش ضد الشيوعيين المتعاونين، عبد الكريم الشيخلي، الذي كُوفئ بدلاً من معاقبته، بتعيينه معاوناً للملحق العسكري ببيروت»^(١).

ومما تجدر الإشارة إليه أن علي حسين الرشيد، الذي ظهر اسمه ضمن المتعاونين مع لجان التحقيق، وكان مع المتناوين على صالح مهدي دكلة، لثنيه عن الاستمرار بالصمود، والطلب منه أن يتعقل، وإن ما حدث في ٨ شباط هو ثورة وطنية، كل ذلك من أجل الاعتراف وإعطاء ما لديه من معلومات باعتباره عضو اللجنة المركزية ومسؤول المنطقة الجنوبية، ولذلك كان تركيز التعذيب عليه عالياً، وعندما كان تحت التعذيب في البصرة، وكان فيها أبو طالب عبد المطلب الهاشمي «البعثي المدني الذي ذاع له لاحقاً صيت دموي»^(٢)، فقد داس بحذائه على وجهه^(٣)، وفي بغداد أُدخل على قائد الحرس القومي منذر الوندأوي فسدد له لكمة على وجهه، وصاح بحراسه ألقوا به في المرافق^(٤).

ورغم أن علي حسين الرشيد كان كادراً شيوعياً قديماً، قد حضر الكونغرس الثاني للحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٥٦، ولكنه ظهر من المتعاونين مع اللجان التحقيقية، ضمن المجموعة التي أُطلق عليها فيما بعد اسم (المساعي الحميدة) في

(١) د. علي كريم سعيد: عراق ٨ شباط ١٩٦٣، من حوار المفاهيم إلى حوار الدم، هامش ص ١٧٧.

(٢) حازم صاغية: بعث العراق.. سلطة صدام قياماً وخطاماً، ص ٣٠.

(٣) صالح مهدي دكلة: من الذاكرة (سيرة حياة) ص ٩٩.

(٤) المصدر نفسه: ص ١٠٠.

قصر النهاية، وإن لجنة التحقيق الخاص، التي كان ضمن عناصرها المتوحشة ابن عمه صدام حسين التكريتي، هذه اللجنة لم تطلب منه أن يكتب رسالة إلى المجلس الوطني لقيادة الثورة، الذي كان أحد أهم أعضائه ابن عمه الآخر أحمد حسن البكر، ولهذا لم يظهر اسمه ضمن أصحاب الرسائل، ولم يشهر به كغيره، ولم يجبر على الظهور على شاشة التلفاز ليذلي باعترافاته ومعلوماته، ولم يكن ضمن الذين سيقوا ظلماً وعدواناً إلى ساحات الإعدام بأمر من صالح مهدي عماش، وبتنفيذ من عبد الكريم الشيخلي، ونحن بهذا الكلام لا نريد للرجل أن يكون كذلك ولا نتمناه، ولكننا نرصد ظاهرة الكيل بمكيالين التي يتعامل بها حزب البعث العراقي، ومن خلال الرصد والمتابعة تبين لنا، أن الذي جرى لعلّي حسين الرشيد لاعتبارات عشائرية^(١) وهي التي حالت بينه وبين حالات التنكيل التي تعرض لها غيره من المتعاونين مع لجان التحقيق، وإن البكر وصدام كانا في ٨ شباط ١٩٦٣، وما بعدها، واستمررا بعد ذلك إلى نهاية كل منهما مأخوذين بهذه الاعتبارات، وإن حزب البعث كان يتعاطى مع ظاهرتي التمييز العشائرية والطائفية.

إن البعثيين بعد سقوط تجربة حكمهم الأولى، اعترفوا بأنهم كانوا يرزحون تحت وطأة التمييز الطائفي، وأن صاحب المجزرة التي وصفت بالخشيسة والذنيئة في أكثر من مجال، لا ينفي تورطه بمثل هذه الجريمة النكراء، وقد أعطى لتمرير قرار التنفيذ صيغة الجمع ليشرك معه غيره من أعضاء المجلس الوطني لقيادة الثورة، الذي جُلّ أعضائه من البعثيين، يقول صالح مهدي عماش: «إننا جئنا إلى الحكم في ١٩٦٣، وقتلنا الشيوعيين وذبحناهم من دون مبرر، وحتى في ذلك

(١) ولمعرفة رابطة القربى بين البكر وصدام وعلّي حسين الرشيد، يراجع للمؤلف حكومة القرية، عشيرة البيجات وفروعها الصغيرة (أفخاذها) وهي أشبه ما تكون بالبيوتات في تكريت. أ- البو عمر ومنه (أحمد حسن البكر) ب- البو عبد الغفور ومنه (صدام حسين) ج- البو عبد المنعم ومنه (علّي حسين الرشيد)، والثلاثة أحمد، وصدام، وعلّي أبناء عمومة قريبة.

القتل والذبح ميزنا بين الشيوعي السني والشيوعي من الطائفة الشيعية، حيث أعدم القادة الشيوعيون الشيعة، وبقي على قيد الحياة الشيوعيون من الطائفة السنية»^(١).

في هذا الفصل حاولنا أن نغطي كل ما قام به عبد الكريم الشيخلي من انتهاكات وتجاوزات يندى لها الجبين، وتقشعر لها الأبدان، ومما يثير الاستهجان، أنه قام بكل هذه الأعمال المنكرة خلال فترة قصيرة جداً تمتد من ٨ شباط ١٩٦٣ حتى أيار من نفس العام، حيث التحق كمعاون للملحق العسكري ببيروت، ولكن أرقام اعتداءاته ونوعيتها تعطي انطباعاً على أنه يحمل بين جنبيه نفساً متعطشة للدماء، وضميراً ميتاً، وليس لديه أدنى شعور بالرفقة والرحمة.

بعد تميزه في العمل في دهاليز قصر النهاية العفنة، كُوفئ ليلتحق في أيار ١٩٦٣ بعمله الجديد، واستمر فيه حتى انقلاب عبد السلام عارف على البعثيين وطردهم وانتزاع السلطة من أيديهم في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، وعاد الشيخلي إلى العمل السري في الأوكار الحزبية، ولمدة تقرب من الخمس سنوات لم يكن لديه فيها سلطان على الناس، لأنه خارج السلطة، والسلطة واحدة من أهم الامتحانات التي تواجه الإنسان لمعرفة معدنه، وفيها تبرز كل صفاته المصطنعة والمخفية، وبعودته إلى المرحلة السرية لم يترشح لدينا من أعمال لا قانونية قد مارسها.

وفي ١٧ تموز ١٩٦٨ عاد حزب البعث ليحكم العراق مرة ثانية، وعاد معه عبد الكريم الشيخلي كمشارك في الانقلاب، وبعد أسبوعين مضت على الانقلاب المذكور، وبالتحديد في ٣٠ تموز منه أُسندت إليه حقيبة وزارة الخارجية، وهي وزارة مهمة وتحتاج إلى جهود استثنائية من أجل إنجاز مهامها الدبلوماسية، ورغم ضخامة هذا العمل، فإنه لم يمنعه من مواولة مهنته الوضيعة في قصر النهاية

(١) جواد هاشم: مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام، ص ٣٠٢.

الرهيب، الذي كان يتردد عليه كثيراً، ويرابط فيه وهو وزير.

وفي فترة استيزاره ظهرت شهادات تدينه باقتراف انتهاكات كبيرة وغير مبررة، يقول حسن العلوي: «عام ١٩٨٠ زرت مدرساً كان يقدم دروساً خصوصية لولدي في الفيزياء، وبمناسبة إطلاق سراحه من الاعتقال، وكان قد اختفى عام ١٩٧٠ فجأة ولم يعثر على أثر له.

وعلمت من شقيقه آنذاك أن الشرطة السرية ألقت عليه القبض وهو يصلي في جامع (براثا) في منتصف الطريق بين الكرخ والكاظمية، فحدثني عن يومياته في معتقل قصر النهاية، الذي أمضى فيه ثلاث سنوات، وأمضى السبع الباقية في معتقل آخر، قائلاً: في ليلة ١٣ رمضان عام ١٩٧٠، استدعاني عبد الكريم الشيخلي وزير الخارجية للمثول أمامه في هيئة التحقيق، وقد وجدته لأول مرة ودياً للغاية، خلافاً لتصرفاته معي في أوقات سابقة، وقد نهض من مكانه فتصورته سيجلس إلى جانبي، ولكنه أخرج من ثلاجته قنينة ويسكي، وصب كأساً وقدمه لي، فشكرته على ذلك معترداً.

قال: اشرب.

قلت: أنا مسلم كما تعلم فاعذرنى.

قال: وهل نحن كفار خذ واشرب.

قلت: إن الله يمنعني من ذلك.

قال: وأنا أمرك على ذلك.

قلت: معاذ الله أن أخالف أمر الله.

قال: إذا لم تشرب هذا فستشرب شيئاً آخر.

ولكنني أصررت على موقفي، فنأدى شخصاً يدعى صبحي - وكان هذا من قساة هيئة التحقيق ومن مساعدي كاظم كزار وقد أعدم معه في عام ١٩٧٣ - فقال له: خذوه (وتبولوا) في فمه، فأخرجني إلى باحة السجن، واجتمع أربعة أشخاص ففتحوا فمي وأنا ملقى على الأرض وبالوا فيه، فتقدم الوزير قائلاً: يبدو أن هذا هو شرابكم المفضل»^(١).

هل هناك أفدح من هذا الظلم، وهل يوجد أقبح من هذا الظالم؟

يقول الإمام علي عليه السلام: «للظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية، ومن دونه بالغلبة، ويظاهر القوم الظلمة»^(٢).

وهل من أحد يقرأ هذه القصة المثيرة، ويبقى لديه أدنى احترام للشيخلي أو للبعث الذي ينتسب إليه، وهل يتصور كائن من كان، أن هذا العمل المشين كان واحداً من تصرفات وزير في الدولة العراقية، فإذا كان هذا هو ما يصدر من الوزير، وهو إفراز عن أخلاقه وسلوكه، فكيف إذن سيكون عمل جلواز الأمن الذي يأتمر بأمره من حيث الانحطاط والدونية؟

بعض الناس من يلتمس لنفسه عذراً حتى لا يتورط بممارسة الأعمال الشاذة والهابطة، ويهرب بعيداً عنها، هروبه من الأسد، وأعمال وزارة الخارجية لكثرتها وتنوعها تستوعب معظم وقت الإنسان، ويمكن أن تنأى بالعامل فيها والموظف ولا سيما الوزير من الانحدار في الهاوية والارتكاس في الرذيلة، ولكن عبد الكريم الشيخلي، الذي سولت له نفسه الشريرة، لأن يقطع شطراً من عمله الدبلوماسي مختاراً، ليقوم بأعمال غير مفروضة عليه، ويذهب ليلاً في شهر رمضان المبارك،

(١) حسن العلوي: العراق.. دولة المنظمة السرية، ص (١٦٠-١٦١).

(٢) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، تحقيق السيد هاشم الميلاني، المختار من حكم أمير المؤمنين رقم ٣٤٠ ص ٥٤٣.

شهر الله، إلى قصر النهاية مسلخ نحر البشر، ليجد متعته في الإيذاء والانتقام، ويتجاوز على حرمان الله.

و«المؤمن أحد أعظم حرمانات الله تعالى على وجه الأرض، فقد حرم الله تعالى انتهاك أمنه، وترويعه، وتخويفه، وإذلاله، واحتقاره، وظلمه، والاعتداء عليه، وأمر بتكريمه حتى أن رسول الله ﷺ عدَّ حرمة المؤمن أعظم من حرمة الكعبة المشرفة». (١)

قال عبد الله بن عمر: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة، ويقول: ما أطيبك، وأطيب ريحك! وما أعظمك، وأعظم حرمتك!، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك». (٢)

«وقد خص الله تعالى البيت الحرام والمسجد الحرام بما لم يحرم في غيرهما من المساجد، وخص الله تعالى شهر رمضان فحرم فيه ما لم يحرم في غيره من الأشهر، لكرامة هذا الشهر وقيمه عند الله، وخص الله تعالى الأشهر الحرم الأربعة فحرم فيها القتال؛ لكرامتها عنده». (٣)

إذا عدَّ شهر رمضان من أعظم حرمانات الله تعالى، وكذلك حرمة المؤمن، التي احتلت مكانتها العظيمة ومنزلتها الرفيعة، على لسان رسول الله ﷺ في الحديث الذي قرأناه، لنا أن نتصور الحضيض الذي يهبط إليه من ينتهك هاتين الحرمتين، ويتعدى حدود الله عمداً وقصدًا، ويتفنن في هذا التحدي والانتهاك، وبتكرار أدأ الصور في هذا التجاوز القبيح.

(١) محمد مهدي الآصفي: في رحاب القرآن (١١) ص ١٩٥.

(٢) سنن ابن ماجه: (ج ٢، ص ١٢٩٧، ح ٣٩٣٢)، وقريب منه الترمذي: (ج ٤، ص ٣٧٨) نقلًا عن المصدر السابق، ص ١٩٥.

(٣) محمد مهدي الآصفي: المصدر نفسه، ص ١٩١.

بعد أن اطلعنا على العمل المنكر الذي بادر إليه متطوعاً وزير خارجية العراق عبد الكريم الشيخلي، هاتكاً حرمة شهر رمضان في قصر النهاية، لم تنته سلسلة أعماله القذرة، وظلت متواصلة ومستمرة حتى يوم طرده من مواقعه الرسمية والحزبية في نهاية أيلول ١٩٧١، فهو إضافة إلى موقعه الرسمي المذكور يحتل مواقع أخرى مهمة، فهو عضو قيادة قطرية منذ عام ١٩٦٤ بالتعيين، وبالانتخاب في المؤتمر القطري السادس عام ١٩٦٦، وهو عضو قيادة قومية منذ المؤتمر القومي التاسع المنعقد في شباط (فبراير) ١٩٦٨، وهذا الموقع الحزبي الكبير لم يصله صدام آنذاك، في حين انتخب الشيخلي ولم يكن حاضراً المؤتمر، وقد امتاز على صدام في ذلك، ولكنه ظل تابعاً ذليلاً له، يقفو أثره ويطيع أمره، وقد جن جنون صدام عندما انتخب خصومه^(١)، ولم ينتخب في المؤتمر القومي، ولكنه في النهاية جند لهم الواحد تلو الآخر.

إضافة إلى أن الشيخلي حاز على عضوية مجلس قيادة الثورة، حسب التعديل على الدستور المؤقت الذي قرره المجلس المذكور بتاريخ ٩/١١/١٩٦٩، وبموجب هذا التعديل صار فيه أعضاء القيادة القطرية وأعضاء القيادة القومية العراقيين أعضاءً في مجلس قيادة الثورة، وبدلاً من خمسة أعضاء صار عدد أعضائه خمسة عشر عضواً^(٢)، وصار صدام حسين منذ ذلك الوقت نائباً لرئيس مجلس قيادة

(١) غسان شربل: صفحات من حياة مؤسس حزب البعث بعد رحيل صدام وخراب البصرة، حوارات أجراها غسان شربل مع رزان عفلق وقياديين في حزب البعث على صفحات جريدة الحياة، جمعت في كتاب، ص ١٣٨، حوار مع معن بشور.

«وانتخبت قيادة قومية (كان العراقيون فيها): البكر وصالح مهدي عماش وعبد الخالق السامرائي وعبد الكريم الشيخلي وشفيق الكهالي، ولم يكن هذا الأخير عضواً في القيادة القطرية في العراق ما أغضب صدام كثيراً» المصدر نفسه حوار مع معن بشور.

(٢) أعضاء مجلس قيادة الثورة بعد التعديل على الدستور الذي أقره المجلس نفسه يوم ٩/١١/١٩٦٩ هم:

الثورة، وإن هذا التعديل (المفبرك) جاء من أجله بمؤامرة حاك خيوطها وتبناها أحمد حسن البكر وهي واحدة من خدعه وألاعيبه، وقد ساهم عبد الكريم الشيخلي في تمريرها، وعن ذلك اليوم وخلفياته وعن تلك المؤامرة تحدث صلاح عمر العلي مراراً^(١).

➤ أ- أعضاء المجلس الأساسيون منذ ١٧-٣٠ تموز ١٩٦٨:

- ١- أحمد حسن البكر.
- ٢- صالح مهدي عمّاش.
- ٣- حردان عبد الغفار التكريتي.
- ٤- حماد شهاب التكريتي.
- ٥- سعدون غيدان.
- ب- أعضاء القيادتين القومية والقطرية من غير (البكر وعمّاش).
- ١- عبد الخالق السامرائي.
- ٢- عبد الكريم الشيخلي.
- ج- عضو القيادة القومية الوحيد الذي لم يكن عضواً في القيادة القطرية:
 - ١- شفيق كمال.
 - د- أعضاء القيادة القطرية فقط:
 - ١- صدام حسين
 - ٢- عزت مصطفى
 - ٣- صلاح عمر العلي.
 - ٤- عبد الله سلوم السامرائي.
 - ٥- طه الجزراوي.
 - ٦- عزت الدوري.
 - ٧- مرتضى سعيد عبد الباقي.

(١) يقول صلاح عمر العلي: «وراء ذلك قصة مثيرة، فكما قلت سابقاً لم يكن صدام مرشحاً لهذا المنصب، وعندما شعرنا بالحاجة إلى استحداث هذا المنصب بعد عدة أشهر من الانقلاب، كان أكثرنا متوافقاً على ترشيح صالح مهدي عمّاش لأسباب عديدة منها أنه -بعد البكر- الأكبر سناً بيننا، وأقدمنا في عضوية الحزب وفي عضوية قياداته القطرية والقومية، وهو عسكري وذو خبرة»

➤ في شؤون الدولة، وكان له دور بارز في انقلاب ١٩٦٣ والانقلاب الأخير، ويتمتع باطلاع واسع وثقافة جيدة، وعلى مدى عدة اجتماعات لمجلس قيادة الثورة كنا ندرج قضية منصب النائب على جدول الأعمال، وكان البكر يؤجل البحث فيها إلى اجتماع لاحق، وذات يوم خاطبنا البكر في أحد الاجتماعات بأنه يشعر بالحاجة إلى إرسال مبعوثين إلى الدول العربية الأخرى، لشرح الأوضاع الجديدة في العراق لزعمائها وتوثيق العلاقات معها، فحظي اقتراح البكر بموافقتنا، وتقرر أن يذهب عمّاش إلى دول شمال أفريقيا، وحرّدان التكريتي (رئيس أركان الجيش وقائد سلاح الطيران) إلى دول الخليج العربية، وبعد يومين من سفر عمّاش، دعينا إلى اجتماع طارئ للمجلس، فاجأنا البكر فيه بالقول، إن معلومات دقيقة جداً توفرت له تفيد بأن عمّاش (يتأمر على الحزب والثورة) وطلب إلينا أن نتخذ القرار المناسب في حقه، فانبرى عزت الدوري وطه الجزراوي (نائب صدام حالياً) باقتراح لاتخاذ قرار بإعدام عمّاش والتحقيق معه في القضية، ولم يقدم البكر معلومات تفصيلية، وإنما قال إن عمّاش كان يتصل بوحدات عسكرية وبيعيين لتنفيذ (المؤامرة) ونحن يومها لم نشك في ما قاله البكر، ولكننا رفضنا أن نصدر حكماً بالإعدام أو أي قرار قبل إجراء تحقيق في حضور عمّاش نفسه.

الأكثر حماسة للقرار العاجل وحكم الإعدام، كان الدوري والجزراوي، وأيدهما في ذلك عبد الكريم الشيخلي (وزير الخارجية آنذاك وصديق صدام الشخصي، والذي اغتيل في بغداد في بداية عقد الثمانينات)، أما صدام فكان موقفه بين التأييد والتحفظ، المهم أننا انقسمنا إلى فريقين واحتدم النقاش فيما بيننا، وبلغنا درجة من التوتر بحيث أن البعض منا وضع يده على مسدسه، وكنا نرى أن سابقة خطيرة يمكن أن تحدث تهدد بإعدامنا جميعاً الواحد بعد الآخر بناءً على معلومات غير مؤكدة، وقد حسم البكر، الذي ظل صامتاً، الموقف بالموافقة على تأجيل البحث في الأمر حتى عودة عمّاش، بعد يومين أو ثلاثة حل موعد الاجتماع الاعتيادي للمجلس، وتضمن جدول العمل نقاطاً مؤجلة من اجتماع سابق، وأخرى جديدة وفي مقدمتها نقطة تتعلق باختيار نائب لرئيس المجلس، وعندما جاء الدور على هذه النقطة، سأل البكر عن رغبتنا في ترشيح نفسه أو غيره إلى هذا المنصب، وعمّاش كان لا يزال في مهمته الخارجية، ومتهماً بالتآمر على الحزب والثورة، فمن كان سيجرؤ على ترشيحه إلى هذا المنصب؟، بادر عزت الدوري وطه الجزراوي إلى ترشيح صدام حسين، وأيدهما عبد الكريم الشيخلي، وأظن أن أحداً منا لم يشعر بالغضاظة تجاه ذلك الترشيح، فصورة المنصب في أذهاننا أنه منصب رمزي لا يعكس نفوذاً أو دوراً متميزاً لصاحبه الذي لن يكون أكثر من مدير لاجتماعاتنا أثناء غياب الرئيس، ولأنه كذلك كان الاتجاه بيننا أن يحتله عمّاش تكريماً لخدمته وخبرته في الحزب، وإذا كان صدام قد جعل من

وقد استغل صدام موقعه الجديد في قضم رفاقه بصورة مشهودة، أما أعداؤه فإن القضم كان بادياً فيهم من قبل.

ورغم هذه المواقع المهمة التي حاز عليها عبد الكريم الشيخلي، إلا أن منهجه في المرابطة في قصر النهاية، ظل كما هو.

قال وليد الجنابي للسيد حسن العلوي: «سأروي لك واحدة فقط من المهات الخسيسة التي كلفت بها، والتي تطاردني أشباحها وأنا في المغرب، وأنا هنا على جبال البلقان، فقد أبلغني المسؤول الحزبي بقرار نقلي من التعليم إلى هيئة التحقيق في معتقل قصر النهاية ابتداء من ١٩٦٩، وقد أشرفت على عمليات التعذيب، ضد شخصيات معروفة من بينهم عبد الرحمن البزاز، وقد دعيت بعد منتصف ليلة إلى غرفة ناظم كزار في قصر النهاية، وكان إلى جانبه عدد من أعضاء القيادة من بينهم صدام حسين وعبد الكريم الشيخلي وطلب إلي ناظم كزار التوجه إلى

➤ هذا المنصب مصدر قوة له فذلك راجع إلى تنازل البكر له عن جزء من سلطاته وصلاحياته، حتى غدت السلطة فيما بعد شراكة بينهما، أما الأعضاء الآخرون في المجلس والقيادة القطرية فليسوا أكثر من موظفين كبار في الدولة، يقرر البكر وصدام أو أي منهما مصيره.

ويضيف صلاح عمر العلي قائلاً: كلفني البكر باستقبال عمّاش في المطار يوم عودته، وفي الطريق إلى البيت سألت عمّاش عما دفعه إلى التآمر علينا، فدهش الرجل لسؤالي، وصمت يفكر مستغرباً، ثم سألني عما جرى في غيابه، فشرحت له التفاصيل، وقال معقّباً: (خلص.. لم تعد هناك مؤامرة ولا هم يجزنون.. هي ليست مؤامرة صالح، وإنما مؤامرة البكر وصدام على صالح ليكون صدام نائباً للبكر) وراهنني على أن أحداً لن يثير قضية المؤامرة المزعومة في الاجتماع التالي لمجلس قيادة الثورة، وبالفعل في أول اجتماع للمجلس بعد ذلك لم نجد في جدول العمل ما يشير إلى ذلك، ولما تساءلنا عن سبب عدم إدراج قضية عمّاش على جدول العمل قال لنا البكر: (لا، لا، إخوان، إن هذه القضية اتضحت لنا والمعلومات ضد (أبو هدى عمّاش) غير صحيحة، ولا حاجة لمناقشتها)، تطلعنا جميعاً إلى وجه عمّاش الذي ارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة ذات معنى، فهمت منها أنه يقول لي: ألم أقل لك أنه ليست هناك مؤامرة ولا هم يجزنون». (صحيفة الشرق الأوسط: العدد ٥٣٤٦ الصادرة يوم الأحد ١٨/٧/١٩٩٣).

مستشفى التوثية (مستشفى التدرن الرثوي) وجلب أربعة مرضى من المصابين بحالات ميؤوس من شفائها، فزودت بكتاب وقعه في الحال أحد الحاضرين صادراً من مجلس قيادة الثورة إلى مدير المستشفى لاختيار العدد المطلوب من المرضى وتسليمهم لي، على أن لا أترك كتاب المجلس هناك.

يقول الجنابي أن الأمر قد اختلط علي، وأنا في طريقي إلى المستشفى فما علاقة هيئة التحقيق بمرضى السل، ولم أفكر بأن مهمتي كانت لإرسال هؤلاء المرضى للمعالجة في الخارج، لكنني كنت على يقين أن أجهزة جديدة أو أساليب جديدة لنزع الاعترافات ستجرب على هؤلاء المرضى، ولم يكن لي أن أسأل عن شيء من ذلك، إذعانا لطقوس الحزب، والتزاماً بمبدأ (نفذ ثم ناقش) وكان علي أن أنفذ، وقد لا يكون من حقي أن أسأل حتى بعد التنفيذ.

حينما عدت بالمرضى في سيارة لاندروفر كنت أمد رأسي خارج النافذة وأنا أسوق السيارة بسرعة طائشة خوفاً من أن تختلط أنفاسهم بأنفاسي، حتى إذا دخلت بهم إلى المعتقل وقد توضحت خطوط الفجر، ففوجئت بصف من الموقوفين معصوبي العيون، وهم من القوميين العرب والبعثيين المنشقين، (يقصد اليساريين جماعة سورية) فبدأ ناظم كزار يتحدث إليهم قائلاً: وكان صدام^(١) ما يزال في مكتبه في المعتقل ينتظر خطوات تنفيذ العملية (إننا قررنا الإفراج عنكم، فإذا تسرب شيء عن حياتكم هنا فستعودون إلينا حالاً، وستحملون مسؤولية ما يصيبكم من عقاب، وأشار إلى المرضى الأربعة بالتقدم، وواصل حديثه إلى الموقوفين بأنه سيودعهم بعد أن يفتح كل واحد فمه ليصق الرفاق فيه.

وتقدم المرضى فنفذوا ما طلبه ناظم كزار وعدت بهم، فاستفسر أحدهم عن

(١) انظر، عزيز الحاج: شهادة للتاريخ.. أوراق في السيرة الذاتية السياسية، ص (٣١٩-٣٢٠)، يؤكد فيها أن صدام كان مواظباً على الحضور في قصر النهاية.

سبب ذلك فقلت: إن الحزب قرر إرسالكم للخارج للمعالجة، فقال صاحب السؤال: ولماذا بصقنا إذاً في أفواههم؟

فقلت: لكي ننقل المرض من أجسام المواطنين الطيبين إلى أجسام الخونة والجواسيس، وأنتم مواطنون فقراء لا يجوز أن تموتوا ليعيش هؤلاء الأثرياء أعداء الوطن.

ففرح الجميع وقالوا: الله ينصركم.

حين انتهى وليد من سرد روايته شعرت بالإعياء، فتوقفت عن سياقة السيارة، ولم يكن هو الآخر قادراً على السير مسافة أخرى، وفي فترة استراحتنا في فندق على الحدود اليوغسلافية البلغارية، واصل حديثه المشحون بالندم والشعور بالذنب، فسألته من أين تأتيهم هذه الأفكار: كيف فكروا بمرضى السل والبصاق في أفواه المعتقلين؟

قال: هذه أفكار عبد الكريم الشيخلي وزير الخارجية آنذاك، والطالب السابق في كلية الطب، وهو يستخدم معلوماته الطبية في قضايا من هذا القبيل^(١).

لم يدخر الشيخلي جهده في الاستفادة من السنتين اللتين قضاهما على مقاعد الكلية الطبية ببغداد، وتسخير العلوم الطبية في عكس اتجاهها الإنساني لتصب في خدمة الأجهزة البوليسية من المخبرات والأمن العامة، وكان مشهوداً له الحضور والمرابطة والإشراف بنفسه على التعذيب وأحياناً لا يغادر المكان الموبوء إلى الصباح، لأنه في المهمة التي كُلف بها وليد الجنابي، ظل ينتظره مع صدام وناظم كزار، حتى بدت للجميع خيوط الفجر، وحين حضر الجنابي ومعه المصابون بالسل الرثوي، كان عبد الكريم الشيخلي مسمراً في مكانه، من أجل الوقوف

(١) حسن العلوي: العراق.. دولة المنظمة السرية، ص ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠.

على نتائج تجربته مع المسجونين بعد تكامل أطرافها بحضور المصابين بالتدرب، فإذا كان الرجل منهمكاً، يتابع تجاربه الانتقامية على المسجونين إلى هذا الوقت المتأخر، فلماذا يطلب منه الحضور مبكراً إلى ديوان وزارة الخارجية، ويتحمل سيل الانتقادات على لسان رفيقه صدام، فهو مشغول بمهمة وطنية أخرى!

وقد يتبادر إلى الذهن أن هذه العصابة يخشى بعضها البعض، ويترصد أحدهم بالآخر، وينتفي الاطمئنان والثقة المتبادلة بينهم، وهذا ما حدث.

إن مسلسل القتل والاغتيال علّم الشيخلي أن يكون على حذر شديد من العصابة التي يعمل معها، فهي على رأس عمليات التعذيب والخطف والاغتيال، ولأنه ضالع في جنایاتها، كان على اطلاع تام على عملية اختطاف سلفه ناصر الحاني، عندما جندت هذه العصابة عبد الوهاب كريم أحد عتاتها المعروفين، ليخطف الحاني من بيته، ويصرعه ويرمي بجثته في أحد شوارع بغداد، وقد وقع حادث الاغتيال في تشرين الأول ١٩٦٨، وفي الشهر الذي تلاه تشرين الثاني ١٩٦٨، عُقد المؤتمر القطري السابع لحزب البعث في العراق، وانتخت لجنة لرئاسة المؤتمر مكونة من صدام حسين، وعزت الدوري، وعبد الوهاب كريم، وفي ختام المؤتمر الذي استمر عشرة أيام، انتخت قيادة قطرية قوامها أحد عشر عضواً، ودخل فيها لأول مرة عبد الوهاب كريم^(١) مكافأة له على ما قام به من انتهاكات أيام

(١) سهيل صبحي سلمان: المؤتمر القطري السابع لحزب البعث العربي الاشتراكي في القطر العراقي، رسالة ماجستير غير مطبوعة، ص ١٣١.

أما أعضاء القيادة القطرية الأحد عشر هم:

١- أحمد حسن البكر

٢- صدام حسين

٣- عزت إبراهيم الدوري.

٤- طه ياسين رمضان الجزراوي.

الحرس القومي سيء الصيت، ولحضوره الدائم في مستنقع الجريمة، ولم يتمتع في موقعه في قيادة قطر العراق إلا أشهر معدودة حتى دبر له صدام حادثة اصطدام سيارته فقتله في ١٩/٩/١٩٦٩، بعد أن أمضى خمسة أيام في المستشفى فاقد الوعي ويصارع الموت، وجرت الحادثة في أحد طرق الحلة مدينته، وقتل في وقت لاحق شريكه في جرائمه حبيب جاسم (حبيب الأسود) على نفس الطريق وبالطريقة ذاتها، وكذلك الأمر بالنسبة إلى ثالثهما علي حسين عجام^(١)، والثلاثة كانوا أعضاء في المؤتمر القطري السابع، أول مؤتمر للحزب بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، وكانوا من بين ٩٠ عضواً، وهم كل أعضاء المؤتمر^(٢)، وسنضع أسماء المشاركين في المؤتمر في الملحق رقم (٤) في آخر الكتاب.

وعلى مسار الحذر المتبادل بين الرفيقين الصديقين صدام وعبد الكريم الشيخلي، يقول حسن العلوي: «إن خير الله طلفاح قال لنا أيضاً، إنه حذر صدام من كريم الشيخلي، وقال بالحرف الواحد: قلت له شوف صدام، إن كريم الشيخلي إذا ما تقتله هو راح يقتلك.. أقتله أحسن لك!!»^(٣)

➤ ٥- عبد الكريم الشيخلي.

٦- عبد الوهاب كريم.

٧- عبد الله سلوم السامرائي.

٨- صلاح عمر العلي.

٩- مرتضى سعيد عبد الباقي.

١٠- عزت مصطفى.

١١- عبد الخالق السامرائي.

(١) صحيفة الجهاد: العدد (٨٠) ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ الموافق ٤/٤/١٩٨٣، ملف أسرار وفضائح، الحلقة (٣).

(٢) سهيل صبحي سلمان: المؤتمر القطري السابع، رسالة ماجستير غير مطبوعة، ص (٢٠٩-٢١٠).

(٣) شامل عبد القادر: مجزرة قاعة الخلد تموز ١٩٧٩، ص ٧٥.

مشاركة الشيخلي في تصفية حردان

لم تقتصر مشاركات الشيخلي في الأعمال المنحطة على الانتهاكات التي جرت داخل البلاد، وإنما تعدتها إلى خارج الحدود، لأنه من المرابطين الأربعة الدائمين في قصر النهاية (صدام، ناظم كزار، سعدون شاكر، الشيخلي) فهم المخططون لجريمة قتل الغيلة بعد انقلاب تموز، وعنهم تصدر أوامر الاغتيالات الناجحة والفاشلة في الداخل والخارج، وهم المتورطون الأساسيون في عملية اغتيال حردان التكريتي، أما الأسماء الأخرى التي ظهرت بعد عملية الاغتيال الغادرة، فهي أدوات بيد هؤلاء الأربعة.

وكما هو واضح للجميع، وأكدنا ذلك أكثر من مرة، أن صدام شخص مريض نفسياً، ومصاب بعقد نفسية مستعصية، ويبلغ الحقد والحسد لديه أعلى مستوياته، ويتمنى زوال نعمة الغير، أي كانت هذه النعمة وفي أي مجال، وهو أناني محض لا يريد أن يتقدم عليه أحد في مرافق الحزب والدولة، وإن أنماط سلوكه هذه تعتبر من خصائص الشخصية السايكوباثية.

يقول حامد الجبوري: «حردان أكثر شعبية بكثير جداً من صدام داخل القوات المسلحة، وصدام ليس عسكرياً أساساً، فلم يحظَ بالولاء الحقيقي في القوات المسلحة، ولسلوك حردان الشخصي، ولخلقه العالي، ولشجاعته المتناهية، ولشخصيته المحببة كثيراً، كان يشكل مركزاً خطراً بالنسبة لصدام، خاصة بالنسبة للقوات المسلحة، كانت موالية لحردان إلى حد كبير، هذا هو السبب الأساسي»^(١).

إذا كان ما أورده حامد الجبوري صحيحاً بحق حردان، بعد أن سطر له هذه الامتيازات الفريدة، التي ينبغي الالتزام بها والتأكيد عليها وإشاعتها وغيرها من

(١) حامد الجبوري: عصر البكر وصدام (مذكرات) الجزيرة (شاهد على العصر) جمعت في كتاب، ص ١٧٤.

الصفات الحميدة في أوساط الحزب، ولكن الذي جرى هو العكس، فإن صاحب هذه الصفات يكون مصيره القتل، لتمييزه عن عصاة المرضى الإرهابيين الذي يريدون أن تأخذ صفاتهم الذميمة طريقها في أوساط الحزب، لتكون هي السائدة، كما حدث ذلك بالفعل، وهذه من المفارقات العجيبة.

ومنذ اليوم الأول لنجاح الانقلاب بدأ صدام يفكر ويخطط لإزاحة رفاقه المتقدمين عليه عن طريقه، ومن ثم إزالتهم بإرسالهم إلى الموت أو السجن، أو إبعادهم إلى السفارات في الخارج، ثم يجري التخلص منهم بشتى الطرق.

إن صنّاع انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ خمسة هم: البكر وعمّاش وحرّدان من جانب، والمخدوعون بهم إبراهيم عبد الرحمن الداود، وعبد الرزاق النايف من جانب آخر، وهذا هو الثابت الحقيقي لدى كل المتابعين وفي أكثر المصادر الدقيقة التي تؤرخ لهذه المرحلة، ويشهد بذلك صدام نفسه في الكتاب الذي أملاه على أمير إسكندر، ثم انقلب على كل ما دونه، والتف عليه بواسطة أقلام مأجورة أخرى، صنعت منه القائد الأوحّد لانقلاب ١٧ تموز، والآخرون مساعدون له ليس إلا.

«في الثانية وخمسة وأربعين دقيقة، تحركت سيارة (مارسيدس) بيضاء يقودها صاحبها (حرّدان التكريتي) وإلى جواره أحمد حسن البكر ومن خلفهما صالح مهدي عمّاش، من أمام بيت (الندی) وتحرك من ورائها مباشرة لوري عسكري كان يحمل صدام حسين، وبقية أعضاء القيادة، فضلاً عن مجموعة قليلة من الرفاق الآخرين، بينهم برزان، وجعفر الجعفري، وذياب العلكاوي، وعزت الدوري الذي زعم أنه خبير وقتها في قيادة الدبابات، حتى لا تفوته المشاركة في الهجوم على القصر.

وكان أحمد حسن البكر هو قائد الحملة، وعلى رأس الموكب الصدامي»^(١).

ولو كان صدام ذا قيمة تذكر أو أي اعتبار قيادي ملحوظ، لقدرة الثلاثة وحملوه معهم في (المارسيديس) البيضاء، لأنها تحمل أكثر من واحد إضافي، خصوصاً وأن المقاعد الخلفية ليس فيها إلا صالح مهدي عمّاش، ولكنه لا يستحق ذلك التقدير، وهذا هو قدره عند الثلاثة وغيرهم، فهو قيادي في الحزب كبقية أعضاء القيادة الذين يحملهم اللوري العسكري، ولكنه في المقابل كان يعد نفسه على أنه مشروع رجل دولة قادم.

«وعادة يكون الشخص السايكوباتي ذكياً، بارعاً في خداع الآخرين، ولكننا في الوقت ذاته نراه أنانياً إلى أقصى الحدود في الحصول على ما يريد، ومن دون تأنيب ضمير، أي أن الشعور بالذنب مفقود لديه»^(٢)، ولذلك عندما رأى حردان وعمّاش متقدمين عليه راح قلبه يغلي من الغضب، ونفسه تحترق من الحسد، وأخذ يفكر ويخطط للتخلص منها منذ الأيام الأولى، وبعد أيام قليلة تلت انقلاب ١٧ تموز، لا تتجاوز الأسبوعين، تخلص فيها حزب البعث من شركائه بطريقة الكاوبوي الأمريكي ونفذها صدام وعصابته بذريعة ارتباطات عبد الرزاق النايف المشبوهة، وبنفس اليوم كتب صدام بيان ٣٠ تموز، ووضع فيه دسيسته ضد حردان وعمّاش فتلقفها ابن عمومته البكر بارتياح.

«ثم جلس على مقعده أمام مكتب الرئيس، وأخرج من جيبه بهدوء ورقة

(١) أمير إسكندر: صدام حسين.. مناضلاً ومفكراً وإنساناً، ص ١١١.

(٢) محمد المشاط: كنت سفيراً للعراق في واشنطن، ص ٢٢٥.

انظر:

باقر ياسين: شخصية الفرد العراقي، ص ٢٧.

وكذلك:

د. أسعد رزق: موسوعة علم النفس، ص ١٦٧.

وضعها أمام الرفيق أحمد حسن البكر، كانت الورقة تتضمن (بيان ٣٠ تموز- يوليو) الذي كان قد أعدّه من قبل!

تناول الرئيس الورقة، وقرأها، وأخذ يعيد كتابة البيان بخط يده، ولكنه لاحظ أن التوقيع هو: أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة، فسأله: ماذا تعني بهذه العبارة؟ قال أبو عدي: في حساباتي إنه لا حردان التكريتي ولا صالح مهدي عمّاش يكون قائداً عاماً للقوات المسلحة». (١)

وهكذا بدأ مكره السيء ينفذ للسيطرة على مشاعر البكر، ويصفي الحساب مع الآخرين رويداً رويداً.

«تابع الرفيق البكر كتابة البيان، ثم نهضاً، وخرجاً من الغرفة، وتوجهها معاً صوب مبنى الإذاعة في تمام الساعة السابعة من مساء ٣٠ يوليو (تموز) ١٩٦٨، انطلقت أمواج الأثير لتعلن على جماهير الشعب العراقي، وعلى الأمة العربية، وعلى العالم أجمع، أن ثورة السابع عشر من تموز (يوليو) قد تطهرت، وأن حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق، قد استعاد شعبه، واسترد ثورته». (٢)

وإن صدام حسين ظهر خلف البكر يرتدي بدلة عسكرية غير نظامية حاسر الرأس شأنه شأن أي حماية لمسؤول في الحزب والدولة، وحتى في هذه اللقطة الماكرة دغدغة لمشاعر البكر واللعب في عواطفه.

وبعد أن كاد كيده، ظل صدام يتربص بحردان التكريتي حتى جاءت الفرصة المناسبة في حرب أيلول الأسود ١٩٧٠، وعدم اشتراك الجيش العراقي المرابط في الجبهة الشرقية إلى جانب الفلسطينيين، وذلك بقرار من القيادة القطرية ومجلس

(١) د. أمير إسكندر: صدام حسين.. مناقلاً ومفكراً وإنساناً، ص ١١٩.

(٢) المصدر نفسه: ص (١١٩-١٢٠).

قيادة الثورة، ومما يدعم هذا الرأي ما كتبه يزيد صايغ في كتابه الكفاح المسلح، والذي يذكر فيه أن أحمد حسن البكر أبلغ أبا إياد صلاح خلف أن العراق كان متخوفاً من أن يتدخل إلى جوار الفلسطينيين خوفاً من التهديد الأمريكي.^(١)

ويضاف إلى ذلك دعماً للرأي القائل أن السلطة في العراق والمتمثلة بمجلس قيادة الثورة، وكل أعضائه أعضاء في حزب البعث بما فيهم حردان وحماد التكريتيان وسعدون غيدان، أما بقية أعضاء مجلس قيادة الثورة فهم أعضاء في القيادة القطرية، وهؤلاء جميعاً قرروا أن لا يتدخل الجيش العراقي في القتال الدائر بين المنظمات الفلسطينية والجيش الأردني، ولذلك جاء بيان عفلق بالمناسبة لانتشال الحزب من ورطته، التي زجّه فيها بعث العراق «وفي أيلول الأسود ١٩٧٠ كان موقف ميشال عفلق قوياً جداً، وانزعج من عدم تدخل الجيش العراقي وأصدر نداءً دعا فيه البعثيين إلى التوجه إلى الأردن للدفاع عن المقاومة الفلسطينية، واعتبر هذا النداء تمييزاً بين موقف السلطة في العراق وموقف الحزب، فالحزب يريد المقاومة، ولكن السلطة لا تريد ذلك، وأدى هذا الاختلاف في المواقف إلى اهتزاز كبير داخل الحزب، فاضطر نائب الرئيس صدام حسين للمجيء إلى بيروت للقاء بالأستاذ ميشال، وحاول صدام تهدئة خواطر عفلق مخافة إقدامه على إعلان برائته من التجربة في العراق».^(٢)

إن عدم اشتراك الجيش العراقي إلى جانب الفلسطينيين أحدث بلبلة في صفوف الحزب، واضطرب البعثيون في العراق إزاء هذه المشكلة، وثاروا في أمرهم، أيقفون مع النفر الذين يقودون الحزب في العراق، أم مع الأمين العام

(١) حامد الجبوري: عصر البكر وصدام (مذكرات) الجزيرة (شاهد على العصر) جمعت في كتاب ص ١٧٢.

(٢) غسان شربل: صفحات من حياة مؤسس حزب البعث بعد رحيل صدام وخراب البصرة، حوارات أجراها غسان شربل، جمعت في كتاب، ص ١٣٤.

للحزب ميشيل وفروع الحزب وقياداته القطرية في الوطن العربي، التي تدعو إلى الاشتراك في المعركة إلى جانب الفلسطينيين، وقد تعرض الحزبيون للفصل جراء اعتراضهم على موقف قيادتهم في العراق، أي قيادة (البكر - صدام)، ومن الذين فصلوا من الحزب عطا محيي الدين مؤسس أول خلية بعثية في تكريت لم يكن البكر وصادم من أفرادها، وعندما يتحدث عن صدام يقول: «إنه فصلني عن الحزب عام ١٩٧٣ بسبب اعتراضه على موقف قيادة الحزب من أحداث أيلول الأسود»^(١).

وأمام هذه الطامة الكبرى التي نزلت على بعث العراق، والمأزق الذي وقع فيه، أخذت قيادة (البكر - صدام) تفكر وخصوصاً بعد اتصال الأخير بعفلق بمخرج من الأزمة الخائفة، يحفظ لها ماء الوجه أمام فروع الحزب التي خاطبها عفلق في أنحاء العالم العربي، ولا بد من ضحية تعلق على أكتافها كل تبعات الأزمة، ولا يوجد غير حردان التكريتي باعتباره وزير الدفاع والمسؤول عن الجيش العراقي، وليس أحمد حسن البكر القائد العام للقوات المسلحة، حردان هو كبش الفداء المناسب، خصوصاً وأن كبير السحرة أحمد حسن البكر قد هياً عقول القيادة البعثية لنبد حردان التكريتي من بين صفوفها.

يقول تايه عبد الكريم: «لأنني أذكر أن في أحد الأيام، في اجتماع القيادة، ذكر الرئيس البكر رحمه الله، قال: إني أخشى من حردان التكريتي، أخشى أن أنام في القصر وحدي، وأرجو من أعضاء القيادة أن يناموا معي بالقصر، وكنت أحد الاثنين الذين ناموا معه»^(٢).

أحمد حسن البكر لا يأمر الجيش الذي تحت قيادته ليتأهب لحمايته من حردان

(١) شامل عبد القادر: لمحات صحفية عن عراق صدام حسين ١٩٦٨-٢٠٠٣، ص ٥٨.

(٢) تايه عبد الكريم: مذكرات تايه عبد الكريم (القيادي في حزب البعث) قناة البغدادية، ص ١٥.

التكريتي، وإنما يخاطب القيادة المدنية ليتطوع اثنان عزل ليناما معه في القصر، إنه المكر السيء، ولا يجيق المكر السيء إلا بأهله.

إن حردان بعد هذا التآليب الخطير ضده، فقد كل رصيده في قيادة حزب البعث العراقي، ورغم دهاء البكر وخبثه، لا أعتقد أنه وصل إلى هذه القناعة من دون أن يدس صدام أنفه في هذا التحريض، وكذلك خير الله طلفاح وبقية العمومة، مستفيدين من الاضطفاف العشائري لإيغار قلب البكر ضد حردان، وسواء كان هذا التحريض والتآليب ضده حتى بلغ تداوله على مستوى اجتماعات القيادة، قد صدر بإخراج مشترك للبكر وصدام أو عن الأول وحده، فإنه قد فتح الباب واسعاً أمام صدام ليعمل عمله ويكيد كيده.

وقد أعطى ذلك ثماره ليصدر «قرار من مجلس قيادة الثورة يوم ٩ تشرين أول (أكتوبر) ١٩٧٠، بإعفاء حردان التكريتي من جميع مناصبه وتعيينه سفيراً في المغرب، وقد صدر القرار في الوقت الذي كان فيه حردان في إسبانيا لرئاسة وفد عراقي رسمي، وامتنع حردان عن تنفيذ الأمر، وعاد إلى مطار بغداد»^(١).

وعن ذلك اليوم يتحدث سعد نجل حردان التكريتي قائلاً: «أصر على العودة إلى بغداد، حيث أنه أمر الطيار بأن تهبط الطائرة في مطار بغداد، وقد طوقت المطار كتيبة دبابات ١٤ رمضان، وتقدم نحو والدي ناظم كزار مدير الأمن العام آنذاك، وسلمه أمر الإقالة، متضمناً أنه غير مسموح له بدخول العراق، وحين سمعتُ ذلك اتجهتُ إلى المطار فوراً، ودخلت الصالة الخاصة، وفي إحدى الغرف شاهدت ناظم كزار جالساً مع معاونه طاهر محمد أمين، فتقدمت نحوهما، وبصقت في وجه ناظم كزار، وكنت أحمل مسدساً شخصياً سحبه مني طاهر محمد أمين،

(١) جواد هاشم: مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام، ص ٣١١.

وقادني خارج الغرفة، ثم أقلني بسيارته الخاصة إلى بيتنا في اليرموك»^(١).

أما بالنسبة لحدان التكريتي فقد وضع في طائرة خاصة أقلته إلى الجزائر، والتحقت به عائلته بعد أن اتصل بها طالباً منهم اللحاق به.

يقول سعد حدان التكريتي: «وصلنا الجزائر فجراً، وما إن التقينا بوالدي، حتى انهالت عليه أمي تفرعه وتعاتبه كونه لم يكن حذراً ممن يدعون صداقته، الذين وهب حياته وراحته وراحة عائلته في سبيلهم وأثناء استرسالها بالحديث توفيت، ولم ننم ليلتها في الدار المخصصة لنا، بل نقلنا إلى دار أخرى، وكنا مشلولي الحركة نتيجة الصدمة.

وتم دفنها في الجزائر بصورة مؤقتة بعد أن رفضت الحكومة العراقية مرافقة والدي للجثمان لدفنها في تكريت، ودفنت في مقبرة عبد القادر الجزائري التي كانت مخصصة لشهداء التحرير»^(٢).

تجمعت المصائب والمآسي على رأس حدان التكريتي، فما يخرج من مصيبة إلا ويقع بأخرى غيرها، وبدعوة من الملك فيصل بن عبد العزيز لأداء فريضة الحج قدم إلى المملكة العربية السعودية، وبعد ذلك توجه إلى الكويت لتوديع أفراد عائلته العازمة على السفر إلى العراق.

وأشيع وقتها أن سبب قدومه إلى الكويت هو للاتصال بضباط عراقيين من مريديه للانقلاب على النظام، وربما تكون السلطة وراء هذه الإشاعة لترتيب ذريعة للتخلص منه.

(١) جريدة الصباح: العدد (١٨٨٠) ٣١ كانون الثاني ٢٠١٠م حوار مع سعد حدان التكريتي، الحلقة الأخيرة.

(٢) المصدر نفسه ونفس العدد.

وفي يوم ٣٠ آذار ١٩٧١ توجه حردان التكريتي بصحبة السفير العراقي بالكويت مدحت إبراهيم جمعة - وهو أحد الملوئين كما مر بنا - بسيارة السفير إلى المستشفى الأميري لإجراء الفحوصات، وبعد أن توقفت السيارة داخل المستشفى، تقدم أحد رجال المخابرات القتلة، وفتح الباب للفريق حردان، وأدى التحية له، وبعد تحركه خطوات أطلق النار عليه ليرديه قتيلاً، وكان سعدون شاكر موجوداً في الكويت للإشراف على العملية، التي أُعدت لها مجموعة مختصة بالاغتيالات من عناصر الأمن والمخابرات بينهم حمودي العزاوي، وطارق أبو الخليل، وهاشم الرفاعي، ورئيس عرفاء صاعقة عبد حاشوش حسين^(١)، المنسب إلى الأمن العامة - والمنفذ به حكم الإعدام مع ناظم كزار - أي أن ناظم كزار أحد الأربعة المشار إليهم قبل قليل، كان له دوره المفضوح في عملية الاغتيال

(١) عبد حاشوش حسين من مواليد محافظة ذي قار ناحية الفهود، قرية المجري، درس في مدرسة الفهود الوحيدة في مركز الناحية، وكان كابتن فريق المدرسة بالكرة الطائرة، تطوع في القوات الخاصة، وتنسب إلى الأمن العامة، للعمل مع ناظم كزار، لأنه من منتسبي الحزب الحاكم، شارك بدور أساسي في اغتيال الفريق الطيار الركن حردان التكريتي في الكويت في ٣٠/٣/١٩٧١، وقد اطلعت على هذه المعلومة بشكل دقيق بعد عملية الاغتيال، كما أكدها أيضاً العميد قوات خاصة، الفريق أول لاحقاً (أشرف زاكي البوصالح) المفتش العام في وزارة الدفاع السابق، إذ قال: نقل عبد حاشوش من القوات الخاصة إلى الأمن العامة، وقبل تنفيذ العملية أعيد مع فريق الاغتيال للتدريب في وحدتنا، ومنها انطلقوا إلى الكويت، وذلك في عام ١٩٧١ عندما كنت ملازماً أول.

وكانت نهاية عبد حاشوش في المحكمة الخاصة برئاسة عزت الدوري بعد أن حكمت عليه بالإعدام لاشتراكه في مؤامرة ناظم كزار عام ١٩٧٣.

انظر، نزار عبد الكريم فيصل الخزرجي: الحرب العراقية-الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨)، مذكرات مقاتل، ص ١٢٧.

والذي يؤكد فيه، أن فريق الاغتيال كان من القوات الخاصة، وأشرف عليه كل من الفريق عبد الكريم الشبخلي ومحمد فاضل عضوي القيادة القطرية.

المدانة، بإرساله نفراً من العاملين معه في الأمن، وقد سبق له أن جمع^(١) بحردان وتصدى له ومنعه من الدخول إلى العراق.

«وفي اليوم التالي لمصرع حردان، أذاع راديو بغداد أن عبد الكريم الشيخلي وزير الخارجية قد توجه إلى مدينة البصرة لتفقد بعض مشاريع خطة التنمية الاقتصادية والاطلاع على سير العمل فيها، ويبدو أن الشيخلي قد استمر بالسفر حتى وصل إلى مدينة الكويت مع حرسه المؤلف من ستة أفراد، ولكنه عاد من الكويت وقد زاد عدد حراسه إلى عشرة»^(٢).

في عملية الغدر هذه بان لكل ذي اطلاع بأن مجموعة الأربعة الأنفة الذكر (صدام، وناظم كزار، وسعدون شاكر، والشيخلي) هي وأدواتها من العناصر المخبرانية، كانت قد شاركت بهذه الجريمة المنكرة، أما دور الشيخلي وهو يحمل المجرمين القتلة ضمن مجموعة حراسه حتى لا يُلقى عليهم القبض، أو يطاهم العقاب، فقد كان دوراً خسيساً ووضيعاً، ولا يتناسب مع مهام وزارة الخارجية، كما لا يتناسب مع سمعة العراق أن يكون وزراؤه بهذا المستوى من الانحطاط والدونية.

ويُذكر أن السيارة التي أقلت قاتلي حردان قد أصيبت بإطلاقات من الشرطة الكويتية، وللتغطية على الجريمة، وخوفاً من تحولها إلى دليل إدانة ضدهم أرسلوا السيارة فوراً إلى كراج (عادل الحديث في الشويخ) لصاحبه أبو عادل (حمدي

(١) جمع به: أزعه وأخرجه، كتب عبيد الله بن زياد إلى عمرو بن سعد: أن جمع بالحسين بن علي بن أبي طالب، أي أزعه وأخرجه، وقال الأصمعي: يعني احبسه، وقال ابن الأعرابي: يعني ضيق عليه.

ابن منظور: لسان العرب، ج ٢، ص ٢٩٩.

(٢) جواد هاشم: مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام، ص ٣١١.

الككجي) فتم إصلاحها وإخفاء آثار الإطلاقات فوراً.^(١)

لم يكثر البكر لمصرع صديقه حردان، وسكت عن جريمة اغتياله، وعندما وصل جثمانه إلى العراق قادماً من الكويت، وهمس بإذنه مرافقه المقدم إبراهيم الدليمي، أشار بيده المملوطة بالدماء دون أن يتكلم للسماح بدفنه في تكريت. وقد سمح له بدخول العراق وهو ميت، وبعد أن خمدت أنفاسه وصار جثة هامدة.

ولم يسمح له بدخول العراق بعد إقالته، ولا حتى مرافقة جثمان زوجته التي فارقت الحياة في ليلة وصولها إلى الجزائر لتدفن هناك. هذا هو البكر المعروف بالمكر والغدر وعدم الوفاء.

بعد هذه النهاية المروعة التي آلت إليها حياة حردان الحافلة بالتحركات النشطة، والانقلابات الخطيرة، والتحالفات المشبوهة التي جاءت بالبكر وصدام إلى السلطة، وكان دور حردان فيها كبيراً ومساهمته فاعلة، ومشاركته في قرارات جائزة لمجلس قيادة الثورة كانت مشهورة ولا ريب فيها.

وفي الستين وبضعة أشهر التي كان فيها حردان عضواً في مجلس قيادة الثورة الذي يدير سدة الحكم في البلاد، جرت أحداث خطيرة كاغتيال شخصيات مهمة، مثل ناصر الحاني أول وزير خارجية بعد انقلاب ١٧ تموز، وكذلك اغتيال عبد الكريم مصطفى نصرت المشارك الرئيس في انقلاب ٨ شباط ١٩٦٨، في الوقت الذي تعلق فيه أشلاء ما يسمى بعناصر شبكات التجسس في ساحتي التحرير ببغداد وأم البروم في البصرة، أما الحدث الأهم في هذه الفترة فهو حركة عبد الغني الراوي، التي راح ضحيتها (٥٧) متهماً كانوا يساقون وبدون محاكمات

(١) جريدة الموقف: العدد (٢٥٦) ١٦ شوال ١٤٢٤هـ، ٦ كانون الثاني ٢٠٠٢م.

إلى ساحة قصر النهاية، وينحرون كالأضاحي خلال ساعات مدنيين وعسكريين وشيوخ عشائر، وقد أضيف لهؤلاء من اتهموا بالتجسس من أمثال رشيد مصلح التكريتي، الذي تربطه بحردان التكريتي رابطة المدينة والمهنة والصدقة، فلم ينأ حردان بنفسه في هذه المدة القصيرة عن تلك الجرائم التي قام بها مجلس قيادة الثورة.

ومن تورطه المكشوف بهذا الصدد أنه «سافر في ٢٢/١/١٩٧٠ (عضوا مجلس قيادة الثورة) كل من حردان التكريتي وزير الدفاع، وشفيق الكمالي (وزير الثقافة)^(١) إلى بيروت وهناك عقداً مؤتمراً صحفياً لشرح أبعاد (المؤامرة) المزعومة، وتم عرض بعض الأسلحة من رشاشات ومسدسات باعتبار أنها الأدلة الجرمية بعد فشل المؤامرة، وذلك تطويقاً لردود الفعل الكثيرة، التي استهجنّت عمليات الإعدامات وأبعادها ومداهها في الداخل والخارج»^(٢).

تبين لنا بما لا يقبل الشك أن عبد الكريم الشيخلي كان منصرفاً إلى الأعمال المخبرانية الصرفة، وإن عمله في الثلاث سنوات التي قضاها وزيراً للخارجية، كان عملاً مخبرانياً أكثر من كونه دبلوماسياً، فالشيخلي رجل مخبرات محض، ولذلك أعطاه الأولوية من اهتمامه، وأعطى العمل الدبلوماسي والعلاقات الدولية دوراً ثانوياً «ومع ذلك استمر مهملًا، حيث لم يكن يباشر واجباته الرسمية إلا عند الظهيرة»^(٣).

لأنه كان يصرف كل وقته في أقبية قصر النهاية، فهو يألف عمل التحقيق

(١) لم يكن وزيراً للثقافة في هذا التاريخ، وإنما كان وزيراً للشباب، وبعدها عُيِّن سفيراً في وزارة الخارجية، ونُسب سفيراً إلى إسبانيا، وعُيِّن وزيراً للإعلام بعد ذلك في ١٩/٩/١٩٧٠.

(٢) أحمد الجبوبي: ليلة الهرير في قصر النهاية، ص ٩٦.

(٣) شامل عبد القادر: لمحات صحفية من عراق صدام حسين ١٩٦٨-٢٠٠٣، ص ٢١٢.

والتعذيب وانتزاع الاعترافات، ويميل إلى العيش في الأماكن العفنة، كما هي طبيعة الصراصير التي لا تبرح العيش إلا في الأماكن القذرة والرطبة والمظلمة، فهو لم يكن قد وضع في المكان المناسب.

ثمة حادثة مخبرانية أخرى، كان الهدف فيها هذه المرة رجل دين عراقي في الشارقة، وقد ورد فيها اسم الشيخلي في سنوات استيزاره.

«واستخدمت فيها المخابرات العراقية رجل أعمال عراقي كان يقيم في إمارة الشارقة، هو طارق عبد الرزاق قدوري، للحصول على تأشيرة دخول لأحد عملائها لاغتيال رجل دين عراقي مقيم في إمارة دبي.

كان قدوري زميلاً لي -الكلام للدكتور جواد هاشم- أثناء مرحلة الدراسة في كلية التجارة والاقتصاد في بغداد، كما كانت له شبكة علاقات صداقة واسعة في بغداد، ومن بين أصدقائه عبد الكريم الشيخلي (وزير الخارجية) وسعدون شاكر (رئيس المخابرات ثم وزير الداخلية) وبرزان التكريتي (مسؤول حماية صدام حسين ثم رئيس المخابرات)، وكان قدوري تاجراً ووكيلاً لبعض الشركات التجارية الأجنبية، ويبدو أنه حاول استغلال صداقاته مع بعض المسؤولين، مما أوقعه في مشكلة أدت إلى سجنه في بغداد، ومن ثم الإفراج عنه بعد سنة ترك على إثرها العراق ليقوم في الشارقة، ويزاول فيها أعماله التجارية، مع الإبقاء على علاقاته القديمة ببعض المسؤولين.

على أية حال دخل عميل المخابرات دولة الإمارات، بتأشيرة استخراجها له طارق قدوري، وأقام، خلال فترة وجوده في الشارقة، في مسكن طارق بحجة أنه يريد التعرف إلى التجار من أجل القيام بأعمال استيراد وتصدير، وفي ظهيرة يوم الجمعة، أوصله قدوري إلى المسجد في مدينة دبي على أن يعود إليه بعد الصلاة، ولكن عميل المخابرات لم يكمل صلاته، ولم يدع رجل الدين العراقي يكمل

صلاته أيضاً، إذ أطلق بضعة عيارات نارية قتلت رجل الدين في الحال، وألقت الشرطة القبض عليه، واعترف بأنه من المخابرات العراقية، وأنه يقيم في منزل طارق قدوري، فألقي القبض عليه هو الآخر وأودع التوقيف تمهيداً لمحاكمته.

وقد تدخلت أنا شخصياً لدى الشيخ خليفة بن زايد، ولي عهد إمارة أبو ظبي، لإطلاق سراحه، بعد أن أكد لي طارق أنه لم يكن يعلم بمهمة عميل المخابرات، وأن العملية قد تكون أيضاً للتخلص منه شخصياً، وقد وافق الشيخ خليفة على إطلاق سراح طارق شريطة مغادرته البلاد خلال ثلاثة أيام، وقد تم تسفيره فعلاً إلى بغداد.

وبعد وصوله بأسابيع قليلة، أصدر مجلس قيادة الثورة قراراً بإعفاء سيارته وأثاثه من الرسوم الجمركية، ودعي إلى تناول الغداء مع بعض المسؤولين تكريماً له، وبعد الغداء بساعات توفي طارق قدوري بعد نقله إلى المستشفى بسبب انفجار القرحة المعوية التي لم يسبق له أن شكها منها قط!!»^(١)

(١) جواد هاشم: مذكرات وزير عراقي مع البكر وصادم، ص ١٧٤.

الفصل السادس

6

عبد الكريم الشخيلي..
محطات أخرى



وبعد انقلاب عبد السلام محمد عارف على حلفائه في ١٨/ تشرين الثاني/ ١٩٦٣، ساد التخبط في صفوف بعث العراق، ولم تأخذ القيادة القطرية شكلها الرسمي إلا بعد تسلل عبد الكريم الشيخلي عائداً من سورية في أوائل أيار ١٩٦٤، حاملاً معه تفويضاً لتشكيل القيادة القطرية في العراق، واعتباره أميناً لسر هذه القيادة، وبناءً على اتصالاته تم تكوين هذه القيادة من الأسماء التالية:

- ١- عبد الكريم الشيخلي: أمين سر القيادة القطرية، مسؤول الارتباط.
- ٢- صدام حسين التكريتي: عضو القيادة القطرية، ومسؤول فرع بغداد.
- ٣- حسن العامري: عضو القيادة القطرية، والمسؤول المالي للحزب.
- ٤- محمد صبري الحديثي: عضو القيادة القطرية وهو (شقيق ناجي صبري الحديثي آخر وزير خارجية في حكومة صدام).
- ٥- صفاء الفلكي: عضو القيادة القطرية.^(١)

واختلفت المصادر في تحديد أعضاء هذه القيادة، فمنها من يضع أحمد حسن البكر^(٢) من ضمنها، ويحذف صفاء الفلكي، ومن المصادر من يضيف طارق عزيز

(١) أمين هويدي: كنت سفيراً في العراق ١٩٦٣-١٩٦٥، ص ١٧١.
(٢) د. أمير إسكندر، صدام حسين.. مناقلاً ومفكراً وإنساناً، ص ٨٠.

إليها^(١)، وسواء كان هذا أم ذلك، فإنها قيادة قطرية أعقبت انقلاب ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، وأمين سرها هو عبد الكريم الشيخلي الذي لا تختلف عليه المصادر، ويشهد على ذلك صدام نفسه.

ولكن صدام يدعي أنه هو الذي رتب لعبد الكريم الشيخلي أن يكون أمين سر القيادة القطرية، وهذا الكلام ممكن أن يطعن فيه ويرد عليه، ولا يمكن أن يصمد أمام هذه الطعون والردود، ثم إنه أثار هذا الموضوع بعد وفاة الاثنين عفلق وعبد الكريم الشيخلي، أي أن أحد أطراف القضية وشهودها جميعهم من الموتى، ولم يبق منهم إلا هو، وبعد كل ذلك يصف رفيقه عبد الكريم الشيخلي بقوله:

إنه كسول، وشاب نزق، وقليل الانتباه، ولا يلتزم بالمواعيد و(منوام) كالطفل، هذه هي صفات عبد الكريم الشيخلي على لسان صدام، «ومع ذلك فقد اختارته القيادة القومية أميناً لسر القطر وكان السبب في هذا أنا»^(٢).

إن هذا الكلام ينطوي على خيانة عظمى لحزب البعث، اقترفها صدام التكريتي ليكون سبباً في استلام الشيخلي أمانة سر القطر، ويضيف صدام قائلاً: «فلقد كنت أقود الحزب من دون تكليف، وأعدت بناءه، ثم غادرت العراق إلى سوريا متسللاً، والتقيت هناك الأستاذ ميشيل عفلق (رحمه الله) وطلبت منه اختيار القيادة بصورة رسمية بسرعة لتمارس دورها على ألا أكون أنا من بين أعضائها»^(٣).

وخلال هذه الفترة القصيرة التي سقط فيها حكم الحزب، وتفكك تنظيمه، وأصاب الشلل قواعده، بعد الضربة التي وجهت له في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣

(١) غسان شربل: صفحات من حياة مؤسس حزب البعث بعد رحيل صدام وخراب البصرة، حوارات أجراها غسان شربل، وجمعت في كتاب، ص ٩٢.

(٢) شامل عبد القادر، لمحات صحفية من عراق صدام حسين ١٩٦٨ - ٢٠٠٣، ص ٢٠٩.

(٣) المصدر نفسه: ص ٢٠٩.

على يد عبد السلام عارف، ومنها إلى ١٢ / ٢ / ١٩٦٤ موعد انعقاد المؤتمر القومي السابع الاستثنائي، وهي فترة لا تتعدى (٨٧) يوماً فقط، أي أقل من ثلاثة أشهر «وإن قيادة قطرية مؤقتة جديدة قد عينت بعد اختتام المؤتمر القومي السابع لقيادة قطر العراق سياسياً وتنظيماً»^(١).

وكان ذلك ضمن رسالة في أوائل آذار ١٩٦٤ وبتوقيع عفلق، وجهتها الأمانة العامة لحزب البعث، إلى لجنة تنظيم القطر لتحل محلها القيادة القطرية المؤقتة، وحمل عبد الكريم الشبخلي هذه الرسالة، وألف القيادة القطرية المؤقتة في العراق، ولم ينس صديقه وتوأمة صدام التكريتي ليكون عضواً فيها، وسيجد القارئ الكريم صورة هذه الرسالة كاملة في الملحق رقم (٥) آخر الكتاب.

أما نظرة حزب البعث لصدام التكريتي قبيل وبعد انقلاب ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، وحتى انعقاد المؤتمر القومي السابع في ١٢ / ٢ / ١٩٦٤، تلخص بما يلي:

- ١- إصدار الحرس القومي أمراً بإلقاء القبض على صدام، على أثر مقتل ياسين عضو اتحاد بغداد للفلاحين، وكان صدام متهماً بقتله.^(٢)

- ٢- تسلله ليلاً مع المخبرين إلى القصر الجمهوري لمد المتآمرين على الحزب بالمعلومات بعد أن «بلغ الصراع درجة عالية من التوتر، وبدأت عناصر حزبية وعسكرية تتسلل ليلاً إلى القصر الجمهوري، للاجتماع بالبكر وعارف وطاهر يحيى، وتنقل لهم ما كان يدور في الاجتماعات والمؤتمرات الحزبية، وما تطالب به قواعد الحزب وقياداته الدنيا من إجراءات اشتراكية وتأميمات وتطوير قانون الإصلاح الزراعي، وتطهير الجيش وأجهزة الدولة، فضلاً عن الوحدة الفورية الكاملة مع سوريا، وكان على رأس هؤلاء المخبرين صدام حسين التكريتي،

(١) نضال البعث: الجزء العاشر ص ١٣٠.

(٢) د. أمير إسكندر: صدام حسين مناضلاً ومفكراً وإنساناً، ص ٧٧.

وأحمد طه العزوز، وطارق عزيز، وحسن الحاج وداي وآخرون، وقد عرض صدام حينئذٍ على بعض المسؤولين استعداده لاغتيال علي السعدي وإنهاء المشكلة!!»^(١)

٣- وقوفه مع انقلاب ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ بقيادة عبد السلام عارف، جنباً إلى جنب مع قادة الانقلاب التكرارية: أحمد حسن البكر رئيس الوزراء، طاهر يحيى التكريتي رئيس أركان الجيش، حردان التكريتي قائد القوة الجوية، رشيد مصلح التكريتي الحاكم العسكري العام، هؤلاء هم أبرز قادة الانقلاب، وقد كُوفئوا جميعاً، لقد كان ثقل تكريت فيه كبيراً، حتى الملازم عدنان خير الله التكريتي كان له دور ضمن «كتيبة الدبابات الأولى المعروفة باسم (١٤ رمضان) تتمركز القاطع الذي يفصل بين القصر الجمهوري ومقر الإذاعة، وكان من بين ضباط هذه الكتيبة (عدنان خير الله) ابن الحاج خير الله طلفاح، خاله، ووالد زوجته، وكان عدنان أخاً آخر لصدام تربيًا معاً في نفس البيت وعاشا معاً أكثر سنوات عمرهما في تكريت أو بغداد، وكثيراً ما كان صدام يزوره في مقر الكتيبة قبل الانقلاب، وهناك تعرف على عدد كبير من زملائه الضباط»^(٢).

ولوقوفهم مع انقلابه على حزب البعث في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، كافأ عبد السلام عارف قادة الانقلاب التكرارية:

أحمد حسن البكر رئيس الوزراء صار نائباً لرئيس الجمهورية.

طاهر يحيى التكريتي رئيس أركان الجيش صار رئيساً للوزراء.

حردان التكريتي قائد القوة الجوية صار وزيراً للدفاع.

رشيد مصلح الحاكم العسكري العام صار وزيراً للداخلية.

(١) هاني الفكيكي: أوكار الهزيمة.. تجرّبي في حزب البعث العراقي، ص ٣٢٥.

(٢) د. أمير إسكندر: صدام حسين مناضلاً ومفكراً وإنساناً، ص ٧٨.

ويظهر ذلك في المرسومين الجمهوريين (١٠٩٣) الصادر في ٢٠ / ١١ / ١٩٦٣،
(١٠٩٤) الصادر في ٢١ / ١١ / ١٩٦٣.^(١)

وسيجدهما القارئ الكريم في الملحقين (٦) و(٧) في آخر الكتاب.

فإذا كانت نظرة حزب البعث وحرسه القومي لـ(صدام) تتجلى فيما ذكرناه من نقاط، في الوقت الذي لم يكن فيه صدام من قادة الحزب المعروفين قبل المؤتمر القومي السابع، الذي عينه لأول مرة عضواً في القيادة القطرية وعين صديقه عبد الكريم الشيخلي أمين سرها، فكيف استطاع صدام خلال مدة قصيرة أقل من ثلاثة أشهر، كان فيها الحزب ممزقاً ومشردماً، أن يقوده ويعيد بناءه حسب قوله المتقدم، والذي يظهر فيه من تسلسله للأحداث بأنه قاد الحزب، ثم بناه، ثم تسلسل إلى سورية.

عمل صدام ضمن القيادة القطرية المؤقتة، تحت قيادة أمين سرها عبد الكريم الشيخلي من آذار ١٩٦٤ حتى ١٤ تشرين الأول من نفس العام، أي أن هذه القيادة لم تستمر طويلاً حتى تقع في قبضة سلطة عبد السلام عارف واحداً تلو الآخر، ولم ينقض العام ١٩٦٤ حتى يستقر عبد الكريم الشيخلي وصدام التكريتي خلف القضبان وقد سبقهما إلى ذلك أحمد حسن البكر.

شنت قوات الأمن والشرطة حملة كبيرة ضد حزب البعث، بعد أن تأكد لها أن الحزب يعد العدة للقيام بمحاولة انقلابية تطيح بنظام حكم عبد السلام عارف، وقد عاجلت هذه القوات الموقف بضربة استباقية خاطفة استطاعت الحيلولة دون قيامها.

«وقال تقرير خاص للأمن، كان حزب البعث قد أعد مؤامرة ضد الحكم الحالي

(١) د. جعفر عباس حميدي: تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري، ج ٧، ص (١٦-١٨).

بحركة انقلابية والسيطرة على الحكم بقوة السلاح تؤيده السلطات السورية، وكانت نية الحزب القيام بتلك الحركة يوم الجمعة ٤ أيلول وقد انكشفت المؤامرة قبل تنفيذها، وكان من المقرر أن يقوم البعثيون العسكريون -الخط العسكري- ثم يتبعه الخط المدني، ونتيجة الإجراءات المتخذة، حالت دون تنفيذ تلك المؤامرة، وقد تم القبض على كافة المشتركين فيها وأسلحتهم من الرشاشات والقنابل والبنادق الكثيرة، وأوکار طباعتهم والمبالغ الموجودة لديهم وهي عدة آلاف من الدنانير، وقد أحيلوا بعد انتهاء التحقيق معهم إلى محكمة أمن الدولة.^(١)

و«اعتقلت السلطات الأمنية أحمد حسن البكر، وأعضاء المكتب العسكري، وعدداً من العسكريين البعثيين، وأرسلوا إلى معسكر التاجي للتحقيق معهم، كما قامت باعتقال أعداد من الحزبيين المدنيين». ^(٢)

«واستطاعت السلطات الأمنية إلقاء القبض على عبد الكريم الشيخلي أمين سر القيادة القطرية، وتمكنت هذه السلطات من معرفة أسماء أعضاء القيادة القطرية، والأوکار التي يترددون عليها، فاتخذت كافة التدابير لإلقاء القبض عليهم جميعاً يوم الأربعاء (١٤ تشرين الأول ١٩٦٤)، وقد وصف تقرير خاص للأمن كيفية إلقاء القبض عليهم جميعاً». ^(٣)

ويهرب كل من عبد الكريم الشيخلي وصادام حسين التكريتي من السجن في يوم ٢٣ تموز ١٩٦٦، بعد أن مكثا فيه قرابة السنتين، أما الحزب الذي ادعى صدام حسين أنه قاده وبناه في غضون أقل من ثلاثة أشهر، من ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ إلى ١٢/٢/١٩٦٤ فصورته يوجزها صدام نفسه:

(١) د. جعفر عباس حميدي: تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري، ج ٧: ص ٢٤٠-٢٤١.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٤١.

(٣) المصدر نفسه: ص ٢٤٢.

«إن ما بدا أمامه واضحاً وضوح اليقين أن الحزب في العراق ممزق نفسياً وتنظيمياً، وإنه يعيش (أزمة ارتجاج فكري حادة) وإنه منقسم على نفسه في الداخل، وإن كان الانقسام مغطى بنقاب شفاف من الوحدة الخارجية الظاهرية، وكانت الأغلبية، كما رآها، تقتفي آثار تيار ٢٣ شباط (فبراير) على مستوى القيادة أو القاعدة»^(١).

أي أن أكثرية الحزب كانت مع سورية أو ما يطلق عليهم بـ(المنشقين)، والسؤال الذي يطرح نفسه هو: أين الحزب الذي قاده ثم بناه صدام؟!.

إنه خلط متعمد ومقصود للأحداث وتسلسلها التاريخي، يحتاج إلى جهد مكثف من أجل كشف وفضح ما اتخمت به سيرته الذاتية، وذلك متروك للباحثين والمحققين.

بعد إلقاء القبض عليه تعرض عبد الكريم الشيخلي إلى تعذيب قاسٍ، لم يستطع تحمله، وانهار أمام جلاديه ليعترف على حزبه بالمعلومات التي كانت لديه كأمين سر للقيادة القطرية لبعث العراق.

«تعرض لبعض التشهير والحملات الظالمة من قبل رفاقه، والحقيقة أنه صمد طويلاً قبل نزع المعلومات منه، وواجه ضغوطاً لم يعرفها سواه»^(٢).

وظل سيل الانتقادات يلاحقه حتى بعد وفاته، حيث شنع به صدام تشنيعاً لا يوصف متخذاً من اعترافاته وسيلة للتشهير به والنيل منه إن لم نقل تسقيطه.

ومن يعلم أن صدام لو كان قد تعرض لما تعرض له عبد الكريم الشيخلي من تعذيب لا يطاق، هل كان يصمد ولم يفش الأسرار؟!.

(١) د. أمير إسكندر: صدام حسين مناضلاً ومفكراً وإنساناً، ص ٩٧.

(٢) جهاد كرم: بعثيون من العراق كما عرفتهم، ص ٦٤-٦٥.

ومن أجل أن يُدخل خليل الدليمي الإثارة في كتابه منذ البداية وسمه بـ (صدام حسين من الزنزانة الأمريكية.. هذا ما حدث!)، ويختتم العنوان بعلامة تعجب من النوع الكبير، ولكن محامي صدام لم ينجح في تمرير هذه الإثارة الخادعة، وقد صنف كتابه، بأنه يحتوي على المزيد من المعلومات الخاطئة في قوله: «وتمكنت الأجهزة الأمنية لنظام عبد السلام عارف بعد تحقيقات ومطاردات من إلقاء القبض على صدام في ١٤ أكتوبر (تشرين الأول عام ١٩٦٤ م)، وتم اقتياده للسجن في المعتقل الحزبي، وأودع زنزانة انفرادية وواجه فيها كل صنوف العسف والتعذيب.

وقررت القيادة القومية لحزب البعث في سوريا والعراق، ومن خلال متابعتها لأخباره في السجن وسموده في وجه التعذيب الوحشي الذي يتعرض له، اختياره وانتخابه أمين سر الحزب وهو لا يزال في السجن حياً»^(١).

«ومع ذلك، فإن هذا الوصف المثير لسجن صدام، لم يتطابق مع استذكارات أولئك البعثيين الأحياء الذين سجنوا معه، ويستذكر إباد علاوي الطالب في كلية الطب، والناشط في حزب البعث والذي سجن بالوقت نفسه الذي سجن فيه صدام، بأنه لم يمر بوقت عصيب، بل تلقى صدام معاملة مفضلة من سلطات السجن، (معظمنا وضع في معسكر خاص حيث كان النظام قاسياً جداً)، يقول علاوي: (تم تعذيب الكثيرين منا والبعض بشكل سيء، و(توأم) صدام عبد الكريم الشخلي، مثلاً، تلقى معاملة قاسية بشكل خاص، وفي إحدى المرات دق مستجوبوه مسهراً في ظهره لحملة على الاعتراف، وفي مرة أخرى سحلوه حول بناية السجن، وكان مربوطاً إلى مؤخرة سيارة جيب، وعانى من إصابات خطيرة، غير أن صدام اعتقل بشكل منفصل عن السجناء الآخرين، حيث وضع في كلية

(١) المحامي خليل الدليمي: صدام حسين من الزنزانة الأمريكية، هذا ما حدث!، ص (٤٥-٤٦).

تدريب الشرطة القديمة، حسب ما ذكره علاوي، حيث كانت الظروف، مقارنة بتلك التي مر بها المعتقلون البعثيون الآخرون، تشبه التواجد في مخيم العطلة، وعلى الرغم من أن قوات الأمن كان لديها ما يقارب ثلاثين بياناً من شهود أدانوا صدام -بمن فيهم ذلك الذي كان يهرب البنادق من سوريا إلى العراق- إلا أن قوات الأمن تجاهلت ذلك». (١)

هذا الكلام من مقابلة أجراها كون كوجلن مع إياد علاوي السياسي المعروف والمعارض لصدام فيها تفنيد رصين لادعاءات محامي صدام.

أما الادعاء الواهي الآخر فهو اختيار وانتخاب صدام أميناً لسر القيادة القطرية في العراق، وهو فرية، لم يصدقها كل من قرأها وسمعها.

ولنعضد شهادة الدكتور إياد علاوي بما ذكره عضو قيادة قطر لبنان جهاد كرم، وهو يتحدث عن الشيخلي قائلاً:

«ويدرك من رافق الأحداث في تلك الفترة، أن الاعتبارات العشائرية والمناطقية قد أبعدت التعذيب عن زملائه أمثال الرئيس البكر وصدام». (٢)

أما التشهير الذي ناله على لسان صديقه صدام فكان كبيراً، ووصل إلى حد التنكيل به، ومما قاله:

كان الحزبيون يعتبرون حالة الضعف التي بلغها الشيخلي كفراً... ووصل الأمر بالمناضلين حد التمني لو أنهم قتلوه... وبقي الشيخلي على نزقه وعلى حاله.. وتحملناه لأنه في وضع ضعيف.. وهو على هذه الحالة من الضعف... دون أن يتسم بروح الشجاعة العالية.. «ولقد تحملنا الكثير من رفيقنا هذا في سجننا،

(١) كون كوجلن: صدام.. الحياة السرية، ص (٧٤-٧٥) من لقاء أجراه المؤلف مع الدكتور إياد علاوي.

(٢) جهاد كرم: بعثيون من العراق كما عرفتهم، ص ٦٥.

وتعرفون أن الحساسية في السجن تصل إلى الذروة أحياناً^(١).

لم يبق صدام في جعبته من كلمات التعرية والتشهير إلا كاله لأمين سر القيادة القطرية لحزب البعث في العراق.

إن هذه التجربة المرة التي واجهها الشيخلي مليئة بالدروس والعبر، التي من شأنها أن تغير أنماط سلوكه، وتقوّم مسار حياته بشكل كامل، ولكنه لم يعتبر من آلام الحياة ومصاعبها، وتحول إلى سبع ضارٍ بعد أن سنحت له الفرصة مرة ثانية، فسأم خصومه سوء العذاب، وأخذ يتفنن في ابتكار أساليب لا تخطر على بالٍ لإذلالهم والانتقام منهم.

إن الحياة زاخرة بالتجارب المفيدة والنافعة، وحتى المشحونة بالآلام الممضّة يمكن الاستفادة منها والانتفاع بها، إذا توفر الوعي السليم والإحساس المرهف، أو هي كما يقال: (الضربة التي لا تقصم الظهر تقويه).

إذا كان عبد الكريم الشيخلي بهذا المستوى من الضعف والكسل والمزاجية، لماذا إذن يتمسك به صدام التكريتي ويفضله على غيره ليكون معه في عملية الهروب من السجن، مع العلم أن هناك شخص ثالث وهو حسن علي العامري عضو في القيادة القطرية، وشاءت الصدفة أن يكون معها في الطريق من السجن إلى المحكمة، ويمكن أن يكون بديلاً عن هذا الكسول المهمل المزاجي، ولكن إصرار صدام على أن يكون الشيخلي معه ساعة الفرار لغز لا يمكن معرفة سببه.

مكث عبد الكريم الشيخلي في سجن رقم (١) قرابة العامين من ١٩٦٤ - ١٩٦٦، بعد أن اعترف على معظم تنظيمات الحزب، وخطط مع رفيقه صدام

(١) شامل عبد القادر: لمحات صحافية من عراق صدام حسين ١٩٦٨-٢٠٠٣، ص (٢١٠-٢١٢).

التكريتي للفرار من السجن بعد تعاونها مع الأجهزة الأمنية لنظام عبد السلام عارف.

وبلغ هذا التعاون ذروته إلى الحد الذي ساءت فيه سمعتها بين رفاقهم البعثيين، حتى تمنى جميع المعتقلين التخلص منها.

وبمساعدة صنوهم الثالث سعدون شاكر، فرا من أيدي الانضباط بعد مرورهما بمطعمهم الجندول، وتركوا رفيقهما حسن علي العامري رهينة لدى الجنود المرافقين.

«وفي ذلك اليوم كانوا في طريقهم إلى المحكمة: صدام حسين، وكريم الشيخلي، وحسن العامري، واستطاعوا إقناع الجنود بالذهاب إلى مطعم (الجندول) بشارع أبي نؤاس لتناول طعام الغداء، واتفقوا مع سعدون شاكر أن ينتظرهم بسيارته خارج الباب من جانب المغسل، وهو باب عندما يفتح، يفضي رأساً إلى الشارع العام، وتكون السيارة مفتوحة الأبواب، فإذا حاول الجنود المقاومة في آخر لحظة، تنتزع منهم بالقوة رشاشاتهم ويتم الهرب.

واتفق الثلاثة على أن يهرب في البداية اثنان منهم، والثالث يبقى مع الجنود، ووقع الاختيار على حسن العامري أن يكون الرفيق الثالث»^(١).

وظل العامري أسيراً بيد الانضباط العسكري، يتلقى الضرب والإهانات والشتائم في شارع أبي نؤاس أمام الناس، وبعد وصوله إلى السجن أمام المعتقلين. غضت سلطة عبد الرحمن عارف النظر عن هذا الهروب، ولم تكثرث به، لأن عبد الكريم الشيخلي لم يبق شيئاً في جعبته دون أن يعترف عليه، أما الهارب الثاني صدام حسين فقد قام بدور وكيل أمن طيلة فترة الاعتقال، ومن جانبها كانت

(١) د. أمير إسكندر: صدام حسين مناضلاً ومفكراً وإنساناً، ص ٩٢.

سلطة الرئيس عبد الرحمن عارف الرجل المسلم، قد أطلقت سراح معظم المعتقلين البعثيين، ولم يبق في السجن منهم إلا ثلاثة من أعضاء القيادة القطرية، وثلاثة من أعضاء المكتب العسكري، حين شرع الشيخلي وصدّام بالهروب.

«حين وقع انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ في سورية ضد القيادة القومية، لم تقف قيادة الحزب في العراق التي كان على رأسها صدام والبكر فوراً مع هذه القيادة (القومية) كما فعلت قيادة الحزب في لبنان وغيره، وكان يمثل الحزب في لبنان الدكتور عبد المجيد الرافعي، والدكتور علي الخليل، وجبران مجدلاني الذي كان في السجن في سورية لكونه عضواً في القيادة القومية ونائباً في دمشق، وبقي مجدلاني في السجن حتى ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧، وبقيت قيادة الحزب في العراق على اتصال بالقيادة التي تولت السلطة في سورية، واعتبر موقفها هذا غير سليم حزبياً، وكان تحليل الحزب في العراق الذي يتهماً للوصول إلى السلطة أنه لا يريد خسارة العلاقة مع النظام في سورية الذي يحتاجون إلى دعمه، وحين دعت القيادة في سورية، وعلى رأسها المرحوم نور الدين الأتاسي وصالح جديد بالتحالف مع الرئيس حافظ الأسد، إلى عقد مؤتمر قومي في أيلول ١٩٦٦، شاركت مجموعة من بعثيي العراق في المؤتمر، وحاول المشاركون في المؤتمر لم شمل الحزب فلم ينجحوا، ولم تكن القيادة السورية مرتاحة إلى هذه المجموعة، وكانت على صلة بمجموعة أخرى يرأسها عبد الكريم مصطفى نصرت، الضابط البعثي المعروف، وفي خريف ١٩٦٦ نشأت أزمة خط أنابيب النفط (آي بي سي) حين طالبت سورية بزيادة عائداتها، ووقف الرأي العام العربي مع سورية في معركتها مع شركة النفط، اعتقدت القيادة في سورية أن الظرف مناسب للتخلص من قيادة (البكر-صدام)

للبعث العراقي، فأعلنت عبر الإذاعة فصل هذه القيادة من الحزب، وشكلت قيادة أخرى مرتبطة بسورية»^(١).

إن الطبيعة الانتهازية الذرائعية لأحمد حسن البكر وابن عمومته صدام منعتهما من الاصطفاف السريع مع قيادة ميشيل عفلق والقيادة القومية، انتظاراً للنتائج التي أعقبت حركة ٢٣ شباط ١٩٦٦، ولم يحسما أمرهما بسرعة حتى لا ينجسوا العلاقة مع نظام الحكم في سورية، الذي يحتاجان إلى دعمه ومؤازرته.

أما الموقف الذي يفخران فيه ويعتقدان بأنها طرقاً على الحديد وهو حام، فهو ردة فعل على قرار قيادة حركة ٢٣ شباط ١٩٦٦، الذي فصل كل أعضاء قيادة (البكر-صدام) وأنهى العلاقة معها.

لأن قيادة حركة ٢٣ شباط السورية تعرف طبيعة كل من البكر و صدام والمتكتلين معهما، وبالأخص الموقف الخياني السافر ضد حزب البعث والتحاقهما بعبد السلام عارف وتنكيلهما برفاقهما في ١١/١١/١٩٦٣ وما بعده، فكان قرار فصل القيادة القطرية المنتخبة في المؤتمر القطري السادس في صيف عام ١٩٦٦، هو المحفز للالتحاق بقيادة ميشيل عفلق، ولم يكن موقفاً مبدئياً يحسب لصالحهما. إن الفصل والطرْد وعدم الرغبة في التعاون هو الذي حدد خيارهما ليلتحقا بميشيل عفلق، ويسموا بعد ذلك بيمين البعث.

وبعد هروبها تأمر عبد الكريم الشيخلي، و صدام التكريتي، وسعدون شاكر، وبقية العصابة على القيادة التي كانت تدير العمل آنذاك، والتي تسمى بـ(لجنة قيادة التنظيم) لأنها كانت تقتفي آثار ٢٣ شباط (فبراير) على مستوى القيادة

(١) غسان شربل: صفحات من حياة مؤسس البعث بعد رحيل صدام وخراب البصرة، حوارات أجراها غسان شربل، وجمعت في كتاب، ص (١٣٦-١٣٧).

والقاعدة - على حد تعبير صدام - وكرسا جهدهما من أجل عقد مؤتمر يزيع من أمامها كل القياديين الموالين لسورية، وتعميق الانشقاق في صفوف حزب البعث. «وتم عقد المؤتمر القطري (السادس) في بيت عبد الرحمن السهيل في منطقة أبي غريب ليلاً، وتولى صدام حسين رئاسة المؤتمر، وإدارة المناقشات والإشراف على إجراء الانتخابات.

وانتخبت القيادة القطرية الجديدة في تلك الليلة، وكانت ممثلة في: أحمد حسن البكر، صدام حسين، كريم الشيخلي، صالح مهدي عماش، طه الجزراوي، عبد الخالق السامرائي، صلاح عمر العلي، عزت مصطفى، عبد الله سلوم السامرائي». (١)

«وبعد شهر ونصف فقط من انتهاء المؤتمر، سمع أعضاء القيادة القطرية الجديدة (المنتخبة) نبأ (فصلهم) من إذاعة دمشق، فلم ينتظروا على الحديد حتى يبرد، طرقوه على الفور وهو ساخن، وعقدوا - طبقاً لقرار المؤتمر السابق - مؤتمراً استثنائياً أعاد انتخاب القيادة القطرية نفسها مرة أخرى.

ومن يومها أعلنت القيادة الجديدة - القديمة، العداء الرسمي السافر لدمشق وحكومتها، ووقع الانشقاق الرسمي السافر في الحزب». (٢)

«أما مسؤولية الجهاز الخاص - الذي كان يطلق عليه فيما مضى اسماً حركياً هو (حين) - فقد تم تشكيله بطريقة أخرى، على أساس أن يكون (جهازاً صدامياً) ويتكون من المدنيين، الذين يقومون بدور محدد، وتولى مسؤوليته صدام حسين نفسه». (٣)

(١) د. أمير إسكندر: صدام حسين مناضلاً ومفكراً وإنساناً، ص ١٠١.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٠١.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٠١.

بعد المؤتمر القطري السادس عام ١٩٦٦ انشطر بعث العراق إلى قسمين متباينين، كان الشطر الأكبر فيهما الموالي إلى سورية، حيث كان يشكل قبل انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ ستة فروع، وهي تفوق البعثيين المواليين لميشيل عفلق والقيادة القومية في العدد والعدة.

ولذلك قام صدام حسين وجهازه الخاص بعمليات سطو منظمة، ومداهمات سريعة لأوكار البعثيين المواليين لسورية، والذين يطلق عليهم تسمية يسار البعث، للسيطرة على مطابع الحزب ووثائقه وخطوط تنظيمه، وقد صاحبت عمليات القرصنة هذه حالات من العنف المتبادل، وظلت هذه العمليات حديث المجتمع آنذاك.

وبعد أن قفز أحمد حسن البكر على كرسي الحكم نتيجة اتفاه مع العملاء والمشبوهين من بطانة الرئيس عبد الرحمن عارف، بدأت عمليات الترغيب والترهيب تطال عناصر يسار البعث، كما هو الحال بالنسبة لعموم العراق، ولكن التركيز عليهم بدأ مبكراً، وبدأ مع ذلك العد التنازلي لهم وأصيب كيانهم بالشلل والانحسار التدريجي.

«وفي بيروت، دعا عضو القيادة القطرية الدكتور عزت مصطفى، إلى تشكيل لجنة تحضيرية تدعو إلى مؤتمر قومي آخر مختلف عن المؤتمر الذي دعت إليه القيادة في دمشق، وفي هذه الفترة كان عفلق في البرازيل، وكان الحزب في لبنان وبعض القياديين الذين تمكنوا من الخروج من سورية كإلياس فرح، والأخ السوداني محمد سليمان خليفة، والدكتور مسعود الشابي التونسي وشبلي العيسمي، وحين عُقد المؤتمر القومي التاسع في بيروت المناهض لحركة ٢٣ شباط، جاء وفد عراقي وانتخبت قيادة قومية: البكر، وصالح مهدي عمّاش، وعبد الخالق السامرائي، وعبد الكريم الشيخلي، وشفيق الكمالي، ولم يكن هذا الأخير عضواً في القيادة القطرية في العراق، ما أغضب صدام حسين كثيراً، إذ أن السامرائي كان يريد إضعاف صدام، فقد عقد

صفقته في بيروت من أجل إبعاده عن القيادة، وحمل صدام ميشال عفلق مسؤولية إبعاده عن القيادة القومية، وبقيت العلاقة بينهما متوترة»^(١).

أما بقية أعضاء القيادة القومية المنتخبين من غير العراقيين فهم:

«ميشيل عفلق أميناً عاماً، مسعود الشابي (تونس)، محمد سليمان (السودان)، وشبلي العيسمي وأمين الحافظ (سورية)، وعلي غنام (السعودية)، وعبد المجيد الرافعي وجبران مجدلاي (لبنان).

وحضر المؤتمر من العراق كل من عبد الفتاح محمد أمين، خيرى الراوي، شفيق الكمالي، وسعدي عياش عريم»^(٢).

ويضيف جهاد كرم إليهم: «عبد الله سلوم السامرائي، محمد حمزة الزبيدي، وصالح صالح»^(٣).

إذا كان صدام زاهداً في عضوية القيادة القطرية، ويطلب من ميشيل عفلق أن لا يكون أحد أعضائها - كما مر بنا - فلماذا غَضِبَ وأقام الدنيا ولم يقعدھا، وتوترت العلاقة بينه وبين الأمين العام ميشيل عفلق، عندما بلغه نبأ عدم انتخابه في المؤتمر القومي التاسع، وانتخب من دونه آخرين لا يرتاح لهم؟!!

وبماذا يفسر صدام انتخاب عبد الكريم الشيخلي عضواً في القيادة القومية، مع عدم حضوره المؤتمر القومي، وهل هذه المرة جاءت له العضوية ليكون في قمة الهرم الحزبي بسبب صدام أو بدونه؟ لأنه - أي صدام - ادعى قبل ذلك بأن أمانة سر القطر نالها الشيخلي بسببه.

-
- (١) غسان شربل: صحفات من حياة مؤسس البعث بعد رحيل صدام وخراب البصرة، حوارات أجراها غسان شربل، وجمعت في كتاب، والحوار مع معن بشور ص ١٣٨.
- (٢) د. زهير عبد الجبار الدوري: حزب البعث العربي الاشتراكي، ص ٣٥٢.
- (٣) جهاد كرم: بعثيون من العراق كما عرفتهم، ص ٨٦.

وإذا كان صدام مؤثراً وصاحب حظوة إلى هذا المستوى، فلماذا كان السقوط حليفه في هذا المؤتمر؟

وبعد أن عرفنا هذا كله، فهل نصدق ادعاءات صدام الفارغة أنه كان يحمل الشيخلي على أكتافه؟!!

وهل كان المؤتمرون الحاضرون في المؤتمر القومي التاسع إلى هذا الحد من الغباء لينتخبوا شخصاً كسولاً مهملاً نزقاً، لا يهتم بالمواعيد الحزبية، وغيرها من الصفات التي يحلو لصدام أن يلصقها بصديقه ورفيقه وتوأمة -على حد تعبيره- عبد الكريم الشيخلي.

شارك عبد الكريم الشيخلي، كواحد من أفراد القيادة القطرية لحزب البعث العراقي في انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، إذ حمله اللوري العسكري مع رفيقه صدام وبقية أعضاء القيادة من بيت كريم النداء التكريتي، تتقدمهم سيارة مارسيدس بيضاء يقودها صاحبها حردان التكريتي، في زفة الدخول إلى القصر الجمهوري، والاستيلاء على السلطة، بينما كان صاحب القصر عبد الرحمن عارف يغط في نوم عميق، بعد أن اعتمد على بطانة خائنة منحرفة تولت تسهيل دخول الزفة إلى ساحات القصر الجمهوري.

التحق عبد الكريم الشيخلي فور استتباب الوضع لصالح البعث، بالمهنة المحببة إلى نفسه لممارسة اختصاصه الفريد من نوعه في قصر النهاية.

وتمر الأيام بسرعة فائقة حتى يطل ٣٠ تموز، ويخرج البكر مساء ذلك اليوم من القصر إلى الإذاعة، ويتبعه صدام ممسكاً بسلاح الحماية، ليعلن البكر القضاء على الذين أوصلوه وحزبه إلى سدة الحكم عبد الرزاق النايف، وإبراهيم عبد الرحمن الداود، بطريقة غادرة، ويشكل في اليوم التالي وزارة برئاسته.

وكان من المقرر أن يكون حامد الجبوري وزيراً للخارجية، ولكن عبد الكريم الشيخلي كان تواقاً إلى هذا المنصب، فأخذ بيد حامد الجبوري إلى غرفة مجاورة وطلب منه أن يتنازل له عن حقيبة الخارجية، وجاء الشيخلي والجبوري إلى الرئيس البكر ليخبراه بعملية التنازل^(١)، وافق البكر على مضمض، لكن صدام قابلها بارتياح، ليكرس الخيانة مرة أخرى، كانت الأولى للحزب، وهذه المرة للدولة التي يحكمها الحزب، لأنه يعرف صديقه الشيخلي عن كثب، ويعرف مدى استعداداته وإمكاناته، وقد وصفه بالمهمل والكسول والنزق، ولكن الفرغ طفح على قسماث وجهه عندما تسلم الشيخلي حقيبة الخارجية، إنه من المفارقات العجيبة، وصدام كله مفارقات.

إن تسلم الشيخلي لحقيبة وزارة الخارجية، كان البداية المشؤومة لولوج رجال المخابرات وأزلام التحقيقات وجلادي المعتقلات إلى السلك الدبلوماسي، ومنذ ذلك اليوم الأسود بدأ صدام وزمرته في مكتب العلاقات العامة (المخابرات لاحقاً) في زج رجال الأمن والمخابرات في وزارة الخارجية، وفي سفارات العراق في العالم، حتى صار العمل المخابراتي والعمل الدبلوماسي وجهين لعملة واحدة، بل إن مهمة السفارة العراقية في الخارج استخبارية أكثر من كونها دبلوماسية، وعلى هذا الأساس تحول برزان التكريتي من رئيس المخابرات العامة إلى ممثل العراق الدائم في جنيف، وصار معاونه في المخابرات، وابن خالته (هيله طلفاح) المدعو فاضل صلفيج العزاوي، سفيراً للعراق في الهند، وصار عبد الرحمن أحمد الدوري مدير إدارة الأمن العامة لمدة خمس سنوات، سفيراً للعراق في موسكو، وانتقل رافع دحام مجول التكريتي من سفير العراق في أنقرة إلى رئيس المخابرات العامة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى أحمد حسين السامرائي الذي «أصبح غداة نجاح

(١) حامد الجبوري: عصر البكر وصدام (مذكرات) الجزيرة، شاهد على العصر، ص ١٧٠.

الثورة في ١٧-٣٠ تموز أحد العناصر الفعالة في اللجان التحقيقية التي سُكِّلت لمساءلة أعداء الثورة، ورجال الأعمال الذين هربوا أموالهم إلى الخارج.

بقي فترة ضمن اللجان التحقيقية، وانتقل إلى وزارة الخارجية، وسمي سفيراً في رومانيا، وتنقل بعدها إلى عدد آخر من دول الكتلة الاشتراكية، وصدر قرار في ١٧ كانون الثاني في عام ١٩٩١ بتعيينه وزيراً للخارجية.^(١)

أما فاروق حجازي الذي «كلف بالعمل ضمن نطاق مكتب العلاقات، وعندما أطلت ١٧-٣٠ تموز كان في عداد البعثيين الأوائل الذين شكلوا المخابرات العامة العراقية.

وبقي على الدوام أميناً لمبادئه، وولائه للحزب، ولم يتغير أو يتبدل عند اختلاف الظروف، فكان هو ذاته بإمرة سعدون شاكر، وبرزان التكريتي وهشام صباح الفخري، وفاضل البراك، وكل من مرَّ مسؤولاً عن جهاز المخابرات، (كُوفى على عمله المخبراتي) ليكون سفيراً للعراق في تركيا وتونس.^(٢)

والقائمة تطول وغير هؤلاء كثير.

وعندما نقل الدكتور محمد المشاط ليكون سفيراً للعراق في واشنطن، وجد السفارة خاوية وإمكاناتها ضعيفة «٣ دبلوماسيين بضمنهم الشخص الثاني الذي كان على أبواب الانتقال، إضافةً إلى أربعة من الإداريين من بغداد وثلاثة حراس، أما ملاك المخابرات، فكان عدد العاملين من حاملي الجواز الدبلوماسي يتجاوز نظراءهم في السفارة، ولا نتحدث عن الإمكانيات المادية التي كانت تحت تصرفهم، لأنه كانت تفوق بمراحل كثيرة إمكانيات السفارة وملحقاتها الفنية مجتمعة».^(٣)

(١) جهاد كرم: بعثيون من العراق كما عرفتهم، ص ٢٢٠.

(٢) المصدر نفسه: ص (٢٢١-٢٢٢).

(٣) محمد المشاط: كنت سفيراً للعراق في واشنطن، ص ٣٧.

«وتوالت الأحداث وتتابعت الأيام، ولم يسمع بأن كريم متناقض مع رفاقه، باستثناء همسات بدأت تعلو وتشكل إشاعات بأنه يتصرف تجاه رفاقه في القيادة أو الموظفين في الخارجية وبعثات العراق في الخارج بفوقية واستعلاء لا تنسجم مع أخلاق البعثي والمناضل، حتى قال أحدهم عنه:

إنه وزير خارجية بلاط سان جيمس وليس العراق»^(١).

وفيما يبدو أن عبد الكريم الشيخلي الذي لا يصل إلى ديوان وزارة الخارجية يوماً إلا عند الظهر، ويقضي أعز أوقاته في قصر النهاية، قد بلغ به الغرور حداً لا يطاق، حتى كثرت الشكايات ضده نتيجة للاختلافات التي يثيرها مع السفراء وغيرهم، حتى بات التقاطع بينه وبين الدكتور محمد المشاط ليكون سبباً في نقل الأخير، الذي يقول: «وفي مطلع ١٩٦٩ عينت سفيراً للعراق في فرنسا، وفي سنة ١٩٧٠ اختلقت مع وزير الخارجية آنذاك عبد الكريم الشيخلي، وتم نقلي إلى بغداد في نهاية ١٩٧٠، حيث عينت بعدها رئيساً لجامعة الموصل في مطلع عام ١٩٧١»^(٢).

أعيد انتخاب عبد الكريم الشيخلي مجدداً عضواً في القيادة القطرية من خلال المؤتمر القطري السابع المنعقد بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٨، وبعد مرور أربعة شهور على انقلاب ١٧-٣٠ تموز ١٩٦٨، وقد مر بنا تفصيل ذلك.

وأصبح عضواً في مجلس قيادة الثورة بعد التعديل الذي أجراه مجلس قيادة الثورة على الدستور المؤقت في ٩/١١/١٩٦٩، وكان التعديل من أجل أن يكون أعضاء القيادة القومية العراقيون، وأعضاء قيادة قطر العراق أعضاء في مجلس قيادة الثورة، وقد مر بنا ذلك أيضاً.

(١) جهاد كرم: بعثيون من العراق كما عرفتهم، ص ٧٨.

(٢) محمد المشاط: كنت سفيراً للعراق في واشنطن، ص ١٤.

وقد جمع العديد من المناصب الرسمية والمواقع الحزبية، فهو عضو القيادتين القومية والقطرية، وعضو مجلس قيادة الثورة، ووزير الخارجية إضافة إلى تطوعه ليتسلل ليلاً إلى قصر النهاية للتحقيق مع المعارضين السياسيين، ولكن هذه المناصب والمواقع التي أحرزها لم تستمر معه طويلاً، ففي يوم ٢٨/٩/١٩٧١، تم إعفاؤه من جميع مناصبه.

وعن الكيفية التي أقصي فيها من مناصبه يتحدث تايه عبد الكريم قائلاً:

إنه في عام ١٩٧١، دخل الرئيس البكر إلى اجتماع القيادة، وكان في حالة هيجان وغضب، وسأل أين كريم الشيخلي؟، فأجابه النائب صدام: إنه في مهمة رسمية خارج العراق، فقال أمين سر القطر أحمد حسن البكر إن كريم الشيخلي مهتم بأموره الخاصة على حساب مسؤولياته الرسمية والحزبية، وعليه أن يخرج من كل مسؤولياته، ثم قال وكذلك سمير عبد العزيز النجم يخرج، وكان سمير يشغل نائب مسؤول المكتب العسكري (أي نائب صدام) وكان الانزعاج بادياً على ملامح البكر من تصرفات النجم في تنقلات وحركة العسكر.

ويؤكد تايه عبد الكريم بأن هناك حقيقة مرة لا بد من قولها وهي أن صدام انبرى قائلاً: ويخرج كذلك صالح مهدي عماش، ولكن لماذا صالح؟ الذي ظل صامتاً لا يتكلم، وحدثت دردشة وهمس بين الأعضاء، ثم قيل نعمل تصويت، وكان صالح جالساً وصامتاً.^(١)

وأعتقد أن عماش الذي يعرف طبيعة الاثنين البكر وصدام أكثر من غيره، وبالأخص البكر لمرافقته الطويلة له، أثر الصمت لأن الكلام تترتب عليه نتائج غير محسوبة، خاصة وأن صدام في مثل هذه المواقف يصل إلى حالة من الغضب

(١) تايه عبد الكريم: مذكرات تايه عبد الكريم (القيادي في حزب البعث) ص (١٥-١٦).

والتهور لا حد لها، فيفعل به ما فعله بوزير الصحة الدكتور رياض إبراهيم حسين العاني في قصة مقتله المعروفة للجميع، وفي أقل التقادير أن ينهره كما فعل مع وزير الصحة الآخر الدكتور عزت مصطفى العاني، ويأمره بترديد الشعار والخروج من الاجتماع، وكلاهما مر، إضافة إلى أن عمّاش معروف في تحاذله وجبته، وهذا ما أكده رفاقه البعثيون في أكثر من مجال.

ويضيف تايه عبد الكريم بأنه قال لهم: «أنا أرى إن كان الأمر كذلك، فأفضل أن تقبلوني شخصاً رابعاً يخرج من هذا الحزب لعدم قناعتني بهذا الإجراء، أجب المرحوم أحمد حسن وقال: إن الموضوع لا يخصك، فقلت لهم لا أعطي رأيي، فاتخذ القرار بالإجماع باستثنائي وعين سفيراً (يعني صالح) هو وسمير النجم»^(١).
إن هذا الأمر قد دُبّر بليل، وحسب اتفاق مبرم لتبادل الأدوار بين البكر وصادم للتخلص من هؤلاء الثلاثة، فأبعدوا بهذه المسرحية، التي هي من إعداد وإخراج الاثنين، البكر وصادم.

يقول الدكتور جواد هاشم: «عند سماعي الخبر عبر تلفزيون بغداد، كنت في نادي المنصور مع مدلول ناجي المحنة، أحد أعضاء قيادة فرع بغداد، استغربت هذا القرار المفاجئ، وسألت المحنة إن كان ذلك دليلاً على وقوع خلاف بين البكر وصادم، لأن الشيخلي كان محسوباً على صدام، بينما كان عمّاش محسوباً على البكر، وهنا علق المحنة قائلاً: هل تصدق أن يختلف البكر وصادم؟ أبدأ، إنهما متفقان ويكمل بعضهما البعض، إن إعفاء عمّاش والشيخلي يمثل تصفيات مرحلية، ستلحقها تصفيات أخرى شيئاً فشيئاً.

كان كلام المحنة أمراً خطيراً بالنسبة إلي، لما ينم عن نقد للبكر وصادم، فإذا

(١) تايه عبد الكريم: مذكرات تايه عبد الكريم: ص ١٦.

وصل إلى أسماع المعنيين فإنه سيذهب في ستين داهية»^(١).

ومن الذين ذهبوا إلى أن إقالة الشيخلي كان عملاً مدبراً وبتفاق بين البكر وصدام، القيادي البعثي اللبناني جهاد كرم الذي قال:

إن الشيخلي «نفذ من دون أي تردد، لأنه أدرك استحالة الرفض وبالتالي المقاومة، لا سيما إذا ما اتضح أن ما جرى كان قد حدث بالاتفاق بين أحمد حسن البكر وصدام»^(٢).

وبلغَ الطعم، وبأشر في عمله الجديد مندوباً دائماً للعراق في الأمم المتحدة. و «لم يمنع ذلك أنه كان مراقباً بشدة، وكانت تقارير المخابرات العراقية الناشطة في نيويورك وواشنطن واقفة له بالمرصاد، وتسجل كل تحركاته تباعاً»^(٣).

ويضيف جهاد كرم قائلاً: «واكتشفت خلال وجودي في الدورة التاسعة والعشرين للأمم المتحدة، وأيدني في ذلك طالب شبيب الذي كان في عداد الوفد، أن كريم محاطٌ ببعض موظفي السفارة الذين تظاهروا له بالود والمحبة، ولكنهم كانوا يتعقبونه ويبلغون عن تحركاته»^(٤).

وبعد ثلاث سنوات قضاهما الشيخلي مندوباً دائماً للعراق في الأمم المتحدة، بعد أن فرضت عليه المخابرات طوقاً شديداً يحصي عليه أنفاسه ويرصد حركاته، ويعد الشيخلي أحد المساهمين إلى جانب رفيقه صدام في بناء المؤسسات الأمنية وبالأخص الأمن العامة والمخابرات، وظل يمدّها بالخبرات العلمية.

(١) جواد هاشم: مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام، ص ٣١٢.

(٢) جهاد كرم: بعثيون من العراق كما عرفتهم، ص ٦٦.

(٣) المصدر نفسه: ص ٦٦.

(٤) المصدر نفسه: ص (٦٦-٦٧).

«نقل في أواخر عام ١٩٧٤ إلى ألمانيا، وفي شهر شباط عام ١٩٧٨ على وجه التحديد، استدعي إلى مؤتمر السفراء العراقيين في الخارج الذي يعقد دورياً.

وخلال وجوده في المؤتمر طُلب للتحقيق في المخبرات العامة، ووُجّهت إليه اتهامات تتعلق بالتشهير بالرئيس البكر ونائبه صدام، وحُكِم بالسجن خمس سنوات قضى منها سنتين ثم صدر العفو عنه، على أساس تعهده بعدم النشاط الحزبي أو الرسمي»^(١).

وعندما كان أسيراً بين أيدي الذئاب، من الذين كانوا يأتمرون بأمره، لا ندري ماذا عملوا معه، وهل كانوا رحماء معه، أو صبوا عليه جام غضبهم وسخطهم، واستخدموا معه ذات الأساليب، التي كان يتفنن في تجريبها على ضحاياه، عندما كان مقيماً لا يبرح زنانات التعذيب ومقاصل الإعدام وسراديب قصر النهاية، إن ما جرى على الشيخلي على يد رفيقه صدام مدعاة للدرس والاعتبار (وما أكثر العبر وأقل الاعتبار)^(٢).

وبعد إطلاق سراحه من السجن في عام ١٩٨٠، لم يستمر طويلاً في أجواء الحرية المحدودة، لأن من مثله لا تتركه الأجهزة الأمنية طليق الحركة، وبعملية تستبطن كل معاني الغدر والخسة وانعدام الوفاء لقي الشيخلي حتفه.

«التعليق الرسمي أفاد أنه اغتيل لأسباب شخصية، غير أن أصابع الاتهام وُجّهت إلى النظام، وإلى الرئيس صدام شخصياً، الذي وصلته تقارير تفيد أن (كريم) قد عرض التعاون مع (أحمد حسن البكر) الذي خرج من الرئاسة مستقيلاً

(١) جهاد كرم: بعثيون من العراق كما عرفتهم، ص ٦٧.

(٢) الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، تحقيق السيد هاشم الميلاني، المختار من حكم أمير المؤمنين، رقم ٢٨٨، ص ٥٣٧.

في تموز عام ١٩٧٩»^(١).

وشاهد عيان من الذي رأوا مصرعه عن قرب يقول: «نظرات فاحصة ممتدة، لا تستهدف هدفاً، كنت أنظر من خلالها إلى مدخل الزقاق المائل أمامي على بعد أربعة أمتار، حيث أجلس في محل (الإسكافي) لصيانة الأحذية في شارع عشرين بـ(الأعظمية) إذ كنت أنقل بصري بين عدة أشخاص، شكلوا صفّاً يقف أمام (مركز جباية أجور الكهرباء والماء) في (الأعظمية)، لم يك أحدٌ من المتواجدين في تلك المنطقة، يتوقع أن يختطف الموت أحد الرجال الواقفين في الصف من بينهم خلال لحظات، فقد دوى صوت عدة أعيرة نارية، سقط إثرها عبد الكريم الشيخلي على الإسفلت، من دون أن يقترب منه أحد، كل ذلك كان يجري أمامي، لكنني ومن حولي لم نحرك ساكناً! حتى أن أحداً لم يكلف نفسه باستدعاء طاقم الإسعاف، لقد بقيت حادثة قتل عبد الكريم الشيخلي، مندوب العراق في الأمم المتحدة ووزير الخارجية والعنصر المرتبط مبكراً بالنشاطات العنيفة لـ(ب)، جريمة مقيدة ضد مجهول في جدول المركز الأمني في المنطقة، إلا أن التدايعيات الحاصلة في أعقاب الاحتلال الأمريكي الغاشم، قد أدت إلى توفر فرصة لإيضاح الحقيقة، عندما قال سبعاوي إبراهيم التكريتي مدلياً باعترافاته أمام لجان التحقيق وخلال محاكمته في أعقاب الاحتلال الأمريكي التي أفادت (أنه كان مكلفاً في شباط عام ١٩٨٠ بقتل (الشيخلي)، وقد نفذ تلك المهمة بنفسه في الأعظمية، (الشيخلي) لم يكن له نصيب واضح من محبة غالبية العراقيين، الذي يجدون فيه شريكاً لمجموعة التعذيب الرئيسية الناشطة في قصر (النهاية) بُعيد ١٧ تموز ١٩٦٨ ولسنوات طويلة لاحقة أخرى، وقد توفر أرشيفه على حكايات تقول (أنه استخدم معلوماته العلمية كطبيب لم يستكمل متطلبات نيل شهادته، في

(١) جهاد كرم: بعثيون من العراق كما عرفتهم، ص ٦٧.

تعذيب وتنفيذ ارتكابات متفردة ضد المعتقلين في ذلك المعتقل، مصير الشيخلي كما أشارت إلى ذلك شهادات محدودة عجلت فيه قناعة صدام حسين، من أنه قد اتصل بأحمد حسن البكر، في أعقاب خروج الأخير من السلطة و(تقاعدته)، لترتيب أمر ما يستهدف إعادة البكر إلى السلطة»^(١).

اختلف الباحثون في تحديد الأسباب التي أدت إلى تصفية عبد الكريم الشيخلي، واتفقوا جميعاً على أنها جرت على أيدي الأجهزة الأمنية في نظام حزبه، وبأمر ومباركة صديقه الحميم صدام، لقد توصل هؤلاء إلى تحديد الرأس المدبر للعملية، رغم أن نظام البعث حاول جاهداً أن يضع الجريمة على أكتاف خصومه، ويلقي بها على كاهلهم، لأن توقيتها كان محسوباً بدقة، إذ جرت حلقاتها من حيث إطلاق سراحه وتنفيذ اغتياله عند اشتداد الأزمة بين المرجعية الواعية، التي تنتشر باطراد بين صفوف أبناء الأمة متمثلة بالمرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر (رض) وحزب الدعوة الإسلامية، والإسلاميين عموماً من جهة، وبين نظام صدام المتعطرس والمتسلح بأحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا المخابرات العالمية من خبرات ومهارات، وكانت إيفادات مدراء الأمن ومسؤولي المخابرات تترى إلى دول المعسكر الاشتراكي، حتى أن مدير أمن الناصرية في صيف ١٩٨٠ الرائد هشام عمر يوسف التكريتي، غاب فترة طويلة عن مديريته، وعلمنا فيما بعد أنه في دورة تأهيلية في ألمانيا الشرقية.

ومن الباحثين من يؤكد أن جريمة الاغتيال جاءت على خلفية هواجس كان يعيشها صدام بعد تنحية البكر، بناها على أن أي قيادي من البعثيين السابقين يتصل بالأب القائد - كما كان يطلق عليه - يكون ذلك بمثابة التنسيق من أجل الإطاحة بحكمه، وقد كان البكر في سنوات حكمه وصدام فيما بعد، يعيشان

(١) صبري الربيعي: أوراق في الصحافة والحياة، الجزء الأول، ص (٢٩٤-٢٩٥).

حالات تخويف يفرضها عليهم الغير بطرق شتى، فيستجيبان لها بردود فعل ذات وتيرة عالية، وقد حدث ذلك مع الكثيرين والأمثلة عليها كثيرة.

كان البكر يكره عبد الكريم الشيخلي ولا يطيقه أبداً، وأسباب ذلك عديدة، والشيخلي يعلم ذلك جيداً، وإن إمكانية اللقاء بينهما من أجل التنسيق والعمل على إطاحة نظام صدام تكاد تكون معدومة.

أما الدكتور حامد البياتي فقد قال: «نقل لي أحد السياسيين المطلعين، أن عبد الكريم الشيخلي الذي رافق صدام خلال وجوده في القاهرة، بعد محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم قال له: إن صدام كان يختفي بين فترة وأخرى من القاهرة، وهي قضية يذكرها أكثر من شخص من معارف صدام أو من الذين رافقوه في القاهرة، ويفسر البعض غيابه بسفره إلى بيروت للتدريب على يد المخابرات البريطانية، حيث كان يوجد معهد شمالان لتخريج الجواسيس، أو للتدريب على يد المخابرات المركزية الأمريكية، ولكن هذا الشخص يقول أن عبد الكريم الشيخلي قال: إن شلة البعث من اللاجئين في القاهرة عندما كان يختفي صدام ويعود إليهم كانوا يصفقون ويهتفون له (وين كنت يا لحبيب كل خميس بتل أيبب)، وكانوا يعلمون أنه يذهب إلى إسرائيل، وقد أقدم صدام على اغتيال رفيقه عبد الكريم الشيخلي من أجل إخفاء هذه الأسرار في حياة صدام»^(١).

وهذا الرأي يعتمد على المرحوم فليح حسن الجاسم، وقد لمحت إليه فيما تقدم من

(١) الدكتور حامد البياتي: صدام حسين والمؤامرة الكبرى، ص (٣٧-٣٨).

انظر:

مايلز كوبلاندا: لعبة الأمم، تقديم مجدي كامل، ص (٥٩-٦٢).

وكذلك:

سلام عبود: من يصنع الدكتاتور.. صدام نموذجاً، الفصل الثالث ص (٦٩-٨٢).

فصول، بأن الشيخلي كان يشكل خزانة أسرار صدام، ولذلك قتل، لأن أخطر ما يخشاه صدام هو افتضاح أسراره أو على الأقل إفشاء جزء منها، ولذلك وُضِع الشيخلي ضمن قائمة معدة للتصفيات أو (قتلى في طور الانتظار) وكان ذلك بعد إعفائه من منصبه الوزاري.

أما السبب الثالث في تصفية الشيخلي فهو الذي تبناه عائلته بشخص ابن خالته رعد، الذي يجيب على استفسار طرحه عليه شامل عبد القادر عن «سبب إقدام صدام على قتل كريم بعد تلك العشرة الطويلة، فيجيب قائلاً: منذ السنوات الأولى المبكرة للثورة عرض صدام إحدى أخواته غير الشقيقات على كريم ليتزوجها، فاعتذر كريم بلهجة لا تخلو من خشونة: كيف لي أن أتزوج فتاة ريفية لا تقرأ ولا تكتب وأنا طبيب.

امتعض صدام وكان رفض كريم لعرض صدام هو الشرخ الأول في علاقتهما»^(١).

كل الدلائل تشير على أن الأخت غير الشقيقة التي عرضها صدام على صديقه الشيخلي هي سهام إبراهيم الحسن، وهي أصغر بنات صبيحة طلفاح المسلط، وكانت تسكن مع أخيها صدام في بغداد مدة عشر سنوات للفترة من (١٩٦٣-١٩٧٣) بعد أن انتقلت إليها من العوجة، وهي الوحيدة من بين أخواتها قد حصلت على قسط من التعليم، وكانت منتمية إلى حزب البعث قبل عام ١٩٦٨، وفي لقاء معها تحدثت عن ذكرياتها في ذلك العقد من الزمان الذي قضته إلى جنب أخيها إذ تقول: «وأذكر كيف أني كنت أقوم على خدمته وأقدم له يد المساعدة في فترة نضاله السري، فمثلاً قبل ثورة ١٧-٣٠ تموز كان رئيساً للجمعيات الفلاحية،

(١) شامل عبد القادر: لمحات صحفية من عراق صدام حسين (١٩٦٨-٢٠٠٣) ص ٢٠٧.

وكان لديه اجتماع مع الفلاحين في منزله كل شهر، وخلال الاجتماع كنت أحضر لهم كل ما يحتاجونه من طعام وشراب، ولا أنام حتى يخرج آخر واحد منهم»^(١). وإذا عرفنا أن صدام والشيخلي لم يفتقرا إلا نادراً خلال الفترة الممتدة من عام ١٩٦٣ وإلى ما قبل صدور إعفاء الأخير في أيلول ١٩٧١، ولا يستبعد أن يكون الأخير نفسه قد شاهد سهام التي تقوم بخدمة أخيها في لقاءاته واجتماعاته، وحدد موقفه منها.

وقضية الزواج قضية ارتباط بشراكة مصيرية يُراد لها أن تمتد إلى نهاية عمر أحد الشريكين، ولا يمكن أن يقوم على أساس الإكراه والحياء، وإذا تمت على غير الرضا المتبادل فإن مصيرها محكوم بالفشل.

انتقلت سهام إبراهيم الحسن بعد عام ١٩٧٣ إلى بيت الزوجية، بعد أن اقترنت بـ(رشيد النقيب) وأنجبت وصارت تكنى بأمر عمر.

ذكرت السلطة الغادرة في إعلانها عن مقتل عبد الكريم الشيخلي، أنه حدث على خلفية قضايا شخصية، وهي حقاً كذلك، وإذا عرفنا أن القاتل هو سباعوي إبراهيم الحسن الأخ الشقيق لـ(سهام).

والسلطة أرادت بـ(قضايا شخصية) غير ما ذكرنا، ولكن زيفها انكشف بعد سقوطها المريع.

وعلى العموم فإن هذا السبب الأخير يدخل أيضاً ضمن أسرار صدام والممنوعات التي يتكتم عليها، وقد يجازف بحياته من ينوي فتح ملفاتها.

في ندوة جمعت صدام مع سمير عبد العزيز النجم، وحاتم حمدان العزاوي،

(١) مجلة ألف باء البغدادية، العدد (١٢٨٣) السنة الخامسة والعشرين، ٦ ذي القعدة ١٤١٣هـ الأربعماء ٢٨ نيسان ١٩٩٣، مقابلة مع سهام إبراهيم الحسن.

وعلي حسون الكروي، ليستذكروا فيها فعلهم الذميمة وجريمتهم النكراء في تصديهم للزعيم الوطني عبد الكريم قاسم بعملية مدانة تبرأت منها القيادة القومية لحزب البعث، أما صدام وشلته المنحرفة، التي ما انفكت تتغنى بها باعتبارها من أمجاد الحزب العظيمة، في حين أنها وصمة عار في جبين البعث وعلى مدار التاريخ، وصدام في هذه الندوة شأنه شأن التاجر المفلس، الذي يفتش في دفاتره القديمة، عله يجد شيئاً ينتشله من إفلاسه، فهو بعد أن خرج مكسوراً يلحق جراحه في أكبر مواجهة مع الشعب العراقي في الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١، أخذ يكثر من إطلالاته على شاشة التلفزيون ليعيد اعتباره.

والأمر الذي نريد أن نلقي عليه الضوء، هو أن صدام عندما ذكر اسم عبد الكريم الشيخلي ترحم عليه بطريقة تفضي إلى المثل القائل: «يكاد المريب يقول خذوني».

والمعروف عن صدام أنه من أهل البدع، وبدعه في تجدد مستمر، وفي تاريخ الندوة نفسها أصدر مرسوم جمهوري، منح الموتى والأحياء فيه وسام الرافدين من الدرجة الأولى من النوع المدني وثلاثة أنواع شجاعة، ومن بين هؤلاء عبد الكريم عبد الستار الشيخلي، الذي قتله صدام قبل عشر سنوات من صدور المرسوم الجمهوري، وقد نشرت صورة هذا المرسوم في جريدة الموقف^(١)، وأعدت نصه مع المرسوم الآخر الذي يخص علي حسون في أحد كتبنا الصادرة^(٢).

قد يستفيد الأحياء من هذه المكرمة، كما يسميها أعوان الرئيس وبطانته، وقد

(١) جريدة الموقف (لسان حزب الدعوة الإسلامية) دمشق، العدد ٢٥٣، الخميس ٢٩ شعبان ١٤٢٢هـ ١٥ تشرين الثاني ٢٠٠١م.

(٢) المؤلف: بعث العراق.. من البداية المريبة حتى النهاية الغريبة، الملحق رقم ١٨ أولاً وثانياً، ص (٥٠٠-٥٠٢).

ترتب عليها آثار مادية للورثة، ولكنها لا تفيد الموتى، بعد أن تحولوا إلى هياكل ورمم بالية، وقد يدخل هذا العمل بالنسبة إلى الميت في باب الابتداع.

رغم أن الموتى قد وفدوا على ربّ رحيم، إلا أنهم لم يتخلصوا من صدام وظل يلاحقهم ببدعه وخرافاتة، وفي واحدة من بدعه - كانت سابقة على هذا التاريخ - أنه منح شرف العضوية في حزب البعث إلى ضحايا الحرب العراقية الإيرانية، بعد أن زجهم في محرقة قادسيته، ثم تابعهم إلى قبورهم لأنه لم يتذكرهم في حياتهم ليهبهم الترقية الحزبية، وكيف لا، وهم (الأكرم منا جميعاً) على حد قوله.

وسيجد القارئ الكريم صورة قرار منح شرف العضوية في الملاحق آخر الكتاب تحت عنوان: الملحق رقم (٨).

إن صدام شخص منحرف في حكم الشريعة، ومتناقض يعيش ازدواجية قاتلة، ومسكون بهواجس الإجرام والخرافة، بأمر منه صدر إلى أخيه غير الشقيق، سبعاوي إبراهيم الحسن ليقتل رفيقه، وصديقه، وتوأمة، عبد الكريم الشيخلي، ثم بعد ذلك يترحم عليه، ويمنحه وساماً وثلاثة أنواع شجاعة.. إنه صدام ولا نزيد!!

تجربة قومية
للمزايدة



من ابتداعاته التي تستبطن المزايدات الفجة، درج بعث العراق على إدارة بعض سفاراته بعرب غير عراقيين، وومن ينتسبون إلى بلدان عربية مختلفة، وهي ظاهرة بدأت معه منذ السنوات الأولى لحكمه، وصارت كتقليد ظل يعمل به حتى سقوطه، وإن دلت هذه الظاهرة على شيء فإنها تدل على مغالاته في العروبة، التي لم يعتمد عليها غلاة القومية العربية في أي بلد عربي آخر، وفي أية فترة من تاريخ الأمة، حتى تلك التي كان فيها الشعور القومي في أعلى مديات طغيانه.

إن إدارة سفارات العراق في الخارج من حق أبنائه، وليس للحاكم أن يهبها على أسس حزبية لمن يشاء من أبناء الوطن العربي، لأن أبناء العراق أولى في إدارة شؤون سفارات بلادهم بالخارج، وبغض النظر عن قومية العراقي ودينه وطائفته وحتى في انتمائته الحزبي، وطريقة تفكيره.

وقد بدأ ظهور هذه التجربة البعثية الغربية عند استلام عبد الكريم الشيخلي لحقيبة وزارة الخارجية، وهي أول وزارة بعثية أعقبت وزارة ناصر الحاني، التي لم تستمر أكثر من أسبوعين، ومن هؤلاء البعثيين العرب الذين تسنموا إدارة السفارات العراقية - بعد أن صادر بعث العراق حق العراقيين في إدارة سفارات بلادهم خارج العراق - المحامي اللبناني جهاد كرم عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في لبنان، تم تعيينه سفيراً للعراق في الهند، ومن ثم البرازيل ولمدة ثلاثة عشر عاماً تمتد ما بين ١ / ١ / ١٩٧١ حتى ٢٧ / ١٢ / ١٩٨٣.

لعب جهاد كرم دوراً بارزاً في الإعداد للمؤتمر القومي التاسع المنعقد في شباط (فبراير) ١٩٦٨، بعد أن تم عقده في لبنان في إطار مكثف من السرية، ومن أجل رَأب الصدع الذي أحدثه الشرخ الكبير الذي مُني به حزب البعث على أثر حركة ٢٣ شباط ١٩٦٣ في سورية، وكان ضمن اللجنة التحضيرية للمؤتمر، التي ضُمَّت إضافة له كلاً من: نقولا الفرزلي، والراحل حسين عثمان (رئيس بلدية بعلبك بعد ستين)، ونعيم فهمي (طرابلس)، ومعن بشور أمين سر التنظيم الطلابي للحزب، بالإضافة إلى د. إلياس فرح (سورية) والشابي (الذي اعتذر وعاد إلى تونس) وسليمان خليفة التعايشي (السودان) ود. عزت مصطفى (العراق) ود. زيد حيدر (سورية).^(١)

وقد عانى جناح البعث في لبنان، المرتبط بميشيل عفلق، والذي يضم في قيادته جهاد كرم من اضطراب كبير «فقد انعكس على أوضاعه التنظيمية أزمات التنظيم القومي للحزب، ولا سيما بعد تسلم فرع الحزب في العراق للسلطة مرة ثانية في ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨، وعبر انقلاب عسكري أثار اعتراض البعثيين عموماً، ولا سيما في لبنان، حيث كتب أبرزهم في لبنان معن بشور تحقيقاً من بغداد في مجلة الحوادث اللبنانية، بعد أيام على زيارته لبغداد في ٢٢ تموز (يوليو) ١٩٦٨ كان عنوانه: «انقلاب لا ثورة» وذلك انطلاقاً من قرارات المؤتمر القومي التاسع للحزب في شباط (فبراير) ١٩٦٨، التي رفضت وصول الحزب إلى السلطة عبر انقلاب عسكري». ^(٢)

ولما يجف بعد حبر القرارات الصادرة عن المؤتمر القومي المذكور، وبعد خمسة شهور لا غيرها، قام بعث العراق بقيادة أحمد حسن البكر أمين سر القيادة

(١) محمد جمال باروت وآخرون: الأحزاب والحركات والتنظيمات القومية في الوطن العربي، ص ٢١٥.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢١٨.

القطرية، والمتحالف مع الشيطان على الدوام بمخالفة هذه القرارات والقفز إلى السلطة، وليس بانقلاب عسكري وحسب، وإنما عبر التحالف المدان مع البطانة العميلة للرئيس الراحل عبد الرحمن عارف.

وبعد أن «توزعت أزمة الثقة بين عدد من القياديين البعثيين في لبنان والقيادة في العراق، على خلفية أمور تتصل بالعلاقة مع عبد الناصر، التي كان البعثيون اللبنانيون المعترضون حريصين عليها، وكذلك بالعلاقة مع الثورة الفلسطينية، وتحديدًا (فتح) التي كانت تشوب علاقتها بالقيادة العراقية توترات وصلت إلى الذروة، حين امتنع الجيش العراقي عن نصرته المقاومة الفلسطينية أثناء أحداث أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ في الأردن»^(١).

ورغم الأزمة الضاربة أطنابها بين قيادتي البعث اللبناني والعراقي، وفي السنوات الأولى لانقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، خفَّ جهاد كرم القيادي البعثي اللبناني لزيارة العراق من أجل الحصول على المكاسب، وقد حصلت له أزمة في بغداد نتيجة لاندفاع صالح مهدي عمّاش وحمّاقته، يقول الدكتور جواد هاشم: «زارني ذات يوم في مكنتبي بوزارة التخطيط المهندس كمال الشاعر صاحب دار الهندسة وبصحبته جهاد كرم عضو قيادة حزب البعث في لبنان، وكانت زيارة مجاملة، أخبرني خلالها كمال أنه سيقابل بعد ساعة صالح مهدي عمّاش بصفته رئيساً لمجلس التخطيط، لأنه يريد الوقوف على إمكانية الحصول على مقاولات الأعمال الهندسية للمشاريع الحكومية في العراق، خاصة أنه كان يساعد الحزب بالتبرعات الكثيرة طوال السنوات الماضية.

انتهت الزيارة، وقبل مغادرة كمال وجهاد نصحتها بعدم التحدث مع عمّاش في شؤون المقاولات والمشاريع لأن (الجماعة) لا يجذبون الوساطات.

(١) محمد جمال باروت وآخرون: الأحزاب والحركات والتنظيمات القومية في الوطن العربي، ص ٢١٨.

بعد ساعتين تقريباً، اتصل بي عماش هاتفياً ليقول:

- كمال الشاعر وجهاد كرم قد أودعا التوقيف.

- ولكن لماذا؟ هل حدث ما يستدعي ذلك؟ ثم إن جهاد كرم عضو قيادي.

جاء جواب عماش بما مفاده، بعد مقدمة طويلة من الشتائم عليهما، أنهما جاء

للتوسط من أجل الحصول على المقاولات بحجة تبرعات كمال الشاعر للحزب.

وبالرغم من أنه تم الإفراج عنهما بعد يوم أو يومين، ولكن هذا التصرف قد

خلق بلا شك نفوراً لدى القيادة القومية، كما ساعد على استغلال الحادث لليل

من شخصية عماش^(١).

إن عماش الذي اصطنع البداية في رفضه لقبول الوساطات، التي لم يآلف

البعثيون غيرها في نظامهم السابق، فاته أن يعرف ما جرى فيما بعد لجهاد كرم،

الذي حرّمه من مقاولات الأعمال الهندسية، وكيف أن الأيام دارت دورتها بسرعة

ليصبح ممثلاً دبلوماسياً للعراق كسفير في الهند ثم في البرازيل، ولمدة ثلاثة عشر

عاماً، وفي بداية تعيين جهاد كرم سفيراً بتاريخ ١ / ١ / ١٩٧١، كان عماش لا يزال

في سدة القيادة والحكم، ولم يفقد بعد أيّاً من مناصبه الرسمية، ومواقفه الحزبية،

هو وعبد الكريم الشيخلي، حيث تم طردهما في آن واحد من جميع مناصبهما يوم

٢٨ / ٩ / ١٩٧١ م.

وهذا يعني أن تعيين جهاد كرم سفيراً جاء في وقت مبكر من حكم البعث، وفي

وزارة الخارجية البعثية الأولى، التي يدير دفتها عبد الكريم الشيخلي.

وبعد اغتيال عبد الكريم الشيخلي من قبل صدام حسين، وبواسطة أدواته وأخيه

غير الشقيق سباعوي إبراهيم الحسن، رثاه جهاد كرم بكلمات قليلة، قال فيها:

(١) جواد هاشم: مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام، ص (٣٠٦-٣٠٧).

«أصبنا بالدهشة والوجوم ومن ثم الأسى والألم.

وإنني شخصياً حزنت عليه جداً، فقد كان صاحب كفاءة ومؤهلات، وتجمعنا ذكريات مشتركة، وإنني عينت سفيراً في عهده وعاملني بأرفع ما تكون اللياقة والاهتمام والحرص والحب»^(١).

ومن أسوأ ما تعاملت به قيادة (البكر-صدام) مع رفيقهم عبد الكريم الشيخلي، إنها استغلّت علاقة المودة القائمة بينه وبين السفير جهاد كرم، فعملت على إفسادها، وأجبرت الأخير للامتنال أمام لجنة التحقيق المشكلة ضد الوزير الشيخلي، وكذلك أمام ما يسمى بمحكمة الثورة، كل ذلك من أجل الإدلاء بشهادة ضده وبهذا الخصوص يقول جهاد كرم:

«وقد واجهت أزمة ضمير عندما دعيت إلى لجنة التحقيق في المخابرات، ثم إلى محكمة الثورة، للإدلاء بالشهادة، حول سلوكه في أثناء وجودي في دورة الأمم المتحدة معه، وقد نفيت يومها أن يكون قد بدر منه أي انتقاد، أو صدرت منه أمامي أية مواقف مؤذية وخطيرة سوى بعض التعليقات الناجمة عن المرارة، والتي لا يجوز أبداً وضعها في مرتبة الانتقادات الجارحة والمهينة»^(٢).

ولم تكن هذه الشهادة الوحيدة التي أريد بها الإطاحة بالشيخلي ومن ثم اعتقاله، وإنما حشّدت قيادة (البكر-صدام) جمعاً من الدبلوماسيين الذين عملوا معه في الخارج للشهادة ضده.

في يوم الجمعة ٧/٢/٢٠١٤ كان لي لقاء مع أحد الدبلوماسيين العراقيين الذين عملوا في سفارة العراق في ألمانيا مع السفير عبد الكريم الشيخلي، والذي لا يود

(١) جهاد كرم: بعثيون من العراق كما عرفتهم، ص ٦٧.

(٢) المصدر نفسه: ص ٦٨.

أن أذكر اسمه، قال: دُعيت إلى بغداد، وفي مطارها حدد لي موعد مع المخابرات، من أجل الإجابة في التحقيق على أسئلة تخص مضايقة السفير لعناصر المخابرات، الذين كانوا يعملون في السفارة، وقد أشاروا في تقاريرهم المرفوعة ضد السفير إلى المضايقات وعدم التعاون معهم أو السماح لهم بإشغال غرف يحتاجونها في عملهم الاستخباري وحسب ادعائهم، وطلبت لجنة التحقيق التي كان يرأسها إبراهيم الشيخلي شقيق (سمير الشيخلي) من هذا الدبلوماسي الشاهد، أن يسير معهم وفق الخطة المرسومة في التحقيق، وأن يذكر ما يريدونه منه لأجل إدانة عبد الكريم الشيخلي، ولكنه تحدث بما يمليه عليه ضميره وما شاهده في الواقع، وتحدث عن عدد الغرف في السفارة وخصوصياتها وشاغلها، وأتى عليها جميعاً، ولم يترك وراءه فائضاً فيها، يتماشى مع التقارير الكيدية.

ويضيف هذا الدبلوماسي المنصف، أنه عندما دخل إلى محكمة الثورة، وشاهد السفير الشيخلي في قفص الاتهام، سلم عليه وحياه، الأمر الذي لم يقبله مسلم الجبوري رئيس محكمة الثورة، واعترض عليه، ولكنه لم يأبه لهذا الاعتراض العلني، وقال لرئيس المحكمة: إن هذا المائل في قفص الاتهام، كان يوماً ما مسؤولاً عنا، ومما تمليه عليّ الأخلاق أن أسلم عليه وأحييه، فشكره المائل في قفص الاتهام على جرأته وشجاعته، أما عناصر المخابرات فلم يعجبهم موقفه، وعاتبوه على شهادته التي لم تصطف مع تقاريرهم الكيدية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الضد النوعي كان واضح الحضور في هذه القضية، حيث أن المتهم فيها هو عبد الكريم الشيخلي، ورئيس لجنة التحقيق إبراهيم الشيخلي. صدر للمحامي جهاد كرم كتابان على حد اطلاقنا، كان الأول منها في عام ٢٠٠٨ وهو يتضمن سيرته الذاتية وغطى نشأته ونشاطه الطالب والسياسي والدبلوماسي.

والثاني بعنوان (بعثيون من العراق كما عرفتهم)^(١) صدر في عام ٢٠١٠، وتحدث فيه عن عشرات البعثيين العراقيين الذين بنى علاقات معهم، وهو يقول بعد صدور كتابه الأول: «أدركت بعد تفكير، أن ما أنجزته ليس كافياً، ويتوجب علي أن أتحدث عن البعثيين من القطر العراقي الذين تعرفت إليهم وعشت معهم. وإنه لمن المفيد جداً للرأي العام في مختلف البلاد العربية وخارجها أن يطلع على ما قاموا به في مسيرتهم، خصوصاً بعد ظهورهم على مسرح الأحداث بعد ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨.

وعليه فإن استعراضهم كأشخاص، يستند إلى الانطباع الذي يكونه الإنسان من خلال معرفته بالآخر، ومن هذا المنطلق، سأبتعد عن تقييم التجربة بالعمق. ولما كانت الأمور تتداخل، في ما بينها، فإنه سيبتين للقارئ الكريم، أنه لا بد من أن أشير إلى بعض الأحداث التي حصلت من خلال ووصفي للأشخاص، وللدور الذي قام به كل منهم»^(٢).

ويقول في مكان آخر واصفاً رفاقه في بعث العراق: «إن معظم البعثيين في العراق قد انتقلوا من عشائرهم وتجاوزوها إلى الحزب، من دون أن يَمروا بالمواطنة، ومن

(١) ثمة كلمات أو عناوين تفرض نفسها، واستحساناً للعنوان (هكذا عرفتهم) الذي خص به الكاتب القدير المرحوم جعفر الخليلي أحد مؤلفاته، بعد أن سجل فيه خواطره (عن أناس أفاض عاشوا بعض الأحيان لغيرهم أكثر مما عاشوا لأنفسهم) لفت هذا العنوان بجدارة عالية اهتمام الكتاب والباحثين، ونال إعجابهم، فدرجوا على تقليده، وفي نفس السياق وسم الوزير الأسبق السيد أحمد الحبوبي أحد مؤلفاته بـ(أشخاص كما عرفتهم) وقد حذا حذوها المحامي اللبناني والسفير العراقي السابق جهاد كرم في مؤلفه (بعثيون من العراق كما عرفتهم) وهو الكتاب الذي اعتمدنا عليه.

(٢) جهاد كرم: بعثيون من العراق كما عرفتهم، ص ٩.

هذا المنطلق تحول الحزب إلى عشيرة، ينصر فيها الحزبي رفيقه، بغض النظر عن الصواب والخطأ.

وأصبح الأمر بالنسبة إليه من جراء ذلك، قضية حياة أو موت، لا مجال فيها للتردد، أو التقاعس، أو حتى إظهار أي تنازل، أو رغبة في الحوار، خشية أن يفسر ذلك تقاعساً أو جبناً^(١).

٢ - عبد الكريم كراسنة

أما السفير الثاني غير العراقي فهو عبد الكريم كراسنة، طبيب أردني، لا يفقه من العمل الدبلوماسي شيئاً، تم تعيينه على أسس حزبية سفيراً للعراق في الجزائر، بعد أن تم تفضيله على أبناء الوطن، رغم كثرة أصحاب الكفاءات فيهم لإدارة هذا الموقع بكل اقتدار، وحدث ذلك عندما كان عبد الكريم الشخلي وزيراً للخارجية، وقد أساء الطبيب كراسنة إلى العلاقات الجزائرية-العراقية إساءات متكررة نتيجة لقله خبرته، وضيقة بالآخر وعدم تحمله، وقد شكوا سوء سلوكه هذا وزير خارجية الجزائر إلى نظيره العراقي، ومن أجل الوقوف على حقيقة ما يحدث طلبت وزارة الخارجية استدعاء «الشخص الثاني في السفارة العراقية في الجزائر، للاستماع إلى معلوماته حول التقارير الوهمية التي يرسلها السفير، فأكد الموظف المعلومات التي نقلها وزير خارجية الجزائر إلى نظيره العراقي، وأضاف إليها أموراً أخرى لم تسمع بها الوزارة، وكان الدبلوماسي العراقي يتحدث أمام عدد من المسؤولين في وزارة الخارجية في بغداد، مضيفاً أن هناك موضوعاً آخر يود التحدث فيه، وهو أن وزارة الخارجية العراقية، كانت قد أرسلت عشرة نسخ من كتاب (حراس البوابة الشرقية) الذي ألفه الفريق صالح مهدي عمّاش

(١) جهاد كرم: بعثيون من العراق كما عرفتهم، ص ١١.

نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية في حينه إلى جميع البعثات العراقية في الخارج لغرض توزيعه على المسؤولين في البلدان المعتمدين فيها، وعندما علم السفير (كراسنة) بإرسال هذه الكتب، اختلق قصة، وهي أن عدداً كبيراً من المسؤولين الجزائريين قد اتصلوا به راجين تزويدهم بنسخ إضافية من هذا الكتاب، وأن رئاسة الجمهورية الجزائرية طلبت تزويدها بكمية كبيرة منه لغرض توزيعه على ضباط جيش التحرير الوطني الجزائري كافة، للاستفادة من تجربة الجيش العراقي، وعندما وصلت برقية السفير إلى وزارة الخارجية، اتصل الوزير عبد الكريم الشيخلي شخصياً بوزير الداخلية صالح مهدي عمّاش، ونقل إليه طلب الحكومة الجزائرية، ولقد فرح عمّاش فرحاً كبيراً، وقرر إرسال طائرة خاصة تحمل كميات كبيرة من الكتاب المذكور معبأة بأكياس، وعند وصول الطائرة إلى الجزائر تم تفريغ حمولتها ونقلها إلى السفارة، ووضعها في ممرات السفارة وأروقتها لعدة أشهر دون توزيعها، لأنه لم يطلبها أحد، هكذا خدع السفير وزارة الخارجية ووزير الداخلية، وكبدهم خسائر مادية ومعنوية كبيرة، وبعد أن أصبحت الوزارة على قناعة تامة بعدم صلاحية كراسنة للعمل كسفير للعراق في الجزائر، قررت مفاتحة رئاسة الجمهورية لاستحصال الموافقة على نقله، وبعد عدة أشهر صدر أمر نقل السفير إلى مركز وزارة الخارجية، إلا أنه رفض العودة إلى بغداد، وتوجه إلى موطنه الأردن، وبعد مدة ليست قصيرة وجه رسالة إلى السفارة العراقية في الأردن، يتهجم فيها على وزارة الخارجية العراقية وعلى العراق عموماً، وأرفق معها جواز السفر الدبلوماسي العراقي، وختمها بعبارة: لا يشرفني حمل جواز سفركم! (١).

إن هذه التجربة المبينة على المغالاة والمزايدة قد أعطت نتائجها السريعة في واحد

(١) عوض فخري: من أوراق السفير عوض فخري، ص (٢٤٣-٢٤٤).

من هؤلاء الذين توجههم حزب البعث في العراق ليكونوا على رأس الدبلوماسية في سفاراته في الخارج، على أساس الانتماء الحزبي فقط، ومن دون أن يكون لهم ما يميزهم عن العراقيين في هذا المجال، بل إن السفير كراسنة بما عرف عنه من عصبية ومزاج متقلب، واختلاق لنشاطات وهمية، تجعله فاقد الأهلية للعمل الدبلوماسي، ولذلك كانت نتيجة انتدابه للعمل سفيراً للعراق في الجزائر، التي لا يعرف خصائص شعبها، كانت سلبية جداً، وقد أثقلت كاهل العراق.

إن حزب البعث العربي الاشتراكي في صناعته للإنسان العربي الجديد، يعمل بدأب وحرص شديد على التربية والتوجيه والتنمية، التي أنتجت جيلاً عربياً يمتد على ساحة الوطن العربي وفي أنماط متحدة من السلوك، فلم يختلف من في الأردن عن رفاقه في العراق، وتجمعهم منظومة واحدة، يبرز فيها الكذب والتحايل والاختلاق ونكران الجميل كما مرّ بنا قبل قليل.

وقد كان الاعتقاد السائد أن أعضاء حزب البعث العراقي وحدهم الذين يتصفون بالوحشية والفظاظة والكراهية للآخر إضافة إلى ما تقدم من ذميم الأخلاق، ولكن العكس هو الصحيح كما سيتضح لنا في هذه الدراسة.

وكان الاعتقاد السائد أيضاً أن مصطلح (البوابة الشرقية) هو من إفرازات الحرب العراقية-الإيرانية، دون أن نعلم أن عماش كان لديه كتاب بعنوان: (حراس البوابة الشرقية) الذي يمكن أن نستوحي منه النوايا التي تبيتها العقلية البعثية لجارة العراق الشرقية، ومنذ السنوات الأولى لحكمهم في العراق.

٣- زيد حيدر

من عائلة حيدر المعروفة التي يتوزع أفرادها بين لبنان وسورية، وقد مرّ بنا عند الحديث عن جهاد كرم، أنه كان ضمن اللجنة التحضيرية للمؤتمر القومي التاسع

المنعقد في لبنان عام ١٩٦٨، ويذكر رفيقه عبد الوهاب الكيالي أنه انتخب عضواً في القيادة القومية عام ١٩٦٨ في إشارة إلى المؤتمر المذكور، وهو من مواليد بعلبك ١٩٢٩ ومن أهالي دمشق، فيها نشأ ودرس حتى المرحلة الجامعية، حصل على الدكتوراه في العلوم من يوغسلافيا، انتسب إلى حزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٤٥، وعمل في صفوف الثورة الجزائرية سنة ١٩٥٦، فسجن في فرنسا بسبب ذلك، ثم طرد منها، عُيِّن عضواً في القيادة الحزبية الموسعة في سورية عام ١٩٦٥، اعتقل وعُذِّب في سجون سورية بعد حركة ٢٣ شباط (فبراير) ١٩٦٦ حتى عام ١٩٦٨، انتخب عضواً في القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي منذ عام ١٩٦٨، تولى منصب الأمين العام لجهة التحرير العربية ١٩٦٩-١٩٧٠، وأصبح بعد ذلك مسؤول مكتب العلاقات الخارجية في القيادة القومية.^(١)

قدم زيد حيدر مع عفلق من سورية ولبنان لحكم العراق بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، ارتفع نصيبه بعد تصاعد العمل الإسلامي المعادي للعملاء في العراق، واعتقاداً من البكر وصدام بأن صاحبهم شيعي وهو قادر على النفاذ إلى القيادات الإسلامية والتفاهم معها لصالح نظام (البكر-صدام)! وكأن الإسلام حاجةٌ يسهل شراؤها أو وضعها على رف من رفوف السلطة!!

فشل زيد حيدر فيما رُسم له من دور فشلاً ذريعاً، ولم يعد وجوده مثمراً في قيادة الحزب الصليبي، وقد آن له أن يطرد، فبدأت إشاعات تنشرها إدارة المخابرات حول احتضان زيد حيدر للعناصر الشيعية في الحزب.

كان صدام يخطط لطرده، بعد أن وضع يده على مكانم الضعف في شخصية رفيقه المعروفة بجنوحها الشديد نحو النساء، فأعد له مصيدة من هذا النوع لاصطياده متلبساً في فضيحة فاحت رائجتها الكريهة لتزكم الأنوف في المؤتمر

(١) د. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، الجزء الثالث، ص ٥٤.

القومي الحادي عشر المنعقد في بغداد عام ١٩٧٧، فخرج زيد حيدر من القيادة القومية، وقد حقق صدام غرضه في طرده والتنكيل به، إضافة إلى الإساءة إلى عائلته المعروفة ومذهبه، إذا كان للصليبيين من مذهب.^(١)

ومن خلال ذلك تم تعيينه سفيراً للعراق في بلغراد، من أجل إبعاده عن العمل في القيادة القومية وعن مصدر القرار الحزبي، وبعد عدة سنوات قضاهها هناك، عُيِّن سفيراً في البرازيل «وصادف أن أجرت معه صحيفة برازيلية مقابلة بمناسبة العيد الوطني العراقي، وتحدث الوزير خلال هذه المقابلة عن سعي العراق لامتلاك أسلحة ذرية، في بغداد قامت قيامة المسؤولين، وطلبوا استدعاء السفير لمعرفة حقيقة هذه التصريحات، وبعد وصوله والاستفسار منه قال أنه أراد أن يتفاخر، ولا يقصد شيئاً من وراء هذا التصريح المثير للجدل، عندها تقرر نقله إلى بروكسل، ثم تقرر نقله إلى مركز وزارة الخارجية في بغداد، إلا أنه رفض العودة، وفضل الإقامة في الخارج، بعد أن كوّن ثروة من العراق بسبب هذه المناصب المتعددة التي شغلها في الخارج، والمدة الطويلة التي قضاهها متنقلاً بين هذه الدول».^(٢)

ويبدو أن الفضيحة التي رتبها صدام من أجل إسقاطه ومن ثم إقصائه عن القيادة، جاءت في صالحه، فبإبعاده عن السلطة جمع ثروة طائلة، ظل مشغولاً فيها وفي قضاياها الخاصة الأخرى، حتى حانت ساعة سقوط النظام البعثي في العراق في ٩ / ٤ / ٢٠٠٣، وانتقال أعضاء القيادة القومية إلى بلدانهم، ومنهم رفيقه د. عبد المجيد الرافعي، الذي عاد إلى لبنان، ولم يعد زيد حيدر مع العائدين.

«وحين عاد البعث إلى العمل العلني، وجد أن الحكومة (اللبنانية) قد ألغت الترخيص الممنوح له سابقاً باسم (حزب البعث) ومنحته لـ(منظمة حزب

(١) صحيفة الجهاد: العدد (٩٠) السنة الرابعة، الاثني، ١ رمضان ١٤٠٣ هـ - ١٣ حزيران ١٩٨٣ م.

(٢) عوض فخري: من أوراق السفير العراقي عوض فخري، ص ٢٤٥.

البعث) التي بات اسمها (حزب البعث) - والمقصود به الموالي لسورية - فيما اختار البعثيون لأنفسهم اسماً جديداً هو (حزب طليعة لبنان العربي الاشتراكي) الذي عقد في أواخر تموز ٢٠١١ مؤتمره، وانتخب قيادة له برئاسة الرافعي وعضوية المحامي حسن بيان، وظافر المقدم، وهشام عبيد، وعمر شبلي، وعلي الموسوي، وعبدو شحيتلي، ومحمود فقيه، والمحامي واصف حركة، وعلي سكيئة^(١).

ويبدو أن زيد حيدر طابت له الحياة الهائلة المرفهة خارج الوطن العربي، فترك حبلها على غاربها، ولم نجد له ذكراً بين أعضاء القيادة القطرية الجديدة في لبنان.

٤ - علي صميذة

هو من الشخصيات الغامضة والمشبوهة، التي دخلت العراق في عقد الستينات، بعد أن فتح العراق أبوابه للشركات الفرنسية الكبرى في عهد الرئيس عبد الرحمن عارف، وتعاقدته مع شركة إيراب الفرنسية، ظهر في ذلك الحين شخص يلف وضعه الغموض يدعى (علي صميذة) يعمل مراقب مطبوعات بإشراف الاستخبارات العسكرية لحكومة طاهر يحيى التكريتي، ويدعي أنه تونسي، ومحكوم بالإعدام من قبل الحبيب بورقيبة^(٢).

وقد أسر يوسف الرويسي^(٣) إلى السفير العراقي عبد الملك الياسين بأن (ابن

(١) محمد جمال باروت وآخرون: الأحزاب والحركات والتنظيمات القومية في الوطن العربي، ص ٢٢١.

(٢) صحيفة الجهاد: العدد (٨٣) السنة الرابعة، الاثنين ١١ رجب ١٤٠٣ هـ - ٢٥ نيسان ١٩٨٣ م.

(٣) يوسف الرويسي: من قادة استقلال تونس، أقام فترة طويلة في دمشق يشرف على (بيت المغرب

العربي) الذي يرعى الطلبة المغاربة الدارسين في المشرق، ثم انتقل إلى القاهرة بعد ظروف أحاطته

في سورية عوقت مشروعه، وعاد إلى تونس ولكنه لم يستطع الاستمرار بالعمل مع بورقيبة،

الذي مارس بحقه أشد أساليب القمع، فعاش في ضيق مالي وعدم نشاط، وكان العراق يمدّه

بالعون المادي، ويرعى بعض أموره، بواسطة السفير عبد الملك الياسين، الذي يسلمه بعض

المبالغ سراً (عبد الملك أحمد الياسين: حتى لا تضيع الحقيقة ص ٢٥٩).

أخته) علي صميذة كان يتجسس عليه لمصلحة بورقية.^(١)

وُسْتَبْعَد من الذي تنحط لديه الأخلاق ليتجسس على خاله أن تسمو وترتفع به لتحول دون خيانة البلد الذي آواه وأكرمه.

ومن أجل التحقيق العلمي في هذا الادعاء لا بد من تسليط الضوء على فرع حزب البعث في تونس ونشاطاته وما جرى عليه في عهد الحبيب بورقية، وبالأخص القسم الموالي لقيادة ميشيل عفلق، والتي تجسدت ببعث العراق فيما بعد.

في تونس «تمثلت أول مبادرة للتبشير بفكر البعث بصورة علانية في السلسلة الشهيرة التي أصدرها أبو القاسم محمد كرو عام ١٩٥٥، والتي عرفت بسلسلة (كتب البعث) وكان كرو عضواً في حزب البعث العربي الاشتراكي في بغداد، وهو من أبرز الدعاة لفكر البعث في ذلك الوقت، ولا سيما في الأوساط الجامعية، وقد تضمن العدد الأول من السلسلة التي أصدرها بعنوان (نداء إلى العمل)، تعريفاً لحزب البعث ودستوره وأفكاره ودعوته الوحشية، وقد لاقى رواجاً بين الكتاب والمثقفين والشرائح الطلابية المختلفة».^(٢)

وقد صدر من سلسلة (كتاب البعث) ومنشوراته زهاء الأربعين كتاباً، وذلك لبث الفكر القومي البعثي بوجه خاص بأسلوب مغطى، ولكن النظام الحاكم تفتن له وعطله وعزل صاحبه عن العمل العلني المباشر منذ عام ١٩٥٩، ومع ذلك فإن (كرو) كان من أوائل من نشر الفكر البعثي القومي العلمي بتونس بين

(١) عبد الملك أحمد الياسين: في ذكريات ومخطات.. حتى لا تضيع الحقيقة، ص (٢٥٩-٢٦٠).

(٢) محمد جمال باروت وآخرون: الأحزاب والحركات التنظيمية القومية في الوطن العربي، ص (٢٧٠-٢٧١).

١٩٥٥ و١٩٦١ حيث أصبح مرجعاً للفكر القومي حتى اليوم.^(١)

وطوال الثلاثين سنة الماضية أي من عام ١٩٥٥-١٩٨٧ صار كرو مرجعاً وملاذاً للشباب القومي والبعثي بالخصوص، ولم يتعرض للحكم بالإعدام -لا حضورياً ولا غيابياً- كما يدعي صميذة، وقبل أن يوافيه الأجل، وقد شارف على التسعين جاء على محطات حياته الواحدة تلو الأخرى، وسجّل ما تعرض له من عسف واضطهاد جراء معارضته لحكومة العهد الملكي في العراق، في السنوات التي قضاها طالباً في دار المعلمين العالية، ولم يترك منها شاردة ولا واردة إلا وقد سلط الأضواء عليها، ولكنه لم يذكر شيئاً من هذا القبيل قد واجهه في ظل حكومة الحبيب بورقيبة حتى عام ١٩٨٧.^(٢)

إن البعثيين في تونس حسب الأقدمية هم: أبو القاسم محمد كرو، والميداني بن صالح، ومحمد المسعود الشابي، الذي كان عضو القيادة القومية لحزب البعث في العراق حتى عام ١٩٧٣، ومحمد الصالح الهرماسي عضو القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي السوري.^(٣)

«في أوائل الستينات من القرن العشرين، لم يكن المثقفون التونسيون الذين تأثروا بالفكر القومي من خلال قراءاتهم ضمن المجموعة التي زارت المشرق العربي من أجل تأسيس حركة قومية في تونس، ومن بين هؤلاء علي شلفوح (أكد في أحد حواراته مع مجلة الموقف، أن العناصر التي جاءت من المشرق هي التي كانت سبباً في أزمة البعثيين في تونس)، والطاهر بن عبد الله (توفي سنة ١٩٧٨)

(١) أبو القاسم محمد كرو: حصاد العمر، المجلد الأول، ص ٤٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص (٤٤٣-٤٤٦).

(٣) محمد جمال باروت وآخرون: الأحزاب والحركات والتنظيمات القومية في الوطن العربي، ص

ومحمد بن جنات، وقد اتفقوا في سنة ١٩٦٢ على تأسيس فرع لحزب البعث، وكانوا يدرسون في الجامعة التونسية، وفي سنة ١٩٦٣ جاء من المشرق د. محمد مسعود الشابي وعمر السحيمي، حينما كانا يدرسان هناك، وانخرطا في حزب البعث قبل سنوات»^(١).

انقسم البعثيون بعد حركة ٢٣ شباط ١٩٦٦ في سورية إلى قسمين: قسم يؤيد تلك الحركة، ومن أبرزهم محمد صالح الهرماسي، وعبد الرزاق الكيلاني، والطاهر عبد الله، وعلي شلفوح، وقسم آخر وقف مع القيادة التاريخية لحزب البعث بزعامة ميشيل عفلق، ومن بينهم: مسعود الشابي، وعلي النجار، ومحمد صالح الحراث.^(٢)

«وانتشر آنذاك الفكر البعثي في المدارس الثانوية والجامعات والفضاءات الثقافية، وأضحى هناك جمهور متعاطف، إلا أن رئيس الدولة الحبيب بورقيبة قال في خطاب له: (يجب اجتثاث البعثيين من الأساس لأنهم لا يعترفون بالأمة التونسية) وحصلت حالات قمع.. اعتقالات ومحاكمات، حيث حُوِّكِم رفاق مرجعية دمشق، فيما لم يتعرض الرفاق ذوو المرجعية العراقية لذلك»^(٣).

ورغم أن الحبيب بورقيبة هدد باجتثاث البعثيين في تونس، ولكن القمع والملاحقات والمحاكمات لم تصل إلى الإعدام، حتى للبعثيين الموالين لسورية، الذين كانوا عرضة لقمع أكثر دون أعضاء البعث الموالين لقيادة ميشيل عفلق، الذين كان نصيبهم الاستثناء في تلك الحملات، وهذا رد حاسم على ما طرحه (علي صميده) من أجل رفع رساميله النضالية في بعث العراق، والادعاء الكاذب

(١) محمد جمال باروت وآخرون: الأحزاب والحركات والتنظيمات القومية في الوطن العربي: ص ٢٧١.

(٢) المصدر نفسه: ص (٢٧١-٢٧٢).

(٣) المصدر نفسه، ص (٢٧٣-٢٧٤).

بأنه محكوم بالإعدام، وانطلى الأمر على المغفلين، وصار ذا حظوة في القيادة القومية.

وقد تعود أسباب هذا الاستثناء المذكور أعلاه إلى «انخراط بعض البعثيين الموالين للعراق في الحزب الدستوري الحاكم لغايات تكتيكية، اعتقاداً منهم أنه يجب القيام بالتغيير من داخل الحزب، بينما رفض البعثيون الموالون لسورية الانخراط في هذا النهج، الأمر الذي عرضهم للقمع والمنع من العمل»^(١).

وكذلك «نظراً إلى سخاء النظام العراقي وإنشائه العديد من المؤسسات التعليمية في تونس، منها كلية الآداب في منوبة، وطبعه الكتب المدرسية والخرائط الجغرافية، فضلاً عن الالتقاء الموضوعي بينه وبين النظام التونسي في بعض القضايا السياسية، فقد غض هذا الأخير النظر عن نشاط البعثيين التونسيين الموالين للعراق»^(٢).

هذه العوامل هي التي حالت دون استعمال العنف الدموي ضد البعثيين المرتبطين بقيادة ميشيل عفلق، أما الموالين للبعث السوري فقد ناهم القسطنطين الأكبر من القمع، ولكنه كذلك لم يصل إلى مستوى العنف الدموي، ومن خلال دراسة تاريخ البعث في تونس لم نقف على أية حالة إعدام في كل مراحل تاريخ هذا الحزب، وهي عملية تنفيذ واضحة لادعاءات علي صميذة المختلقة، وبعبارة كانت تجري عمليات اختطاف في وضوح النهار واغتيالات سياسية وأحكام بالإعدام نفذتها قيادة بعث العراق بمعارضين من مختلف الاتجاهات السياسية، ولا أعتقد أن هذا الأمر كان خافياً على علي صميذة القريب من القيادة القومية.

وإذا كان هذا التاريخ يذكر لنا قضية اغتيال واحدة نفذت في بيروت ضد

(١) محمد جمال باروت وآخرون: الأحزاب والحركات والتنظيمات القومية في الوطن العربي: ص ٢٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٧٤.

التونسي البعثي عمر السحيمي عام ١٩٧١، وقد «وجهت أصابع الاتهام آنذاك إلى السلطة، غير أن هناك من كان على يقين بأن السلطة التونسية لم تكن لها يد في اغتياله، بل إن عراقيين هم الذين فعلوا ذلك، وفي مكتب أحد الرفاق -القول لتوفيق المدني-^(١) اطلعنا على رسائل من عمر السحيمي إلى صدام حسين يشير فيها إلى اعتراضاته على السياسات العربية وانعدام الديمقراطية، كما اتضح بحسب الرسائل أن السحيمي كان يرغب في الانتقال إلى الجزائر».^(٢)

ما تقدم يفضح ادعاءات علي صميذة المختلقة ويضعه في صف الشخصيات الغامضة والمشبوهة، وكانت تلف وضعه الكثير من الشبهات، وتلاحقه العديد من علامات الاستفهام، حول اسمه أولاً، هل هو علي صميذة حقاً، أو أن هذا الاسم مزور أو مستعار ويختفي خلفه؟، وهل هو مسلم أو أنه غير ذلك؟، رغم أن تركيبة اسمه توحي إلى إسلامه، وهل هو تونسي بالفعل، أو هو شخصية يهودية دخلت العراق تحت هذه المسميات؟، كما فعل كوهين أيام حكم البعث في سورية، وقد أشارت كتابات المعارضين العراقيين إلى خطورة وضعه في العراق، مع تأكيدها على علامات الاستفهام المتقدمة، وبالأخص ملامح وضعه التي تشبه إلى حدٍّ ما ملامح الجاسوس كوهين!!^(٣)

(١) توفيق المدني، أحد المشاركين في تأليف كتاب (الأحزاب والحركات والتنظيمات القومية في الوطن العربي) بإشراف محمد جمال باروت.

(٢) محمد جمال باروت وآخرون: الأحزاب والحركات والتنظيمات القومية في الوطن العربي، ص ٢٧٤، بقلم توفيق المدني.

(٣) إيلي كوهين:

في كانون الأول ١٩٢٤ شاهد النور لأول مرة في الإسكندرية، وعاش حتى سن الثانية والثلاثين في مصر.

كان والده من اليهود الشرقيين، ومن عائلة كوهين التي عاشت أجيالاً في حلب.

كانت طفولة كوهين عادية جداً، وتعتمد عائلته اللغة العربية ذات اللهجة السورية الحلبية، وقد

استغلت المخابرات الإسرائيلية ذلك إلى أقصى درجة. ➤

لم تنس العائلة تعليم ولدها اللغة العبرية وديانة التوراة، فألحقته في مدرسة الطائفة اليهودية بالإسكندرية، ثم تابع دراسته في معهد الدراسات العبرية في الإسكندرية أيضاً بإشراف الحاخام موشيه فانورا.

سنة ١٩٤٤ وكان قد بلغ العشرين، وبدأ يسمع لأول مرة أخبار منظمات (الهاغانا) و(الأرغون) و(شترن)، وفي تلك الفترة، دخل حياة كوهين رجل سيكون له أثر كبير عليه، هذا هو صموئيل عازار، الذي بقي سنوات طويلة مرشده إلى دروب الصهيونية الوعرة، وكان نشاط (الهاغانا) في مصر يمر عبر صموئيل عازار، وكذلك كان هو المسؤول الرئيسي عن هجرة اليهود المصريين إلى فلسطين.

في بداية عام ١٩٥٧ انتقل إلى إسرائيل، وبدأ يعمل مترجماً في وزارة الدفاع الإسرائيلية، وخضع لتجارب قاسية طوال عام ١٩٦٠، قبل أن تقبله المخابرات الإسرائيلية عميلاً لها، وكان أستاذه رجل يطلق عليه لقب (الدروليتش) وهو أحد أدهى الجواسيس في إسرائيل.

تلقى كوهين، دروساً في الدين الإسلامي واللغة العربية، أو على الأصح اللهجة العربية الصحيحة، لأنه كان يتكلم العربية بلهجة مصرية.

وفي نهاية سنة ١٩٦٠ استدعاه (الدروليتش) إلى منزله في تل أبيب وقال له:

لقد أصبحت الآن في خدمة إسرائيل، وابتداءً من اليوم أصبح اسمك (كمال أمين ثابت) وأنت ابن عائلة سورية، وعليك أن تتدرب على اسمك الجديد.

وسأل كوهين: وأين سأمارس نشاطي؟

.. في سورية.. وعليك منذ الآن أن تدرس جيداً خريطة سورية، وأن تتعلم لهجة أبنائها، لكي لا يكون هناك أي مجال للشك بشخصيتك أو بأصلك السوري.

في كانون الأول سنة ١٩٦٠ قررت المخابرات الإسرائيلية إرسال كوهين إلى سورية، على أن يمر قبل ذلك في بيونس آيرس بالأرجنتين وقيم علاقات مع الجالية هناك.

وقبل أن يصل إلى الأرجنتين، أقام في زوريخ، والتقى بعميل إسرائيلي آخر، هو (إسرائيل سالينغر) الذي يخفي مهمته تحت ستار مكتب تجاري للاستيراد والتصدير، وقال سالينغر لكوهين: أنه سيكون ممثله التجاري في الأرجنتين، وهذه الصفة سوف تسهل عليه الكثير، وأعطاه دفتر شيكات على أحد مصارف سويسرا باسم كمال أمين ثابت.

في نهاية شباط ١٩٦١ تعرّف كوهين على عبد اللطيف الحشن رئيس تحرير مجلة العالم العربي

في الأرجنتين، وبواسطته تعرّف على أمين الحافظ الملحق العسكري في السفارة السورية، ومن

بوينس آيرس عاد كوهين إلى إسرائيل للقيام بسلسلة جديدة من التمارين.

اعتبرت إسرائيل الانفصال عام ١٩٦١ سيمهد الطريق لحزب البعث لاستلام الحكم وبإمكان كوهين الاستفادة من هذا الأمر، لأنه لم يخف إعجابه بالبعث أمام أمين الحافظ في الأرجنتين.

ومن وصايا المخابرات لكوهين أن يكون صديقاً للبعث ولا ينخرط في الحزب.

سافر كوهين إلى ميونخ واستلم جواز سفره الأرجنتيني من ساليغر وعليه تأشيرة مصر ولبنان، وانتقل إلى زوريخ وحصل على تأشيرة سورية، وسافر إلى جنوا جنوب إيطاليا، حيث استقل الباخرة (استوريا) وتعرف على ماجد شيخ الأرض الذي سيكون له دور بارز في قضيته، وقد دخل معه إلى سورية بسيارة (البيوجو) التي كانت محمولة معهم في الباخرة (استوريا).

وقد وضع كوهين في الخرج الذي يحمله جهاز إرسال صغير للاتصال بمرؤوسيه في إسرائيل، وقد وضع الخرج في أسفل السيارة تحت حقائق ماجد.

ماجد شيخ الأرض مكّن كوهين ليشغل غرفة رقم ٨٨ في فندق سميراميس بدمشق، وبعد عشرة أيام اتصل كوهين بكمال الخشن بن عبد اللطيف الخشن الذي تعرف عليه في الأرجنتين، وبواسطة الأخير حصل على شقة قريبة من مركز أركان حرب الجيش السوري، وأخفى الجهاز فيها وعرفه كمال الخشن على الملازم معزي زهر الدين ابن أخت عبد الكريم زهر الدين رئيس أركان الحرب، وعن طريق معزي زار كوهين الجبهة بين سورية وإسرائيل، وبجهازه أرسل معلومات مهمة عنها.

أمضى كوهين ستة شهور وتلقى من رؤسائه أمراً بالعودة إلى إسرائيل.

وقبل سفره عرف من معزي أن أمين الحافظ عاد من بوينس آيرس إلى دمشق.

بعد عودته من إسرائيل أقام حفلة وتعرّف فيها على جورج سيف بواسطة كمال الخشن.

زار كوهين أمين الحافظ في منزله، وقدم له هدية عبارة عن علبة كبيرة من دخان الغليون الفاخر. لجورج سيف علاقات نسائية كثيرة، وهو أمر خطير، نظراً لمركزه في وزارة الإعلام، وله صديق يشاركه في عبثه هذا، هو العقيد سليم حاطوم قائد قوات المظليين في الجيش السوري.

في ٨ آذار ١٩٦٣ حدث الانقلاب البعثي، ولعب سليم حاطوم دوراً خطيراً فيه، إذ اقتحم مبنى أركان الحرب والإذاعة، ثم جاء مسرعاً إلى شقة كوهين يريد الاحتفال بانتصاره مع صديقه التركية.

أصبح أمين الحافظ وزيراً للداخلية وعين سامي الجندي وزيراً للإعلام بعد الانقلاب.

أقام أصدقاء كوهين حفلة ساهرة في شقته، حضرها معزي وحاطوم وسيف وعدد من الفتيات الحسان، وتعرّف فيها على صلاح الضللي، الذي سماه حاطوم بالنجم الصاعد في دنيا البعث.

➤ في الاحتفالات التي تقيمها وزارة الإعلام، كان كوهين يظهر في الصفوف الأولى. ثم عُيِّن أمين المحافظ رئيساً للوزارة وحاكماً عسكرياً، فهنأه كوهين والتقط معه صورة وأخرى مع وزير الإعلام سامي الجندي.

عرض جورج سيف على كوهين فكرة برنامج إذاعي ذي خمسة دقائق بعنوان (مهاجر قديم يتحدث إلى المهاجرين)، وبعد أيام اجتمع كوهين بسامي الجندي وأخبره بأنه عازم على السفر إلى الأرجنتين ليجمع مبلغاً يستثمره في سورية، ويبدأ بالبرنامج بعد عودته من السفر، ووافق سامي الجندي على ذلك.

وضع كوهين مبلغاً في بنك معروف في (بونس أيرس) باسم حزب البعث مقابل شيك تسلمه من المتبرعين وأعلن أنه سيقدمه إلى اللواء أمين المحافظ، ثم اشترى بألف دولار معطفاً هدية لزوجته اللواء المحافظ، وقد تسلم الأخير الشيك ومعطف عقيلته.

في يوم الخميس منتصف شهر كانون الثاني ١٩٦٥ أُلقي القبض على كوهين من قبل رئيس الاستخبارات أحمد سويداني، وحين عرف أمين المحافظ رئيس الدولة، والعقيد سليم حاطوم والعقيد صلاح الضلي بالقبض على كوهين بتهمة الجاسوسية، أسقط في أيديهم، ولم يصدقوا، وظنوا أنه من مخترعات سويداني.

عقد ليفي اشكول رئيس الوزارة الإسرائيلية مؤتمراً صحفياً أعرب فيه عن أمله بإنقاذ الجاسوس بمساعدة الدول الأجنبية والصديقة وقال: إن الدول المتمدنة لا تعدم الجواسيس، وإنما تبادل بهم أو تسجنهم، ونحن على استعداد لعمل كل شيء لإنقاذ (كوهين).

حكمت المحكمة على كوهين بالإعدام شنقاً، وكان من أعضائها سليم حاطوم والعقيد صلاح الضلي.

تلقى أمين المحافظ رسالة من طبيب يهودي قام بإجراء عملية جراحية له في باريس سنة ١٩٦٤ فأنقذ حياته، يطلب فيها حياة كوهين مقابل حياته التي أنقذها، تردد المحافظ ولكنه وقع حكم الإعدام.

وفي الساعة الثانية والربع من صباح ١٩ أيار ١٩٦٥ تقدم جلال دمشق العملاق أبو سليم من كوهين ووضع الحبل الغليظ حول عنقه، بينما كان الحاخام نديم اندابو يتلو أمام درج المشنقة صلاة الموت، ويطلب من الله الرأفة بروح كوهين.

عرفت ناديا زوجة كوهين بموته من الراديو، فكسرت الراديو وحطمت كل الأواني وسقطت مغشى عليها.

◀ أما الأشخاص الذين اتصلوا به (كوهين) فقد ذهبوا جميعاً في الغابرين، فاللواء أمين المحافظ خسر

ولعلي صميذة صلات بالعناصر البعثية دون أن يكون مكشوفاً للجهاز الحزبي في عقد الستينات، وقد عمل مع سامي مهدي، وتطورت العلاقة بينهما، وبعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، عُيِّن علي صميذة مديراً عاماً للإعلام العراقي، تخضع له الصحافة والمطبوعات ودوائر الرقابة والاتصالات الخارجية، من خلال الملحقيات الصحفية، وكان قوياً في وزارة الإعلام بخشاه الوزير حامد علوان الجبوري، ويوجه الإهانات العلنية، وحتى العناصر الحزبية لا تسلم من بذاءاته، وتحسب له المنظمة الحزبية ألف حساب مع أنه طارئ على العراق، وطارئ على المنظمات الحزبية.

إلا أن علي صميذة المرتبط بالقيادة القومية اختار العمل الدبلوماسي.^(١)

وقد «عمل معاوناً للسفير عصمت كتاني مندوب العراق الدائم لدى الأمم المتحدة، ثم نُقل بعد عدة سنوات سفيراً لدى الفلبين، إلا أن المخابرات العراقية اكتشفت تورط ابنه بالعمل مع جهات معادية للأمة العربية، مستغلاً موقع والده للحصول على المعلومات، إضافةً إلى سلوكه الشخصي، رفض العودة إلى العراق مثله مثل بقية زملائه نظراً لخرافة موقفه».^(٢)

هذا ما حذرت منه المعارضة العراقية أيام التسلط البعثي على العراق، عبر صحفها ومنها صحيفة (الجهاد) التي كانت تؤكد منذ عقود ماضية على الغموض الذي يلف شخصيته، وتقمصه لشخصية البعثي المقموع في تونس، ولم يستمر أمد خداعه، حتى انكشف على حقيقته، بعد أن شهد سفيران عراقيان على تورطه

➤ مركزه، وصلاح الضللي أعفي من وظيفته، والعقيد حاطوم حاول القيام بانقلاب ضد الحكم ففشل وأعدم عندما عاد إلى دمشق، وكان إعدامه في ٢٦ تموز سنة ١٩٦٧.

(للتفاصيل راجع بن پورات وبوري دان: جاسوس من إسرائيل (إيلي كوهين).

(١) صحيفة الجهاد: العدد (٨٣) السنة الرابعة، الاثني ١١ رجب ١٤٠٣ هـ - ٢٥ نيسان ١٩٨٣ م.

(٢) عوض فخري: من أوراق السفير العراق عوض فخري، ص ٢٤٦.

بالتجسس، وقد قرأنا رأي أولهما قبل قليل، أما الآخر فقال: «علي صميذة: مواطن تونسي، ادعى أنه من أعضاء حزب البعث، واستطاع أن يمثل بعض المواقع، منها سفير في بولندا، ثم سفيراً في بعثة العراق لدى الأمم المتحدة، غير أنه كشف عن نفسه وحقيقته، فظهر أنه وابنه الموظف في وزارة الخارجية العراقية كان لهما ارتباط بالأجهزة الإسرائيلية».^(١)

وبعث العراق الذي يفاخر بمنظومته الاستخبارية الحديدية تم اختراقه من قبل الموساد بـ(علي صميذة)، وهذا الاختراق يوازي في خطورته جريمة الجاسوس (إيلي كوهين)، التي تعامل معها البعث السوري بشراسة؛ أما بعث العراق فقد بلع الطعم، وتستر على الجريمة، وأخفاها عن الرأي العام العراقي.

٥ - عبدو الديري

«سوري، عمل ملحقاً بحرياً في سفارة سورية في طهران، وبعد تسلم حزب البعث السلطة في العراق، ترك وظيفته والتجأ إلى العراق، وتم تعيينه قائداً للقوة البحرية العراقية، ثم اختير بعدها سفيراً للعراق في سريلانكا، ثم سفيراً في كندا، فسفيراً في البرتغال، وأخيراً سفيراً في سويسرا، وعندما تم تعيين برزان التكريتي سفيراً في ممثلية العراق في جنيف رفض وجود سفير آخر إلى جانبه من نفس الدولة واقترح نقله، وبعد نقل الديري إلى بغداد رفض العودة، وعاد ليستقر في كندا، وتجنس بجنسيتها، وكوّن ثروة كبيرة، وقطع علاقته بالعراق صاحب الفضل عليه، لقد قام الديري بعدة تجاوزات مالية خلال تقلده هذه المناصب، وخضع للتحقيق من قبل لجان أرسلت خصيصاً من مركز الوزارة للتحقيق معه، ومنها أنه أقام حفل زواج ابنته في ذات الفندق الذي أقام فيه حفل العيد الوطني العراقي،

(١) عبد الملك أحمد الياسين: في ذكريات ومحطات، حتى لا تضيع الحقيقة، ص ٢٥٩-٢٦٠.

وفي الوقت نفسه في العاصمة الكندية، وحمل الحكومة العراقية نفقات زواج ابنته، التي أضافها على قائمة مصاريف العيد الوطني بالاتفاق مع إدارة الفندق، وعندما أخبرت وزارة الخارجية رئاسة الجمهورية بذلك، كتب الرئيس صدام حسين بخط يده على الكتاب أنه دبلوماسي ناجح.

أما الحادثة الثانية فهي جمعه تبرعات من اليسوريين العراقيين المقيمين في البرتغال لغرض صيانة مبنى السفارة ودار السكن، واستحوذ الديرى على هذه المبالغ الكبيرة، وقد أخبر أحد الموظفين وزارة الخارجية بهذه الحادثة، فأرسلت لجنة تحقيقية للتحقيق معه، وقد ثبت للجنة صحة هذه المعلومات، إلا أن وزارة الخارجية وقفت عاجزة عن معاقبته بسبب التزام بعض أعضاء القيادة القومية.

كما أثرت حوله الشبهات بصفقة سيارات المالىبو التي تمت بين العراق وكندا، وعدم مطابقتها للمواصفات المتفق عليها، وهكذا أصبح الديرى من الأغنياء المعروفين في كندا وعلى حساب العراق أيضاً.^(١)

٦- صباح حوراني

ومن السفراء الذين عملوا في سفارات العراق بالخارج، ولم يكن من العراقيين، صباح حوراني، الذي تقلد منصب سفير العراق في ليبيا عام ١٩٧٦، وهو من القياديين البعثيين السوريين (المرتبطين بقيادة ميشيل عفلق)، ومن المشاركين في المؤتمر القطري السابع لحزب البعث في العراق، المنعقد في تشرين الثاني ١٩٦٨، وهو أول مؤتمر بعد انقلاب ١٧ تموز، انظر الملحق رقم (٤).

وقد تعرف عليه إبراهيم الزبيدي من خلال رحلة عمل في العام ١٩٦٩، عندما كان محافظاً للعمارة (ميسان حالياً)، ثم التقاه في ليبيا عام ١٩٧٦، وقد أصبح سفير

(١) عوض فخري: من أوراق السفير العراقي عوض فخري، ص (٢٤٥-٢٤٦).

العراق في طرابلس^(١)، ومنها نقل عام ١٩٧٩ إلى الأردن، ليكون سفيراً للعراق في عمان.

وكان قبل أن يتبوأ هذه المناصب يعمل «مستخدماً في محطة وقود (بانزينخانه)»^(٢).

٧- زهير البيرقدار

«سوري، عمل سفيراً في الهند، ثم سفيراً في ألمانيا الغربية، ثم سفيراً في تشاد، وهو السفير الوحيد الذي عمل في مركز وزارة الخارجية.

وهكذا انتهت التجربة القومية بالفشل ولم يكتب لها النجاح، ولكن بعد أن أساء بعضهم إلى العراق، ولم تضيف هذه التجربة شيئاً جديداً إلى عروبة العراق»^(٣).

إن هذه التجربة القومية كانت فاشلة بامتياز، فمن مجموع سبعة سفراء مثلوا العراق، كان واحد منهم فقط قد استجاب إلى أوامر وزارة الخارجية العراقية، وقرر العودة إلى العراق، أما الآخرون فقد رفضوا ذلك بعد أن رتبوا أوضاعهم المالية والعائلية في الخارج على حساب العراق، وبأموال العراق، أو مستغلين مناصبهم لجني ثروات طائلة تكفيهم ولعوائلهم في الخارج.

إن حصاد هذه التجربة كان مرراً للغاية، لأنه بدلاً من أن يكون هؤلاء السفراء وسائل إعلامية لحزب البعث العراقي، ينقلون عنه الصورة القومية التي تمتتها قيادته، على أنه حزب جميع العرب، وأنه استضافهم وأكرمهم وقدمهم على أبناء البلاد، ولكن العكس كان هو الصحيح، فقد انتهت علاقتهم بالحزب والعراق بالافتراق الذي لا رجعة فيه.

(١) إبراهيم الزبيدي: بلا مكان، ص ٧٩.

(٢) حسن العلوي: العراق دولة المنظمة السرية، ص ١٠٥.

(٣) عوض فخري: من أوراق السفير العراقي عوض فخري، ص ٢٤٦.

ولم تعتبر قيادة بعث العراق من هذا الدرس القاسي، وتعيد اختيار السفراء على أساس الاختصاص والكفاءة، فجاءت تعيينات السفراء العراقيين هي الأخرى على أساس العلاقات الشخصية والحزبية وأحياناً المزاجية كما في هذه القصة التي يرويها إبراهيم الزبيدي بعد زيارته لسفير العراق في ليبيا والتي يقول فيها: «سألني عن مكان إقامتي فأخبرته، وفي مساء ذلك اليوم فاجأني بزيارتي في الفندق، وبينما نحن جالسان معاً في زاوية حول بركة السباحة، بعيداً عن الفن والفنانين، دخل السفير التونسي فنهض صاحبي للسلام عليه، وكانا يعرفان بعضهما بعضاً بحكم العمل، ودعاه إلى الجلوس على طاولتنا فاعتذر، ولم يطل الوقوف وأكمل طريقه إلى حيث يلتئم شمل شلة المرح من الفنانين.

لم أشعر بأن السفير التونسي يحترم صاحبي كما يفترض، وكما كنت أرى كيف يتعامل السفراء فيما بينهم، ثم مر بنا (المخرج المغربي عبد الله المصباحي) وزوجته وابنته، فدعوته لكي أعرفه على سفير بلدي العراق، فرح كثيراً وراح يصفح السفير باحترام زائد واهتمام وتكريم كبيرين، مثلما كنت أراه يفعل مع المسؤولين الليبيين والتوانسة والمغاربة الآخرين.

كان جلسة ثقيلة الدم إلى أبعد الحدود، وليس فيها سوى مجاملات المصباحي، وصمت السفير، وعدم اهتمامه، وتركيز نظره الجائع على زوجة المصباحي الجميلة وابنته الفتية الساحرة، أحسست بضيق الزوج، حاولت مداواة الموقف بالمزاح، لكن الأمر كان لا يقبل المداواة، وساد صمت طويل قطعتة زوجة المصباحي بسؤال زوجها عن الوقت، بلهجتها المغربية قائلة: إش حال الساعة دابة؟ (كم الساعة الآن؟)، عندها فقط نطق أبو الهول، ضحك سعادة السفير، وخاطبها بلهجته البغدادية قائلاً: (حلو تحچين، استمري استمري)، نهض المصباحي ساحباً زوجته وابنته دون سلام أو كلام، وحين رأته فيما بعد سألتني: من أي

زريبة جئتم بهذا الحيوان ليكون سفير العراق العظيم!؟

وفي اليوم التالي أيضاً زارني السفير، لكن أحداً لم يقترب من الزاوية التي كنا نجلس فيها، داعبته بسؤال خبيث: من ورطك بهذه الغربة يا سعادة السفير؟، فضحك ببلادة وقال: إن لهذا قصة طريفة، كنت مديراً لنادي الصيد في المنصور، أشرف على كل شيء فيه، وخاصة مطبخه وعماله من طباخين وعمال تنظيف، ولأن السيد الرئيس القائد (حفظه الله ورعاه) كان يفاجئنا بزياراته مرة في الأسبوع، وأحياناً أكثر من زيارة، فقد كنت أبذل جهوداً جبارة لضمان جودة الأكل وسلامته ونظافته.

وذات مساء حضر (حفظه الله ورعاه)، وأمر بإحضار الطعام من منزله هذه المرة، وفي أقل من ساعة كانت المائدة عامرة بكل ما لذ وطاب، وأصر (حفظه الله ورعاه) على أن أتناول من يده رغيف خبز ملفوفاً على لحم وبعض المخللات والتوابل، وسألني السفير: هل تصدق بأن كل هذا التواضع والكرم واللطف موجود لدى رئيسنا المحبوب؟، ومضى يقص علي حكايته: قال: بعد أن أكلت الرغيف أخبرني (حفظه الله ورعاه) بأن اللحم الذي أكلته كان لحم أرنب، ودون أن أتمالك نفسي تقيأت، والسيد الرئيس يقهقه فرحاً بالمقلب اللطيف الذي فعله بي، في تلك اللحظة أمر بمكافأتي وتعييني سفيراً، وأنا الذي اخترت ليبيا، هل أعجبتك الحكاية؟! (١).

ويقول الزبيدي في مكان آخر من هذه القصة: «إن سفير الملايين من العراقيين، بمتقفيهم وعلماهم وخبرائهم وأدبائهم وفنانينهم وتاريخهم العريق، رجل أمي لا يعرف أحداً، ولا يقرأ شيئاً، ولا يهتم بشيء سوى الشاء على رئيسه القائد حفظه الله ورعاه». (٢)

(١) إبراهيم الزبيدي: بلا مكان، ص (٧٩-٨١).

(٢) المصدر نفسه: ص ٧٩.

هكذا كان صدام يختار سفراءه ورجال دولته، وهذه القصة الغريبة واحدة من قصص الحكم في العراق، وهي لا تحتاج إلى تعليق، لأنها تستبطن التعليق في ذاتها.

في سلطة صدام حسين
لا مكان للمنافس
والمعترض



إن تفكير صدام التأمري في التخلص من منافسيه مرّ بمراحل دقيقة وحساسة، في المرحلة الأولى أوغر قلب البكر، واستعان به على تنحية بعض القياديين، وكان البكر ذا عقلية بسيطة ومتخلفة، وخاضع للتخويف من تأمر أقرب المقربين بعد تجربة الخيانات التي شهدتها وكان جزءاً منها عام ١٩٦٣، فاستطاع صدام الأقرب له من كل أعضاء القيادة التأثير عليه وتخويفه، فراح ضحية هذا التحريض صالح مهدي عماش، الذي يتفوق على صدام حزبياً، وکردان التكريتي الذي يتفوق عليه في قاعدته العسكرية ومؤيديه، فتخلص منهما في عام ١٩٧١، وفي عام ١٩٧٣ أطاح بمنافس آخر هو عبد الخالق السامرائي، بضمه إلى مؤامرة ناظم كزار، ثم أوصله إلى حبل المشنقة لولا الوساطات التي حالت دون ذلك، وبعد أن خلا له الجو ولم يبق في طريقه أي منافس سوى البكر، أخذ يعد العدة للتخلص منه في المرحلة الثانية، وكانت القيادة الملتفة حولها منقسمة على نفسها، قسم يؤيد البكر، والقسم الآخر يؤيد صدام، وبالنسبة لمؤيدي البكر استطاع أن يتخلص منهم على مرحلتين أيضاً، كانت الأولى في مجزرة قاعة الخلد، وهي مؤامرة مختلقة من أجل التخلص من الوجبة الأولى من أنصار البكر والمتحمسين للوحدة مع سورية وهم: محمد عايش الكبيسي، عدنان حسين الحمداني، محمد محجوب الدوري، غانم عبد الجليل مسعودي، وذلك لأنهم جاهروا بولائهم للبكر من خلال سعيهم على ثنيه عن المضي في استقالته أو تأخيرها، تلك التي كان صدام ينتظرها

على أحر من الجمر، وكان محيي عبد الحسين الشمري أكثرهم اندفاعاً: «فهو الذي أثار المشكلة، وأول من اعترض على الاستقالة، وطالب بإجراء التصويت، محيي حقيقة في تصرفاته كان جريئاً، وما كان يحسب لها حسابات، وكانت علاقته مع محمد عايش وآخرين قوية، ولكن محيي أجبر لأنه يعرف أنه سينعدم، وساوموه تحكي هذا الحكيم سنعفو عنك، ولو ما تحكي تنتهي، وهو صدق، وكان مثل الغريق يتشبث بقشة، فما حكى وما تحدث به محيي الشمري، وحدد به من أسماء، إنما كان شيئاً معداً له في التحدث به، وفي تشخيص بعض العناصر والأسماء التي عرضها عليهم»^(١).

ومن حيث الانقضاض على المنافسين لم تبق أية عقبة بعد أن «أطاح صدام حسين بأحمد حسن البكر»^(٢) واستخدام كلمة (الإطاحة) في عقد الثمانينات من مصدر بعيد عن الحدث لها دلالتها من حيث الإعلان عن التشخيص المبكر.

وقد زرع صدام الخوف في نفوس أعضاء القيادة الآخرين، وهم يشاهدون رفاقهم يتخطفهم الموت واحداً تلو الآخر، وبقسوته المفرطة استطاع الحيلولة بين الإنسان ونفسه، ليعيش دوامة الصراع خشية أن يكون قد وقع في وقت سابق في إشكال بسيط نفس فيه عن نفسه في انتقاد النهج الاستبدادي الذي يسير عليه صدام في قيادة حزب البعث، أمام أي رفيق آخر، أو في غير ذلك، فإن هذا النقد إذا كان قد حصل سوف يؤدي بصاحبه إلى الموت.

إن محيي عبد الحسين الشمري جيء به من المعتقل ليعترف على رفاعه في قاعة الخلد، التي أعدت لمؤتمر استثنائي قطري لحزب البعث الحاكم في العراق، وقد أكد ذلك تايه عبد الكريم بقوله: «طبعاً كان معتقلاً، وكنا نعلم أنه معتقل،

(١) تايه عبد الكريم: مذكرات تايه عبد الكريم (القيادي في حزب البعث) ص (٨٣-٨٤).

(٢) كريم بقرادوني: السلام المفقود.. عهد إلياس سركيس ١٩٧٦-١٩٨٣، ص ١٨٥.

وحضرنا الاجتماع، أنا أؤكد أنني لم أكن موجوداً أثناء حادث استقالة الرئيس، وحسب ما سمعت قالوا اعتقل فلان وفلان، وفي اجتماع القيادة اللاحق لم يكن موجودين أعضاء القيادة الذين تم إعدامهم، ولم تقم المناقشة، لأن الصورة أن هؤلاء متآمرون وُرُجَّ بهم في السجن، حتى في إحدى الاجتماعات التي تلت، أحضر عدنان الحمداني وأحد أعضاء القيادة الآخرين، واستدعاهم صدام حسين، وقال يا رجال (سترون) المتآمرين، وقال (نادي على) المتآمرين، ولما حضروا عنده، خاطبهم قائلاً: والله سأجعل من رؤوسكم نفاضات للسجائر، ولم يتحدثوا أو يردوا عليه، ولم يبقوا إلا دقائق (حتى سحبوهم) وكانت (بادية) عليهم علامات الإرهاق والتعب، وقد يكون مارس عليهم بعض أنواع التعذيب النفسي أو الجسدي، نحن كأعضاء قيادة أؤكد لك أننا كنا نخشى ولا نظمئن، وما نعرف اليوم أو غداً، يمكن أن نكون طرفاً في المؤامرة باتهام باطل، ورغم أنني عينت عضواً في المحكمة الخاصة العليا»^(١).

إن الإفراط في القسوة والإمعان في إلحاق الضرر بالعضو القيادي لمجرد إبداء رأيه في عملية انتقال الموقع الأول من رفيق سابق إلى آخر لاحق، كانت آثارها وخيمة على مستقبل هذا الحزب، وهذا النهج متأصل في الأحزاب ذات الطبيعة الاستبدادية، القائمة على كم الأفواه وعدم السماح بإبداء الرأي المعارض، بحيث لا توجد فيها فسحة لسماع هذا الرأي، الذي قد تكمن فيه مصلحة الحزب والوطن، ولذلك فإن مسؤولي الأحزاب الاستبدادية يسدون آذانهم عن سماع الرأي الآخر، وهذا ما حدث في حزب البعث صيف عام ١٩٧٩، وما أعقبته من آثار مأساوية.

وعندما يُسأل تايه عبد الكريم عن مجموعة الـ(٥٥) الذين حكمت عليهم

(١) تايه عبد الكريم: مذكرات تايه عبد الكريم (القيادي في حزب البعث) ص ٨٤.

المحكمة الخاصة بأحكام متفاوتة، بسؤال مؤداه، هل أن هؤلاء جميعاً كانوا ضد أن يكون صدام الرجل الأول؟

فيجيب قائلاً: «والله لا أعرف، لكن هذا اجتهاد من صدام حسين ومعاونيه في الإعداد لهذه المسرحية المأساوية، قناعات، قد يكون هناك من هو بريء، ومن هو فعلاً ضد»^(١) انتقال صدام حسين إلى الموقع الأول.

وعندما يُسأل: هل كنت خائفاً أن يكون اسمك ضمن هذه الأسماء؟.

فيجيب قائلاً: «والله يا أخي رغم أني ليس لي علاقة لكن حالة من الرعب امتلكت الجهاز الحزبي والقيادة، والواحد منا لم يكن مطمئناً».^(٢)

ويبلغ الصدق والصراحة ذروتها لدى تايه عبد الكريم عندما يجيب على سؤال يفترض اعتراضه على عضويته في المحكمة الخاصة؟ فيجيب بإيجاز قائلاً: «أكيد ما كنت أمامك الآن».^(٣)

إلى هذا المصير البئيس أوصل صدام قيادة الحزب والدولة، بحيث لم يطمئن هؤلاء على مستقبلهم، بعد أن سلب منهم الإرادة وحرية التفكير والاختيار، وزرع في نفوسهم الشك، وأرسل (٢١) قيادياً وكادراً حزبياً منهم إلى ساحات الإعدام.

أما بقية القياديين ومسؤولي الصفوف الأولى من الـ(٥٥)، فإنه وصفهم بالتمر الخائس وزجهم في السجن، ولم ينبج منهم من الموت إلا القليل، وكان حصيلة هذه المسرحية الدراماتيكية المفتعلة، أن دفن خمسة من أعضاء القيادة القطرية ومجلس

(١) تايه عبد الكريم: مذكرات تايه بعد الكريم (القيادي في حزب البعث): ص ٨٦.

(٢) المصدر نفسه: ص ٨٨.

(٣) المصدر نفسه: ص ٨٩.

قيادة الثورة، بعد أن ضم إليهم عضواً منافساً بارزاً، كان قد غيبه ست سنوات في سجون، ثم أخرجه ليرتطم بجدار الموت.

وفي هذه الفترة كثر صدام عن أنيابه، وبرزت طبيعته الوحشية بشكل سافر، وقد تزامن مع هذه المجزرة البعثية، أن لم يكن قبلها بأيام مجزرة أخرى، نفذها صدام في الأيام التي كان يشدد فيها الضغط على البكر للتخلي عن جميع مواقفه وصلاحياته، وقد استغل هذا الفراغ الرئاسي ليمرر خطته الدموية الرهيبة بإصدار حكم الإعدام على ثوار انتفاضة رجب (عام ١٩٧٩) التي صفى فيها العلماء من وكلاء مرجعية السيد الشهيد محمد باقر الصدر، وطلبتة والمثقفين الرساليين وطلائع الوعي التغييرى، وقد تجاوز عدد الذين تمت تصفيتهم في هذه المجزرة الـ (٨٠) شهيداً، إضافةً إلى الذين حكموا بالسجن ولمدد مختلفة.

ثم تفرغ صدام للباقيين من مؤيدي البكر والراغبين بالوحدة مع سورية، يترصدهم بواسطة أعوانه والمخلصين له في القيادة البعثية، يحصي عليهم أنفاسهم، ويختبرهم بالوقوف معه في مشاريعه القتالية القادمة، التي كان في مقدمتها تصديه الشرس لظاهرة الوعي الإسلامى في العراق، واستعداده لشن الحرب على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ومضى صدام في تنفيذ مخططاته الجهنمية، والجميع يهرول وراءه، ويطبق ما يريد، طلباً لكسب الود وتحقيق مرضاته، وكانت المنافسة على أشدها، وبهؤلاء المهرولين حقق أهدافه على مستوى الحزب المدعور، الذي سخره، فصار طوع بنانه، وبالذين كان يرسلهم إلى ساحات الإعدام وفي ذات اللحظة كانوا يهتفون له ويشيدون به، بعد أن هزمهم داخلياً، وأثار في قلوبهم الرعب فأطاعوه رهباً ورغباً، وكانوا أدواته في إذلال الجماهير وسحقها، ﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ، فَأَطَاعُوهُ﴾ «أي استفزهم بأسلوبه القريب من سطح عقولهم،

فحملهم على أن يخفوا له، ولما أراد منهم (فأطاعوه) بالانصياع لخطته»^(١).

وكما استخفَّ فرعون قومه فأطاعوه، كذلك فعل صدام بحزبه الذي يمتلك قطاعاً كبيراً، ومنتشر على مساحة كبيرة من العراق، ومن خلاله نفذ إلى هذا الشعب المغلوب على أمره فاستخفَّهم أيضاً.

جرَّ صدام قيادة حزبه إلى اتخاذ مواقف وقرارات خرجوا فيها على القوانين الشرعية والوضعية، وتسببوا في إزهاق أرواح الآلاف من أبناء الشعب العراقي بمختلف قومياتهم وانتماءاتهم، وأخطر هذه القرارات الجائرة، قرار إعدام الدعاة (منتسبي ومؤيدي حزب الدعوة الإسلامية) والمؤمنين الرساليين وهو قرار غير مسبوق، يشرع لجريمة القتل بأثر رجعي، وربما يشتبه الكتاب والباحثون -وقد حدث ذلك- في خلفية صدور هذا القرار المتعسف واعتقادهم أنه جاء كردّ فعل على عملية الجامعة المستنصرية، التي جرح فيها طارق عزيز ومحمد دبدب، وقتلت فيها فريال، وأقسم بعدها صدام: والله، والله، والله، وبحق كل ذرة من تراب الرافدين، الدماء الطاهرة التي سالت في المستنصرية لن تذهب سدى، وبادرت صحف النظام لتضع هذا القسم في صفحاتها الأولى وبـ(مانشيتات) كبيرة^(٢).

ذلك لأن هذا القرار صدر بتاريخ ٣١/٣/١٩٨٠، ومن المصادفات المهمة وغير المخطط لها أن جاءت العملية كردّ عملي على هذا القرار الجائر بتاريخ ١/٤/١٩٨٠ أي بعد يوم واحد على صدوره، ولم تسمح هذه الفترة القصيرة بين القرار والعملية للكتاب والباحثين أن ينتبهوا إلى المتقدم منها والمتأخر.

إنه أول قرار خطير يأخذ من المجلس مسلوب الإرادة بعد بضعة أشهر من توليه المسؤولية، ولا شك أن في هذا المجلس مجموعة لا يرتاح لها صدام،

(١) السيد محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، المجلد العشرون، ص ٢٥١.

(٢) جريدة الثورة: بغداد، العدد ٣٦٠٢ الخميس ٣ نيسان ١٩٨٠، ١٧ جمادى الأولى ١٤٠٠هـ.

ويتربص بها ليقذف بها خارج المسؤولية الحزبية والرسمية، ولكنه أشركهم في دماء الأبرياء، ولطخ أيديهم بها بشكل غير مباشر، باعتبارهم الموقعين على قرار الموت هذا، وفي الحقيقة أنه ليس هناك أدنى فرق بين من يصوب بندقيته لإفراغ ذخيرتها في جسد الضحية، وبين من يشرع القوانين لعملية القتل ويُصدر قرارات الموت، وبين من يقف على رأس المتحفز للرمي، فيقرأ قرار الإعدام ويأمر بالرمي، إنهم شركاء ثلاثة: عضو مجلس قيادة الثورة، والذي يقرأ قرار حكم الإعدام في ساحة الإعدامات، والمطلق النار على الضحية.

وتلت هذه الحملة الضارية جرائم وخطايا كبيرة ارتكبتها الرئيس صدام باسم مجلس قيادة الثورة، وفي مقدمتها جريمة العصر المتمثلة بإعدام المفكر الإسلامي الكبير المرجع السيد محمد باقر الصدر (رض) وهي جناية قل نظيرها في التاريخ المعاصر، ولم تستهدف هذه الجناية العظمى الإسلام بحسب، وإنما اغتالت الفكر والثقافة أيضاً، وصدام بطبيعته المتخلفة لا يعطي دوراً مهماً للفكر والثقافة، وإن أعطاه فسيكون دوراً ثانوياً وهامشياً.

وهو بهذا الخصوص يعترف بقوله: «لقد كان حزب البعث كبيراً في نظرة الناس إليه، ولم يكن الناس ليقارنوا أبداً بين الحزب، وبين أي حزب آخر في موضوع واحد، على الأقل، هو موضوع الشجاعة، فلقد كان العراقيون يعتبرون حزب البعث العربي الاشتراكي أشجع الأحزاب على الإطلاق، وقد يعتبرون أحزاباً أخرى أفضل منه في مجال الثقيف، أو أي مجال آخر، ولكن في مجال الشجاعة كان الخيار حاسماً»^(١).

إن صدام يدّعي بأن حزبه يتميز عن الأحزاب الأخرى في ميدان الشجاعة، وهذا الادعاء إلى حدّ ما صحيح إذا كان المقصود بالشجاعة المؤامرات والذسائس

(١) شامل عبد القادر: لمحات صحفية عن عراق صدام حسين ١٩٦٨-٢٠٠٣، ص ٢١١.

والانقلابات القائمة على الارتباطات الأجنبية المشبوهة، وكذلك يكون صحيحاً بعد أن فُتح باب الانتماء للحزب على مصراعيه، فدخله النشالون والشقاوات وأصحاب السوابق وأرباب السجون، لأن هؤلاء وغيرهم من الطبقات السفلية لا يعيرون اهتماماً للأخلاق والقيم وأعراف المجتمع، ولا يصددهم عن القيام بالأعمال الهابطة ديناً أو وازع من ضمير، فيبادرون لعمل أي شيء، فيحسب ذلك لهم على أنه شجاعة، بعد أن غابت مقاييس الشجاعة في ذهن صدام، وما تقدم يمكن أن يكون تبريراً مناسباً لانحسار الثقافة في صفوف البعثيين.

الكلمات المتقدمة التي تفوه بها صدام عام ١٩٩٣، أي بعد مضي ربع قرن على استلامه السلطة في العراق، بلد الحضارات والثروات الطبيعية والبشرية المبددة في التسليح العسكري والحروب الكارثية الداخلية والخارجية.

إن العوامل التي كانت متوفرة لديه من: الوقت الكافي، والإرث الحضاري، والثروة البشرية، والثروات الطبيعية، لو أحسن استغلالها، كان بإمكانها أن تحلّق بالعراق نحو الذرى وإلى مصاف الدول المتقدمة، وفي شتى المجالات فضلاً عن الفكر والثقافة والفنون، ومن دون أن يضطر الرئيس إلى تأكيد حالة البؤس الفكري والثقافي التي يعاني منها حزبه.

إذا كان صدام وهو طريد الأسرة والعشيرة «الذي تبرأ منه عمامه براءة رسمية»^(١) وهو طريد المدرسة والقانون، وكذلك طارده حزبه قبل سقوط تجربته الأولى في الحكم عام ١٩٦٣، فهو طريد الحزب أيضاً، وهل للطريد أن ينتج فكراً أو يعطي ثقافة تخدم المجتمع؟، ثم إننا لم نر صدام في يوم ما يحمل كتاباً، وإنما شاهده الجميع وهو يتأبط مسدساً، ويلوّح بسيف في الهواء، أو يرمي السماء برشاشه، فإذا كان

(١) محكمة الشعب (محكمة المهداوي) محاضر جلسات المحكمة العسكرية الخاصة العليا، الجزء الخامس، ص ٢١٠.

قوام الحزب من الفئات التي ذكرناها قبل قليل، وأمينه العام معروف للجميع في أنماط سلوكه وأمانيه، التي لم يكن النزوع إلى الثقافة من بينها، فهل يُرجى من هذا الحزب أن يؤسس للثقافة في شتى فروعها؟ أو أن فاقد الشيء لا يعطيه؟

يقول الدكتور علي الوردي: «لعلني لا أعالي إذا قلت أن البدو أكثر أمم العالم اندفاعاً في سبيل التنازع والتباغض والقتال، إنهم أشد في ذلك من جميع الأقسام البدائية والمتحضرة.. إن الأساس الذي تقوم عليه طبيعة المعيشة في الصحراء، هو الرعي بالدرجة الأولى، وهذه الطريقة تختلف من حيث نتائجها الاجتماعية عن طريقة الصيد والالتقاط الشائعة بين الأقسام البدائية، وعن طريقة الزراعة والصناعة والتجارة الشائعة بين الأقسام المتحضرة»^(١).

ويقول أيضاً: «إن الأسماء التي يتسمى الأفراد بها في مجتمع ما، هي كالشئام العامة تدل على القيم الاجتماعية السائدة في ذلك المجتمع، وحين ندرس طبيعة الأسماء التي كانت شائعة في بدو الجاهلية نجد لها واضحة الدلالة في ذلك.

سئل أحد البدو في الجاهلية: لماذا تسمون أبناءكم بمكروه الأسماء، وعبيدكم بالمحبوب منها؟، فأجاب قائلاً: إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا، وعبيدنا لأنفسنا.

أول ما نلاحظه في الأسماء الجاهلية أن الكثير منها يشير إلى الصلابة: كحجر وصخر وفهر وجندل وجبل، أو يشير إلى القوة والغلبة: كمالك وظالم وغانم وغالب وعاصم وفاتك وغارم ومنازل ومقاتل وطارق وسيف وحرب وضرار الخ..، والذي يلفت النظر فيها أن الكثير منها مأخوذ من أسماء الحيوانات الضارية أو المؤذية، وهذا أمر قلما نجده في الأمم الأخرى»^(٢).

(١) د. علي الوردي: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص ٧١.

(٢) المصدر نفسه: ص (٨٢-٨٣).

أما عبد العزيز القصاب قائممقام سامراء في أواخر العهد العثماني، للفترة من ١٥ تشرين الأولى ١٩٠٧ حتى ٨ شباط ١٩٠٩ فيقول: «في ناحية تكريت فرقة تسمى (البيجات) قوامها مائة وعشرون شخصاً تمتهن تهريب الدخان والملح، وقد لاذ بها نفر من الهاريين من الجندية من الموصل والدليم وبعض الرجال الذين اتخذوا من الشقاوة مهنة لهم.

وفي سنة ١٩٠٧، اعتدى قسم من هؤلاء المفسدين على قافلة متكونة من اثنتي عشرة عربة من عربات الدائرة السنية وهي في طريقها إلى الموصل، وسلبوا دوابها وكل ما فيها»^(١).

إن صدام، وبرزان، وسبعائي، ووطبان، والوطب هو الرجل الجافي^(٢)، ويضاف إليهم إدهام، أخو الثلاثة الأخيرين من أبيهم، هذه الأسماء المخيفة كانت تنتمي إلى عائلة واحدة، وتستظل تحت سقف البيت الطيني لـ(إبراهيم الحسن) اللص المعروف، وهي إفراز طبيعي لعشيرة (البيجات) الجماعة المفسدة التي تمتهن الشقاوة والسلب والنهب وقطع الطريق، وحسب رأي الوردى إن الأسماء تدل على القيم الاجتماعية السائدة في ذلك المجتمع.

وهذه الأفكار وأخرى غيرها جعلت الهوة واسعة بين الوردى وصدام حيث قال مرة: «أنا لا أحب الوردى»^(٣).

فإذا ضمنا ما تقدم إلى ما ذكره مشعان الجبوري عن حسين كامل عندما كان لاجئاً في الأردن حيث قال: «وأذكر أنني حدثت حسين كامل وبحضور صلاح

(١) عبد العزيز القصاب: مذكرات عبد العزيز القصاب، إعداد وتحقيق الدكتور خالد عبد العزيز القصاب، ص ٦٤.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، الجزء ١٥، ص ٣٣٥.

(٣) محمد عيسى الخاقاني: مئة عام مع الوردى، ص ٣٧٠.

عمر العلي، أن يسمح للأولاد بالذهاب إلى المدرسة، وقال لي: (نعم شنو المدرسة، نحن لسنا بحاجة لإرسال أولادنا إلى المدارس، ويكفي أن يتعلموا القراءة والكتابة، و(علمناهم) استخدام (التفك) أي البنادق»^(١).

إن مثل هذه البيئة المنصرفه عن المعرفة، والعازقة عن تلقي العلم، والمفتخرة باستخدام السلاح القاتل، لا تستطيع أن توسّع من دائرة المعارف في البلاد، أو تنمي منظومة القيم في المجتمع، وإن ملكات أفراد هذه البيئة لا تصدهم عن إعدام محمد باقر الصدر أو تمنعهم من وأد الثقافة واغتيال الفكر بصورة عامة.

ولم أجد في التراث قولاً يربط شقاء الإنسان بحرمانه الانتفاع من مصادر المعرفة، كقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «فإن الشَّقِيَّ مَنْ حُرِّمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ والتجربة»^(٢).

إن تقدم الأمم يقاس بما لديها من علماء ومفكرين ومثقفين، في شتى صنوف العلم والفكر والثقافة، وهي تعتز بها تملكه من هذه الكنوز، ويعد كل واحد من هؤلاء قيمة حضارية وذخيرة لا يمكن التفريط بها، وتتفاخر الأمم بعدد ما عندها من الفلاسفة والعلماء والمفكرين وأرباب الفن والأدب، أما البلدان المتخلفة فهي التي يعتز حكامها بسطوة السيف ونزعة الغزو والنهب، ولا يكون الإنسان ذا قيمة فيها، إلا عندما يكون سلاباً نهاباً، يقول الدكتور علي الوردي: «وهذا هو الذي جعلنا نعد الغزو من المركبات الأساسية في الثقافة البدوية»^(٣).

(١) مشعان الجبوري: أسرار هروب ومقتل حسين كامل، ص ٦١، ونشرت في حلقات في جريدته الاتجاه الآخر.

(٢) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، تحقيق السيد هاشم الميلاني، من كتاب له إلى أبي موسى الأشعري رقمه (٧٨) ص ٤٨٤.

(٣) د. علي الوردي: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص ٧٢.

حدث في سبعينات القرن الماضي أن جنح الفيلسوف الفرنسي جون بول سارتر جنحةً يحاسب عليها القانون، وأصدر القضاء الفرنسي أمراً بحبسه، على أن يصادق عليه الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو، وعندما عرض الأمر عليه قال كلمته المشهورة: «إنني لا أستطيع أن أضع الثقافة خلف قضبان الحديد» وامتنع عن حبسه. وتلاحقت أخطاء صدام وخطاياه الشنيعة، حيث قامت أجهزته القمعية بشن أكبر حملة لتهجير العراقيين ذوي الأصول الإيرانية بحجة عدم امتلاكهم الجنسية العثمانية، وأكثر هؤلاء من الكرد الفيليين وسكنة المدن المقدسة وطلاب الحوزة العلمية، فهُجِّرَ مئات الآلاف من منازلهم قسراً، بعد أن قذفت بهم الأجهزة البوليسية خارج الحدود بطريقة قاسية، حتى فارق المرضى والمسنون الحياة لطول المسافة ووعورة الطريق، وعن مشهد خاطف من فصول هذه التراجيديا المؤلمة، يقول الكاتب الفلسطيني أحمد أبو مطر: «ولن أنسى ما حييت ذلك المشهد المروع، كنت في زيارة لقيادة إحدى التنظيمات الفلسطينية الموالية لبغداد، في مكتبها الرئيس في منطقة المسبح في بغداد، وفجأة سمعنا جلبة وصراخاً في المنزل المجاور، حيث كانت سيارة للأمن العسكري، تجبر العائلة بكاملها على الصعود فيها تحت تهديد السلاح، لحملهم ورميهم على الحدود الإيرانية مثل آلاف سبقوهم، تم إصعاد العائلة بكاملها بالقوة: الأب، والأم، وخمسة أطفال، تتراوح أعمارهم بين الحادية عشرة والخامسة، همّ السائق بالانطلاق، فصرخ الأب: عيني.. هذا الطفل ابن الجيران.. حرام عليكم، أنا وعائلي تريدون ترحيلنا، بس هذا ولد الجيران كان يلعب مع أطفالي.. حرام عليكم، ولم يسمع السائق والجنود معه هذا الصراخ وهذه الشكوى، وانطلقت السيارة نحو الحدود الإيرانية بالعائلة وابن الجيران»^(١).

(١) د. أحمد أبو مطر: سقوط دكتاتور.. دراسات - تقارير - وثائق، ص ٢٤.

والأخطر في ذلك كله أنه حجز من هم في سن الجندية من الشباب من أبناء المهجرين، خشية أن تستخدمهم الجمهورية الإسلامية الإيرانية في أعمالها العسكرية، وكان ذلك قبل أن يشن حربه عليها بخمسة شهور، أي أنه كان يضمّر شراً قبل أن تندلع التحرشات على الحدود.

ولم يجد المهجرون أثراً لأبنائهم المحتجزين بعد سقوط نظام البعث، لا في مدن العراق، ولا في سجون صدام كما تركوهم، وإنما وجدوا بقايا من عظام جمعوها بأكياس من المقابر الجماعية.

وكان الأكراد الفيليون لا يتكلمون غير العربية، وقد دخلنا بيوتهم في المهجر ووجدنا العجائز والشيخ المسنين يخاطبون أبناءهم باللغة العربية، وليس لهم علاقة باللغة الكردية كأكراد، ولا باللغة الفارسية كإيرانيين، وإنما تعلموها لاحقاً وفرضها عليهم المحيط بعد التهجير، أما اللغة المستخدمة في بيوتهم فهي العربية، وكان اعتزازهم بالعراق كبيراً، ولكن صدام وحزب البعث مطبوعان بالعنصرية والطائفية.

واستثنى صدام وحكومة البعث من حملة التهجير الظالمة أعضاء حزبه من الكرد الفيولين العراقيين: علي رضا باوه مستشار صدام لشؤون الحوزة، وصباح مرزة مرافقه الخاص، وكذلك استثنى أدواته في القمع جبار كردي وأخاه ستار وغير هؤلاء.

وجاء في كتاب الدكتور خليل شمه: صفقة مع الشيطان، «بأن هذه التراجميديا المأساوية بدأت منذ شباط ١٩٦٣، حين استولى البعثيون العنصريون على مقدرات الشعب العراقي، وفي ٧ / ٤ / ١٩٨٠ صعد نظام صدام الدموي من وتيرة الحقد العنصري الفاشي، فنصب فخاً لمئات من تجار العراق من الكرد الفيلية لتجميعهم وسلب وثائقهم وطردهم بالقوة إلى إيران، فأسقطت الجنسية العراقية عنهم

وعن مئات الآلاف الآخرين، وتم حجز أكثر من خمسة آلاف شاب كردي فيلي (ومن ضمنهم ستة أشقاء للمؤلف) وانتزعوا من بيوتهم ومدارسهم وجامعاتهم ومعسكراتهم ودوائرهم بطرق فاشية، ولم يتم حتى العثور على عظامهم لحد هذه اللحظة، بعد إعدام المئات منهم ووضع الآلاف في مقابر جماعية، أو إجراء تجارب بايولوجية وكيميائية عليهم، وذلك تحت إشراف وزير التصنيع العسكري المقبور حسين كامل التكريتي^(١).

لا يفكر صدام إلا بالعدوان، ونفسه الشريرة مجبولة على صناعة الأعداء، فإذا لم يكن أمامه عدو يقاتله، يجهد نفسه في صناعته.

في عام ١٩٧٨ نُقِلَ الدكتور مكرم الطالباني وزيراً للنقل من وزارة الري، وفي وزارته الجديدة خطط لمشاريع مهمة منها ربط العاصمة بغداد بالمحافظات القريبة منها بخطين من السكك الحديدية، وحسب هذه الخطة التي وضعها، يفترض أن يتحرك قطار كل نصف ساعة بدلاً من الباصات، والقطار يكون بعربتين فقط، وكذلك عزم على استكمال مشروع السكك الحديدية، بغداد كركوك إلى السليمانية وأربيل ثم الموصل، كما أنهى تصاميم مشروع مترو بغداد، وفي أثناء التخطيط للمشروع جاءه صدام واستفسر منه، هل إن هذا المشروع ممكن أن يكون ملجأً للغازات الذرية؟، فرد عليه الوزير نحن نبني مترو للمواطنين وليس ملجأً للغازات الذرية.

وعطلَّ اندلاع الحرب العراقية الإيرانية فكرة المشروع كما عطل المشاريع الأخرى، ومنها مشروع السكك الحديدية التي تربط مدن العراق مع بعضها البعض^(٢).

(١) د. خليل شمه: صفقة مع الشيطان، ص ٩٧.

(٢) توفيق التميمي: شهادات عراقية.. حوارات في ذاكرة عراقية، ص (٧٦-٧٧) من حوار مع الدكتور مكرم الطالباني وزير النقل.

لأن صدام لم يتعود التفكير بالخير، وهذا النوع من التفكير يمكن أن يتحول إلى عادة حميدة بالمران، ولكن هو اجسه الضاغطة تملي عليه أفكاراً فاسدة وتصورات غاية في الخبث، من قبيل ضرب العراق بالغازات الذرية كرد فعل على سلوكه العدواني، الناتج من إلحاح فكرة الحرب، وعلى هذا الأساس حاول تغيير تصاميم مشروع كبير وذو فائدة ونفع للصالح العام إلى ملجأ يحمي من الغازات الذرية، وكان هذا المقترح قد صدر عنه يوم كان نائباً، لأن الوزير مكرم الطالباني استقال نهائياً من الوزارة بتاريخ ١٠ / ٥ / ١٩٧٩.

وأكبر الخطايا المقترفة كان قرار شن الحرب على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وهي البداية الوخيمة التي وضعت العراق برمته على كف عفريت، ولا تفي كلمات مثل: جريمة، وجناية، وكارثة بالغرض الذي يصور الحماقة الكبيرة التي رافقت هذا القرار المجنون، لقد وضع صدام يده في عش الزنابير، وهو يتخذ مثل هذا القرار.

كان صدام يتهيأ لاتخاذ مثل هذا القرار، فهو قبل عام من اندلاع الحرب وفي قمة عدم الانحياز في هافانا التقى إبراهيم يزدي وزير خارجية إيران «وفي اللقاء جرى بين صدام ويزدي حديث بناء وإيجابي ومهم، وانتهى اللقاء باتفاق على متابعة الحوار على مستوى رفيع»^(١).

وهذا اللقاء شجع صلاح عمر العلي مندوب العراق الدائم في الأمم المتحدة، وعضو وفد العراق، على الحديث مع صدام لحل المشاكل مع إيران بالمفاوضات واللقاءات والطرق السلمية لتفادي كارثة الحرب، وبعد أن انتهى صلاح عمر العلي من كلامه، «تحدث صدام قائلاً: يا صلاح انتبه، هذه الفرصة قد لا تتاح مرة كل مئة سنة، الفرصة متاحة اليوم، سنكسر رؤوس الإيرانيين وسنعيد كل شبر احتلوه، وسنعيد شط العرب.

(١) غسان شربل: العراق من حرب إلى حرب.. صدام مر من هنا، ص ١٥٠.

حدقت فيه وإذا به يضيف: هذا الكلام حل سلمي وحل إنساني، وتصفية المشاكل مع إيران، لا أريده أن يتكرر على لسانك مطلقاً، حُضِر نفسك في الأمم المتحدة، اسمع ما أقوله لك، سأكسر رؤوس الإيرانيين وأرجع كل شبر من المحمرة إلى شط العرب»^(١).

جرت هذه اللقاءات على هامش مؤتمر قمة عدم الانحياز في شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٧٩ وبعد عام بالتهام والكمال أشعل صدام أوار الحرب في أيلول ١٩٨٠، أي أنه كان عازماً على شنّها قبل عام من اشتعالها، وبعد شهرين من استلامه السلطة منفرداً، إذا لم يكن تفكيره قد سبق ذلك بأمد بعيد، وقد يمتد ذلك إلى عام ١٩٧٥ يوم خسارته أمام الشاه في اتفاقية الجزائر المذلة، التي ظلت تضغط عليه نفسياً، للقيام بعمل ما، يصطلح عليه علماء النفس بـ(التعويض).

«فالجمهورية الإسلامية لم تكن تتوقع هذه الحرب، ولم تكن مستعدة لها، في حين أعد لها الجانب العراقي منذ وقت طويل، إضافةً إلى عدم وجود سبب لهذه الحرب، فإنها من الناحية العسكرية، والتكتيكية كما يقول العسكريون لم تكن صائبة، حيث تتميز إيران بعمق كبير مقارنة بالعراق، وبلغ تعداد سكانها ثلاثة أضعاف العراق، وقد فشلت حروب سابقة ضد إيران حتى ولو بعد وقت طويل كما يخبرنا التاريخ»^(٢).

كان اعتراض صلاح عمر العلي على النوايا المبيتة لشن الحرب، التي كانت تسيطر على عقل صدام سيطرة تامة، ولن تسمح لأفكار أخرى أن تحل محلها، حتى أيلول ١٩٨٠، وفي اجتماع لقيادة الحزب والدولة، عرض صدام قراره الجاهز على الأعضاء، ولم يعترض منهم معترض، إلا تايه عبد الكريم كما ورد في مذكراته،

(١) غسان شربل: العراق من حرب إلى حرب.. صدام مر من هنا: ص ١٥١.

(٢) الأستاذ الدكتور فرحان باقر: حكيم الحكام من قاسم إلى صدام، ص ١٢٢.

وقد عرضنا كل نقاشه في أحد كتبنا الجاهزة للطبع، وقد وضع الرجل نفسه في دائرة الخطر، وصار من المعاقبين مع وقف التنفيذ، وظل صدام يترصده ويتحين به الفرص، حتى حانت فرصة انعقاد المؤتمر القطري التاسع في الأيام الأخيرة من حزيران عام ١٩٨٢، وقد جاء عقد هذا المؤتمر في أعقاب هزائم متكررة مُني بها الجيش العراقي، وقبل أن تقع هذه الأحداث كان لتايه عبد الكريم كلام آخر عجل في عقد المؤتمر القطري، وسرّع في طرده وآخرين غيره، كان صدام يشك في تأييدهم لقراراته الحمقاء، ويظن الظنون فيهم، ويحسبهم على بقية المؤيدين لأحمد حسن البكر، خصوصاً وأن مقترحاً طُرح في اجتماعات القيادة في الأيام ذاتها، يرى صاحبه بأن الحرب لا تتوقف إلا باستقالة صدام مؤقتاً وعودة أحمد حسن البكر إلى سدة الحكم، وقد قتل هذا المقترحُ صاحبه، كما قتل سقراطَ منطقُه.

ورغم كل الاعتراضات والتوسلات والعوامل غير المشجعة على نشوب الحرب ضد إيران، إلا أن صدام ركب رأسه، وأطلق العنان إلى أحلامه الخاطئة، التي يكسر فيها رؤوس الإيرانيين، ثم يتراجع ناكصاً على عقبيه، في استداره عجيبه، كعادته في التناقض، ويكتب رسالة توسلية إلى القيادة الإيرانية، آية الله الخامني والشيخ رفسنجاني جاء فيها:

«ما نرجوه من سلام بين بلدينا لنغادر سوية مآسي الحرب واحتمالات اندلاعها من جديد»^(١).

وكانت الرسالة الجوابية للشيخ رفسنجاني واضحة وصریحة جاء فيها:

«في الحقيقة إذا كانت موضوعات هذه الرسالة قد حظيت بالاهتمام قبل ثماني سنوات، وكان إرسال الرسالة مكان إرسال الجندي، لما كانت إيران والعراق

(١) عبد الحليم خدام: التحالف السوري الإيراني والمنطقة، ص ٢٤٦.

وربما جميع الأمة الإسلامية تواجه كل هذه الخسائر والضحايا اليوم»^(١).

ومن أجل الإحاطة بالوضع الداخلي للقيادة الرسمية والحزبية في العراق، أو ما يطلق عليها قيادة الحزب والدولة، والأزمة الخانقة التي عاشتها عام ١٩٨٢، عام الهزائم الكبيرة، وما خلفته من سياسة قمع ومصادرة للآراء واحتكارها على قرار الاستمرار بالحرب خارج الحدود، وما رافق ذلك من حالات كذب ونفاق وتزوير للحقائق في صفوف القيادة البعثية من أجل كسب رضا الرئيس، الأمر الذي سبب في انعقاد المؤتمر القطري التاسع للفترة من ٢٤-٢٧ من حزيران ١٩٨٢^(٢)، والإطاحة بسبعة من أعضاء القيادة القطرية يشكلون ما يقرب من نصف أعضائها، الذين دخل بهم صدام الحرب مع إيران، وفي مقدمة هؤلاء المطرودين تايه عبد الكريم، وعن مجمل هذه الأحداث نقل مناقشته في اجتماع القيادة بالتفصيل، ليكون القارئ في صورة الحدث ومن أفواه صناع القرار.

يقول تايه عبد الكريم: «(دارت) معركة الخفاجية وجسر الطاهرة، وكان جيشنا متغلغل في العمق الإيراني، في تلك المعركة لأول مرة يلحق بالجيش العراقي هزيمة منكرة من قبل القوات الإيرانية، كان تأثير ذلك الموقف على نفسي مؤلماً، لأنني بدأت أشعر أن الجيش العراقي البطل الذي اقتحم المحمرة، ودخل فيها، وقاتل ليس من بيت إلى بيت بل من شباك إلى شباك واحتلها، ليس ذلك الجيش الذي يهرب في معركة الطاهرة والخفاجية، مستتجاً بأنه عندما أصبح (جيشنا) خارج حدوده، ضعفت لديه إرادة القتال وإيمانه بالحرب، وكان هناك اجتماع طارئ للقيادة السياسية للحزب لنتناقش موضوع المعركة وما ترتب عليها من هزيمة، فكان يريدني أن أتحدث، وأنا مشكلتي أنه عندما أرى شيئاً غير طبيعي وكذب

(١) عبد الحليم خدام: التحالف السوري الإيراني والمنطقة: ص ٢٤٨.

(٢) جريدة الثورة (بغداد): العدد ٤٤٢٤ في ٢٨ حزيران ١٩٨٢ الموافق ٦ رمضان ١٤٠٢ هـ.

وتزوير ومجاملة على حساب المصلحة العامة، فكانوا يسموني برأس الجوي، حتى أحد الرفاق يقول: يا سيادة الرئيس، رأس الجوي بحق (أو) بغير حق، فقال: بحق والله، فرفعت يدي، ومرات يقولون لي بعض أعضاء القيادة أن لا أحد في القيادة يجبك لأنك مواجه ومجاهه، لأنه كانت عملية النفاق والكذب والدجل هي الطاغية في الحديث، فرفعت يدي وقلت: يا سيادة الرئيس أنا أشعر بأن أول هزيمة منكرة تلحق بجيشنا، أفسرها بأن إرادة القتال لدى الجندي العراقي بعد أن شعر أنه خارج الحدود (ضعفت)، لأنه يعرف أن الرأي العام العالمي ومجلس الأمن والأمم المتحدة لن تقبل بتغيير الخارطة السياسية لأي بلد، ويقول لماذا أروح أنطح وأنسحب، (ولو) كان جيشنا العراقي داخل البصرة، وكتفه على حد البصرة لسفح دمه دون أن يتأخر أو ينسحب قيد أنملة، وعرفنا جيشنا (وما) يتمتع به من معنويات وبطولة قيادة وأفراد.

وإذا برفيقين (يتصديان) لي، عزت الدوري وطارق عزيز، ويقولان أن الرفيق تايه يريدنا أن ننسحب من المحمرة (المخدة التي تنام عليها البصرة)^(١)، قصدوا بهذا العمل تحريض صدام حسين ضدي، فهاجمني واهتاج وانفعل انفعالاً شديداً، وأشار إلي بالبنان أنت بعد على موقفك السابق، (شوها العين جواها)، قلت له: يا سيادة الرئيس، أنا عضو في القيادة، ومن حقي أن أبدي رأبي، دفاعاً لا عن نفسي، عن شعبي وحزبي ومسيرة الحزب وعنك أنت، لأنني أردت أن أخفف الزخم، وأقولها بصراحة ليس لك (هنا) من بديل غيرك، قد أكون مزاييد ولكنه الواقع فعلاً لم يكن في القيادة من هو مؤهل أكثر من صدام حسين، (فأزلت) علامات التجهم والغضب، وامتصصت انفعاله، وقلت لهم أنا مسافر بعد غد بوفد إلى البرازيل، أنا أؤكد لكم، وقلت له: يا سيادة الرئيس دعنا نأخذ وقفة، نعيد فيها

(١) انظر اللواء الركن ضياء الدين المجمعى: حروب صدام، ص ٨٦.

تقييم أنفسنا وحزبنا وجيشنا، جيشنا ممتد في أعماق إيران، قد يكون هناك صار عناد لك، وحزبنا يجب أن نقف وقفة جادة، ولم يكن هناك جواب، وفي اليوم الثاني قلت لهم إذا حدث قتال سأعود وأتحمل المسؤولية، وقبل أن أسافر، مررت على الرئيس، والتقيت به في مكتبه، وكنا نتمشى لأكثر من نصف ساعة، كنت أتوسل إليه، وأرجوه، وأنصحته بأن ما ينقل إليه من حديث من قبل عدد كبير من أعضاء القيادة غير صحيح وكله كذب ونفاق ورياء، وأكدت له أن معظم أعضاء القيادة الذين يتحدثون بهذا الموقف غير مقتنعين، وأؤكد لك أنه لو التقى رفيقان يثقان ببعضهما البعض لتحدثوا غير ذلك، فقال لي أرجوك لا تأخذ الأمور بهذه البساطة، ولم يرد علي ببنت شفة وصافحته وقبلته وخرجت.

وسافرت إلى البعثة، وبعد حوالي أسبوع أو عشرة أيام كنت على وشك أن أذهب للنوم، واتصل بي أحد الوزراء، وزير الصناعة ورئيس شركة النفط البرازيلية، وقال يا سيادة الوزير مع الأسف خبر غير سار، قلت له: ماذا حدث؟، قال: سقطت المحمرة، الحالة النفسية التي صرت بها وأنا على وشك الذهاب للفراش، والله لم أنم ثانية حتى الصباح، وتذكرت كل الشريط الذي حكيت، وكنت أبني على هذه الحالة وضعاً سلبياً، ماذا سيلحق بالعراق بعد هذه الهزيمة، اتصلت بالمرحوم طارق حمد العبد الله، وقلت له: هل أقطع زيارتي وأتى للعراق، لأن عندي زيارة للبرتغال، أجبني بعد أن اتصل بالرئيس صدام، أخبرني وقال الرئيس يقول لك استمر بالعمل، وكأننا الموضوع لا يهمني، قلت وما (أعمل)، ذهبت (إلى) العراق فرأيت الرئيس، وكنت في كل زيارة أقوم بها للخارج وأعود، كان يحتضني ويقبلني، في هذا اللقاء، مددت يدي لأصافحه فلم يصافحني، وأشاح بوجهه عني، فهتمت الموضوع، وذهبت إلى زيارة الرفيق عزت الدوري، نائب رئيس مجلس قيادة الثورة - وللعلم كان معي في إعدادية الأعظيمة - قبل دخولي غرفته استقبلني وقال لي بالحرف الواحد وباللهجة المحلية: (يا مسخم

يكسر اشصار بينا مثل ما حكيت وأكثر، لا قتال لا مجابهة، يوجد قتيل وجريح وهارب بالخمسين ألف) قلت له: ألم أقل لكم أن توقعاتي بأنه لن يكون هناك قتال، استنتاجاتي أنه لن يكون هناك قتال كما ذكرت.

فقلت له يا أبو أحمد لماذا ما حكيت بهذا الموضوع؟، قال لي: أنت مخبل تريد تموت، اترك الموضوع ما لك لازم فيه!!، فقلت له: هل هذا يجوز؟ (انظر) انعكاس هذا الموقف سوف يكون انعكاساً خطيراً على شعبنا وعلى أمتنا وعلى العالم الثالث وعلى العالم ككل، وعلىنا كقيادة قطرية، وأشرت له إن لم يحدث من هذا شيء حاسبني، وهذا موقفي، وطلعت.

بعد أسبوع صار عندي سفرة (إلى) تونس، مؤتمر الأوبك لا أتذكر، وكل سفرة أتصل بالمرحوم طارق حمد العبد الله لأخبره، ليحجز لي مبلغ لأنه لم تكن لي مخصصات، فأخبرني بأن السيد الرئيس يقول: لا يسافر، وبعد أيام فوجئت بوجود انتخابات مؤتمر قطري (استثنائي)^(١) وقرارات اتخذت مسبقاً كي أكون أنا خارج القيادة.^(٢)

ناقش المؤتمر القطري التاسع قضية الحرب مع إيران، وكان يثن تحت وطأتها، لأنها أتت على كل شيء، وآثارها السلبية الخطيرة بلغت أرقاماً مهولة، وفي شتى المجالات وعلى كافة الصعد، وليس هناك أمل في إيقافها كما بدا للمؤتمر.

وفي تقريره السياسي تكرر اسم حزب الدعوة (الإسلامية) كحزب معادٍ للسلطة، وهو أيضاً كحالة الحرب، التي تؤرق ليل البعث، وتقض مضاجعه، ولا بد من الاستمرار في إبادته.

(١) وصف تايه عبد الكريم مؤتمر عام ١٩٨٢ بالاستثنائي، وهو ليس كذلك، وإنما هو مؤتمر اعتيادي، وجاء تسلسله التاسع في المؤتمرات القطرية.

(٢) تايه عبد الكريم: مذكرات تايه عبد الكريم (القيادي في حزب البعث)، ص (١٢٩-١٣٢).

وعبر التقرير السياسي للمؤتمر عن سخطه على البعثيين الذين تأثروا بالصحة الإسلامية، التي أطلق عليها مصطلح الظاهرة الدينية السياسية، فجاء فيه:

«وفي خلال المرحلة الماضية وقف عدد من الحزبيين من مراتب متعددة في الحزب مواقف خاطئة وبعيدة عن مبادئ الحزب أو ممارساته الجوهرية الصحيحة إزاء المسألة الدينية والظاهرة الدينية السياسية، مما انعكس بقدر أو بآخر على واقع هذه الظاهرة في القطر، وأحدث أضراراً في عملية مواجهتها من قبل الحزب وأجهزة الثورة المختصة»^(١).

وأضاف التقرير محتجاً: «ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل صار بعض الرفاق يضعون مسألة ممارسة الطقوس الدينية كمعايير للتقييم الحزبي»^(٢).

ويصف تأثيراتها المباشرة على الحزب، وما أوجدته من حالة اهتزاز في المواقف. «إن انتشار هذه الممارسات بنسبة معينة خلق حالة من البلبلة في صفوف الحزب، ونشأ جدل بين الحزبيين حولها، وصار بعضهم في حالة من الحيرة إزاء هذه المسألة، هل على الحزبي لكي يكون بعثياً جيداً أن يمارس الطقوس الدينية بصورة مفتعلة؟ أم أن ذلك ليس من شروط التكوين الجيد للحزبي؟ وغير ذلك من الأسئلة، كما أوجدت هذه الممارسات نوعاً من التصرفات الانتهازية لدى البعض من الذين صاروا يقومون بالممارسات الدينية إرضاءً لمسؤوليهم الذين يقومون بها ويطلبونها من رفاقهم، ومن أجل الصعود في الحزب والدولة»^(٣).

(١) حزب البعث العربي الاشتراكي - القطر العراقي - التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع، حزيران ١٩٨٢، ص ٣٠٣.

(٢) المصدر نفسه: ص ٣٠٤.

(٣) المصدر نفسه: ص ٣٠٤.

وخاطب التقرير البعثيين بشدة مبيناً لهم أن يختاروا البعث أو الدين، ولا حلول وسطى بين الاثنين.

«وقبل ذلك علينا أن نتساءل، إذا كانت مفاهيم وممارسات التدين قد اعتبرت من قبل بعض الرفاق بديلاً أخلاقياً أو عقائدياً عن حزب البعث العربي الاشتراكي، وسبيلاً لحل المسائل الجوهرية في الحياة، فلماذا اختاروا حزب البعث العربي الاشتراكي؟!»^(١)

ويضيف التقرير: «إن الاتجاهات الدينية، والاتجاهات الدينية السياسية، كانت موجودة منذ زمن طويل، وهي ليست اكتشافاً حديثاً، فلماذا لم يختار أولئك الرفاق تلك الاتجاهات كطريق لهم في تغيير الحياة وبناء مثلها ورسم أهدافها.

ولماذا، بعد أن قطعوا شوطاً طويلاً في الحزب يريدون فرضها عليه أو إشاعتها فيه من دون أن يكون لذلك أساس في عقيدة الحزب، وفي تقاليد، ومن دون أن تقر هذه المفاهيم والممارسات من قيادة حزبية مسؤولة، أو من مؤتمر حزبي مسؤول»^(٢)

ثم يأتي التهديد: «وليس فيما يتعلق بهذه الظاهرة فقط، وإنما يجب أن نضع نصب أعيننا مسألة جوهرية بالنسبة للحزب لا يجوز التسامح فيها في المستقبل على الإطلاق، تلك هي أنه ليس من حق أي عضو في القيادة أو في أي مرتبة من مراتب الحزب، كما ليس من حق أي مجموعة في الحزب أن تنشر في صفوف الحزب أو تفرض على أعضائه مفاهيم أو مقاييس أو معايير جديدة للتقييم ليست مقررة من مؤتمرات الحزب أو من قياداته العليا»^(٣)

(١) حزب البعث العربي الاشتراكي - القطر العراقي - التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع، حزيران ١٩٨٢: ص ٣٠٦.

(٢) المصدر نفسه: ص ٣٠٦.

(٣) المصدر نفسه: ص ٣٠٦.

ولأول مرة يكشف التقرير عن تأثير بعض قياديي حزب البعث بالظاهرة الدينية، وقد نال هؤلاء جزاءهم بالطرد من القيادة القطرية نهائياً.

وكان عدد المطرودين سبعة، وهم حسب درجة الغضب عليهم:

تايه عبد الكريم

برهان الدين عبد الرحمن

جعفر قاسم حمودي

طاهر توفيق العاني

عبد الله فاضل السامرائي

عبد الفتاح محمد أمين الياسين

حكمت إبراهيم العزاوي

أما المتأثرون منهم بالظاهرة الدينية فيهم:

برهان الدين عبد الرحمن

جعفر قاسم حمودي

طاهر توفيق العاني

وقد خسر هؤلاء مواقعهم لارتياحهم للجوامع، وحضور صلاة الجمعة، وكانت عقوبتهم الطرد، بعد تعنيفهم الشديد من قبل صدام حسين، الذي ناقض نفسه كعادته، وبعد عقد من الزمان، قاد حملة سميت بالحملة الإيمانية، تقرر فيها الإفراج عن المجرمين ممن يحفظون أجزاء من القرآن الكريم، فامتلاً الشارع العراقي بالقتلة والنشالين والشاذين، ثم ابتدع كتابة القرآن بدمه، وهي أول بدعة من نوعها في الإسلام، وأسس لبناء أكبر جامع في العالم.

وكان نعيم حميد حداد في عداد المطرودين لأنه جاء في ذيل قائمة المنتخبين في المؤتمر القطري التاسع، فقد جاء تسلسله (١٢)^(١) ولم تشفع له عضويته في القيادتين القومية والقطرية، ولذلك فإنه لم يستمر طويلاً وطرد في أول مؤتمر استثنائي لاحق في تموز عام ١٩٨٦.

استخدم صدام المؤتمرات القطرية كمصيدة فئران للإطاحة بغير المرغوب فيهم من أعضاء القيادة القطرية، وعمما جرى له في انتخابات المؤتمر القطري التاسع يقول تايه عبد الكريم:

«في انتخابات عام ١٩٨٢ في آخر مؤتمر قطري انتخابي حضرته، وجدت من

(١) هذه أسماء الأعضاء الفائزين بعضوية القيادة القطرية، وجاء تسلسلهم حسب عدد الأصوات التي أحرزوها، وضمن التبليغات الموجهة لهم:

١. عزت إبراهيم خليل
٢. طه ياسين رمضان
٣. عدنان خير الله طلفاح
٤. سعدون شاكر محمود
٥. طارق عزيز عيسى
٦. حسن علي نصار العامري
٧. محمد حمزة الزبيدي
٨. عبد الغني عبد الغفور
٩. سمير محمد عبد الوهاب
١٠. عبد الحسن راهي فرعون
١١. سعدي مهدي صالح
١٢. نعيم حميد حداد
١٣. سعدون حمادي
١٤. مزبان خضر هادي

جريدة الثورة (بغداد)، العدد ٤٤٢٤ في ٢٨/٦/١٩٨٢.

خلال الترشيحات، أرفع يدي للترشيح، كان يشيح بوجهه عزت الدوري (رئيس المؤتمر) وبعد إلحاح أخذ اسمي، وبعد كم فوز صارت استراحة، وفهمت (بعد ذلك)، أن هناك تبليغ رسمي للكادر الحزبي أن لا ينتخبوني، ورغم هذا حصلت على ٨١ صوتاً ولو وصلت لـ (١٠٠) صوت لكنت الفائز.

في ذلك الاجتماع لأول مرة أشعر بأن الرئيس صدام حسين يعبر بطلاقة وبكل صراحة عن موقفه ضد المرحوم أحمد حسن البكر، قال قولاً لم أكن أتوقعه، كان في حالة أشبه بالانهيار، وكان يشعر بأن الأمور بدأت تسير في غير صالح العراق في الحرب، قال: أخاف أروح أنا، ديروا بالكم، ما تنتخبون أحمد حسن، أحمد حسن ليس له دور في الثورة، وتحديث حديث غير لائق وقاسي بحق الرئيس أحمد حسن، واستدرك (قائلاً) إن شاء الله أنا ما أروح باقي»^(١)

ومن خلال المؤتمر القطري التاسع وما قبله وما بعده، كان صدام يتحرك بسرعة فائقة لإخماد أنفاس منافسيه، ومن يقف في طريقه، أو يعترض عليه، أو يقترح اقتراحاً لا يصب بمصلحته، فقد أنهى حياة الدكتور رياض إبراهيم حسين وزير الصحة لاستيراده أدوية فاسدة، وهي ذريعة واهية لا تصمد أمام المنطق العلمي والقانون.^(٢)

وبعد ثلاثة أشهر هلك أحمد حسن البكر، وقد كان الأستاذ الدكتور فرحان باقر الطبيب الرئيس المشرف على صحة البكر، وبعد سفره خارج العراق حصل تغيير في الهيئة الطبية المشرفة، وكان يعود في الأيام الأخيرة طبيب عراقي من خريجي ألمانيا.

ويرجح الدكتور فرحان باقر أن البكر لم يمت حتف أنفه بقوله: «وهناك أمر

(١) تايه عبد الكريم: مذكرات تايه عبد الكريم (القيادي في حزب البعث) ص ١٣٢.

(٢) د. مهدي مكية: قصة حياتي، ص (١٩٨-٢٠٨) إعدام وزير الصحة فضيحة سياسية وقضائية.

آخر يؤكد رواية إنهاء حياة الرئيس البكر، وهو اختفاء أحد الأطباء الذين زاروه في آخر يوم من حياته، وقد اختفى هذا الطبيب كما أخبرني أحد الذين واكبوا هذا الحدث»^(١).

وبنهاية عام ١٩٨٢ انتهت كل الخيوط التي لها علاقة بالبكر، ولم يبق منها صدام باقية، ولكن الحرب العراقية الإيرانية بعد أن طالت فصولها أفرزت منافساً آخر لصدام من العائلة ذاتها (البيجات) هو نائبه في القوات المسلحة وابن خاله عدنان خير الله طلفاح، الذي يحظى بالقبول في العسكر ودول الخليج.

وفي أخطر معلومة سمعتها عن عدنان خير الله وعلى لسان صديقه الأستاذ عبد العزيز بابطين، في آخر زيارة لنا للكويت على رأس وفد من الحكومة المحلية ورجال الأعمال في محافظة ذي قار بتاريخ ٩/١٢/٢٠١٢ وبدعوة من غرفة تجارة وصناعة الكويت، وقبل وصولنا إلى الكويت كان لنا دعوة عشاء كريمة من الأستاذ بابطين في ديوانه العامر الذي دخلناه مساء يوم الاثنين ١٠/١٢/٢٠١٢.

تحدث الأستاذ عبد العزيز بابطين عن علاقته المتميزة بعدنان خير الله التي بدأت في الصيد بالجزيرة وترسخت بمرور الزمن، وفي آخر نزهة صيد لعدنان خير الله التقى فيها صديقه بابطين، وكانت معالم الخوف بادية عليه، وقد أسرَّ صديقه بقوله: إن هذا الرجل (يعني صدام) سيقتلني!!

- قال له السيد بابطين: أنت الآن بعيد عنه، ومعك عائلتك، وأنا مستعد لتأمين وصولك إلى الإمارات العربية، ومنها إلى أوروبا وتطلب اللجوء.

- قال عدنان: أخاف أن يشوه سمعتي بالخيانة.

- وأضاف الأستاذ عبد العزيز بابطين أن عدنان خير الله عاد إلى بغداد وبعد

(١) د. فرحان باقر: حكيم الحكام من قاسم إلى صدام، ص ٩٣.

(٣٤) يوماً، سمعنا نعيه وخبر مقتله بحادث طائرة.^(١)

وفي ختام المؤتمر القطري التاسع، استعيض عن المطرودين السبعة بسبعة مستعدين لتأدية المهام الموكلة إليهم بلا تردد، ويقولون نعم سيدي دائماً، وهم:

محمد حمزة الزبيدي

عبد الغني عبد الغفور

سمير محمد عبد الوهاب الشبخلي

عبد الحسن راهي الفرعون

سعدي مهدي صالح

سعدون حمادي

مزبان خضر هادي

لم تكن الانتخابات في المؤتمرات القطرية حرة وديمقراطية، يمتلك فيها عضو المؤتمر إرادته وحرية في اختيار أعضاء القيادة، وإنما تكون مؤطرة بالتبليغات السرية الصارمة في إبعاد بعض القياديين، وزاخرة بالتسريبات التي تتضمن رغبة الرئيس فيمن يريد صعودهم إلى القيادة، والتي يتلقفها المؤتمر على شكل إشارات تصدر منه مباشرة من خلال مداخلاته في الساعات الأولى لافتتاح المؤتمر، أو ينوب عنه في إرسالها عزت الدوري، الذي يكون عادة رئيس المؤتمر، أو يتولى ذلك أبناء عمومة الرئيس، الذين استلموا تبليغاته قبل عقد المؤتمر ليتحركوا على المؤتمرين، وتبليغهم عن منتخبون.

(١) لقاء مع الأستاذ عبد العزيز باطين في الكويت بتاريخ ١٠/١٢/٢٠١٢ حضره رئيس مجلس المحافظة ونائبه، وبعض من رجال الأعمال والوفد المرافق.

وعن مثل هذه التبليغات تكلم تايه عبد الكريم بمرارة، وأكد أنها كانت المسؤولة عن إعاقة صعوده إلى القيادة القطرية ثانية.

إن صدام لا يريد من القيادي أن يكون ذا تجربة نضالية متميزة، أو ذا ثقافة عالية في مجالات الفكر والسياسة، أو مضى على انتسابه عشرات السنين، حتى وإن كان هذا العضو المرشح للقيادة سبباً في دخول صدام نفسه إلى حزب البعث، كل ذلك لا يشفع له ما لم يكن مقروناً بالولاء المطلق والطاعة.

يقول تايه عبد الكريم: «أنا أتحدث بألم لأن من سعدوا للقيادة ناس أقرب للأمية ولا تاريخ لهم، من أجل أن يتصرف صدام حسين بالشكل الذي تصرف به، حتى قيام الغزو والاحتلال بالشكل الذي رأيناه، وكانوا مستعدين أن يوقعوا على أي شيء، بل كانوا مستعدين على أن يتحدثوا بأي شيء مضاعفة لما قاله، إذا مدح صدام شخص فهم يضاعفون المدح، والذي أسقط صدام إلى هذا الغرور والنرجسية التي كانت دفينه فيه، هم ثلاثة أشخاص من أقرب المقربين إليه، نائب رئيس مجلس قيادة الثورة عزت الدوري، وطه الجزراوي، وطارق عزيز، كانوا قادة النفاق والكذب والدجل، وفي منافسة كل منهم يطمع في أن يحتل الموقع المتقدم، أو يحظى برضا وثقة صدام حسين، هم من ورطوه ودفعوه وشجعوه على أن ينتهج مثل هذا السلوك الفردي، بحيث أصبح بحالة من الفصام الواقعي بين القيادة والحزب، وحتى بين القيادة والشعب، بسبب الممارسات الفردية والنرجسية الطاغية للرئيس، الذين خلقوها، والطموح الغير مشروع والروح الاستبدادية والنظرة الأبعد من الدكتاتورية والاعتزاز بالنفس إلى حد أن جعلوا منه نصف إله»^(١).

(١) تايه عبد الكريم: مذكرات تايه عبد الكريم، القيادي في حزب البعث، ص (٩٢-٩٣).

طه الجزراوي
النشأة الأولى
والاستحواذ على
أهم المناصب



بدأت أسرة الجزراوي الفقيرة حياتها في جزيرة بوتان (جزيرة ابن عمر في التواريخ الإسلامية) والتي تقع الآن ضمن حدود تركية المعاصرة، ومنها اتخذ طه لقبه (الجزراوي) خلافاً لكل المتحدرين من جزيرة بوتان، الذين يطلقون على أنفسهم لقب (بوتاني) ولم يسبقه إلى هذا اللقب إلا أفراد قلائل لا يتعدون أصابع اليد منهم المغني (محمد عارف جزراوي)، وكانت هذه هي البداية الأولى لأسرة طه الجزراوي قبل أن تنزح إلى العمادية أولاً ثم إلى قرية (تاق) الكردية القريبة من جبل مقلوب، ومنها نزحت إلى عين سفني مركز قضاء الشيخان حيث ولد طه سنة ١٩٣٨^(١)، ومن الشيخان نزحت الأسرة لأسباب اقتصادية ضاغطة إلى منطقة النبي يونس في الموصل، واستأجرت غرفة في دار قاسم ككا في محلة الكومبس، واستقرت أخيراً في محلة معظم سكانها من الكرد على الجانب الأيسر من الشارع المؤدي من الموصل إلى أربيل، وافتتح والده دكاناً (بقالية) ضمن داره.

(١) زور صدام حسين مولده من ١/٧/١٩٣٩ التي تؤكدها مصادر رسمية نشرتها في كتابي حكومة القرية إلى ٢٨/٤/١٩٣٧، وأراد بذلك التوافق في العمر مع زوجته ساجدة خير الله طلفاح المتولدة في ١/٧/١٩٣٧ أو يزيد عليها بأشهر معدودة، لأنه كان يخشى أن يكتشف الآخرون أمر زواجه بالأكبر سناً منه، والمثير للتساؤل أن تابعه نائب الضابط طه الجزراوي قلده في هذا التزوير لينقل مواليده من عام ١٩٣٨ إلى نيسان ١٩٣٩ أيضاً.

انظر: طه ياسين رمضان: صدام حسين الرفيق والأخ والقائد، ص ٥٦٥.

ورغم أن الأسرة استقرت في حيٍّ معظم سكانه من الكرد، إلا أن طه لم يختلط بأبناء محله الكرد، ولم يكن له منهم أصدقاء، وإنما كان له أصدقاء معدودون من العرب والتركمان في أحياء أخرى، وكان في شبابه يرتدي أحياناً العقال والدشداشة تشبهاً بالعرب، ولم يعرف عنه أنه تكلم الكردية مع أنه كان يجيدها ويفهمها وينتسب إلى أبوين كرديين، فوالدته كردية، ووالدها من بوتان أيضاً، وكانت تتكلم الكردية، فتزوجها والده عندما كان بقالاً متجولاً في القرى الكردية، وكانت يتيمة تعيش عند أختها المتزوجة من عربي، وكان لطفه أربع أخوات وأخ واحد، ولا أقرباء له من أبناء العمومة، كما لم يعرف من أخواله أحد.

مع كل ما تقدم يدّعي طه الجزراوي بأنه ينتمي إلى عشيرة الخوالد، ويعلن ذلك أمام أصدقائه من المسؤولين، وكان يتعد ويتحاشى كل ما يمت بصلة إلى أصله الكردي، وقد بلغ به النكران أن منع الكرد من أبناء محله الشعبية الكردية من زيارته، أو حتى تقديم التعازي له عندما قُتل شقيقه الوحيد الرائد (محمد ياسين رمضان)^(١) في الحرب العراقية الإيرانية، أو في وفاة والده الحاج ياسين، الذي كان يتكلم الكردية بطلاقة مع معارفه ولا يحسن الكلام بالعربية.

وفي زواجه الأول اقترن طه الجزراوي بفتاة موصلية كردية مستعربة، كانت أسرتها تسكن الجانب الأيمن من المدينة في محلة باب البيض الشعبية، وكان له منها ست بنات وولد واحد، وابنته الكبرى نادية ولذلك يكنى بـ(أبي نادية).

ورغم هذا المحيط الأسري الكردي الذي يطوق طه الجزراوي من كل جهاته إلا أنه استطاع التعامل معه بحذر، والابتعاد عن أية صلة تربطه بأصله، والإفلات منه كلياً، والاندكاك بالمحيط العربي.

(١) جاء في كتاب طه ياسين رمضان الموسوم بـ(صدام حسين الرفيق والأخ والقائد) ص ٧٢، أن أخاه كان برتبة مقدم ركن.

وفي صيف عام ١٩٧٠ عقد تنظيم الموصل ندوة تحت عنوان: (أنت تسأل والحزب يجيب) بالقرب من مركز شرطة النبي يونس ومدرسة النعمانية للبنين، واستضاف القائمون عليها طه الجزراوي بمناسبة زيارته لمدينة الموصل، وأمام حشد جماهيري معظمه من الكرد سأله أحدهم وكان متعمداً احراجه، هل صحيح أنت كردي؟، أثار هذا السؤال الجزراوي وتضايق منه وامتعض، وبعد سكون خيم على الجميع، أجاب: نعم، ولكن تجري في عروقي دماء عربية. واعتقد أبناء محلته حينذاك أنه كان يقصد بالدماء العربية، دماء جدته لأمه، فقد كانت عربية، وعلى أساس ذلك جرت الدماء العربية في عروقه.^(١)

طه ياسين رمضان الجزراوي

تعود جذوره إلى جزيرة عمر في تركيا كما مر بنا، وعلى أساس ذلك أطلق عليه لقب (الجزراوي) وهو من عائلة كردية ومن مواليد الموصل عام ١٩٣٨^(٢)، ويميل إلى اليزيدية في تمذهبه^(٣)، وكثيراً ما كان خير الله طلفاح يصف طه الجزراوي باليزيدي، ويصف التنظيمات البعثية بـ(العصابات الرعناء).

في تشرين الأول من العام ١٩٥٦ انتمى إلى حزب البعث^(٤)، يقول الدكتور

(١) اعتمدنا في هذه المعلومات على ما دونه الأستاذ الدكتور عبد الفتاح علي البوتاني في كتابه صفحات من الذاكرة الموصلية، ص ٣٦١-٣٦٤.

(٢) د. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، الجزء الثالث، ص ٧٨٨.

في الكتاب الذي كتبه الجزراوي عن صدام جاء ميلاده في نيسان ١٩٣٩، وهو الميلاد الذي وضعه صدام زوراً لنفسه، فجاء التطابق في الميلاد بشهر نيسان من أشهر الربيع الجميلة، وفيه ميلاد حزب ميشيل عفلق، الذي ينتسب له الاثنان، وهو اختيار دقيق للتزوير، يضاف إليه تشابهها في السلوك والتصرفات.

(٣) صحيفة الجهاد، العدد (٨٣) السنة الرابعة، ١١ رجب ١٤٠٣هـ الموافق ٢٥ نيسان ١٩٨٣.

(٤) طه ياسين رمضان: صدام حسين.. الرفيق والأخ والقائد، ص ٥٦٥.

عبد الغني عبد الكريم اليوزبكي أمين سر شعبة الموصل في فترة ما بعد حركة الشواف: إن عدنان عبد النافع كان مسؤولاً لظه ياسين رمضان الجزراوي، وإن طه أدى القسم أمامي سنة ١٩٦٢. (١)

وخدم في وحدات عسكرية مختلفة برتبة نائب ضابط ولمدة خمس سنوات، للفترة من عام ١٩٥٩-١٩٦٣، وفي العام الأول من هذه الفترة أحيل إلى التقاعد، وبرع في عمليات الاغتيال السياسي والقتل المدان، عندما كانت مدينة الموصل مسرحاً للتصفيات الجسدية آنذاك، وفي ذلك الوقت كان رفيقه صدام يمارس العمل نفسه والهواية ذاتها في مدينة تكريت وضواحيها، وإن اشتراكها في أنماط سلوكية واحدة، ساعدت كثيراً في ميل الاثني عشر من بعضهما منذ أول لقاء لهما عام ١٩٦٦، وارتباطهما بعلاقة متينة وطويلة الأمد لم تنفصم عراها حتى فرّق الموت بينهما، وفي هذا الشأن يقول السياسي المعروف محمد حديد في مذكراته: «ومن ذبول حركة الشواف في الموصل، أنه جرى أولاً استهداف من قاموا بتصفية العناصر المؤيدة للشواف، ثم توسعت عمليات الاغتيال لتشمل كل من عليه صبغة ديمقراطية أو شيوعية أو يسارية، وقد قيل أن الذين اغتيلوا بلغ ٤٠٠ شخص». (٢)

ويضيف محمد حديد قائلاً: «وقد نقل لي بعض معارفي في بلدي الموصل فيما بعد، أن أحد المعروفين بانتهاهم لحزب البعث، وكان إذ ذاك يعمل في فرع مصرف الرافدين في الموصل، وقد نفذ عدداً من عمليات الاغتيال في تلك الحملة، وأصبح في وقت لاحق في الصف الأول من قيادة حزب البعث.. هو طه الجزراوي». (٣)

هذه شهادة لا يعترها الشك، صدرت عن سياسي عركته الحياة، تدين

(١) الدكتور عبد الفتاح علي البوتاني، صفحات من الذاكرة الموصلية، ص ٤٧٤.

(٢) محمد حديد، مذكراتي.. الصراع من أجل الديمقراطية في العراق، ص ٣٧٦.

(٣) المصدر نفسه: ص (٣٧٦-٣٧٧).

الجزراوي لتنفيذه عمليات قتل يحاسب عليها القانون، وهذا السلوك المنحرف هو في عرف البعثيين بمثابة وثيقة حسن سلوك يستخدمها بعث العراق في ارتقاء أعضائه وانتقالهم من درجة حزبية إلى أخرى أعلى منها، وإلا كيف يصل الجزراوي وصدام حسين إلى المواقع المتقدمة في الحزب والسلطة وهما من أصحاب السوابق التي يعاقب عليها القانون؟

أعيد إلى الخدمة بنفس رتبته (نائب ضابط) ليمنح رتبة (ملازم احتياط) بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، (انظر الملحق رقم ٩)، ويُتدب للعمل في قيادة الحرس القومي (سيء الصيت) في الموصل كأمر للقاطع الأول فيه^(١).

«وعندما انقلب عبد السلام عارف في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ على شركائه البعثيين وأقصاهم من الحكم، جُرِّدَ طه من مهامه وفُصِّل من الجيش، فأخذ يرتاد المقاهي والكازينوهات، ومنها كازينو ١٤ تموز الصيفي على ضفة نهر دجلة اليسرى، وفي الكازينو المذكور تعرض لضرب مبرح من قبل القوميين العرب (الناصرين) حتى أغمي عليه ودخل المستشفى»^(٢).

وفي ١٦ / ٨ / ١٩٦٤ أُبعد إلى مدينة الناصرية وفرضت عليه الإقامة الجبرية، وأصبح أمين سر شعبة محافظة ذي قار^(٣)، وأقام في أحد فنادقها القريبة من مديرية شرطة الناصرية لأداء التوقيع المفروض عليه يومياً فيها، وكان ينزل ضيفاً بين حين وآخر لدى ابن مدينته يوسف أبو الكبة، وهو مسيحي من مدينة الموصل، ومن الناشطين في حزب السلطة آنذاك، وللتمويه على وضعه الديني أطلق عليه

(١) طه ياسين رمضان: صدام حسين.. الرفيق والأخ والقائد، ص ٥٦٦.

(٢) الدكتور عبد الفتاح علي البوتاني: صفحات من الذاكرة الموصلية، ص ٣٦٢.

(٣) طه ياسين رمضان: صدام حسين.. الرفيق والأخ والقائد، ص ٥٦٧، انظر أيضاً: جريدة الناصرية العدد ١٢٥ في ١٠ / ٥ / ٢٠٠٢ م.

الحزب اسم (يوسف أبو علي) ليكون منسجماً مع الأكثرية الشيعية في الناصرية، وكان يوسف أبو الكبة يعصر الخمر في بيته، فكانت هذه فرصة نادرة لأن يحتسي الجزراوي الخمر مجاناً في بيت (أبو الكبة)، وكعادته في البحث عن اللذة المجانية فإنه كان سباقاً إلى الولائم المجانية في مناسبات الأعراس والمآتم التي يرتادها مع العاطلين عن العمل.

من بواب في بيت البكر إلى عضو قيادة قطرية

وبعد رفع الإقامة الجبرية عنه، عاد إلى بغداد ليشتغل بواباً في بيت أحمد حسن البكر، وكان البكر وقت ذاك محالاً على التقاعد، وقد ابتعد عن العمل السياسي بإعلانه البراءة من حزب ميشيل عفلق وانصرافه إلى تربية أبقاره، ويروي السيد حسن العلوي الذي كان يزور البكر قائلاً: «كنت أزوره أيضاً في بيته بعد سقوط سلطة ١٩٦٣، وكان الذي يفتح الباب لاستقبال الضيوف والعناية بهم نائب ضابط يدعى طه الجزراوي».^(١)

إن رواية كونه نائب ضابط وبواباً في بيت البكر كانت موضع تشكيك من البعض، لكنها تعضدت فيما بعد من بعثي آخر يکن مودة للجزراوي ويعتبره شهيداً.

يقول جهاد كرم: «بدأ حياته يافعاً ودخل الجيش العراقي شأن العديد من العائلات العراقية، ولا سيما لدى الطبقات غير المرتاحة مادياً، وصل إلى رتبة نائب ضابط.

شغل منصبه في الموصل ومن ثم أصدر الحزب قراراً بتفريغته والمجيء للسكن في بغداد، وذلك انسجاماً مع رغبة أمين سر القطر أحمد حسن البكر، الذي احتاج

(١) مجلة القصب: العدد (٣٠) السنة الخامسة، شتاء ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٦٠.

إلى رفيق جدِّي وانضباطي وحافظ للسر، كي يعمل سكرتيراً له، يساعده على إعداد البريد وتهيئة التقارير المرفوعة من سائر فروع الحزب في العراق، وأيضاً بريد القيادة القومية، كان ذلك على وجه التقريب، عام ١٩٦٥». (١)

ولنا أن نقدر كيف يكون قدر ومكانة نائب ضابط لم يصل إلى مستوى حزبي رفيع كالقيادة القطرية ويسكن في بيت (لواء) وهي آخر رتبة عسكرية وصلها أحمد حسن البكر، قبل سقوط البعث في أول تجربة للحكم في العراق، فإنها لا تعدو أن تكون بمثابة مهنة نائب ضابط مراسل عند أي ضابط كبير في الجيش العراقي، فضلاً عن أن يكون أمين سر القيادة القطرية، انظر الملحق رقم (٩) في آخر الكتاب.

وكان لهذه الخدمة الدليلة في بيت البكر أثرها الكبير في وصوله من خلال المؤتمر القطري السادس، ومما يؤكد تبني البكر للجزراوي، ما رواه عبد الفتاح الياسين التكريتي «أنه في أحد مؤتمرات الحزب القطرية، قبل ١٧-٣٠ تموز، وزَّع (أحمد حسن البكر) جرياً على عاداته، على العسكريين لائحة بالقياديين المدنيين المفضل انتخابهم.

ويعود السبب في ذلك إلى أن أعضاء المؤتمر العسكريين لا يعرفون هؤلاء المدنيين معرفة كاملة.

ويتابع (عبد الفتاح الياسين): جاءني ذياب العلكاوي مرةً ليسألني (لخاطر الله.. دلني على طه الجزار هذا.. أي معنى آخر، بالله عليك أرني من هو هذا الرجل الذي اسمه (الجزار).. فضحك عبد الفتاح وقال له: إنه طه الجزراوي وليس الجزار». (٢)

(١) جهاد كرم: بعثيون من العراق كما عرفتهم، ص ١٣٦.

(٢) المصدر نفسه: ص ١١٨.

وانتقلت هذه الرواية التي طالما رددتها عبد الفتاح الياسين إلى أسماع جهاد كرم القيادي في حزب البعث، قيادة قطر لبنان، فصار يرددتها هو الآخر كلما التقى ذياب العلكاوي، حتى ضاق الأخير به ذرعاً، وقال له: أنت تريد أن تحبسني.^(١)

وهكذا وفرت الانتهازية والخدمة الذليلة في بيت البكر كل أسباب الظهور لظه الجزراوي، وهو المغمور تماماً طيلة الفترة السابقة، ولم يكن اسمه معروفاً حتى مطلع عام ١٩٧٠، إذ ظهر اسمه في وسائل الإعلام عندما ترأس المحكمة الخاصة لمحاكمة ما سمي وقتها بـ(أعداء الثورة).

لم يظهر اسمه في الفترة التي سبقت انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ حيث برزت أسماء بعثية عديدة، فلم يكن هو ضمن قائمة البعثيين القدماء، ولا من الذين أحيلوا للمثول أمام محكمة المهداوي ممن لهم صلة بعملية اغتيال الزعيم قاسم عام ١٩٥٩، ولا من الأسماء التي ملأت وسائل الإعلام بعد انقلاب ٨ شباط/ ١٩٦٣، من الوزراء وأعضاء المجلس الوطني لقيادة الثورة، وأعضاء القيادة القطرية، وقيادة قوات الحرس القومي، فكان من الأسماء التي فوجئ بها الرأي العام العراقي.

كان ظه الجزراوي محسوباً على البكر يوم كان صدام تابعاً له أيضاً، وفي مرات عديدة شوهد صدام يقوم بمقام المرافق والحرس الخاص للبكر، وفي ليلة ٣٠ تموز ١٩٦٨ وقف صدام ممسكاً بسلاحه خلف البكر.

استطاع صدام بقدرته العجيبة على إخفاء مشاعره الحقيقية ولفترة طويلة من خداع البكر في غمرة تدليله له، وظهوره بمظهر المحب له والمتفاني من أجله، وحرصه الشديد على راحته وعدم إزعاجه، حتى تصور الكثيرون أنها كيان واحد يستعصي على القسمة.

(١) جهاد كرم: بعثيون من العراق كما عرفتهم: ص ١١٨.

وظل صدام في خدمة البكر فترة طويلة حتى تمكن من سلبه كل سلطاته، وهو بسلوكه هذا ينطبق عليه المثل القائل (يتمسكن حتى يتمكن).

وفي تلك الفترة كان صدام يراقب الجزراوي عن كثب، وقد أعجبه كفاءته «وقدراته وميزاته النضالية، غير أنه لم يطمئن إليه تماماً، باعتباره من المحسوبين على البكر.

وبقي تحت مجهر المراقبة إلى أن حسم أمره بوضوح، بانحيازه إلى صدام، وتأييده غير المشروط له»^(١).

يقول طه الجزراوي: «أذكر أنه في أول لقاء لي مع الرفيق صدام حسين عام ١٩٦٦، خلال انعقاد المؤتمر القطري، فوجئت بعد المؤتمر مباشرة أثناء خروجنا من المؤتمر بالرفيق صدام حسين يأخذ بيدي وكأنه يعرفني منذ فترة طويلة، ليحدثني بأمور الحزب الداخلية وظروف الانشقاق وضرورة تجاوز تلك المرحلة.

وبقينا نسير سويةً في فناء الدار التي كنا ننتظر فيها تناول وجبة الفطور بعد انتهاء المؤتمر.. وهو يتحدث معي، وينقل لي أفكاره العظيمة بشكل مركز ومكثف في كيفية مواجهة المنشقين لتطهير صفوف الحزب منهم، خاصة وأنه كان يعرف بأني قد انتخبت عضواً في القيادة خلال انعقاد المؤتمر، دون أن أعرف أنا بذلك»^(٢).

إن بداية النشأة المتشابهة، وفي ظل الظروف الضاغطة عليهما، إذ هما ينتميان إلى عائلتين يجيم الفقر المدقع عليهما، ويعانيان من شظف العيش والحرمان، ويرزحان تحت قهر الإحباط الذي ساقهما إلى التمرد على العائلة والمحيط بالنسبة لصدام، وعلى العائلة والمحلة والمحيط الكردي بأسره بالنسبة لطله الجزراوي، ومارس كل

(١) جهاد كرم: بعثيون من العراق كما عرفتهم، ص ١٣٧.

(٢) طه ياسين رمضان: صدام حسين.. الرفيق والأخ والقائد، ص ٨٥.

منها العنف الدموي في تكريت والموصل وفي أوقات متقاربة، ومع أن أحداً لا يستطيع إغفال أهمية المحيط أو التقليل من أثره في تكوين شخصية الفرد.^(١)

الأمر الذي أدى ببطه الجزراوي إلى القول: «أما بالنسبة لي فأنا أحس به إلى حد بعيد جداً، يمكن بسبب ظروف وحوادث معينة مرَّ بها السيد الرئيس، ومررت أنا بها وكانت عاملاً مساعداً في تقريب روحينا»^(٢).

ويؤكد ذلك في مكان آخر بقوله: «ويمكن ومن الخلفيات التي لدي وعملي السابق وانتمائي إلى عائلة فقيرة، والظروف الصعبة التي مررت بها مع الرفيق صدام حسين، كل هذه جعلتني أحس بأن ثمة شيئاً مشتركاً بيننا، ولكن هذا الشيء لا يمكن أن يكتشفه غيري، بسبب طبيعتي التي لا تجعل المقابل يكتشف بسهولة ما أحس به».^(٣)

مما تقدم نستنتج أن صدام حسين وجد نظيره في الغدر والبطش واستباحة الدماء، فهو بحكم موقعه في الحزب كان مطلعاً على أدوار التنكيل بالمعارضين التي يقوم بها الجزراوي في مدينة الموصل لأنه من غير المعقول أن الناس العاديين -من أقرباء محمد حديد- يعرفون ما يقوم به الجزراوي في الفترة التي تلت حركة الشواف ولا يعرف بذلك صدام حسين، ولا نستبعد أن الأخير وبالتعاون مع أحمد حسن البكر هو الذي هياطه الجزراوي للقيادة القطرية، وكان صدام ينتظر هذا اللقاء بفارغ الصبر، ليكون الجزراوي قريباً منه في القيادة، وأداته في تنفيذ مآربه، وهذا واضح من التوجيه الأول الذي تسلمه طه في كيفية مواجهة المنشقين وتطهير صفوف الحزب منهم، وبعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ وفي أول مواجهة مع

(١) د. علي كمال: النفس انفعالاتها وأمراضها وعلاجها، ص ١٢٠.

(٢) طه ياسين رمضان: صدام حسين.. الرفيق والأخ والقائد، ص ٤٢٦.

(٣) المصدر نفسه: ص ٤٣٥.

ما يسمى بـ(أعداء الثورة) واختيار الجزراوي لرئاسة أول محكمة خاصة بعد أن ضم إلى جانبه ناظم كزار وعلي رضا، وهما من عتاة مكتب التحقيق الخاص عام ١٩٦٣.

أطنب الجزراوي في ذكره للقاء الأول مع سيده، ولم تمر مناسبة المؤتمر إلا وأشار إليه، وفي مجلة آفاق عربية أفاض في ذكر علاقة التعاون والتلمذة على يد سيده التي تعود إلى عام ١٩٦٦، وعلى هامش المؤتمر القطري السادس الذي عُقد في بيت عبد الرحمن سهيل في منطقة أبي غريب^(١)، وفي أعقاب أزمة الحزب، وقد تعاون طه الجزراوي مع صدام التكريتي على محاصرة يسار البعث، وكان يسميهم بجماعة باقر ياسين تقليلاً من شأنهم، بينما كانوا يشكّلون الجناح الأكبر، إن إشارة طه الجزراوي إلى كونهم جماعة باقر ياسين يعني جناح الأقلية أيضاً، وهذا الكلام يناقض ما أكده أمير إسكندر وهو يتحدث عن دور صدام حسين في تلك المرحلة من تاريخ الحزب قائلاً: «إن ما بدا أمامه واضحاً وضوح اليقين أن الحزب في العراق ممزق نفسياً وتنظيمياً، وأنه يعيش أزمة ارتجاج فكري حادة، وأنه منقسم على نفسه في الداخل، وإن كان الانقسام مغطى بنقاب شفاف من الوحدة الخارجية الظاهرية، وكانت الأغلبية، كما رآها، تقتفي آثار تيار (٢٣ شباط-فبراير) على مستوى القيادة أو القاعدة، ولم تكن القيادة نفسها موحدة بحيث يمكنها أن توجه الأمور توجيهاً صائباً في الاتجاه المطلوب، كانت القيادة وقتها تسمى (لجنة قيادة التنظيم) وتضم في عضويتها: عبد الخالق السامرائي، وحسن الذهب، وحسين السامرائي، وسمير النجم، وجعفر قاسم حمودي»^(٢)، ومنذ ذلك الوقت سخر طه الجزراوي نفسه أداة لتحقيق الأهداف التأميرية لـ(صدام)، وعلى أساس ذلك

(١) د. أمير إسكندر: صدام حسين.. مناقلاً ومفكراً وإنساناً، ص ١٠٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٧.

«انتُخبت القيادة القطرية الجديدة في تلك الليلة، وكانت ممثلة في: أحمد حسن البكر، صدام حسين، كريم الشيخلي، صالح مهدي عمّاش، طه الجزراوي، عبد الخالق السامرائي، صلاح عمر العلي، عزت مصطفى، عبد الله سلوم».^(١)

«وبدت خريطة القيادة حينذاك على هذه الصورة، أحمد حسن البكر (أميناً للسر) وصدام حسين نائباً لأمين السر، وتولى أيضاً مسؤولية فرع بغداد، والتنظيم النسائي والفلاحي، بينما تضمن التنظيم العسكري: أحمد حسن البكر، وصالح مهدي عمّاش، وطه الجزراوي، وتسلم صلاح عمر العلي مكتب العمال، وتولى عبد الخالق السامرائي مسؤولية الاتصال الخارجي، وعزت مصطفى المكتب المهني، أما مسؤولية الجهاز الخاص - الذي أطلق عليه فيما مضى اسماً حركياً هو (حنين) - فقد تمّ تشكيله بطريقة أخرى، على أساس أن يكون (جهازاً صدامياً) يتكون من المدنيين، وتولى مسؤوليته صدام حسين نفسه».^(٢)

«والذي حدث أن صدام حسين استخدم ذلك التكليف للهيمنة على الجهاز القديم (حنين) والجديد (المخابرات العامة)، وتسخيرها لمصلحه الخاصة، عن طريق تعيين أقاربه وأشخاص آخرين معروفين بدمويتهم وله معهم علاقات وثيقة في المناصب الرئيسية في هذين الجهازين اللذين استُخدما لاحقاً في تصفية منافسي صدام وخصومه في الحزب والدولة».^(٣)

بدأ صدام في بناء أجهزته الأمنية بعد أن اتخذ له مكتباً قريباً من مكتب البكر في القصر الجمهوري، وكان يتردد عليه ناظم كزار وسعدون شاكر ومحمد فاضل،

(١) د. أمير اسكندر: صدام حسين.. مناظلاً ومفكراً وإنساناً: ص ١٠١.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٠١.

(٣) صحيفة الشرق الأوسط، العدد (٥٣٤٦) الصادر يوم الأحد ١٨/٧/١٩٩٣ لقاء مع السيد صلاح عمر العلي.

وعلي رضا باوه، ومن هؤلاء شكّل مكتب العلاقات ومن ثم المخابرات العامة، واختار ناظم كزار مديراً عاماً للأمن، وسعدون شاكر رئيساً للمخابرات.

وبعد أن انقلب ناظم كزار على أسياده (البكر-وصدام) أُعيد تشكيل خارطة الأجهزة الأمنية على أساس عشائري، فصارت كلها ملكاً صرفاً لأبناء قرية العوجة دون غيرهم إلى أن تهاوت عروش حكومة بعث العراق في نيسان عام ٢٠٠٣.

كان المؤتمر القطري السادس حدثاً مهماً بالنسبة للثنتين (صدام وطه) إذ التحق بمحور (البكر-صدام) في القيادة القطرية ملتحقاً بجديد يتميز بالطاعة والانقياد ولا يتأخر عن تنفيذ الأوامر الصادرة، وكانت باكورة أعماله التي تبلورت ونضجت بعد انفضاض المؤتمر وتوزيع المسؤوليات مباشرة، هي محاصرة عبد الخالق السامرائي وانتزاع جزء من مسؤولياته الحزبية، وهذا ما كتبه طه الجزراوي نفسه:

«أصدرت القيادة القطرية بعد اجتماعها الأول قرارات بتوزيع المهام الحزبية على الرفاق من أعضاء القيادة، وكان هناك قرار بأن تناط مسؤولية مكتب الاتصال (تنظيمات المحافظات عدا محافظة بغداد) بي إضافةً إلى مسؤوليتي في المكتب العسكري لأن المتآمر عبد الخالق السامرائي كان في السابق مسؤولاً عن مكتب الاتصال، ثبت عدم أدائه لمسؤولياته على النحو المطلوب، بحيث استطاع بعض المنشقين أن يقوموا بدور تحريبي كبير داخل الحزب، لسوء إدارة عبد الخالق للعمل الحزبي ولتساهله مع ظهور تلك الحالات المرضية غير السليمة.

وبعد اتخاذ هذا القرار الذي تم في ضوء تقديم مقترح من الرفيق صدام حسين نائب أمين سر القطر، أظهر عبد الخالق السامرائي عدم ارتياحه للقرار، وبدأ يتغيب عن حضور عدد من اجتماعات القيادة متمرداً على قرار القيادة، في حين

أن تغيير المواقع الحزبية والمسؤوليات الحزبية أمر طبيعي في كل حزب ثوري، وقد أنيطت بالفعل به مسؤولية أخرى غير مسؤولية مكتب الاتصال.

وإزاء هذا التصرف غير الطبيعي قرر الرفيق صدام حسين أن يمنحه فرصة تعديل موقفه السلبي، وطلب مني أن أذهب إليه وأحثه على الالتزام بواجباته الحزبية، رغم أن عدداً من الرفاق في القيادة كانوا في حينها غير راضين على تصرفه وغير ميالين لنصححه أو منحه فرصة لتصحيح موقفه، وفعلاً قمت بالتكليف بناءً على رغبة وتوجيه الرفيق صدام حسين لاعتقاده بإيجابية العلاقة الشخصية التي كانت بيني وبينه في حينها، ولكي يسهل مهمة إقناعه (بالعودة) إلى العمل، وتمكنت من إعادته إلى الالتزام بحضور اجتماعات القيادة»^(١).

الكلام المتقدم يغنينا عن البحث في النوايا والدوافع والأهداف.

التأمر على الرفاق القياديين

إن خريطة توزيع المهام الحزبية الأنفة الذكر، كرسّت روح الاستئثار لدى صدام التكريتي، فقد حصد أهم المواقع خطورة، في الوقت الذي ينفي أحد أعضاء القيادة المذكورة كون صدام قد اضطلع بدور متميز فيها، وحتى عندما ناقشت هذه القيادة استحداث موقع نائب رئيس مجلس قيادة الثورة بعد عدة أشهر من انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، «كان أكثرنا متوافقاً على ترشيح صالح مهدي عمّاش لأسباب عديدة منها أنه - بعد البكر - الأكبر سنّاً بيننا، وأقدمنا في عضوية قيادات الحزب القطرية والقومية، وهو عسكري، وذو خبرة في شؤون الدولة، وكان له دور بارز في انقلاب ١٩٦٣، والانقلاب الأخير»^(٢).

(١) طه ياسين رمضان: صدام حسين الرفيق والأخ والقائد، ص ٦٣-٦٤.

(٢) صحيفة الشرق الأوسط: العدد (٥٣٤٦) الصادر يوم الأحد ١٨/٧/١٩٩٣ لقاء مع السيد صلاح عمر العلي.

ولكن البكر وصادم، تأمرا على صالح مهدي عمّاش وعملا على إقصائه وحالا بينه وبين موقع نائب رئيس مجلس قيادة الثورة في خطة خبيثة، استعرضنا فصولها عند الحديث عن عزت إبراهيم الدوري^(١)، الذي كان ضالعا فيها أيضاً، إضافة إلى طه الجزراوي وعبد الكريم الشيخلي، وقد مر بنا الحديث عن هذه الخطة ثانية في الفصول المتقدمة، وبعد ذلك الإقصاء المتعمد صفا الجو لصادم التكريتي ليحتل هذا الموقع.

بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ شكّل مجلس قيادة الثورة من الأسماء التالية:

- ١- أحمد حسن البكر (تكريتي)
- ٢- عبد الرزاق النايف (عاني)
- ٣- إبراهيم عبد الرحمن الداود (عاني)
- ٤- صالح مهدي عمّاش (بغداد)
- ٥- حردان عبد الغفار (تكريتي)
- ٦- حماد شهاب (تكريتي)
- ٧- سعدون غيدان (عاني)

وعند استعراض أسماء الأعضاء السبعة المذكورين لم نقف على اسم صدام حسين التكريتي بينهم.

واختُزل المجلس إلى خمسة أعضاء بعد انقلاب بعث العراق على النايف والداود، وإقالتها من عضوية المجلس ورئاسة الوزارة ووزارة الدفاع، بعد أسبوعين فقط من توليها للمناصب المذكورة.

(١) طالب الحسن: عزت إبراهيم الدوري.. الصنم، ص (١٤-١٥).

وظل صدام بعيداً عن مجلس قيادة الثورة لمدة عام وأربعة أشهر، حتى أُعلن رسمياً في يوم ١٧ تشرين الثاني ١٩٦٩، عن «تشكيل مجلس قيادة الثورة في العراق من خمسة عشر عضواً برئاسة الرئيس أحمد حسن البكر، بدلاً من خمسة أعضاء.

ويضم التشكيل الجديد لمجلس قيادة الثورة -طبقاً للتعديل الذي أُدخل على الدستور- خمسة أعضاء أصليين هم: الرئيس أحمد حسن البكر، والفريق أول صالح مهدي عماش، والفريق حردان عبد الغفار، والفريق حماد شهاب، والفريق سعدون غيدان.

وقد أضيف إليهم عشرة أعضاء منهم السيد صدام حسين الذي انتخب نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة، والسادة: طه الجزراوي، وعبد الكريم الشيخلي، وعزت الدوري، ومرتضى الحديثي، وصلاح عمر العلي، وشفيق الكمالي، وعبد الله سلوم السامرائي، وعزت مصطفى، وعبد الخالق السامرائي»^(١).

إن صداماً الذي سعى سعيه في وصول طه الجزراوي إلى القيادة القطرية، كان على يقين بأن الأخير على شاكلته في أمور كثيرة وبالأخص في مزايا نفسية يتشابه فيها الاثنان مثل الكراهية والحسد والحقد، وكان صدام بحاجة إلى رجل يقف إلى جانبه، ويتصف بالعدوانية والتآمر ولا ينجو من كيدته حتى رفاق الدرب، وفي حادثة يرويها الجزراوي نفسه، وهو يبدو فيها محرضاً ومؤلباً على رفاقه، بعد أن بنى أحكامه على أوهام وشكوك لا تصدر إلا عن نفس مريضة، فهو يقول: «أثناء مؤامرة عام ١٩٧٩ التي نفذها بعض القياديين في الحزب أيضاً، وخلال أهم مرحلة في تاريخ العراق، تلك هي مرحلة تسلم الراية والمسؤولية القيادية الأمامية في الحزب والدولة من الأب القائد، حيث فوجئنا وبحضور الأب القائد أحمد حسن البكر وقبل تسليم الراية ببضعة أيام بالمتآمر عبد الحسين الشمري

(١) الأهرام، السنة (٩٥) العدد (٣٠٢٩٣) في ١٨/ تشرين الثاني/ ١٩٦٩.

يقوم بطرح بعض الأمور التي تستهدف تأخير تسلم الرفيق صدام حسين الراية
الأمامية، رغم أن القرار قد اتُّخذ، وأن الأب القائد قد أعلن شخصياً عن استعداده
للتنازل عن مسؤولياته في الحزب والدولة بسبب مرضه، وهو أمر سبق أن طرح
منذ سنوات.

وهنا لا بد من ذكر بعض الحقائق، فقد كانت لدي بعض الملاحظات الأساسية
حول الشمري وغيره من الذين انكشف تأمرهم وتواطؤهم مع المتآمرين بعد
ذلك، ويعرف ذلك رفاقي وأخي وقائدي، لأنني كنت أعلمه بما أعتقد به، بما في
ذلك الأمور التي لا يمكنني الحديث عنها مباشرة في القيادة.

وأذكر هنا أن الرفيق صدام حسين اتصل بي هاتفياً عقب الاجتماع الأول
للقيادة بعد طرح عبد الحسين الشمري، فقلت لسيادته بأن هذا الشخص ليس
وحده في ميدان التآمر، وإنما أعتقد بأن معه آخرين من القياديين وهم كل من
عدنان الحمداني ومحمد عايش وغانم عبد الجليل، فرد علي الرفيق صدام حسين
وبصيغة ودية إنك تظلمهم، وشعرت بأن لديه نفس الانطباع ولكنه وكعادته لا
يريد التعجل في مثل هذه الأمور، ويعطي آخر فرصة لرفاقه في تجاوز أخطائهم،
بما يتمتع به من صفة إنسانية لا يمكنني أن أمتلكها.

وإنني لربما شخصت هؤلاء لأنني لا أطمئن إليهم، وهو يعرف بأنني بالفعل
لم أكن أطمئن إليهم.

ولكن نظرة الرفيق صدام حسين حول هذا الموضوع تغيرت بعد الاجتماع
التاريخي الذي عقد يوم ١٣ و ١٦ تموز عام ١٩٧٩، حيث اعترف عبد الحسين
الشمري بالتآمر وكشف عن شركائه بعد أن صرخ الرفيق صدام حسين بوجهه
(اجلس نحن نعرف مع من تتعاون) وكانت صرخة الحق التي أسقطت المتآمرين

في الفخ، وعلى النحو الذي أعلن عنه في حينه»^(١).

إن مقربين من عائلة الجزراوي يؤكدون بأنه كما تنكر لأصله الكردي وقطع كل أواصر الصلة بينه وبين أبناء قوميته الكردية، كذلك تنكر لوالديه وعائلته، ولم يرع أصول العلاقة معها مبتعداً عن كل ما يذكره بها، ضارباً عرض الحائط الحقوق المترتبة جرّاءها عليه، وهو بهذا العقوق الفاضح يدلنا على المستوى الهابط من السلوك والأخلاق الرديئة التي وصل إليها عدد من قادة حزب البعث.

وهو عندما يتحدث عن رفاقه الذين نهلوا من مدرسة ميشيل عفلق وتربوا جميعاً على مفاهيمها وأفكارها، ولكنهم في نهاية المطاف اختلفوا مع سيده صدام، نراه ينزل عليهم حم كلماته النارية ويصفهم بفاقدي الأخلاق والقيم، ويقول فيهم:

«وبعد هذه المؤامرة، اكتشفنا أي منزلق خطير وأي مستنقع وسخ كان يعيش فيه هؤلاء المتآمرون، رغم ما وصلوا إليه من مراكز حساسة في قيادة الحزب والدولة، ذلك لأنهم بحاجة إلى قيم المبادئ وأخلاق الرجال الشجعان، إذ ماذا ننتظر من أحدهم وهو المتآمر محيي الشمري، كان يستخدم والده الرجل العجوز سائقاً لديه يأمره بفتح الباب عند النزول من السيارة، ومن الآخر المتآمر غانم عبد الجليل كان يعتدي بالضرب على والده الرجل العجوز أمام مرأى ومسمع من الناس أمام الدار»^(٢).

ولكن هذين القياديين اللذين ظهرت على تصرفاتهما عقوق الوالدين بشكلها السافر وبحسب الرواية المتقدمة لم يعاقبهما حزب البعث عليها، ولم نسمع أو نقرأ أن بعث العراق قام بإلفات نظرهما إلى هذه المخالفة الأخلاقية، وظلا يمارسان

(١) طه ياسين رمضان: صدام حسين الرفيق والأخ والقائد، ص ١١٤، ١١٥، ١١٦.

(٢) المصدر نفسه: ص (٤٧٠-٤٧١).

عملها القيادي بكل سطوة وسلطان، وكان غانم عبد الجليل منذ عام ١٩٧٤، عضواً في القيادة القطرية ومن ثم مديراً لمكتب النائب (صدام) وكان من المقربين لديه حتى الإعلان عن المؤامرة، وكذلك محيي عبد الحسين الشمري الذي دخل القيادة القطرية عام ١٩٧٧، وصار أمين السر العام لمجلس قيادة الثورة بعد ذلك، وظل هو الآخر يمارس سلطاته الحزبية والرسمية حتى يوم الإيقاع به.

مجزرة ١٩٧٩/٨/٨

في مجزرة ١٩٧٩/٨/٨، التي نفذ فيها الرفاق القتلة حكم الإعدام بمجموعة (محمد عايش - عدنان حسين) في منطقة قريبة من أم الطبول^(١) ببغداد، وبعد أن نفضوا ما علق بأيديهم من دماء ودخان وتراب جرّاء المجزرة الرهيبة، سُوهّد (طه الجزراوي) يمسك بيد صدام ويرفعها إلى أعلى، ويمسك بالأخرى (عزت إبراهيم الدوري) ويرفعها أيضاً إلى الأعلى، وهكذا بقية القتلة يمسكون بأيدي بعضهم البعض ويقفون صفّاً واحداً على إحدى شرفات القصر الجمهوري، مرفوعة أيديهم للإيحاء إلى الرأي العام بأنهم متضامنون جميعاً (وكانهم بنيان مرصوص)، وأن الذي حدث شيء طارئ لا يؤثر على مسيرة الحزب.

الرزاز يلقي حتفه بوشاية طه

لعب (طه الجزراوي) دوراً أساسياً في صنع أحداث المرحلة التي تلت ذلك، سواء كان ذلك في شلال الدم الذي بلغ ذروة عنفوانه، أو بإشعال البارود في كل المنطقة، أو في تصفية الحساب مع قادة الحزب الحاكم في العراق ومفكريه، وفي واحدة من تلك القصص الغريبة والمؤامرات الدنيئة التي يبدو فيها دور (طه الجزراوي) واضحاً جلياً، هي قصة تأمره على الدكتور منيف الرزاز، الذي انتقل

(١) تايه عبد الكريم: مذكرات تايه عبد الكريم، ص ٨٧.

من عمان إلى بغداد ليمارس مهامه عضواً في القيادة القومية، وظل فيها حتى بعد انتخابه أميناً عاماً مساعداً للحزب في المؤتمر القومي الحادي عشر المنعقد في بغداد عام ١٩٧٧^(١)، وبعد مرور عامين على تاريخ انتخابه «وفي آب ١٩٧٩ نُحي عن هذا المنصب إثر استيلاء (صدام حسين) على رئاسة الدولة والحزب في العراق»^(٢) بعد مجزرة آب التي راح ضحيتها عبد الخالق السامرائي، وعدنان حسين، ومحمد عايش، ومحمد محبوب وغيرهم آخرين.

كان (طه الجزراوي) و(طارق عزيز) السبب المباشر في إقصاء الأمين العام المساعد للحزب، وما جرى عليه فيما بعد.

تلقت (منيف الرزاز) حوالياً «فوجد عدداً كبيراً من أعضاء قيادة الحزب وكوادره وأعضائه وهم يتساقطون بين قتيل وسجين ومطارد، وهو الأمين العام المساعد للحزب لا يعرف ما يجري وماذا يدور؟»^(٣).

ذهب منيف الرزاز إلى مبنى القيادة القومية، واستدعى عدداً من أعضاء القيادة

(١) حراس الوطن: العدد الحادي عشر، السنة الثانية والعشرون، تشرين الثاني ١٩٧٧.

عُقد المؤتمر القومي الحادي عشر مطلع تشرين الأول عام ١٩٧٧ ببغداد، وانتخب ثلاثة عشر عضواً للقيادة القومية هم:

١- ميشيل عفلق	٢- أحمد حسن البكر	٣- صدام حسين
٤- شبلي العيسمي	٥- منيف الرزاز	٦- عبد المجيد الرافعي
٧- علي غنام	٨- قاسم سلام	٩- بدر الدين مدثر
١٠- عزت إبراهيم	١١- طه ياسين رمضان	١٢- نعيم حداد
١٣- طارق عزيز		

ومن بينهم تم انتخاب ميشيل عفلق أميناً عاماً، والبكر نائباً للأمين العام وصدام حسين والعيسمي والرزاز أمناء مساعدين.

(٢) د. جليل العطية: فندق السعادة، ص ٢٠٦.

(٣) صحيفة بغداد، العدد (٢٣١) في ٢/ حزيران/ ١٩٩٥ م - الموافق ٤/ محرم/ ١٤١٦ هـ.

القومية من العراقيين كان بينهم (طه الجزراوي) و(طارق عزيز) وأبلغهم بالنص: «إن النظام الداخلي للحزب يشير بصراحة إلى تقديم العضو الحزبي إلى محكمة حزبية للنظر في موقفه وانتهاكاته وحتى جرائمه، وعند إدانته حزبياً وطرده أو فصله من الحزب تتخذ بحقه الاجراءات الأخرى ذات الطابع الجنائي».^(١)

وبعد سماع هذه المطالب اتفق (طه الجزراوي) و(طارق عزيز) على الإطاحة برفيقهما القديم (منيف الرزاز)، وسارعا إلى إبلاغ سيدهما صدام «الذي لم يمض على تربعه على الموقع الأول في الدولة والحزب غير أيام»^(٢)، وبعد أن أوغرا صدر الرئيس على رفيقهما الرزاز امتلاً قلبه حقداً عليه وكاد أن يقتله.

وفور سماعه لهذه المطالب ومواجهته بها من قبل (طه الجزراوي) و(طارق عزيز)، استشاط صدام غضباً وقرر الانتقام من (منيف الرزاز)، ودفع إليه أحد مساعديه (أرشد ياسين الرشيد) وهو نائب ضابط سابق (مفوض) في الشرطة، ومن أشد أبناء القرية فظاظاً وغلظة «وقد أعلن (أرشد ياسين)... أنه كُلف باعتقال (الرزاز)، وعند إدخاله في السيارة ضربه بأخمص المسدس على رأسه ضربة قاتلة»^(٣)، ويضيف أرشد ياسين الرشيد التكريتي^(٤) عند زيارته ل لندن، وهو في حالة سكر وأمام مدعويين من أصدقائه قائلاً: «إن الرزاز لم تقم له قائمة بعد تلك الضربة».^(٥)

(١) صحيفة بغداد، العدد (٢٣١) في ٢/ حزيران/ ١٩٩٥م - الموافق ٤/ محرم/ ١٤١٦هـ.

(٢) المصدر نفسه ونفس العدد.

(٣) عدنان الأمير، بقية الصوت، ص ١٩٨.

(٤) إن أرشد ياسين الرشيد ينتمي إلى البونجم أحد فروع البيجات عشيرة الرئيس صدام، فهما أبناء عمومة إضافة إلى رابطة المصاهرة، لأن أرشد متزوج من نوال إبراهيم الحسن أخت صدام غير الشقيقة.

دفعه صدام للانتقام من مفكر الحزب منيف الرزاز، وهو يفتخر بأن سدد للرزاز ضربة قاتلة.

(٥) عدنان الأمير، بقية الصوت، ص ١٩٨.

وكاد صدام يقضي على حياة الرفيق المخضرم لولا توسلات (ميشيل عفلق)، وأخيراً تنازل صدام «وأبقى على حياة (الرزاز) مكتفياً بفرض الإقامة الجبرية عليه في منزله ببغداد، كانت أقصى حرية يتمتع بها (مفكر الحزب) السير خطوات قليلة في حديقة الدار، ورش ورودها بالماء غير أن صداماً لم يرق له بقاء هذا (الأصلع) كما كان يسميه على قيد الحياة»^(١).

وعن أجواء المحنة والمعاناة التي مر بها الدكتور (منيف الرزاز) بعد احتجازه «تقول زوجته السيدة (أم مؤنس) أن سنوات الاحتجاز التي جمعتها مع زوجها، كانت أقسى السنوات، فقد وضع (برزان التكريتي) مرتزقته داخل الدار يشاركون الأمين العام المساعد السابق وزوجته حياتهما ويحسون عليهما أنفاسهما، حتى عندما يخلدان إلى النوم في الليل، كان اثنان من الحراس يتناوبان الحراسة أمام غرفة النوم، وكان ممنوع على الزوجين تناول الطعام بمفردهما، وممنوع عليهما القراءة والكتابة، حتى كتابة الرسائل إلى ولديهما البعيدين، وتدخل عدد من رؤساء الدول من أجل إطلاق سراح الحزبي القديم صاحب (التجربة المرة) في هذا الحزب، ولكن صدام سدّ أذنيه عن سماع كلمات المناشدة والرجاء»^(٢).

«وفي أحد أيام ١٩٨٤ فارق الرزاز الحياة متأثراً بـ(الثالوم المحسن) الذي دسه له (بطل القادسية) بواسطة أحد مرتزقته، ونُقلت جثة الضحية إلى عمان بحراسة عناصر مخابرات النظام، ليشيع هناك تشييعاً رسمياً دون التطرق إلى (ظروف الوفاة) وطبيعتها»^(٣).

(١) د. جليل العطية: فندق السعادة، ص ٢٠٦.

(٢) صحيفة بغداد، العدد (٢٣١) في ٢/ حزيران/ ١٩٩٥م - الموافق ٤/ محرم/ ١٤١٦هـ.

(٣) د. جليل العطية: فندق السعادة، ص ٢٠٦.

«وتكريماً لذكراه، كرّست رابطة الكتّاب الأردنيين جائزة فكرية للدراسات القومية باسمه».^(١)

إن الكتّاب الأردنيين قدّروا الرجل لدراساته القومية، أما رفاقه في بغداد (صدام التكريتي) و(طه الجزراوي) و(طارق عزيز) فقد جرّعوا قائدهم القومي الموت غصة بعد غصة.

الانقلاب الأسود

وتشكيلة القيادة القطرية آنفة الذكر هي التي خططت لاستلام السلطة من الفريق عبد الرحمن محمد عارف رئيس الجمهورية السابق، وفي الساعات الأولى من صباح ١٧ تموز ١٩٦٨، «كان الرفاق الذين حددتهم القيادة، في الأماكن التي خصصت لتجمعهم، ينتظرون الأمر بالتحرك، بينما كان أعضاء القيادة نفسها، قد تكامل عددهم في منزل كريم النداء، حيث ستنتقل منه بعد لحظات فرقة الهجوم الأولى على القصر الجمهوري، كانوا جميعاً في ملابسهم العسكرية الحقيقية أو (الزائفة) وبينهم كان يقف الملازم صدام حسين، وخلفه تماماً يقف الملازم (برزان) -أخوه- الذي أصر على أن يصحبه وهو في الثامنة عشر من عمره.

وفي الثانية وخمسة وأربعين دقيقة، تحركت سيارة (مارسيدس) بيضاء يقودها صاحبها (حردان التكريتي) وإلى جواره (أحمد حسن البكر) ومن خلفهما (صالح مهدي عمّاش)، من أمام بيت (النداء) وتحرك من ورائها مباشرة لوري عسكري يحمل صدام حسين، وبقية أعضاء القيادة، فضلاً عن مجموعة قليلة من الرفاق الآخرين، بينهم برزان، جعفر الجعفري، ذياب العلكاوي وعزة الدوري، الذي زعم أنه خبيرٌ وقتها في قيادة الدبابة، حتى لا تفوته المشاركة في الهجوم على القصر،

(١) د. عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، الجزء السادس، ص ٣٦٣-٣٦٤.

وكان أحمد حسن البكر هو قائد الحملة، وعلى رأس الموكب الصدامي.

وما أن اقترب الموكب من باب كتيبة الدبابات حتى لاح وجه (سعدون غيدان) وهو واقف ينتظرهم، وفجأة صاح (سعدون) في الحرس الخاص بباب الكتيبة: قف! هؤلاء جماعتنا! افتح الباب دعهم يدخلون!... إلى الأمام»^(١).

التراشق بالكلمات الساخرة

هذا هو ملخص قصة انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ التي رواها (صدام حسين) وأملاها بنفسه على (أمير إسكندر)، ومن خلالها يبدو أن الصنفقة السياسية كانت رابحة، وقد جرى الإعداد لها وراء الكواليس، وفي مطابخ الدوائر البريطانية والأمريكية، وقُدمت لهم على طبق من ذهب، لتجري عملية الاستلام والتسليم للسلطة بين العملاء، ولم تُسفك فيها قطرة دم واحدة، ولذلك سميت بالثورة البيضاء، ولولا ذلك لما سقطت قوات الحرس الجمهوري المدججة بالسلاح بحملة من المدنيين الجهلة، الذين يفتقدون معرفة أبسط الأمور العسكرية، وكل ما يمت بصلة للعمل العسكري، يحملهم لوري عسكري، ويجلس في مقاعده الأمامية نائب الضابط (طه الجزراوي) عضو القيادة وعضو المكتب العسكري.

وعن دور (صدام) في هذه الحملة يقول الجزراوي: «إن دور صدام في انقلاب ١٧ تموز، لا يعدو أن يكون دور الجندي على شاحنة عسكرية، يقودها ضابط اسمه (طه الجزراوي)، وصدام يصف صاحبه بأنه فارغ، ومنفوخ، وهزيل»^(٢).

(١) د. أمير إسكندر، صدام حسين مناضلاً ومفكراً وإنساناً، ص ١١١.

(٢) صحيفة الجهاد: العدد ٨٣ في ١١ رجب ١٤٠٣ هـ الموافق ٢٥/٤/١٩٨٣ من ملف مكون من حلقات كتبه حسن العلوي.

«في تشرين الثاني- نوفمبر- ١٩٦٩ عُيِّن (طه الجزراوي) عضواً في مجلس قيادة الثورة».^(١)

«أمضت السلطة الجديدة في بغداد، الأشهر المتبقية من السنة التي أعقبت ٣٠ تموز/ يوليو عام ١٩٦٨، في سباق مع الزمن، لتثبيت حكمها والتصدي لمناهضيها بقوة وقساوة دون أي تساهل أو رحمة.

اندرج في هذا الباب، موضوع العلاقة مع الحزب المنافس واللدود في سوريا، تشكل مكتب، ألحق بالقيادة القومية، أطلق عليه المكتب السوري، تولى المسؤولية فيه عضو قيادة قطر العراق، طه ياسين رمضان وكان نائب ضابط في الموصل، انتدبه القيادة التي هو عضو فيها، قبل التغيير في ١٧ - ٣٠ تموز (يوليو) ليكون أحد معاوني ومساعدتي الرئيس أحمد حسن البكر أمين سر الحزب آنذاك.

اعتُبر من العناصر المغرقة في الجدية والعناد والبعيدة عن المساومة والحوار وتفهم الرأي الآخر، كانت له مشاغل عديدة إضافةً إلى مسؤولياته في القيادة القطرية، فقد كان قائداً للجيش الشعبي، ووزيراً للصناعة، ورئيساً لعدد من اللجان الأمنية التي حققت مع الذين قاوموا الحزب وما تهاونوا، رغم قسوة النظام ودمويته، وشرعوا يتحدثونه من خلال التخطيط لقلبه والخلاص منه، البعثيون السوريون المقيمون في بغداد والعناصر الوطنية والقومية المعادية للبعث السوري والسلطة في دمشق، اعتبروا أن تعيين طه الجزراوي لحمل هذا الملف، يعني أن القيادة في العراق غير متعجلة في مسار التغيير للنظام بسوريا، هذا كي لا يقال أنها غير مهتمة.

وعليه فإن هذا الضجيج الإعلامي والنشاط الاستخباراتي، ما هو إلا محاولة لإبقاء الأمر في نطاق عناوين الدعاية».^(٢)

(١) د. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، الجزء الثالث، ص ٧٨٨.

(٢) حسن صبرا: سورية: سقوط العائلة.. عودة الوطن، ص (٤٤٢-٤٤٣).

الكذاب الأشهر

ولعل من المناسب أن ندون هذا الحادث الذي كان عضو مجلس قيادة الثورة السابق (صلاح عمر العلي) أحد شهوده، إذ يقول:

«في أحد أيام ربيع سنة ١٩٧٠، تلقيت معلومات تفيد بأن (الدكتور شامل السامرائي) -وهو شخصية معروفة سبق له أن شغل منصب وزير الداخلية معتقل وقد تعرض لتعذيب شديد في (قصر النهاية)، طرحت الموضوع في اجتماعات (مجلس قيادة الثورة) الذي كنت أحد أعضائه يومذاك، واعترف صدام حسين بأن (السامرائي) معتقل، ولكنه نفى أن يكون قد تعرض للتعذيب!!.

ودار نقاش في (الجلسة) حول ضرورة إطلاق سراحه، والتأكد من سلامته من التعذيب، وأخيراً تم الاتفاق على إطلاق سراحه في اليوم التالي، على أن يتوجه إلى (القصر الجمهوري) عددٌ من (أعضاء المجلس) لفحصه، وتم اختياري -أنا صاحب الشكوى- مع عضو آخر هو (طه ياسين الجزراوي)، ذهبنا في اليوم المحدد، وإذا بي أجد (الدكتور شامل) في حالة إعياء شديد، فأصررت على كشف ملبسه، وإذا بي أجد آثار التعذيب على معظم أنحاء جسده! كان ظهره شبه مكسور، ورفض الكلام خوفاً من إعادته إلى (قصر النهاية)!. وعندما حضرنا اجتماع (المجلس) لتقديم شهادتنا زعم (الجزراوي) أنه وجد (الدكتور شامل) سالماً معافى، خلافاً لشهادتي التي أغضبت صداماً وجماعته»^(١).

مما تقدم نستنتج أن هذا الكذاب الأشهر يمكن أن يستمر طويلاً، ما دام يجيد التزلف والانحناء للدكتاتور، ويسير على نهجه في سفك الدماء، شأنه شأن حفنة من المأجورين والدجالين التي تحفُّ به في القيادة القطرية ومجلس قيادة الثورة.

(١) د. جليل عطية: فندق السعادة، من مقدمة الكتاب، بقلم السيد صلاح عمر العلي، ص ٧.

وزير لأول مرة

في آذار - مارس ١٩٧٠ عُيِّنَ الجزراوي وزيراً للصناعة، وبقي في هذا المنصب إلى أن عُيِّنَ وزيراً للإسكان عام ١٩٧٦.^(١)

وفي الفترة التي أعقبت تعيينه وزيراً، بالغ الجزراوي في حقه على حملة الشهادات من الوزراء البعثيين وبالأخص الدكتور جواد هاشم وزير التخطيط المتسبب لحزب البعث منذ منتصف الخمسينات، وكذلك لم يسلم من حقه وتقاريره الدكتور فخري قدوري وزير الاقتصاد، وهو من أوائل البعثيين في العراق حيث تسلم مسؤولية التنظيم البعثي في العراق عام ١٩٥٢، وكان ذلك قبل أن ينتمي الجزراوي للحزب، وقد بلغ الحقد والكراهية لديه أعلى مناسبيها عندما كتب تقريره إلى رئيس الجمهورية، أحمد حسن البكر «يتهم فيه وزير الاقتصاد الدكتور فخري قدوري وجميع المدراء العاملين في وزارة الاقتصاد، بالرجعية والتآمر لعرقله مسيرة (النهضة) الصناعية التي يحاول، هو، دفعها إلى الأمام، مبيناً في ذلك التقرير كيف أن وزارة الاقتصاد تتأخر في منح إجازات الاستيراد للصناعيين من القطاع الخاص.

ولم يجد البكر مفرأ من الدعوة إلى اجتماع موسع في القصر الجمهوري برئاسته، حضره الدكتور قدوري ومدراؤه العامون وطه الجزراوي ومستشاروه في وزارة الصناعة.

تحدث الجزراوي في مستهل الاجتماع، عن مشكلته قائلاً: إن وزارة الاقتصاد

(١) د. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، الجزء الثالث، ص ٧٨٨.

وكذلك يراجع:

طه ياسين رمضان: صدام حسين الرفيق والأخ والقائد، ص ٥٦٨، والملحق رقم (١٣) في آخر الكتاب.

تتعهد تأخير منح إجازات الاستيراد للقطاع الصناعي الخاص لاستيراد المواد الأولية والمكائن والمعدات، وقد سبب هذا التأخير نفور القطاع الخاص من الاستثمار، وزعزع الثقة بالثورة والقيادة، ثم انتقل الجزراوي في حديثه لبيتهم المدراء العاميين لوزارة الاقتصاد بالتخلف والطائفية، ثم صمت.

التفت البكر نحو وزير الاقتصاد، وطلب منه الإجابة عن اتهامات الجزراوي، فتح وزير الاقتصاد حقيته بكل هدوء، وأخرج حزمة من الأوراق هي مجموع المراسلات بينه وبين وزير الصناعة، وبدأ يقرأ: الرسالة الأولى من الجزراوي إلى وزير الاقتصاد، يستفسر فيها عن أسباب تأخير منح إجازات الاستيراد للصناعيين في القطاع الخاص، مردداً اتهاماته للوزارة، الرسالة الثانية: جواب وزير الاقتصاد، وبدأ الدكتور قدوري بقراءة الجواب سطرأ سطرأ، بهدوء واتزان، وكان كلما أنهى سطرأ من رسالته إلى وزير الصناعة، غاص الجزراوي (بوصة) في مقعده) والعرق يتصبب منه.

كانت رسالة الدكتور قدوري للجزراوي صفة قوية، نزلت على رأس وزير الصناعة، وكشفت جهله، وخلاصة الرسالة، أن ادعاءات وزير الصناعة لا صحة لها على الإطلاق، أو لا دخل لوزارة الاقتصاد بالقطاع الصناعي الخاص واستيراداته، فالقطاع الصناعي الخاص يتبع دائرة تسمى (مديرية التنمية الصناعية) التابعة لوزارة الصناعة مباشرة، وصلاحيه منح إجازات الاستيراد هي للمدير العام للتنمية الصناعية المرتبط بوزير الصناعة، وليس بوزارة الاقتصاد.

سكت الجزراوي، ولم يستطع إجابة البكر الذي التفت إليه قائلاً: يارفيق طه، هل الأمر وضع الآن؟ وزارتك هي المسؤولة وليست وزارة الاقتصاد.

وانفض الاجتماع، وغادر الجميع قاعة الاجتماعات باستثناء الدكتور قدوري الذي طلب منه الرئيس الانتظار برهة.

أخذ البكر بيد قدوري، وتوجها معاً إلى مكتب البكر في الطابق الأرضي،
(وبدأ البكر محاولة) التخفيف من حدة الأزمة التي خلقها الجزراوي قائلاً له: إن
الجزراوي (جاهل) وغير مستوعب لأمر الدولة»^(١).

وقد أضاف البكر إلى صفات الجزراوي صفة أخرى وهي الجهل بأمر الدولة،
ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا يبقى الجزراوي كل هذه الفترة الطويلة
في الصفوف الأمامية لحزب البعث، مع افتقاره لكل صفات القائد الحزبي الحقيقي
أو رجل الدولة؟! ولا أعتقد أننا سنبدل جهداً من أجل الجواب الصحيح، وهو
أن الجزراوي من محور (البكر-صدام) في قيادة البعث وفي مجلس قيادة الثورة،
ومن أقوى حلقات هذا المحور وألصقها بالبكر وأقربها إليه هو حلقة (صدام)
الذي دخل تحت عباءة البكر، وكان في البداية مرافقه وحمايته ومن خلاله نفذ إلى
تحقيق أهدافه، ويعد البكر صاحب الفضل الكبير في تهيئة الظروف أمام صدام
وتذليل العقبات التي تواجهه، حتى غدا في فترة قصيرة إلى جانب البكر في القيادة
القطرية، ومن ثم جيء بـ(طه الجزراوي) إليها بدعم من البكر وصدام لأنه يحمل
الكثير من مواصفات الاثنين، وفي أقل تقدير يحمل مواصفات صدام ذاتها.

ورغم نجاح الدكتور فخري قدوري في الدفاع عن وزارته وعن المدراء
العامين فيها، وإفشاله لخطط الجزراوي ومحاولاته إفراغ الحقائق الوزارية من
الاختصاصات والكفاءات العلمية، إلا أن قدوري ظل فزحاً من العواقب التي
تنتظره والمصير المجهول الذي يقض مضجعه، وهروباً من تلك الهواجس المزعجة
قام بزيارة سريعة لزميله الدكتور جواد هاشم وزير التخطيط، الذي بدوره يقول:

«وفي مساء اليوم التالي، زارني فخري في منزلي ليقول لي إنه قد قرر السفر إلى
ألمانيا الغربية، حيث تقيم زوجته وأطفاله، لأسباب صحية، وقد سافر قدوري

(١) جواد هاشم: مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام، ص (١٢٧-١٢٨).

فعلاً بعد أيام، وتوليت أنا منصب وزير الاقتصاد وكالةً إلى حين عودته.

تسلمت بعد أسبوعين رسالة شخصية من قدوري يطلب مني فيها إخبار البكر أنه، لأسباب عائلية وصحية، قد لا يستطيع العودة، ولذلك فهو يقدم استقالته من الوزارة، وعند إخباري البكر بمضمون رسالة قدوري، طلب مني عدم إخبار أحد بذلك إلى حين مناقشة الأمر مع (الرفاق) في القيادة^(١).

وفي مساء يوم ٢٥ كانون الثاني ١٩٧١، صدر المرسوم الجمهوري التاليان:

مرسوم جمهوري بإعفاء جواد هاشم من منصب وزير التخطيط، وتعيين عبد الكريم الشيخلي (وزير الخارجية) وزيراً للتخطيط بالوكالة.

مرسوم جمهوري آخر بإعفاء فخري قدوري من منصب وزير الاقتصاد، وتعيين طه الجزراوي بالمنصب وكالة.

يقول جواد هاشم: «التقيت بعد شهر من إعفائي من منصبي شفيق الكمالي العضو الاحتياطي في القيادة القطرية وقتها، في حفل عشاء في منزل صديق مشترك، وأثناء حديثنا، أخبرني الكمالي بتفاصيل الظروف التي رافقت إعفائي وفخري قدوري، فقال: في مساء ذلك اليوم الذي صدر فيه المرسوم، كان مجلس قيادة الثورة منعقداً للنظر في جدول أعماله الاعتيادي، وعند حوالي العاشرة مساءً، انبرى طه الجزراوي شاكياً للعراقيل التي يضعها (الدكاترة) الاقتصاديون أمثال جواد هاشم وفخري قدوري لإعاقة عجلة الثورة، متهماً إيانا، كعادته، بالأفكار الغربية والاستعمارية.

ويبدو أن البكر قد انزعج من كلام الجزراوي، حيث التفت إليه قائلاً: رفيق طه، ليس للحزب سوى عدد قليل من الدكاترة العاملين معنا، فهل تريد أن

(١) جواد هاشم: مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام، ص (١٢٧-١٢٨).

نتخلص منهم جميعاً؟ إذا كان هذا هو اتجاه الحزب، فبها، ورفع البكر سماعة التليفون واتصل بمدير الإذاعة وأملى عليه المرسومين الجمهوريين، وهو في حالة عصبية.

هكذا، بهذه البساطة: الجزراوي يتهم، والبكر يحتد، ويُعفى وزيران، على الفور!!»^(١).

البكر مع بساطته وسذاجته وتخلفه يمسك بقوة بمواقع مهمة في الدولة والحزب، فهو رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ورئيس مجلس قيادة الثورة والقائد العام للقوات المسلحة، إضافةً إلى كونه أمين سر القيادة القطرية، وهو في حصن منيع بهذه المناصب الكبيرة ولا يستطيع أي من الحاضرين أمام هذه الهالة الكبيرة الاعتراض على تسرع البكر وتهوره وجهله في إصدار المرسومين على خلفية خاطئة تم بموجبها إعفاء وزيرين من أصحاب الاختصاص في الاقتصاد. والغريب في الأمر أن الإعفاء يصدر من البكر خريج دار المعلمين الريفية بتحريض من نائب ضابط، ومن دون اللجوء إلى التحقق في الأمر بواسطة لجنة مختصة.

وأنا أميل بعد معرفتي الدقيقة بلؤم البكر وخبثه وكيدته وقدرته الفائقة على إخفاء نواياه، إلى اتفاق مسبق بين البكر الماكر وتابعه الجزراوي على إخراج هذه المسرحية في إعفاء الوزيرين، ولو لم يكن ذلك مكيدة من البكر ما كان له أن يعيّن طه الجزراوي نفسه، الذي احتد عليه وانزعج من كلامه وزيراً للتخطيط بالوكالة، وهي بمثابة تكريم للجزراوي على وشايته.

(١) جواد هاشم: مذكرات وزير عراقي مع البكر وصادم، ص (١٣٣-١٣٤).

التسبيح بحمد الطاغية

ولغرض الإمعان في إذلال (طه الجزراوي) وجعله تابعاً يسبِّح بحمد الطاغوت، دعا صدام إلى ما يسمى بندوة الإنتاجية، التي نقل أحداثها التلفزيون آنذاك، لغرض التشهير بمسؤول الصناعة (طه الجزراوي)، وكان صدام يجلس مقابل مسؤولي الوزارة، ويقدم أزالامه الصغار للاعتراف على أزالامه الكبار، وكأنه أمام الرأي العام ديمقراطي، واسع الصدر، يسمح للبسطاء بمهاجمة الكبار، دون أن يعلم الناس أن جميع المتكلمين في الندوة كانوا مكلفين بالأدوار المرسومة لهم سلفاً.

وانتهت ندوات الإنتاجية بالتأكيد على مسؤولية (طه الجزراوي وجماعته) عن تردي الإنتاج والخسائر التي مُني بها قطاع الصناعة.

وبهذا استطاع صدام أن (يرمي عصفورين بحجر) فهو من جانب يظهر أمام الناس بأنه الوطني الحريص على خيرات البلد، الذي لا يتوانى عن محاسبة أكبر الشخصيات في الدولة عند التقصير أو الإهمال، وفعالاً نجح الإعلام العراقي في تمرير هذه الخدعة، فانخدعت به شخصيات معروفة وأحزاب سياسية، وأضفت عليه نعوتاً وصفاتٍ لا يستحقها.

ومن جانب آخر، أنه استطاع أن يمسك بأوراق اللعبة التي تفضح أزالامه الكبار، لفتحها متى شاء، لإدانتهم وتحميلهم مسؤوليات خطيرة، وبهذه الطريقة وغيرها من الوسائل الخبيثة التي يجيدها (صدام) عمل على تركيعهم وتمريغ كرامتهم، وجعلهم أتباعاً لا ينفكون عن التسبيح بحمده.

استحواذه على مواقع حزبية ومناصب رسمية

«في مطلع عام ١٩٧٤، «ومن خلال المؤتمر القطري الثامن أعيد انتخاب طه

الجزراوي عضواً في القيادة القطرية»^(١)، و«عُيِّنَ وزيراً للتخطيط وكالة حتى أيار- مايو-١٩٧٦، وأصبح قائداً للجيش الشعبي»^(٢).

وفي شباط (فبراير) ١٩٧٦، أيام الحرب اللبنانية «وجد كمال جنبلاط نفسه وحيداً وعاجزاً عن التوازن مع الجيش الذي أرسله الأسد للإمساك برقبة الفلسطينيين.

ذهب إلى الرياض وقابل الملك خالد ولم يكن في المملكة من يريد الصدام مع حافظ الأسد، ظن جنبلاط أن النظام في العراق خصم النظام في سوريا سيقف معه، فإذا به يستمع من طه ياسين رمضان النصائح بصنع قنابل المولوتوف لتدمير الدبابات السورية.

قال له جنبلاط: يا عمي أنا مش شغلتي تدمير الدبابات السورية، أنا بدبي أحمي الشعب اللبناني.

كان بعث العراق يجرّض جنبلاط على مقاتلة الجيش السوري وهو يقول لهم أنا لا أريد مقاتلته، أنا أريد دوراً عربياً لإنهاء الحرب وسحب الجيش السوري»^(٣).

هذا هو منطقهم، لا يعرفون غير القتل والفتك والإرهاب، ولا ينصحون لفض النزاعات العربية بغير وسائل التأجيج وإشعال المنطقة، ولا يفكرون بأن الجيش السوري هو جيش الأمة العربية المتاخم للكيان الصهيوني، وأن جنوده هم أبناء سورية من كل الأديان والقوميات والطوائف، الذي يريد طه الجزراوي حرقهم بقنابل المولوتوف!!

(١) د. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، الجزء الثالث، ص ٧٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٨٨.

(٣) حسن صبرا: سورية.. سقوط العائلة.. عودة الوطن، ص (٢٠٠-٢٠١).

«وفي عام ١٩٧٧، انتُخب عضواً في القيادة القومية للحزب»^(١) ضمن مؤتمر قومي عُقد في بغداد، وفيه تغيرت تركيبة القيادة القومية للحزب الحاكم في العراق، فصار من خلال المؤتمر (أحمد حسن البكر) نائباً للأمين العام، وصار (صدام حسين) أميناً عاماً مساعداً، إضافة إلى (شبلي العيسمي) و(منيف الرزاز).

وخلال هذا المؤتمر صعد إلى عضوية القيادة القومية كل من: عزت إبراهيم الدوري، طه الجزراوي، نعيم حداد، طارق عزيز، وكان أول من أُطِيح به من أعضاء القيادة القومية الجدد (نعيم حداد) الذي طُرد عام ١٩٨٦ من كل مواقعه الحزبية ومناصبه الرسمية.

وعلى أثر تولي (صدام حسين) المسؤوليات الأولى في الحزب والدولة «في ١٦ تموز - يوليو ١٩٧٩، عُيِّن (طه الجزراوي) نائباً أول لرئيس الوزراء، وعمل بهذه الصفة على متابعة نشاط الوزارات ومؤسسات الدولة، كما قام بزيارات هامة للاتحاد السوفيتي السابق ودول غرب أوروبا، بغية تطوير العلاقات بينها وبين العراق»^(٢).

احتل نائب الضابط طه كغيره من نواب الضباط، والعرفاء، والعاطلين، مواقع مهمة تسلق عليها في أيام التوزيع المجاني، للمواقع والمناصب الحزبية والرسمية، فهو نائب رئيس جمهورية العراق، وعضو القيادة القومية للحزب منذ المؤتمر القومي المنعقد عام ١٩٧٧، وعضو القيادة القطرية منذ عام ١٩٦٦، إضافة إلى مروره مروراً سريعاً بمناصب أخرى، فهو القائد العام للجيش الشعبي، وصار وزيراً للصناعة، وللأشغال والإسكان، وللتخطيط وكالة، ثم النائب الأول لرئيس الوزراء، فله در مواهبه المتعددة، وكان العراقيات قد أصبن بالعقم فلم

(١) د. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، الجزء الثالث، ص ٧٨٨.

(٢) المصدر نفسه: ص ٧٨٨.

يلدن غير الجزراوي، إنه -وهذا من سخرية القدر- حكومة متنقلة أوجدها القائد الضرورة.

في مطلع عام ١٩٧٠، تم تأسيس الجيش الشعبي، وتولى قيادته (طه الجزراوي) الذي أعلن في مؤتمر صحفي في ٤ شباط ١٩٨٠، بمناسبة الذكرى العاشرة لتأسيسه: «أن عدد مقاتلي هذا الجيش المدربين على جميع أنواع الأسلحة الحديثة بلغ ربع مليون مقاتل، وأن قوات المغاوير في هذا الجيش ارتفعت إلى عشرات الألوف، وبإمكانها الوصول إلى الأماكن المحددة لأهدافها بأقل من نصف ساعة»^(١).

«وقبل أن يعلن (طه ياسين رمضان) أن عدد مقاتلي الجيش الشعبي المدربين على جميع أنواع الأسلحة الحديثة وصل إلى ربع مليون، كانت قد تمت تجربة استنفار ناجحة، وسيطرت بموجبها القوات المستنفرة على المدن والقرى ومفارق الطرق»^(٢).

ورغم الاهتمام الاستثنائي بهذا القطاع من قبل السلطة البعثية في العراق، وادعائها برفع كفاءة المقاتلين فيه عقائدياً وعسكرياً، إلا أنه فشل فشلاً ذريعاً أيام الحرب العراقية-الإيرانية، وقُتل الألوف من أفرادهم، ووقع عشرات الألوف منهم في أسر القوات الإسلامية الإيرانية، وكان بينهم أعداد من الرفاق المسؤولين، وسرعان ما تخلى بعض الأعضاء الحزبيين منهم عن مبادئ (ميشيل عفلق)، وادعى العراق وقتها أنهم يمرون بعملية غسيل دماغ واسعة النطاق، وتمزق الجيش الشعبي وانهزمت فلوله شر هزيمة في انتفاضة شعبان عام ١٩٩١، ولم يصمد أمام غضب الجماهير الثائرة، وسقطت أسطوره المدعاة.

(١) فؤاد مطر: صدام حسين الرجل والقضية والمستقبل، ص ١٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٣.

نظر الرئيس حوله فوجد أجساماً مترهلة، فقد أخذت بالامتداد على كل الجهات عدا الارتفاع، ولم ير غير عزت الدوري ممشوق الجسم رشيقاً، في الوقت الذي كان فيه الشعب يعاني من آثار الحروب والدمار الشامل الذي عم البلاد، حيث كان الفرد العراقي يدور ويلهث من أجل الحصول على طبقة البيض أو قطعة اللحم، هذا بالنسبة للأغنياء والميسورين، أما الفقراء فقد نهش الجوع أجسامهم النحيلة، وأمام هذه المفارقات أصدر صدام قراره الغريب بـ(ترشيح الوزارات)، وقد ظهر آثار هذا القرار سريعاً على طه ياسين رمضان، الذي أذاب من شحمه (٢٠) كغم، وأمام هذا المشهد امتلأ الشارع العراقي بالتعليقات الساخرة.

فأيُّ رجل هذا الذي يقدم فروض الطاعة والاستسلام ويفعل كل ما يروق لسيدته حتى المتعلق بخصوصيات عيشه وتركيبته الجسمية، وجاء قرار الترشيح المفروض في صالحه، ورب ضارة نافعة، فبدلاً من أن يكون كتلة كبيرة تنفر منها نفوس سيده وبعض أعضاء القيادة، صار في شكل آخر، يساعده للدخول في مرحلة الغزل والغرام بالمراجعات الفاتنات فقط، وهذا ما حصل، ولذلك يُعد قرار الترشيح عملية تأهيل مهمة له ولأمثاله، من الذين تجاوزت أعمارهم السن المناسب للزواج.

طه الجزراوي.. العاشق

بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، استحوذ الانقلابيون الجدد على أهم المواقع والمناصب الرسمية والحزبية، وهيمنوا على كل مرافق الدولة العراقية، ورافق انقلابهم المشؤوم هذا تغيير كبير زحف على كافة أوضاع حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، فقد انتقل هؤلاء فجأة من العدم إلى الثراء الفاحش، وصاروا يملكون الأموال الطائلة والسلطة اللامحدودة والخدم والحشم، فليس من السهل اليسير أن يتكيف هؤلاء وتستمر علاقاتهم الاجتماعية السابقة، من دون أن

يطراً عليها التغيير بعد هذه القفزة الهائلة في حياتهم، خصوصاً وأن الكثير من هؤلاء يرزح تحت ضغط الشعور بالنقص والدونية، لأن معظمهم من المنبوذين والمتخلفين وذوي العاهات.

وأعقب هذا التغيير المفاجئ عملية استبدال لزوجاتهم القديمة بحجة عدم مواكبتهن للوضع الجديد بسبب القصور العلمي وأمية بعضهن، لأن الحالة الجديدة تتطلب بعض اللياقات التي تفتقدها هؤلاء النسوة، فسعى (صدام) إلى الزواج ثانيةً من (سميرة الشابندر) بعد أن طلقها من زوجها نور الدين الصافي، الذي كان مهندساً في شركة الخطوط الجوية العراقية وقتذاك، وقد أُجبر ضمن صفقة لم يكن له خيار رفضها، وذلك بتعيينه رئيساً لمجلس إدارة شركة الخطوط الجوية العراقية بمنصب مدير عام، إلى جانب منحه شقة سكنية في مجمع ٢٨ نيسان السكني الراقي بجانب الكرخ في بغداد، ثم أُشيع أنه تزوج للمرة الثالثة من نضال الحمداني التي تشغل منصب مدير عام مركز بحوث الطاقة الشمسية في مجلس البحث العلمي قبل أن يتم إلغاء هذا المجلس، ونضال الحمداني كانت زوجة موظف في وزارة الخارجية العراقية ولها منه طفلان صبي وبنت.

أما نائبه عزت الدوري فقد تزوج هو الآخر أربع مرات، تاركاً زوجته الأولى أم أحمد تصارع آلام المرض والعذاب النفسي.

وحذاطه الجزراوي حذوهما، وسلك سلوكاً غريباً في زواجه الثاني، يمكن أن نكتشفه من خلال القصة الغريبة التالية:

«مشكلتك يمكن أن يحلها (السيد النائب الأول).

نظرت الشابة إلى محدثها وقالت مستغربة:

- وما علاقة (نائب رئيس الوزراء) بهذا الموضوع الشخصي البحت؟

أجابها (ذو الشوارب الغليظة) قائلاً:

- إنه المسؤول عن أشياء بينها تحويل العملات إلى الخارج.

هنا نهضت الشابة منصرفة.

في طريقها إلى مكتب طه ياسين رمضان استغربت ما جرى لها، فمنذ أسابيع وهي تسعى لتحويل مبلغ لأخيها الطالب، الموجود في إحدى الدول الأوروبية، ثم فوجئت عندما همس بأذنها أحدهم:

- لا بد من فتح ملف له.

وقال لها آخر:

- فتح الملف يا آنسة، يتطلب شروطاً، منها:

- أن يكون الطالب (بعثياً).

- أن يكون عضواً في (اتحاد الطلبة).^(*)

وراح يعدد لها الشروط، وآخرها كفالة مقدارها نحو ٤٥ ألف دينار.

لقد بذلت جهداً مضمياً في سبيل إبعاد أخيها.. وبذلت المستحيل في سبيل الحصول على قبول له في إحدى الجامعات الأوروبية.

أمضت الشابة أسابيع تدور بين دوائر وزارتي التربية والمالية والبعثات و(منظمة الحزب) واتحاد الطلبة، ولم تُنجز المعاملة، ولم يُفتح الملف الموعد.

وكانت فكرة الاتصال هاتفياً بصدام قد راودتها، غير أنها صرفت النظر عن

تنفيذ هذه الفكرة!

(*) هكذا ورد في الأصل والصحيح (الاتحاد الوطني لطلبة العراق).

صحيح أنه حل مشكلة كثير من النساء اللواتي استقبلهن، ولكنها ترى أنها قضية صغيرة لا يصح أن تشغل بها (الشخص الأول)، ولعلها تكلفه بقضية أكبر، فكرت مع نفسها، وعندما زارت مدير مكتب النائب الأول، لم تجد صعوبة في تحديد موعد معه، فهي تملك جمالاً أخاذاً، ولساناً طيباً، وعندما صافحها (النائب) بهره جماها..

كانت قد استعدت، ارتدت أفضل ما لديها، ووضعت أحسن ما تملك من مساحيق وعطور، قدمتها لها صديقة، لها تجاربها مع (المسؤولين الثوريين).
وفور أن ألقى عليها نظرة فاحصة، أغلق الباب..

وطلب من مدير مكتبه صرف كل المراجعين، والرد على التلفونات نيابة عنه، لأنه مشغول جداً، ولأن الحب يقدر من النظرات الأولى، فلم يخف (السيد النائب) إعجابه بالشابة الحسنة.. صعق بها ونهض عن كرسيه.. ليتبسط معها في الحديث.

أغمضت البنت عينيها لحظات.. بينما كانت تحتسي الشاي الذي طلبه لها، هذه هي المرة الأولى التي تشاهد فيها هذا الرجل، الذي ارتبط اسمه بالعنف والشدة، كانت تغلق التلفزيون عندما يظهر على الشاشة، وقد تذكرت الكثير من النكات التي دارت حوله عندما نفذ قانون (الترشيق) وأنقص من وزنه نحو عشرين كغم! وكادت تضحك وهي تتذكر قانون (الترشيق) الذي أصدره (صدام) بعد أن وصفت صحيفة أجنبية (طه رمضان) بالذات بأنه يشبه (دبابة صغيرة).

عاد (النائب الأول) للحديث، وعندما علم أنها من تكرت، ارتعش قليلاً، وأثناء شرب الشاي، كان يتطلع إليها ويرشقها بنظرات لم تعرها اهتماماً كبيراً.

المهم أنه أنجز ما أرادت -قدر إمكانه- وصارحها أنه يملك بعض الصلاحيات

ولكن ثمة أشياء لدى جهات أخرى، وعندما راحت الشابة تتطلع إلى ساعتها، طلب منها أن تراجع في موعد حدده بعد أيام (لإنجاز القضية) في خلال أيام، تم كل شيء..

تقدم لخطبتها، وتزوجها.. على سنة الله!

- هي في نحو العشرين وهو يتجاوز الخمسين بقليل.

- ثلاثون عاماً، ليست فرقاً كبيراً

قالت (الرفيقة) التي كلفها بإعداد (الصفقة)..

وأضافت بهدوء:

صحيح أن الشيب يعلو رأسه، ولكنه نشط، ومنضبط، تصوري أنه، في هذه السن، يباشر عمله كقائد (للجيش الشعبي) في الخامسة فجراً!

دفع ربع مليون دينار كمهر للشابة الحسنة، ووضع تحت تصرف زوجته الأولى (أم نادية) مبلغ ربع مليون دينار آخر لترميم البيت..

وعندما علمت -أم نادية- بتفاصيل الموضوع، اتصلت بـ(الرفيقة الدلالة) قائلة (بلهجة أهل الموصل):

-أعرفكن، عضوات الاتحاد النسائي، لا تصلحن إلا للأعمال الوسخة.. ولكن ليس العتب على طه الذي تزوجته وهو نائب ضابط، حافٍ..

- و.. نظرت إلى الصورة التي تجمع بين زوجها وبين سيده صدام والموضوعة في غرفة النوم.. وأغلقت الخط.

أما قائد (الجيش الشعبي) فقد نام مرتاحاً لأنه حقق حلماً يطوف في ذهنه منذ عشرين عاماً.

الزواج من.. تكريتيّة^(١) ومن عشيرة الجعافرة.^(٢)

- (١) جليل العطية: فندق السعادة، ص ١٦٧-١٦٩.
- (٢) وهي من عشائر تكريت المحسوبة على عشيرة البوناصر، ولهذه العشيرة محلة في الكرخ ببغداد، وتحمل اسمهم وهي (محلة الجعافرة) المحاذية لـ (محلة التكايرة) و(محلة الست نفيسة) ومن أبنائها المحسوبين على بعث العراق (جعفر الجعفري) مشارك في الحرس القومي سيء الصيت، ومن متسبي جهاز حنين، ومنه انتقل إلى مكتب العلاقات العامة (جهاز المخابرات فيما بعد) وهو من الذين حملهم اللوري العسكري فجر يوم ١٧ تموز ١٩٦٨ مع صدام وبرزان وذياب العلكاوي وعزت الدوري باتجاه القصر الجمهوري لإسقاط حكومة الرئيس عبد الرحمن عارف، وهو من العناصر العشرة التي تم اختيارها من قبل سعدون شاکر وبأمر من صدام حسين، بعد أن اشترط الأخير أن تكون هذه المجموعة من ذوي الالتزام العالي جداً، بحيث إذا كان سيطلب منها صدام تصفية سعدون شاکر شخصياً فعليها أن تنفذ الطلب، وكان جعفر الجعفري من الذين رافقوا صدام وصلاح عمر العلي في تجريد عبد الرزاق النايف من سلاحه وتسفيره إلى المغرب بطريقة أفلام الكاوبوي الأمريكية.

بهذا الخصوص انظر:

- ١- ثامر عبد الحسن العامري: موسوعة العشائر العراقية، الجزء الأول، ص (٢١٥-٢١٦).
- ٢- جهاد كرم: بعثيون من العراق.. كما عرفتهم، ص ٢٣٠.
- ٣- د. أمير إسكندر: صدام حسين.. مناظلاً ومفكراً وإنساناً، ص ١١١.
- ٤- فؤاد مطر: صدام حسين.. الرجل والقضية والمستقبل، ص ٥١.

الفصل العاشر

10

الجزراوي
بطل مجزرة ١٩٧٠



ترأس في مطلع عام ١٩٧٠، المحكمة الخاصة التي ضمت في عضويتها الجلادين ناظم كزار مدير الأمن العام، وعلي رضا المدير العام بمكتب العلاقات العامة (المخابرات العامة) فيما بعد.

إن تشكيل المحكمة الخاصة من هؤلاء النفر محسوب بدقة، فبالنسبة لرئيسها طه الجزائروي فهو إرهابي قام بعدة اغتيالات في مدينة الموصل بعد الفوضى التي أعقبت مؤامرة الشواف بشهادة الشخصية السياسية محمد حديد، والاثنان الآخران معروفان بدمويتهما منذ احتواهما مكتب التحقيق الخاص (مكتب عمار علوش) عام ١٩٦٣، وفيما يخص الأول منها يقول طالب شبيب عضو القيادتين القومية والقطرية:

«أما الإعدامات التي كانت تصدر بقرار مجلس قيادة الثورة فقد أوقفت نهائياً، ولم نوافق بعد مرور الأسابيع الأولى على اقتراحات الإعدام من أي جهة جاءت، غير أن أمراً موازياً حل محل تلك القرارات، وبدأ يجري في الأقبية والمعتقلات السرية بإدارة رجال معوجين، أمثال عمار علوش وناظم كزار وعبد الكريم الشبخلي وصدام التكريتي وسعدون شاكر وخالد طبرة وأسماء أخرى معروفة، وبدأ الإرهاب يمارس بطرق أخرى دون علم وتوجيه القيادة القطرية»^(١).

(١) د. علي كريم سعيد: عراق ٨ شباط ١٩٦٣ .. من حوار المفاهيم إلى حوار الدم، ص ١٩٢.

وعلى أساس ذلك تم اختيارهما (ناظم كزار) و(علي رضا باوه) من قبل صدام وهو يؤسس لأعتى مؤسسة أمنية في الوطن العربي بعد ١٧ تموز ١٩٦٨ مباشرة. وقد حكمت المحكمة الخاصة -بل المثرمة- على العشرات من الشخصيات، كان منها العقيد المتقاعد محمد رشيد محسن الجنابي، والعقيد المتقاعد صالح مهدي السامرائي (والد الشخصية الإسلامية السياسية إياد السامرائي رئيس الحزب الإسلامي)، والعقيد جابر حسن الحداد محافظ كربلاء الأسبق، وشخصيات عشائرية مهمة ك(راهي عبد الواحد السكر) من شيوخ عشائر الفرات الأوسط، وقد لعب والده دوراً متميزاً في ثورة العشرين.

إن هذه المجزرة التي افتتحت بها السلطة عهداً جديداً، تعتبر باكورة تصفياتها الدموية، التي حصدت فيها العشرات من الشخصيات ذات الثقل العسكري والمدني والديني والعشائري، ورغم الفواجع التي حلت بذوي الضحايا، فإن السلطة لاحقت أبناءهم وذرائعهم بالاعتقالات والمراقبة المشددة والمطاردة وحرمانهم من أبسط حقوقهم المشروعة، يقول الصحفي صبري الربيعي: «زارني ابن خالتي في مكنتي صحبة صديق له يرتدي الملابس العربية (بغترتها الجنوبية المرقطة)، وقد بسط ضيفاي حاجة الصديق إلى خدمة تتعلق بإصدار شهادة الجنسية له، في حقيقة الأمر شدتني الدهشة في أن يكون مثل هذا الرجل الأربعيني من دون شهادة جنسية، وهو في منطقته وتصرفاته بدا لي متعلماً تعليماً متوسطاً، وقد زالت دهشتي تماماً عندما اطلعت على هوية الأحوال المدنية الخاصة به، لأقرأ في حقل الوالد (معدوم) القضية هنا أصبحت ملفتة للنظر، قلت له: تفضل يا سليل الأجاويد وقل بصراحة، فأنت في مكان آمن، فقال: عندما أُعِدِم والدي في عام ١٩٧٠، منعت الحكومة إصدار شهادة جنسية لي ولكافة أشقائي بنين وبنات، والآن أريد شهادة الجنسية من أجل الحصول على جواز السفر، وخلال لحظات

عادت بي الذاكرة إلى عام ١٩٧٠، حيث أعدمت السلطات مجموعة من الضباط بالإضافة إلى نخبة من وجوه المجتمع... الآن كيف لي بمساعدة مخلصه لعبد العزيز نجل راهي عبد الواحد الحاج سكر،... اتصلت بأحد معارفي في وزارة الداخلية، الذي ما إن سمع بكلمة (معدوم) حتى اعتذر بشدة بسبب من أن عدم إصدار شهادات الجنسية يمثل جزءاً من (العقوبات الديلية) التي تقع على ذوي المدانين بحكم الإعدام»^(١).

كما أن حزب البعث له مواقف غير مشرفة مع أبطال حرب فلسطين في إعدام الكثير منهم، كذلك كان موقفه مشيناً من عوائل كريمة أسدت خدمات جليلة للوطن وللعروبة والدين، وهذا ما قرأناه في القصة المتقدمة المثيرة للدهشة حين نرى أن قوانين البعث لا تسمح لـ(عبد العزيز) بامتلاك شهادة الجنسية العراقية، وهو حفيد الشيخ عبد الواحد السكر أحد أبطال ثورة العشرين (الثورة العراقية الكبرى) وواضعي أساس الدولة العراقية الحديثة، التي يحكم فيها البعث وينفذ قوانينه، التي تمنح الجنسية العراقية لطفه الجزراوي الكردي التركي النازح من جزيرة ابن عمر في تركيا، ليكون عراقياً ويُعده ليحكم ويعدم العشرات من النخب الوطنية والعسكرية والعشائرية.

فالبعث إضافةً إلى تعديه على تعاليم الإسلام وأحكامه، باعتباره دين الدولة الرسمي، الذي لا تسمح أحكامه بأن يؤخذ الابن بجريرة الأب، أو أن يعاقب بدلاً من أبيه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٢).

كذلك اشتط البعث برأيه وخالف كل ما يسود المعمورة من قوانين ونظم ودرساتير، حتى تلك التي تعمل فيها أكثر الأنظمة تعسفاً وجوراً، فلم نر أو نسمع

(١) صبري الربيعي: أوراق في الصحافة والحياة، ص ٣٩٦.

(٢) القرآن الكريم: سورة فاطر الآية ١٨.

بأن هذه البلدان أدانت الأبناء أو جرّمتهم بسبب أفعال قام بها الآباء، كما فعل بعث العراق، ولم يكتفِ هذا الحزب الظالم بذلك، وإنما تطورت لديه هذه العقوبة الجائرة لتشمل الأقارب من الدرجة الرابعة، وهذه هي الأخرى لا توجد لها خلفية إلا في مزاج البعث وعالمه السفلي.

وأوصت المحكمة الخاصة بتنفيذ حكم الإعدام بـ«سبعة كان قد حُكم عليهم في شهر كانون الأول عام ١٩٦٩، بتهمة (التجسس لحساب المخابرات الأمريكية) وكان قد أُلقي القبض عليهم في شهر أيار عام ١٩٦٩، بتهمة عضويتهم في شبكة التجسس التي كان يرأسها لظفي العبيدي، وقد نُفذ الحكم فيهم في الساعة الثالثة صباح يوم ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٠.

ومن بين السبعة الذين تم إعدامهم، اللواء رشيد مصلح وزير الداخلية الأسبق، وأحد الذين اشتركوا مع الرئيس الراحل عبد السلام عارف في الإطاحة بحكم عبد الكريم قاسم في شباط عام ١٩٦٣، وقد شغل وقتها منصب الحاكم العسكري للعراق، كما اشترك بعد ذلك في وزارتي السيد طاهر يحيى، والدكتور عبد الرحمن البزاز، وكان من بينهم أيضاً اللواء مدحت الحاج سري (أمين) بغداد السابق، وشقيق الشهيد رفعت الحاج سري الذي أُعدم في عهد عبد الكريم قاسم بعد ثورة الموصل المعروفة^(١).

كما حكمت محكمة طه الجزراوي الخاصة على الشهيدين (العميد محمد فرج الجاسم) و(الرائد الركن عبد الستار العبودي) اللذين كانا يعملان ضمن اختصاصهم العسكري بتوجهات إسلامية واعية.

والعميد محمد فرج الجاسم شخصية إسلامية مثقفة، ألف كتاب (الإسلام

(١) الأهرام، السنة (٩٥) العدد (٣٠٣٥٩) في ٢٣/كانون الثاني/١٩٧٠ الموافق ١٥ ذي القعدة ١٣٨٩هـ.

في معترك الصراع الفكري الحديث)، وأحد أبطال معارك فلسطين عام ١٩٤٨، وقد قاد وهو برتبة ملازم فصيل المشاة الذي هاجم الصهاينة في (معركة كوكب الهوى) وكانت القوة المساندة للفصيل المهاجم المكونة من رعييل دبابات بإمرة الملازم الأول (طاهر يحيى التكريتي).

سُجن العميد (محمد فرج الجاسم) مرات كان أولها في العهد الجمهوري الأول، وعند مقابلته للزعيم عبد الكريم قاسم بعد إطلاق سراحه كان يقف ويمسك بأطراف قميص (عبد الكريم قاسم) ويخاطبه «سيدي، أعلنها حكومة إسلامية ونحن معك»، وكان (عبد الكريم قاسم) يرد عليه «محمد فرج استريح، أنت ضابط جيد، أعرفك منذ حرب فلسطين».

دخل العميد محمد فرج الجاسم إلى محكمة الجزراوي بكل شموخ وصلابة، وعندما مثل أمام المحكمة اتصل (أحمد حسن البكر) بالمحكمة وكان على الطرف الثاني الجلاد المقبور (ناظم كزار) فخاطبه البكر «اسمع ناظم، لا تمسوا محمد فرج بسوء فليس له علاقة بالمؤامرة»، وكان (البكر) و(محمد فرج الجاسم) يرتبطان بعلاقة صداقة منذ أن كانا ضابطين صغيرين في معسكر المسيب، فأجاب المجرم ناظم كزار: «سيدي أعدمناه، وكان وقتها لا يزال حياً ومائلاً أمامهم في قفص الاتهام، وخشية أن يعلم البكر بالقصة ويتدخل لإنقاذه سارع المجرمون (طه الجزراوي) و (ناظم كزار) و(علي رضا باوه) إلى إعدامه، وهكذا طويت صفحة مجاهد إسلامي وبطل من أبطال حروب فلسطين.

أما الرائد الركن عبد الستار العبودي، فهو الآخر ناشط إسلامي وقد شارك في حرب عام ١٩٦٧، وأدان تلكؤ الجيش العراقي في الوصول إلى الجبهة، وعدم مشاركته بالشكل المطلوب، واعترض على الخطة العسكرية الموضوعية من قبل القيادة آنذاك، وسخر منها قائلاً: «إن ابني وائل وهو طفل صغير يضع خطة أفضل

من خططكم هذه»، فأمر العميد الركن (محمود عريم) قائد الفرقة الثالثة بتشكيل مجلس تحقيقي ضده، واستدعاه (شاكر محمود شكري) وزير الدفاع وأخذ يوضح له أسباب الفشل في حرب ١٩٦٧ ونكسة حزيران، من باب الاعتذار والتغطية على الفضيحة.^(٥)

أما قصة زجه بالمؤامرة، فقد فنّدها من خلال الاستجواب الذي جرى معه وسمعه كل من كان معه في الغرفة ومنهم المحامي أحمد الحبوبي، وفي استجوابه قال عبد الستار العبودي: «وبعد ثورة ١٧ تموز، التقيت بالسيد الرئيس البكر بالقصر الجمهوري وليس بيننا شيء، وقد نقلني السيد الرئيس إلى كركوك، وأنا كنت هناك، ومنذ عشرة أيام جيء بي إلى بغداد وأودعت في سجن رقم (١) في معسكر الرشيد، وقبل ساعات قليلة جيء بي إلى هنا ولا أعلم السبب، فأية مؤامرة أنا مشترك (بيها).. كان يتكلم بثقة وثبات، فسأله الشاب: (ولماذا جاؤوا بك من كركوك ووضعوك بالسجن؟) فأجابه عبد الستار: (هاي قصة ثانية)، أجاب الشاب: (نريد أن نعرفها أحكيها، أنا مسؤول ويجب أن تجيب على سؤالي؟)، كنا وجميع من في الغرفة نتابع هذا الحوار باهتمام حتى الحراس قد أنصتوا أيضاً -الكلام للمحامي أحمد الحبوبي- أجاب عبد الستار: (قصة اعتقالي في كركوك وجلبني إلى هنا، هو أن أمراً إدارياً كان قد صدر من وزارة الدفاع وعُيّن على جميع الوحدات ومنها الوحدة التي كنت فيها، وقد علّقت بخط يدي على الورقة التي تحمل هذا الأمر بعبارة (هذا أمر سخيف)، ويبدو أن تعليقي هذا على أمر وزارة الدفاع قد بلغ أسماع المسؤولين في بغداد، وعندما جاء السيد صدام حسين إلى كركوك، مقر وحدتي، في طريقه لملاقاة الملا مصطفى البرزاني، سأل أمر الوحدة عن الضابط الذي علّق على الأمر الوزاري بعبارة أمر سخيف، فجيء بي إليه، فما

(*) أفادني بهذه المعلومات سماحة الشيخ (جواد الخالصي) حفظه الله.

كان منه إلا أن مد يده إلى كتفي ونزع الرتبة العسكرية، وطلب من الأمر إيداعي التوقيف لحين عودته، وعندما عاد من الشمال اصطحبني معه إلى بغداد، وأودعت سجن رقم (١) منذ عشرة أيام كما أخبرتكم، والآن جاؤوا بي إلى هنا.. وهذه كل الحكاية.. يا جماعة صدقوني، وإن السيد صدام حسين موجود ويمكنكم أن تسألوه، فلا مؤامرة ولا هم يحزنون»^(١).

أمرت محكمة الجزراوي الخاصة بقتله وهو في داخل السجن من دون محاكمة، بتهمة المؤامرة التي لا تمت له بصلة من قريب ولا من بعيد، وتمت تصفيته بهذه الطريقة الوحشية خوفاً من نشاطه الإسلامي داخل الجيش.

ومما يلفت الانتباه أن حزب (ميشيل عفلق) لعب دوراً قديراً في استئصال أبطال حروب فلسطين في العراق، إضافة إلى إعدام الشهيد العميد (محمد فرج الجاسم) و(الرائد الركن عبد الستار العبودي) كانت قد مرت بنا الإشارة إلى الزعيم (عبد الكريم قاسم) والفريق (طاهر يحيى التكريتي) وهما من أبطال حروب فلسطين، ومن ضحايا هذا الحزب المأجور أيضاً، وإن هذا الدور المشبوه حري بالمتابعة والاستقصاء والكشف.

العقيد المتقاعد جابر حسن الحداد محافظ كربلاء الأسبق

ومن أبطال فلسطين الذين شملتهم مجزرة الجزراوي، ولم توفر لهم أدنى حقوق الإنسان في الدفاع عن النفس، ولم يشفع لهم قتالهم البطولي وصددهم عن مقدسات الأمة في فلسطين، جابر حسن الحداد.

تخرج في الكلية الحربية عام ١٩٤٦ برتبة ملازم في صنف الخيالة، وعندما بدأت نذر فلسطين تظهر إلى السطح وتتحدى الأمة، كان ضمن كتيبة مدرعات

(١) أحمد الحبوبي: ليلة المرير في قصر النهاية، ص ٢٧-٢٨.

تحت إمرة الرائد الركن عبد الكريم قاسم أمر الكتيبة آنذاك، وقد شارك في كل المعارك التي خاضها الجيش العراقي في منطقة حنين وتخوم نابلس وبيسان ومرج ابن عامر والعمولة وحيفا وجبل الطور وقلعة كيشر وغيرها، وجرح ثلاث مرات منها جراح خطيرة في الرأس فوق العين اليسرى، ولكن الله سبحانه قد أنجاه في تلك الأيام والمشاهد العظيمة، ولم يكتفِ بما يقوم به من دور جهادي متميز، وإنما كان يجمع من مرتبه ومرتبات وحدثه وراتب للمتطوعين ولعوائلهم، حيث كانت الحماسة والشهامة والنخوة العربية في أعلى مدياتها، وكانت وحدثه رغم تعرضها لخسائر كبيرة، ظلت مستمرة بالقتال وهو مستمر معها رغم تعرضه لإصابات، إحداها كانت بليغة وتستوجب الإخلاء إلى الخلف أو الخلود للراحة والإجازة المرضية، ولكنه ظل يقاتل المحتل الصهيوني رافضاً أن يترك وحدثه، وقد حصل على التكريم والقدم الممتاز في هذه الحرب المقدسة، وقد ذكر الشهيد جزءاً من أحداث معارك الشرف والبطولة هذه في مقدمته التي كتبها لكتاب (لأجل أن نكسب المعركة الفاصلة) لمؤلفه السيد إبراهيم الفاضلي، الذي صدر عام ١٩٦٧ في النجف الأشرف، حيث تناول في مقدمة الكتاب الوحدات العسكرية المشاركة وتجهزتها وتنقلاتها والمعارك التي خاضتها، والدور البطولي للجيش العراقي في معارك العزة والكرامة ضد الكيان الصهيوني، وملاحظاته التي لا تختلف عن ملاحظات أمر وحدثه الرائد الركن عبد الكريم قاسم، حيث شخّص الاثنان تحبب القيادة العسكرية العربية، وخيانة الحكام العرب للقضية الفلسطينية، وما سببوه من فشل للجهاد العسكري العربي بشكل عام وللجيشين العراقي والمصري بشكل خاص، لأنها كانا أكبر الجيوش العربية المشاركة في تلك الحرب.^(١)

إن هذه التضحيات الكبيرة والبطولات النادرة لأبطال حرب فلسطين لها قيمة

(١) السيد إبراهيم السيد أحمد الفاضلي: لأجل أن نكسب المعركة الفاصلة، ص (٧-٣٤).

كبيرة وأهمية عظمى، ولو أن نظاماً في أي بلد من بلدان العالم غير نظام البعث لوضع أصحابها في مكانهم اللائق، ولو افترضنا أنهم كانوا في حالة عدم وفاق أو معارضة مع هذا النظام البعثي المستبد، لا بد أن يشفع لهم ما قاموا به من دفاع عن أرض فلسطين المقدسة التي يدّعي حزب البعث بأنها القضية المركزية في نضاله، وقد سوّد بعث العراق أطنان الأوراق في إصدار الكتب والصحف والمجلات، وصمّ الآذان لكثرة ما نادى وقال في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة بأن قضية فلسطين هي القضية المركزية في نضال البعث، فكان على الأقل أن لا يتصدى بالقتل أو الموت لمن حاربوا المسبب في مأساة فلسطين، ونزفت دماؤهم على أرضها، وإذا كان لا بد من العقوبة ليحكم عليهم بالحبس وبأي شكل من أشكاله دون الموت، ففي دساتير بلدان العالم وقوانينها توجد مثل هذه التي نسميها بالشفاعة، وقد سمعنا وقرأنا أن المفكر الوجودي الفرنسي جون بول سارتر جنح جنحة يحاسب عليها القانون، وحكم عليه القضاء الفرنسي جرائها بالحبس، ولكن الرئيس الفرنسي السابق جورج بومبيدو قال كلمته المشهورة: «إني لا أستطيع أن أضع الثقافة خلف قضبان الحديد»^(*) وحالت الثقافة دون دخول جون بول سارتر السجن، ولكن الثقافة ذاتها والشفاعة لم تنقذا المفكر الإسلامي الكبير محمد باقر الصدر، ولا أبطال حرب فلسطين الذين تقدمت أسماؤهم من ذخيرة الموت المنهمرة عليهم بأوامر من صدام حسين وطه الجزائر اوي.

ولد جابر حسن الحداد عام ١٩٢١، لأبوين من قبيلة خفاجة العريقة، من فخذ آل حداد المعروف في مدينة الديوانية، المدينة الهادئة الجميلة، ذات التقاليد العربية الأصيلة من طيبة وكرم وشجاعة، فسميت على أساسها بالديوانية، وكان أجداده وآباؤه يمتهنون الحدادة في سوق المدينة، فنشأ جابر مع الحديد، واستمد منه صلابته وقوته.

(*) أوردنا هذه الكلمة المهمة مرتين في موردين من كتابنا هذا لأهميتها وتأثيرها.

وكان بأس أجداده وأعمامه شديداً، وقد ظهر جلياً في مشاركتهم الفاعلة في معركة الرارنجية عام ١٩٢٠، في الثورة العراقية الكبرى ضد المحتل البريطاني، وتم تدمير اللواء (١٣٥) البريطاني في هذه المعركة الشهيرة المشرفة في تاريخ قبائل العراق في الفرات الأوسط.

وقد ترعرع في حي الجديدة الشعبي قرب سوق المدينة، وسوق الحدادين وسط البلدة الوادعة المستلقية على ضفاف شط الديوانية، وأكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والإعدادية، لتسبح له الفرصة في السنوات الأولى من أربعينات القرن العشرين في القبول كطالب في الكلية الحربية الملكية ببغداد، ليتخرج منها ضابطاً برتبة ملازم عام ١٩٤٦ في صنف الخيالة.

وبعد عشر سنوات على تخرجه، وفي عام ١٩٥٦ بالتحديد لفت انتباه الملك فيصل الثاني هيئة الضابط جابر حسن الحداد في أحد الاستعراضات العسكرية، لما يتمتع به من قامه ممشوقة ووجه وسيم وجسم رياضي، إضافةً إلى كونه من صنف الخيالة، فاختره الملك ليكون مرافقاً له، ولكنه رفض هذا الاختيار الذي تهفو إليه النفوس ويراه الكثيرون شرفاً عظيماً، وكان سبب الرفض ما تتضمنه المراسم الملكية من انحناء للملك وتقبيل يده، وقال مخاطباً الملك: جلالة الملك اعذرني، لأنني لا أنحني إلا لله، ولا أقبل يداً غير يد رسول الله (ص) ويد والدي) وفي هذا الموقف فضيلة تحسب لكل منهما، للملك لأنه لم يعتبر ما بدر من الضابط عصيانياً للإرادة الملكية، وترك له حرية الاختيار، التي تلاشت في ظل حكم عصابات البعث فيما بعد، وللضابط الذي عبّر أدق تعبير عما يجيش في داخله من معاني العزة والكرامة والكبرياء.

شارك في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، ويبدو أن مشاركته لم تكن أساسية باعتبار أن قائدي الثورة تمسكوا بأسلوب السرية وأخفوا خطة الثورة وساعة انطلاقها

حتى على أعضاء الهيئة العليا للضباط الأحرار، واكتفوا بمفاتيح ضباط وحدتيهما فقط، فجاءت مشاركة الجميع بعد الإعلان عنها بصورة متفاوتة، وحسب البعد والقرب عن المناطق الملتهبة بالثورة.

ولكنه توقف عن تأييده للثورة منذ أيامها الأولى، وشجب البشاعة التي رافقتها، وما اتسمت بها فصولها من صورة مأساوية دراماتيكية في تصفية العائلة المالكة، ورئيس وزراء العراق المخضرم نوري السعيد.

ورغم ذلك فإن حكومة قاسم ومن خلال علاقتها المتطورة مع الاتحاد السوفيتي آنذاك، ولكفاءته العسكرية، اختير مع عدد من ضباط الجيش العراقي للانضمام إلى دورة مطولة عام ١٩٥٩ للتدريب على دبابات تي ٥٤ وتي ٥٥، وقد هيأته هذه الدورة ليكون آمراً لكتيبة الدبابات الخامسة، التي كان مقرها معسكر الرشيد، كما كان مسؤولاً عن تدريب كتائب الدبابات في منطقة الحصوة غرب بغداد، وفي عام ١٩٦١ بدأت اتصالات أحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش لإقناعه بالمشاركة في انقلاب يطيح بالزعيم عبد الكريم قاسم، وكانت اجتماعاتهم تتم في حديقة داره، وقد كانوا يمنونه باستلام حقيبة وزارة الدفاع أو رئاسة أركان الجيش بعد الانتصار، كما هي عاداتهم في الخداع واصطياد الفرائس ومن ثم الغدر والتنكيل بها.

وعلى أساس ما تقدم شارك في انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، وكان مكلفاً بالسيطرة على معسكر الرشيد في ذلك اليوم، وفعلاً تمكن من ذلك بعد أن التف من جهة الرستمية، ودخل متسللاً إلى كتيبته (كتيبة الدبابات الخامسة) وسيطر على مقر الكتيبة، ومن ثم على كل معسكر الرشيد بدون أن يطلق طلقة واحدة، وحرك الدبابات بدون عتاد، وغامر في التأثير على أتباع الحزب الشيوعي وأوهمهم بأن دباباته جاهزة ومستعدة للقتال، فاستسلموا بسرعة، فقام بإطلاق سراح السجناء

السياسيين، وكتب في مفكرة صغيرة له: «أطلقت سراحهم جميعاً ومن بينهم صالح مهدي عمّاش الذي احتضنني وقبلني وهو يبكي من الفرح».

ولكنه اصطدم مع عصاة بعث العراق التي تقود الانقلاب، وفي الوقت الذي كان فيه مسيطراً على معسكر الرشيد، حيث فوجئ بالطريقة التي عومل بها الزعيم عبد الكريم قاسم وأعوانه من الضباط، والطريقة الدموية البشعة التي تم إعدامهم بها بدون محاكمة عادلة، واتصل في حينها بطاهر يحيى وأحمد حسن البكر وأسمعهم كلاماً قاسياً، وكان ثائراً مزجراً، ولم تهدأ ثورته حتى نال من طاهر يحيى والبكر، فضمها له البكر كعادته، وعن سابق إصرار أرسلوا إلى مقر كتيبته مجموعة من أفراد الحرس القومي لغرض اعتقال العميد عبد المجيد جليل مدير الأمن العام الذي كان يحتجزه في مقر الكتيبة، ولأنه عسكري منضبط، لم يتحمل فوضوية ميليشيات البعث وهمجيتها فرفض تسليم الضابط لهؤلاء المدنيين، وجرت بينه وبينهم مشادة كلامية تطورت إلى الاشتباك بالأيدي، ولكنه وبمساعدة انضباط مقر الكتيبة تمكن من السيطرة على هذه المجموعة - وعددهم (١٠) مسلحين - وزجهم بالتوقيف في إحدى الغرف، وقد تبين لاحقاً أن أحدهم كان أمين سر القيادة القطرية علي صالح السعدي، وكان لهذه الحادثة، ولاعتراضه العلني والعنيف ضد إعدام الزعيم عبد الكريم قاسم، الأثر في اتخاذ عصاة البعث قرار إبعاده إلى الموصل كأمر لموقع الموصل، ومن ثم إحالته على التقاعد، ولم يكتفوا بذلك وإنما أمروا باعتقاله في أوائل شهر آذار (مارس) ١٩٦٣، وزجه في سجن رقم (١) لاقى فيه شتى صنوف التعذيب، ولما يمر شهر على انقلابهم الأسود، وانقطعت أخباره عن عائلته وذويه لمدة خمسة أشهر، إلى أن تم تخفيف الإجراءات على المحسوبين على القوميين، خاصة بعد محاولة حسن سريع في تموز (يوليو) ١٩٦٣، فوصلت إلى عائلته أخبار بوجوده في المعتقل عن طريق الدكتور هشام الشاوي (وزير التعليم العالي لاحقاً)، وظل في السجن حتى انقلاب عبد

السلام عارف على البعثيين في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، حيث أطلق سراحه من السجن رقم (١) تحت القصف المتبادل وزخات الرصاص بين المتقاتلين في معسكر الرشيد.

ومن تاريخ هذا الانقلاب، الذي يسميه بعث العراق بردة تشرين السوداء وإلى أيلول عام ١٩٦٥، ظل جابر حسن الحداد بين أولاده وكتبه وهوآياته الأخرى، حتى سمع المرسوم الجمهوري من خلال الإذاعة صادراً عن عبد السلام عارف بتعيينه متصرفاً للواء كربلاء، أي محافظاً لمحافظة كربلاء، والتي كانت تضم قضاء النجف ونواحيه، وقد صدر المرسوم الجمهوري دون أخذ رأيه بهذا التعيين، وقد ظل عازفاً عنه لمدة أسبوعين، لأنه كان يفضل الحياة العسكرية على المدنية، ولكن أصدقاءه الحريصين على العلاقة معه أقنعوه بأن الخدمة في هذه المدينة المقدسة، لا تقل أهمية عن رغبته في العودة إلى العسكرية، لما لها من أهمية كبيرة، فاقنع واستلم منصبه الجديد.

وباعتباره من العروبيين كان قد تأثر بجمال عبد الناصر، شأنه شأن جيل تلك المرحلة من الضباط والمدنيين، الذي اجتذبهم الفكر القومي، وسحرتهم قيادة عبد الناصر، ولشدة إعجابه به وضع صورته في غرفة الاستقبال، ولما تمضى على تعيينه محافظاً لكربلاء إلا أشهر معدودة، حتى سمع مع الكثيرين أن نظام عبد الناصر اقترف جريمة كبرى بإعدامه الكاتب الإسلامي الكبير سيد قطب (رحمه الله)، وكان العقيد جابر قد قرأ له الكثير، وكانت مكتبته تضم كل كتبه، صدمته هذه الحادثة، واستنكرها وشجبها، وليس أمامه من وسائل شجب هذا العمل المدان إلا سحب صورة جمال عبد الناصر المعلقة على الجدار واستبدالها بلوحة مخطوطة جميلة من الخشب المنحوت، كتب عليها الآية الكريمة ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ومن خلال ما تقدم لا أعتقد أن وعياً متقدماً لدى

أحد العرويين مثلما كان لدى العقيد جابر حسن الحداد، وخصوصاً في صفوف الضباط العسكريين الذين يندر أن تجد فيهم من يصلي في عقد الستينات، وعندما أقول ذلك أقولها عن تجربة ودراية.

هذه المعلومات التي أمدني بها ظافر نجل العقيد جابر حسن الحداد تحمل الإنسان على التوقف عند أكثر فصولها، وبالأخص عند متابعتها الصارمة لأبنائه في أداء الصلوات الخمس والفرائض الأخرى، وحسن الحديث والخلق الراقي بالتعامل فيما بينهم داخل البيت وفي المدرسة.

وفي الفترة التي قضاها خارج الوظيفة وبعد إطلاق سراحه من السجن في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، والممتدة إلى أيلول ١٩٦٥، وهو التاريخ الذي صدر فيه المرسوم الجمهوري بتعيينه محافظاً لكربلاء، في هذه الفترة التي تجاوزت السنة والنصف، تفرغ فيها إلى حياة عائلية هادئة، يقضي معظم أوقاته في المكتبة في الطابق الثاني من البيت، أو في الحديقة حيث كان له هواية ومنتعة في العناية بالزهور المختلفة والأشجار المثمرة، وكان يجب أن يأخذ أبنائه في نزهات وسفريات إلى الأماكن التاريخية مثل سامراء وبابل، أو حديقة الحيوانات أو مدينة الألعاب، وكان محباً لقراءة الأدعية بصوته الجميل وبلحن متضرع خلال قيادته السيارة وعلى طول الطريق، وكان يوقف سيارته إلى جانب الطريق عندما يحين موعد أي صلاة، ويطلب من أفراد عائلته أن تؤدي الصلاة جماعة.

يقول ظافر جابر حسن الحداد: «ولقد عثرنا لاحقاً في مكتبة والدي في أحد الحقائق، التي لم تطلها يد رجال ناظم كزار، وبعد تنفيذ حكم الإعدام به شريطاً مسجلاً لمدة أربع ساعات مليئاً بالنصائح والإرشادات الدينية والأخلاقية الموجهة لأولاده وبناته وعائلته، وكانت هذه النصائح والتوجيهات مستمدة من كتاب الله وأحاديث الرسول ﷺ وأقوال الإمام علي عليه السلام وكان قد سجله في شهر رمضان

من تلك السنة، والذي صادف وقوعه في شهر نوفمبر ١٩٦٩، أي قبل إعدامه رحمه الله بشهرين تقريباً، وقد استهل والذي كلامه إلينا بعد الحمد والثناء على الله عز وجل والثناء على خير الأنام رسولنا الأعظم ﷺ بقوله: يا أولادي الأعزاء، ربما سوف لن أكون بينكم في رمضان المقبل، فعليكم بالتمسك بالعروة الوثقى دين الله الإسلام بثقله كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وسيرة الإمام علي والحسين وزيد بن علي ؑ جميعاً من أمة الإسلام المجاهدين الغيارى على دينهم، ولا يغرنكم بالله الغرور، ولا تهفوا أفئدتكم وأرواحكم إلا الله سبحانه وتعالى في كل مطلب ودعاء ورجاء، ولا تغرکم وتخدعكم أي فكرة أو حزب، مهما بدت الفكرة براءة ولماعة وجميلة، واعلموا أن حزب الله هم المفلحون. واختتم رسالته المطولة بالقول: ستمر عليكم وعلى العراق أيام كالحة سوداء كريح السموم، فاصبروا لها وصابروا حتى يجد الله مخرجاً، وإن وجدتم أن العراق قد فسد أهله وأرضه وماؤه وهوأهه فهاجروا، فكل أرض الله هي أرضكم^(١).

والذي أراه وهو ما يؤكد نجله بأنه كان مسلماً وسطياً متعصباً لإسلامه، ويقدمه على العروبة، رغم أنه ينظر إلى العروبة على أنها أصل الفخر والعراقة والخلق النبيل، ومتلازمة مع إسلامه بشكل عميق وراسخ.

سُئل الإمام زين العابدين علي بن الحسين ؑ: أمن العصبية أن يجب الرجلُ قومه؟ قال: لا.

إنما العصبية أن يرى شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين.

ولذلك فإن ما يعتقده البعض بأن جابر حسن الحداد من القوميين المتعصبين يدحضه ما تقدم من كلام، لأن هذا البعض اطلع على وجهه القومي دون أن

(١) جزء مستل من ملزمة كتبها ظافر جابر حسن الحداد عن سيرة والده (رحمه الله).

يتمعن في ولائه للإسلام، وربما كانت ملاحظة هذا البعض قائمة على أساس عدائه المفرط للكيان الصهيوني واندفاعه اللامحدود من أجل تحرير الأرض السليبية، وكشفت لنا سيرته بأنه على استعداد أن يسترخص دمه ويضع روحه على راحتته لدفع غائلة العدوان، ولم يعرف عنه بأنه يدفع بالآخرين لتحقيق هذا الهدف بدلاً عنه.

وعندما كانت غيوم حرب حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ تتلبد في الأفق، وبدأت وحدات الجيش العراقي بالتحرك إلى الأردن، ومعها الملازم قيس نجل رئيس الجمهورية عبد الرحمن عارف، كتب العقيد جابر حسن الحداد محافظ كربلاء في حينه رسالة مطولة إلى رئيس الجمهورية، وأخرى إلى وزير الدفاع، طالباً الموافقة على منحه شرف المشاركة في هذه الحرب الوشيكة، وأن يتم تسليمه وحدة دروع مناسبة تحت قيادته، لقدرته العالية بالصنف المدرع ولخبرته في فلسطين، ولينهي ما بدأ به عام ١٩٤٨، وقد رد عليه رئيس الجمهورية ووزير الدفاع برسالتين شكراه على طلبه، وعلى غيرته العالية على القضية الفلسطينية، واعتذرا عن تلبية طلبه لحاجتهم له في موقعه كمحافظ لكربلاء.

ظل محبطاً وحزيناً لعدم استجابة طلبه ومما زاد الطين بلة، وزاد في آلامه ومكابדתه، الهزيمة المريرة التي منيت بها الجيوش العربية في تلك الحرب القصيرة، التي سميت بالنكسة والنكبة والعار كما وردت على لسان الشاعر الكبير مصطفى جمال الدين في مطلع قصيدة له:

للممّ جراحك واعصف أيها الشارُ ما بعد عارِ (حزيران) لنا عارُ^(١)

وبعد عام أو يزيد قليلاً على نكسة الخامس من حزيران ١٩٦٧، أُصيب

(١) مصطفى جمال الدين: الديوان، الجزء الأول، ص ١٩٥.

العراقيون بنكبة أخرى أمض إيلاماً من الأولى، عندما قفز حزب البعث مرة ثانية إلى السلطة فجر السابع عشر من تموز المشؤوم، وكانت ردود الفعل متفاوتة تجاه هذا الانقلاب الأسود، وربما يكون الموقف الجريء في الشجب والإدانة، والذي يحسب لصاحبه العقيد المتقاعد جابر حسن الحداد محافظ كربلاء، الذي لم ينتظر طويلاً، حتى يقدم استقالته احتجاجاً في ١٨/٧/١٩٦٨، وهي عبارة عن سطر واحد، وخالية من كل معاني الاحترام، ومقدمة إلى وزير داخلية الانقلاب صالح مهدي عمّاش. (سيجد القارئ الكريم صورتها في نهاية الكتاب) في الملحق رقم (١٠).

وجابر حسن الحداد من القلائل الذين يعرفون قادة الانقلاب وخلفياتهم وارتباطاتهم المشبوهة، وهو لم ينتظر أيضاً ما تؤول إليه الأمور من خلال القائمة التي قدمها صالح مهدي عمّاش وزير داخلية الانقلاب إلى رئيس الوزراء عبد الرزاق النايف بخصوص متصرفي الألوية والتي يقترح فيها: «إحالة بعض المتصرفين على التقاعد، ونقل البعض الآخر إلى وظائف أخرى»^(١).

وكانت هذه الاستقالة نذير شؤم أضمرها له البعثيون، كما أضمرُوا حقدهم لرشيد مصلح التكريتي جراء إصداره كتاب (المنحرفون) الذي عرّى فيه حزب البعث وقطعان الحرس القومي في فترة حكمهم الأولى -الفترة الشباطية السوداء- التي صاحبها عمليات تعذيب وقتل واغتصاب ودفن الأحياء، وتجاوز على القانون، ومصادرة حريات المواطنين، فتمت تصفية الاثنين مصلح والحداد، نتيجة للحقد الدفين في ٢١ / ٢ / ١٩٧٠.

في أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩، طرق الباب الخلفي لدار العقيد جابر حسن الحداد

(١) محسن الرفيعي: أنا والزعيم (مذكرات العقيد محسن الرفيعي)، إعداد وتحرير الدكتور ستار جبار الجابري، ص ١٣٤.

ضابط برتبة مقدم مبعوثاً من وزير الدفاع حماد شهاب التكريتي، فتح ظافر الباب، ولكن الضابط رفض الدخول إلى غرفة الاستقبال، واكتفى بالتداول بضعة دقائق مع العقيد الحداد، قدم خلالها نصيحة ومعلومات الفريق شهاب عما يدبر له، ونصحه بأن يترك العراق، وأن الرحيل بات أمراً ملحاً، لأن اسمه موجود على رأس قائمة سوداء لأكثر من (٥٠) شخصاً منهم شخصيات وطنية وعسكرية وعشائرية معروفة، سيتم تصنيفهم قريباً، وصدام التكريتي المشرف على العلاقات العامة (المخابرات) وعلى أجهزة الأمن، هو الذي وضع هذه القائمة.

وبعد أشهر معدودة، توجهت فجر ٢١ / ٢ / ١٩٧٠، مجموعة من عصابات الأمن والمخابرات، يقودها ناظم كزار مدير الأمن العام، لمداومة بيته في بغداد، وباء سعيها المحموم من إلقاء القبض عليه بالفشل، فاستعاضت عنه بسرقة أوراقه ووثائقه ومذكراته اليومية، ولكن مجموعة أخرى تمكنت من إلقاء القبض عليه في الديوانية، ومنها إلى بغداد، وفيها تم تعذيبه وطعنه بالحرايب وتمزيق جسده وقطع أذنه والتشفي به قبل رميه بالرصاص وتفجير رأسه بطلقة مسدس، وشوهد رأسه معصوباً بالشاش والجبس من قبل ذويه.

كل ذلك جرى بأوامر من الشذاذ المنحرفين طه الجزراوي وناظم كزار وعلي رضا باوه، رئيس وأعضاء المحكمة الخاصة بالانتقام من الوطنيين والشرفاء وأبناء العوائل الكريمة.

إن إلقاء نظرة سريعة على تاريخ كل واحد من المتقدمة أسماؤهم، تسعفنا بالوقوف على الرذائل والسقوط والتجاوزات، والكتاب الذي بين أيدينا خاص برئيس المحكمة الخاصة، ويركز على مراحل حياته المختلفة، ويمكن للقارئ الكريم أن يقارن بين حياة استمرات الاغتيالات والجريمة بكل تفاصيلها، وبين حياة ملؤها الخصال الحميدة من شجاعة وإخلاص وغيره على الدين والوطن

والقيم العربية، تلك هي حياة جابر حسن الحداد أحد ضحايا محكمة الجزراوي
سيئة الصيت.

والأنكى في كل ما صنعه هذه المحكمة المهزلة، أنها ألقت القبض على العقيد
المتقاعد جابر حسن الحداد صباح يوم ٢١ / ١ / ١٩٧٠، وحكمت عليه بالإعدام،
ونفذت الحكم رمياً بالرصاص في نفس اليوم، وهذا ما تشير إليه شهادة الوفاة
التي نضع صورتها في ملاحق الكتاب تحت عنوان (الملحق رقم ١١)، وليس هذا
فحسب، وإنما أصدرت قرارات مماثلة حصدت فيها أرواح العشرات، وفي نفس
اليوم أيضاً، ولا ندري كيف تسنى لهذه المحكمة دراسة التهمة وجمع أطرافها
وإحضار الشهود والمحامين، خصوصاً في قضية مهمة قد تكون عاقبتها وخيمة،
وقد شاهد الكثيرون طه الجزراوي -بعد سقوط نظامه- أمام المحكمة الجنائية
العليا وهو يتمتع بفرص كبيرة للدفاع عن نفسه في واحدة من جرائمه الكثيرة،
وشوهد في قفص الاتهام وهو يتساءل ويناقش في مواقف استعراضية إعلامية،
ويعترض على المحكمة وعلى أدائها، هو ومحاموه والإعلام المرجّف وأبواقه،
ويتناولون القاضي ببعض الكلمات القاسية مستغلين هذه الفرصة التي منحها
القانون للمتهمين، ويطالبون بالمزيد، في حين لم يعطِ الجزراوي وناظم كزار وعلي
رضا باوه حتى جزءاً يسيراً مما يتيح القانون لضحاياهم.

انكشاف المؤامرة

يقول السيد مسعود البارزاني: «حصل تنسيق وتفاهم بين حكومة الشاه
وبين الضابطين العراقيين عبد الغني الراوي وعبد الرزاق النايف رئيس الوزراء
المطروود، ثم تمّ إقناع السيد مهدي الحكيم نجل آية الله العظمى السيد محسن
الحكيم بالانضمام إليهما، فضلاً عن عدد من رؤساء العشائر العربية مثل هلال
بلاسم الياسين الذي نقلته المخابرات الإيرانية إلى إيران، وقام باتصال مع عدد

من ضباط الجيش العراقي للقيام بانقلاب، وقد تبين أن النظام كان على معرفة بالمؤامرة من البداية، وقد دس عناصره فيها ومنهم العميد الركن محمد علي سعيد مدير الحركات، فقد أعلن لهم موافقته على الانضمام إليهم وسافر إلى لندن بعلم من النظام وفق التعليمات الصادرة إليه من المتآمرين، وهناك تسلم مبلغاً مخصصاً له قدره مائة ألف دولار، كما دسّ النظام المقدم الركن فاضل عباس الناهي^(١) أيضاً، ومنهما وقف النظام العراقي على تفاصيل المؤامرة وأمسك بسائر خيوطها، وكان (صدام حسين) يشرف على التحضيرات والاستعدادات ويتابع سير المؤامرة مرحلة مرحلة ونقطة نقطة.

وبناء على طلب من إيران قدم عبد الرزاق النايف وعبد الغني الراوي إلى حاجي عمران مرتين، أولاهما كانت في ١٢ تموز ١٩٦٩، وثانيتهما في ١١ من شهر تشرين الأول، وكانت طلباتهما من قيادة الثورة التعاون في تنفيذ الانقلاب العسكري المرسوم، وعندما دخلنا معهم في حوار، تبين لنا أنهم لم يكونوا يملكون حلاً معقولاً للقضية الكردية، كما اتضح أن من الصعوبة التفاهم معهم على أسس واضحة ومعقولة لحلها.

من ناحية أخرى، توصل جهاز استخباراتنا إلى معلومات تفيد بأن النظام أقدم على عملية تطهير واسعة النطاق، لكل العناصر التي يشتبه في أنها ذات علاقة بالتآمر أو يحتمل أن تكون في صفوف المتآمرين، حتى لم يعد في الجيش من الضباط ما يصلح للقيام بعملية انقلابية كهذه، وبسبب من ذلك كان رد الثورة الاعتذار عن المشاركة بأسلوب رقيق خالٍ من استفزاز^(٢)

-
- (١) في كتابه محاولات اغتيال الرئيس، حدد برزان التكريتي اسم الضابط المدسوس بـ(فاضل حتوش الناهي) وليس (فاضل عباس الناهي) وقد أعطى برزان الدور الكبير في كشف المحاولة لمخبراته، بعد أن شوّه محتواها ومن دون أن يتطرق إلى أيٍّ من القنوات المذكورة، ص ٦٩.
- (٢) مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية، الجزء الثالث، ص (٢٢٢-٢٢٣).

ويقول السيد بهاء الدين نوري: «في يوم من أيام كانون الثاني ١٩٧٠، قدّمت إلينا السفارة السوفيتية في بغداد معلومات تفصيلية ملموسة حول خطة محكمة للقيام بانقلاب عسكري، وسيطلق اللواء العاشر المدرع من ثكنة عسكرية كانت في الماضي ميداناً لسباق الخيل بجانب حي المشتل، وكان الضابط المتقاعد عبد الغني الراوي، المشارك النشط في انقلاب ١٩٦٣، والذي دخل بعدئذ في خلافات حادة مع البعثيين، من أنشط المساهمين في الطبخة الانقلابية الجديدة أيضاً.

أرسل مكرم الطالباني، موفداً من قيادة (الحزب الشيوعي العراقي) إلى رئيس الدولة أحمد حسن البكر حاملاً إليه الخبر بتفاصيله، التي كانت تقضي باحتلال مبنى الإذاعة والتلفزة والقصر الجمهوري تحت جناح الظلام، ويبدو أن الحكام البعثيين لم يصدقوا تصديقاً تاماً في بادئ الأمر، لكنهم اتخذوا التدابير الفورية من باب الاحتياط، وفي ساعة الصفر المحددة بدأ التمرد من الثكنة المشار إليها، وجرت مصادمات وأُحْبِطت المحاولة الانقلابية، لأنها كانت قد فقدت عنصر الكتمان والمباغته، ويترأى لي أن نجاح الانقلاب كان مضموناً فيما لو لم يُحْط البعثيون علماً بالأمر قبل وقوعه.

وفي اليوم التالي لإحباط المحاولة الانقلابية استدعى البكر الطالباني إلى القصر الجمهوري من جديد وشكر ح ش ع^(١)، وقال له ما معناه:

لن أنسى ما حييت هذا الجميل، لقد أنقذنا ح ش ع من السقوط الموشك، لن تكون هذه شوارب رجل - وقد مد أصابعه لشواربه - ولن يكون لي شرف عسكري إذا قبلت بعد اليوم بأي اضطهاد للشيوعيين في ظل نظامنا هذا^(٢).

إضافةً إلى ما تقدم، تعددت القنوات التي كشفت للبعث خطة الحركة الانقلابية

(*) ح ش ع: الحزب الشيوعي العراقي

(٢) بهاء الدين نوري: مذكرات بهاء الدين نوري، ص (٤٠٢-٤٠٣).

التي يقودها عبد الغني الراوي، قبل استكمالها ووضع اللمسات الأخيرة للشروع بإطاحة النظام البعثي، وفي الصفحات الآتية، سنجد واحدة من هذه القنوات التي أوصلت معلومات دقيقة عنها، وقدمتها على طبق من ذهب لـ(صدام) الذي يقود المؤسسة الأمنية البعثية آنذاك.

المقدور حسن الخفاف

ومن بين ضحايا محكمة طه الجزراوي، حسن الخفاف زوج سعدية ابنة صالح جبر رئيس الوزراء في العهد الملكي، وشقيقة السياسي المعروف سعد صالح جبر، وقد كان لحادثة إعدام حسن الخفاف قصة مثيرة جداً يرويها ابن خالته جواد هاشم وزير التخطيط آنذاك، وفي هذه القصة يبدو واضحاً الانحطاط والدونية التي بلغت أخلاق البكر، وصدام، وطه الجزراوي، وسعدون شاكر، وفاضل البراك، وناظم كزار، وعلي رضا باوه، وعدنان خير الله، وهذه القصة تشكّل واحدة من حالات الدجل البعثي، وعدم الالتزام بالعهود والمواثيق، التي يقطعها المنافقون على أنفسهم، وهذه ليست الأولى من نوعها، وإنما هي واحدة من حالات عديدة لا يكفي هذا المجال لسردها، يقول جواد هاشم:

«حسن الخفاف، موظف بسيط في مديرية التقاعد العامة، وله في الوقت نفسه عيادة لتركيب الأسنان، وهو ابن خالتي ومتزوج بسعدية صالح جبر، ابنة رئيس الوزراء العراقي المعروف في العهد الملكي، وبالرغم من القرابة التي تربطني بالخفاف، إلا أننا لم نكن متقاربين، لا فكرياً، ولا في العمل السياسي، ولم أكن قد التقيت به لسنوات طوال.

إلا أنه زارني في أوائل كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٩، في مكنتي بوزارة التخطيط، كان في حديثه الكثير من الخوف والقلق، ولم يكن ذلك غريباً، حين عرفت الموضوع.

تلفت يميناً ويساراً، وقال بصوت خافت ومرتجف:

- أريد أن أريح ضميري وأخبركم أن هناك مؤامرة تدبر من قِبَل عدد من العسكريين والمدنيين لقلب نظام الحكم.

سكت قليلاً ليشعل سيجارة، ويده ترتجف، ثم استمر بالقول:

- إن الاجتماعات تُعقد في داري بمدينة المنصور، وأنا عندما ألتقيك هنا لا أخاطبك كقريب لي فحسب، بل كمسؤول لاتخاذ الإجراء اللازم، وكل ما أريده هو أن أعطى الأمان، وأن يُسَمَّح لي بالسفر إلى الكويت للعمل هناك، ثم أشعل سيجارة ثانية، وثالثة، وأخذ يذكر أسماء العاملين في هذا التنظيم: العقيد المتقاعد عبد الغني الراوي، العقيد المتقاعد صالح مهدي السامرائي، (الملحق العسكري في بيروت في العهد الملكي)، النقيب فاضل الناهي، و... مرافق أحمد حسن البكر المقدم فاضل البراك.

سكت الخفاف، وأخذ يبكي مردداً أن (المتآمرين) لو عرفوا بحديثي معك، فإنهم سينتقمون مني ومن عائلتي، ثم أضاف (إن المؤامرة هي بالاتفاق مع الحكومة الإيرانية، وإن السفارة الإيرانية في بغداد تزودنا بالمال والسلاح)، مؤكداً أن (أبا ناجي) -أي بريطانيا- مرتاحة إلى العملية.

جزاء سنمار

هزتني خطورة تلك المعلومات، فاندفعت حال خروج ابن خالتي الدكتور حسن الخفاف إلى رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر، في القصر الجمهوري، لنقل تلك المعلومات إليه.

وصلت القصر ظهراً ودخلت مكتب الرئيس، وما إن بادرت بالحديث عن الموضوع حتى هب البكر مقاطعاً:

- هذا موضوع تأمر وعسكر، اذهب حالاً لمقابلة الرفيق أبي عدي صدام حسين لبحث الموضوع معه.

وقادني عبر ممر داخلي إلى غرفة صدام حسين.

كان صدام مستلقياً على فراش النوم متوعكاً، ورأسه ملفوف بمنشفة، ذكرت لصدام كافة المعلومات، وهو يسمعها بهدوء، وما أن انتهيت، حتى قال لي: أرجو أن تشكر الدكتور حسن، وسحب من درج قريب مبلغ ٢٠٠ دينار وطلب مني أن أسلمها إلى الدكتور حسن، وأطلب منه أن يتعاون مع أبي رعد (سعدون شاكر)، مدير مكتب العلاقات العامة، وهو جهاز المخابرات آنذاك، ليضعوا لاقطات لتسجيل ما يدور في اجتماعات المتآمرين.

التقيت ابن خالتي في صباح اليوم التالي في مكنتي في الوزارة، سلمته المبلغ، وأبلغته تقدير صدام لمبادرته، وضرورة تعاونه في وضع اللاقطات في داره.

كان تجاوب حسن الخفاف كاملاً، وفي يوم لاحق زرته في داره، حيث طمأنني إلى أن أدوات الاتصالات مثبتة، وكل شيء على ما يرام.

كان تقديري في ذلك الوقت، أني قد قدمت خدمة إلى الحزب والثورة، وأن حسن الخفاف قد أمن على حياته بهذا التعاون مع النظام.

وفي أواخر كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٩، اتصل بي شفيق الدراجي، السكرتير العام لمجلس قيادة الثورة ليخبرني أن البكر يريد مني أن أترأس الوفد العراقي للمشاركة في المؤتمر الإقليمي الثالث لوزراء التربية والتخطيط العرب، الذي سينعقد في مدينة مراكش بالمغرب خلال الفترة من ١٢ كانون الثاني/يناير عام ١٩٧٠ إلى ٢٠ منه، بدلاً من الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى وزير التربية، ولما أبدت اعتذاري، لأن الوفد كان قد سُكّل قبل يومين برئاسة الجوارى، وأنه

لا يصح استبدال وزير التربية بوزير التخطيط، إضافةً إلى ذلك، فإن المؤتمر هو تربوي يتناول شؤون التربية والتعليم، غير أن الدراجي أوضح أن ذلك هو قرار من البكر، والقرار قطعي!

وهكذا كان، غادرت بغداد متوجهاً إلى المغرب عن طريق باريس يوم الخميس المصادف ٨ كانون الثاني/ يناير.

في طريق عودتي مع الوفد إلى العراق مروراً بباريس، استقبلني الدكتور محمد المشاط، سفير العراق في باريس، وفي السيارة بدأنا نستمع إلى نشرة أخبار الساعة الثانية عشرة مساءً عبر راديو بغداد، بدأ المذيع بقراءة البيان الرسمي عن كشف المؤامرة، وإذاعة أسماء (الوجبة) الثانية من المتآمرين الذين تم إعدامهم.

كم كان وقع المفاجأة شديداً عندما سمعت اسم حسن الخفاف من بين (الوجبة) الثانية من الذين نُفذ فيهم حكم الإعدام، يا ترى ماذا حصل؟ هل هناك تطور جديد؟ هل انقلب حسن الخفاف عليهم، وهذا أمر يكاد يكون مستحيلاً بعد أن كشف كل أوراقه لهم؟

تناهت إلي أسئلة كثيرة من دون جواب واحد، ويا ترى، لماذا رُتبت سفرتي إلى المغرب بهذه الطريقة؟، وهل هي من باب إبعادي عن المسرح لمنع تدخلتي في محاكمة حسن الخفاف؟ أسئلة كثيرة بانتظار الجواب، ولم يكن بمقدوري الحديث مع المشاط حولها، سعيت إلى العودة إلى بغداد بأسرع وقت ممكن، وهكذا، كانت زيارة باريس بمثابة كابوس كنت أنتظر الخروج منه بالسرعة الممكنة.

حال وصولي إلى بغداد، ذهبت لمقابلة صدام، وكان مرحباً بي، وأخذ يصف لي نجاحهم في كشف المؤامرة، وكيف ضبطوا كمية كبيرة من السلاح، منها ٣٠٠٠ رشاش، وأنه احتفظ لي بواحد منها على سبيل الهدية، ولكنه لم يذكر موضوع ابن خالتي، وعندما استفسرت منه عن ذلك، رد بكل بساطة قائلاً: لقد حدث (خطأ) لم أستطع تداركه في الوقت المناسب.

وهكذا، أُعِدِم الدكتور حسن الخفاف من جراء (خطأ)، لم يوضح صدام كيف يمكن أن يحصل مثل هذا الخطأ، وهناك محاكمة وشهادات، ومع ذلك، أردت أن أصدق ما قال لي، وأبعد عن ذهني مرارة الشك، مع أن تعابير وجه صدام والطريقة التي وصف بها العملية، والهدية التي قدمها إلي، وضعتني في جو، وكأن ما حصل لحسن الخفاف هو أمر ثانوي قياساً بالقضاء على المؤامرة.

وعلى الرغم من ذلك كله، أردت أن أقطع الشك باليقين، فاستفسرت من صدام عن مصير أبناء حسن، خاصة ابنه البكر واسمه عباس، (من زوجته الأولى وليس من سعدية صالح جبر)، وهو من المنتمين إلى حزب البعث وضابط بالقوة الجوية، طمأنني صدام، وطلب مني مقابلة عدنان خير الله، مسؤول المكتب العسكري، التقيت بعدنان في مكتبه الذي كان آنذاك في بناية متواضعة قرب مستشفى ابن سينا في كراة مريم، أكد لي عدنان أن الحزب يقدر عباس، خاصة أنه حزبي قديم ولا خطر يهدده أو يهدد وظيفته.

تُرى، هل كانت محاولتي في السعي إلى حماية عباس آنذاك من قبيل التكفير وإراحة الضمير؟ لا أدري.

وبعد أربعة أشهر، تم نقل الطيار عباس حسن الخفاف، العضو الحزبي، من القوة الجوية إلى وظيفة مدنية في وزارة الإصلاح الزراعي في قسم مكافحة الحشرات، الشيء الوحيد الذي له علاقة بين سلاح الطيران ووزارة الزراعة، هو أن قسم مكافحة الحشرات يستعمل طائرات بسيطة لرش المواد السامة!!

مؤامرة أم تخويف؟

إن كنتُ قد فوجئتُ من موقف صدام الذي كان موارباً ومخاتلاً في قول الحقيقة بشأن حسن الخفاف، فقد كانت مفاجئتي أكبر وأعظم، عندما زرت رئيس

المحكمة الخاصة التي أصدرت حكم الإعدام، وهو طه الجزراوي، فقد وصف الجزراوي والابتسامة العريضة تغطي وجهه، كيف أن حسن قال لهم في التحقيق ما جرى بينه وبينني وعن تعاونه مع الأجهزة المختصة في نصب اللاقطات في داره للكشف عن المتآمرين، وكيف أن صداماً أرسل إليه هدية بمئتي دينار، واستطرد طه الجزراوي قائلاً: كل ذلك لم يشفع له عندنا، واستمر ضاحكاً وهو يوجه كلامه إلي قائلاً: الحمد لله أننا لم نعتقلك أنت كذلك، وكان يبدو أنه فخور، بل مغتبط بما فعل.

صحيح أن حسن الخفاف أعلمني بالتآمر، ولكن مع ذلك كانت هناك بعض الأمور الأخرى تبعث على التساؤل: ترى، هل كانت هنالك مؤامرة فعلاً، وبالجمم الذي أعلن عنه، أم أنها كانت بداية لتصفيات، أو محاولة من تلك المحاولات التي كثيراً ما أقدمت عليها القيادة بهدف تخويف الشعب؟ وإذا كانت المؤامرة حقيقية وبهذه الخطورة، فلماذا التسرع في إصدار الأحكام وتنفيذها من دون إعلان تفاصيل المؤامرة على الشعب!!؟

ولكي أقف على الحقيقة، بدأت أبحث وأجمع المعلومات، وتحدثت مع أعضاء في القيادة القطرية، وأقسم لي البكر (بالمصحف) الذي لم يفارق مكتبه، على صحة المؤامرة، كما أن عبد الغني الراوي، قد أكد صحة المؤامرة لصالح عمر العلي (عضو القيادة القطرية سابقاً) عندما التقاه في السعودية في شباط/ فبراير ١٩٩١.

ومن التفاصيل التي وقفت عليها عن تلك المؤامرة ما يلي:

أ- كان البكر وصادم على علم بالمؤامرة، لأن فاضل البراك (مرافق البكر) والضابط فاضل الناهي كانا مدسوسين على المتآمرين، وإن المعلومات التي أدلى بها الخفاف وتسهيل نصب أجهزة الإنصات في منزله، ساعدت على تجميع الأدلة الثبوتية وعلى معرفة ساعة الصفر، إضافة إلى إعطاء المخابرات العراقية مصدراً

ثانياً للمعلومات تتأكد بموجبه حسن نية الضابطين المدسوسين، إذ قد يكون البراك والناهي متآمرين فعلاً.

ب- إن الحكومة الإيرانية، كانت تمد المتآمرين بالمال والسلاح، وكان الرسول بين السفارة الإيرانية والمتآمرين أحد العاملين بالسفارة الإيرانية ويدعى عبد الخالق بوشهري زاده.

اجتمع المتآمرون في ١٩ كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠، وحددوا الساعة الثامنة من مساء يوم ٢٠ من ذلك الشهر موعداً للتنفيذ، وكانت الخطة أن يتوجه العقيد صالح السامرائي مع ٥٠ عنصراً إلى القصر الجمهوري، حيث يكون فاضل البراك بانتظارهم، فيلقي القبض على البكر وأعضاء مجلس قيادة الثورة، عندما يكونون مجتمعين في الطابق الثاني من القصر (قاعة الاجتماعات)، وما أن وصل خبر الخطة إلى البكر، حتى سارع في صباح يوم التنفيذ بالاتصال بصلاح عمر العلي، يطلب حضوره إلى القصر ليكون بصحبة فاضل البراك عندما يقوم الأخير بفتح بوابة القصر.

وجاءت ساعة الصفر، الثامنة مساء يوم ٢٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٧٠، وفتحت بوابة القصر الخارجية ليدخل السامرائي وزمرته، ويستقبلهم البراك والعلي مرحبين بهم مؤكدين لهم أن البكر معتقل في إحدى غرف الطابق الأرضي (السرداب)، ودخل الجميع صالة الاستقبال الكبرى، وما إن وقعت عينا العقيد صالح السامرائي على صورة البكر المعلقة في الصالة حتى صاح بأحد جنوده، يأمره بإنزال الصورة، وفجأة صفعه صلاح عمر العلي، ودخل حرس القصر القاعة لإلقاء القبض على المتآمرين، وحاول السامرائي المقاومة، وجرى تبادل إطلاق النار، فقتل جنديان من حرس البكر، ولم تطل المقاومة، كما لم تطل محاكمة السامرائي، وبعد يوم واحد، أصدر مجلس قيادة الثورة بياناً أعلن فيه عن اكتشاف

المؤامرة، وعن تشكيل محكمة خاصة برئاسة طه الجزراوي وناظم كزار وعلي رضا (مدير مكتب العلاقات العامة التابع لمجلس قيادة الثورة).

صدرت الأحكام يوم ٢١ كانون الثاني/ يناير العام ١٩٧٠، ونُفذت في اليوم نفسه، وحُكم بإعدام ١٨ عسكرياً و٤ مدنيين، وفي اليوم التالي أُعدم ٨ عسكريين و٤ مدنيين، وهكذا بلغ مجموع الذين أُعدموا ٣٤ شخصاً، من ضمنهم اللواء رشيد مصلح التكريتي والعقيد مدحت الحاج سري.

وبعد يوم من إصدار تلك الأحكام، صرح طه الجزراوي، متلذذاً: لقد أكملت المهمة التي كلفني بها مجلس قيادة الثورة، وقد كانت القيادة تعلم بالمؤامرة قبل سنة من سحقتها، لكنها فضّلت الانتظار وجمع المعلومات والوثائق الثبوتية لتسهيل المحاكمة والإسراع بها، حتى لا يكسب المتآمرون عطف الجماهير في حال تم القبض عليهم مبكراً، وكأني بالجزراوي كان يريد القول ضمناً، أن الجماهير كانت تنتظر بفارغ الصبر نجاح المؤامرة، وربما كانت تنجح لولا إسراعه بتنفيذ أحكام الإعدام.

ومن المفارقات هنا، أن بعض عناصر المخابرات العراقية كانت قد كُلفت بمراقبة الدبلوماسي الإيراني عبد الخالق بوشهري زاده ليل نهار، بحيث لا تدعه يغيب عن أبصارها مهما كان الثمن، وفي صباح يوم ٢٠ كانون الثاني/ يناير من العام ١٩٧٠، (أي قبل ساعة الصفر) خرج بوشهري زاده من داره متوجهاً إلى المطار، فظنت العناصر المخابراتية أنه يريد مغادرة بغداد، فسارعت إلى اختطافه واقتياده إلى القصر الجمهوري، ليحقق معه صدام حسين بحضور تيمور بختيار (رئيس السافاك الذي كان قد لجأ إلى العراق).

لقد كان ذلك الاختطاف تسرعاً من المخابرات، إذ لم يكن قد أُعلن عن المؤامرة، ولم يكن السامرائي وأعوانه قد بدأوا بعملية التنفيذ التي حددوا لها

الساعة الثامنة مساءً، وعليه، فإن تعجل المخبرات كاد يؤدي إلى معرفة المتآمرين بالموضوع وبمراقبة الحكومة لها، وبالتالي عدم المباشرة بتنفيذ خطتهم وتفويت فرصة إلقاء القبض عليهم وإعدامهم، على حد تعبير طه الجزراوي، لذلك، قرر صدام إبقاء بوشهري زاده رهن (الاختطاف)، إلى حين تسفيره إلى إيران يوم ٢٦ كانون الثاني/يناير ١٩٧٠، وقد سبق تسفير بوشهري زاده، صدور بيان من وزارة الخارجية العراقية يوم ٢٢ كانون الثاني/يناير ١٩٧٠، أمرت بموجبه السفير الإيراني (عزت الله العاملي) وعددًا من أعضاء السفارة الإيرانية، بمغادرة بغداد خلال مدة ٢٤ ساعة.

وطُويت صفحة من صفحات سلسلة المؤامرات التي اكتُشفت، وعاد الجزراوي إلى منصبه الوزاري في الصناعة بعد أن تغيّب عن وزارته يومين، تكدّست خلالها المعاملات الروتينية الأخرى.^(١)

والسؤال الذي ما زال من دون إجابة هو: هل حقاً أن صدام حسين لم يكن يعرف بإعدام حسن الخفاف؟

قد أكون من قبيل محاولة الحفاظ على الذات، أقنعت نفسي آنذاك بصحة ادعائه، ولكن الأحداث اللاحقة أو أحداث الماضي القريب أقنعتني بعكس ذلك تماماً، وما يُشعرنني بالألم أكثر، هو أن أخوين لعباس حسن الخفاف، كانا متزوجين بابنتي خالتي، استشهدا في ما بعد، خلال الحرب مع إيران، ولمزيد من التعاسة، فقد اعتُبر شقيق الأختين مفقوداً في العمليات العسكرية.^(٢)

(١) لم يكن طه الجزراوي وزيراً في ذلك الوقت، وإنما هو استوزر لأول مرة للصناعة في آذار عام ١٩٧٠، أي بعد أكثر من شهرين من تلمّح يديه بدماء المشاركين بالمؤامرة، وأعتقد أن هذا

الاستيزار جاء بمثابة المكافأة له لخوضه في الدماء دون خوف أو وجل.. المؤلف.

(٢) جواد هاشم، مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام، ص (١١٧-١٢٣).

بعد أن اطلعنا عن كذب على عملية الغدر المفضوحة، وما رافقها من كذب ولف ودوران، ابتداءً من الخدعة التي بدأها رأس الشر صدام بإهدائه ٢٠٠ دينار للمغدور حتى يطمأن ويفشي كل أسرار العملية، ويتعاون على نصب لاقطات التسجيل في محل الاجتماعات، ومن ثم يأتي إبعاد ابن خالته وزير التخطيط ويتكفل ذلك أحمد حسن البكر، حتى يتم للمجرمين تنفيذ فعلتهم الشنيعة، والوزير بعيد عن مسرح العملية، حتى لا يتدخل أو يطلع على أسرار خفية عن طريق ابن خالته المغدور، وما رافقها من أعمال شائنة كالتخلي عن الالتزامات ونكث العهود التي أخذها صدام على نفسه، وذلك بإسناد رئاسة وفد خارج العراق تكفي مدته لما ينوون القيام به من تنكيل وإزهاق للأرواح، وذلك بقرار من شعبة سوء الضالع بالغدر أحمد حسن البكر، ثم تحتتم المسرحية بإهداء بندقية من صدام إلى جواد هاشم كانت إحدى غنائم المجزرة، أما حسن الخفاف فإنه قضى نحبه بسبب خطأ لا يمكن تداركه، ولم تنتهِ المسرحية بهذا الحد، وإنما كوفئ الخفاف باعتقال زوجته وطفله الرضيع، ولترك هذا الفصل من المشهد المؤلم إلى السيد أحمد الحبوبي، ليصفه لنا بعد أن كان المطلع على تفاصيله:

«ومر وقت لا أعرف مقداره، وإذا بصيرير الباب الحديدي الكبير يفتح من جديد، وأسمع صوتاً نسائياً يأتي من بعيد (عيني آني سعدية) فيصرخ رجل (أنت سعدية بنت صالح جبر الخائن) ولم تجبه المرأة إذ علا بكاء طفل يبدد سكون الليل، إن بكاءه مؤلم، يقطع نياط القلب، ولا يمكن احتمالها، إذ يبدو أن عمره لا يزيد على الشهر، رباه ما ذنب هذا الطفل؟ كم يؤلمني بكاءه وكأنه يحتج ببكائه على ما حل بأمه، وعلا صوت الأم تستنجد (عيني فدوه أريد شوية مي حار للطفل) فيجيبها صوت من الدهليز (اسكتي نامي ماكو مي) والطفل مستمر في صراخه، وتعاود الأم الاستنجاد من جديد ويجيؤها نفس الجواب، ورحت أفكر بهذه المرأة متسائلاً ما شأنها بالمؤامرة الأمريكية - الإيرانية - الرجعية فتزج مع طفلها بهذا

المكان؟ وأين زوجها؟ وعند من تركت أطفالها؟ وأسئلة حائرة كثيرة تلح على من أطلق لفكره العنان وهرب من عينه النوم، إن الفكر يظل حرّاً، ولا يقوى أي طاغية أن يجبسه، أو يغتاله، والفكر الحر هو الذي ساعد على تقويض دعائم الظلم والطغيان، فالتاريخ حافل بالعبر لمن يريد أن يعتبر، وذهبت محاولات الطغاة والجبابرة بالخسران والانكسار أمام الفكر الحر.. أنا لا أعرف عن المؤامرة شيئاً وبطبعي أكره المؤامرات، والانقلابات التي توصل إلى الحكم الانتهازيين، والمقامرین، والطغاة، والقتلة، والمجرمين الذين طالما لجؤوا إلى الطغيان والإرهاب تحت مسمى حماية (الثورة)، أية ثورة هذه (التي تخاف من امرأة وطفلها فتبادر إلى اعتقالها؟ بثت هذه الثورة وبثس الثوار، وظل الطفل يصرخ كأنه ملسوع لا يسكت مهما تحاول الأم إسكاته، يستريح قليلاً ثم يعاود البكاء والتشنج، أمن جوع يبكي، أم مرض، أم احتجاج على وجوده وأمه بهذا المكان؟»^(١)

وبعد هذا التنكيل، صدر قرار المحكمة بالحكم على سعدية صالح جبر وعلى الدكتورة (فاطمة الخرسان) بالأشغال الشاقة المؤبدة، ولكل واحد من هؤلاء المحكومين قصة مؤلمة مع ألام العصابة الحاكمة قبل وبعد إصدار الأحكام الجائرة بحقهم، وأمامنا قصة الدكتورة فاطمة الخرسان، وهي طبيبة لامعة ذات اختصاص في التوليد، تنتمي إلى أسرة عريقة ومن بيت علم وأدب، ذاع صيتها وانتشرت شهرتها في العراق في الستينات بعد النجاحات الكبيرة التي حققتها في مجال اختصاصها، ووطدت علاقاتها مع الكثير من الأسر العراقية، خاصة زوجات وقريبات الوزراء والسياسيين والصحفيين وأساتذة الجامعات ورجال الأعمال.

والدها السيد حميد الخرسان، عمل بزواً في بغداد، بعد أن قدمت إليها عائلته من مدينة السماوة مركز محافظة المثنى حالياً.

(١) أحمد الجبوي: ليلة المهري في قصر النهاية، ص (٥١-٥٢).

وأخوها عباس الخرسان، العضو العامل في الحزب السوري القومي الاجتماعي، وهو الذي نفذ عملية اغتيال فاشلة استهدف بها الشيشكلي، وزوجها السيد حسين ابن الشخصية العراقية الكبيرة السيد محمد الصدر رئيس وزراء العراق الأسبق، وهو من الذوات، وكان مطلوباً لسلطة البعث لضلوعه بالحركة، ولهذا السبب هاجر إلى لبنان وعاش فيها برعاية العلامة السيد موسى الصدر (رحمه الله) حتى توفي فيها.

حاولت عصابة (صدام) الضغط عليها من أجل الاستفادة من علاقاتها الواسعة، لكي تتعامل مع هذه العصابة في كشف أسرار الحوامل والمريضات من الأسر التي اعتادت زيارتها، ولكنها رفضت بشدة هذا الطلب، وتحدث مكتب العلاقات العامة الذي يرأسه ويديره (صدام التكريتي) بقوة وحزم.

واستخدموا معها لعبة قذرة في اتهامها بوجود صلات لها مع سيدات أجنبيات، وبالتالي فإنها تعمل لصالح دولهن، ومرة أخرى رفضت الدكتورة (فاطمة الخرسان) هذا الأسلوب الدنيء.

وحيكت ضدها مؤامرة، وتم اعتقالها بتهمة لا وجود لها ولا أساس غير الانتقام منها والثأر من مواقفها، وحكمت عليها محكمة (طه الجزراوي) بالأشغال الشاقة المؤبدة، وأمضت ثلاث سنوات سوداء قاسية في سجن النساء ومعتقل الفضيلية، وخرجت مرفوعة الرأس.

وبعد إطلاق سراحها، بدؤوا بتدبير محاولة خسيصة للتآمر عليها وتشويه سمعتها والطعن في مصداقيتها.

«وفي عصر يوم أسود، اقتحم عيادتها شاب ترتسم على وجهه إمارات الشر وعلامات الجبن، وطعنها عدة طعنات ثم أطلق عليها رصاصتين، وخرج تشيعه

صرخات النساء المريضات الزائرات للعبادة»^(١).

وشملت أحكام الإعدام العشرات من العسكريين ورجال الشرطة والمدنيين، وجرى تنفيذ الأحكام فيهم، رمياً بالرصاص بالنسبة للعسكريين، أما المدنيين فتم إعدامهم شنقاً، وكانت محكمة الجزراوي «قد أصدرت حكماً غيابياً بالإعدام لاثنين فارين، أحدهما اللواء الركن عبد الغني الراوي الذي وجهت إليه تهمة تزعم المؤامرة»^(٢) وعاش في المملكة العربية السعودية حتى وفاته.

وبهذه المناسبة نظم الحزب الحاكم في العراق، مظاهرات جابت المدن العراقية، تهتف بهتافات تدل على بربرية هذا الحزب ودمويته التي فاقت التصور، منها هتاف القتل واستباحة الدماء: (اعدم، اعدم، جيش وشعب، ويالك يا مجلس الثورة) ومنها أيضاً هتاف: (باسمك يا شعب يحكم الجزراوي).

ولكن طلاب دار المعلمين في الناصرية، وجُلهم من غير المنتمين لحزب السلطة يومذاك، غيروا الهتاف إلى: (باسمك يا شعب يحكم العزاوي) وكان اسم أحد مدرسي الدار (محمود صالح العزاوي)، ولم يستطع أزالام السلطة إيقاف هذا الهتاف الساخر، الذي ملأ أسماع (نعيم حداد) عضو القيادة القطرية، والحاضر يومها في محافظة الناصرية (ذي قار)، و(عبد الله محمد علي) المحافظ الكردي فيها، وهما يقفان على شرفة بناية المحافظة التي تمر أمامها الحشود المتظاهرة.

وعلى الرغم من كون الجزراوي يرى نفسه جديراً بالقيادة وبمنافسة صدام، إلا أن الأخير استطاع ترويض رفيقه وتدجينه على تحمل الذل والإهانات، ليس من صدام فحسب، بل من المتنفذين في عشيرة البيجات، ولهذا امتهن الجزراوي

(١) صحيفة (بغداد) العدد (٢١٤) في ٢٧/١/١٩٩٥، الموافق ٢٦ شعبان ١٤١٥هـ.

(٢) الأهرام، السنة (٩٥) العدد (٣٠٣٥٩) في كانون الثاني ١٩٧٠، الموافق ١٥ ذي القعدة ١٣٨٩هـ.

الكذب وتزوير الحقائق، وغيرها من أعمال الشر مما يساعده على البقاء في موقعه إلى جانب سيده، ولعل هذا هو السر الكامن وراء بقائه كل هذه الفترة الطويلة، ولم تحصد رأسه ماكنة الإعدامات التي طالت أكثر الرفاق، والسعيد منهم المطرود من وظائفه الرسمية ومواقعه الحزبية.

ولكي تتكشف لنا أبعاد شخصية (طه الجزراوي) أكثر فأكثر، لا بد من تسليط الأضواء على المتوفر لدينا من الأعمال الشريرة، التي قام بها من أجل تثبيت حكم الطاغوت في العراق، فقد نذر (الجزراوي) كل ما يملك في خدمة (صدام) حتى ولو كان ذلك على حساب كرامته وشرفه.

وعن مجزرتة هذه يمكن للقارئ أن يطلع على الملحق رقم (١٢) في آخر الكتاب.

غزو الكويت، تداعياته،
ومجازر الجزراوي
لا تنتهي



الجزراوي يحرض على اجتياح الكويت

وبعد عودة سعدون حمادي يوم ٢٦ حزيران ١٩٩٠ من جولة خليجية، انتهت في الكويت، والتقى مع الرئيس على الفور ليلبغه أمرين^(١).

الأول: أنه أخبره عن عدم اهتمام الكويتيين به، رغم أنه مبعوث شخصي للرئيس في هذه الزيارة الخليجية، واهتمامهم الاستثنائي بزيارة الدكتور علي أكبر ولايتي وزير خارجية إيران في الوقت ذاته، وأسهب حمادي وأطال في نقل أدق التفاصيل، فأوغر صدر الرئيس غيظاً وحقداً على الكويتيين.

الثاني: أكد على ضلوع وزير خارجية الكويت (صباح الأحمد الجابر) في إغراق سوق النفط بالإنتاج، التي اعتبرها العراق مؤامرة ضده، وإثر ذلك دعا الرئيس إلى عقد اجتماع برئاسته ضمَّ كلاً من طه الجزراوي، وطارق عزيز، وسعدي مهدي صالح، وسعدون حمادي، ولطيف نصيف جاسم، وطلب من حمادي أن يعيد ما أورده على مسامعه في جولته الخليجية، وما يتعلق بالكويت بوجه أخص، وبعد أن سمع الحاضرون من حمادي، تناوبوا على الحديث «لإظهار تأييدهم للرئيس وإيجاد المسوغات التي تبرر له مضيئه في الخيار الجديد الذي وصفه بأنه (لغة أخرى في التعامل مع الكويت)»^(٢).

(١) سعد البزاز: الجمرالات آخر من يعلم، ص ٥٢.

(٢) المصدر نفسه: ص ٥٤.

وقال طه الجزراوي:

«عندما لا نكون قادرين على إطعام شعبنا وجيشنا بسبب تدهور أسعار النفط، فإن ذلك يعني أن هناك من يريد لنا الهزيمة داخل بيتنا، وإن ما عجزت إيران عن تحقيقه في الحرب ضدنا، يمكن أن يتحقق بالوسائل الاقتصادية لإظهار عجزنا كقيادة، وبالتالي فمن حقنا أن ننقل المعركة إلى الجانب الآخر»^(١).

ولم يتردد طه الجزراوي في القول: «عندما يكون لدينا مليون جندي لا نستطيع أن نؤكلهم (نطعمهم)، فلنرسلهم إلى أرض أخرى يأكلون من أنعامها»^(٢).

إن كلام (طه الجزراوي) المتقدم ما هو إلا دفع باتجاه تأزيم الموقف أكثر، ودعوة مباشرة منه لاحتلال الكويت وسرقة خيراتها وإشباع مليون جندي عراقي جائع. والغريب أن يقع في هذا الشطط الكاتب (محمد حسنين هيكل) لتبرير عمليات النهب الكبرى التي قام بها جند القادسية الثانية في الكويت، فيعلل ذلك قائلاً: «فإن مظاهر الغنى والوفرة في الكويت، كانت إغراء لا يقاوم بالنسبة لجنود جاؤوا جميعاً من مناطق ريفية بسيطة»^(٣).

الوثائق تدين الجزراوي

بعد اندلاع الأزمة باجتياح الكويت، ساهم (طه الجزراوي) من موقعه كنائب أول لرئيس الوزراء، وبعد أن عُيِّنَ رئيساً للجنة نهب موارد الكويت وممتلكات الكويتيين، أرسل توجيهاته وتعليماته إلى الوزارات كافة، ومنها وزارة التجارة، لاتخاذ ما يلزم بشأن مصادرة ممتلكات الكويتيين الذين غادروا البلاد، بعد أن

(١) سعد البزاز: الجنرالات آخر من يعلم، ص ٥٥.

(٢) المصدر نفسه: ص ٥٤.

(٣) محمد حسنين هيكل: حرب الخليج، أوهام القوة والنصر، ص ٤٣.

روعهم الجيش الغازي في غلس الليل البهيم، فتركوا أموالهم وممتلكاتهم في رحمة الغازين الجائعين على حد تعبير (طه الجزراوي) كما مر في حديثه.

أما الممتلكات والبضائع التي لم يغادر أصحابها الكويت، فتسلم إلى أصحابها بعد تقديم ما يؤيد عائديتها لهم للتصرف فيها داخل القطر، وبالعملة العراقية بعد إسقاط الدينار الكويتي، ومعاقبة من يتعامل به.

وفي حالة وجود مشاركة، تصدر حصة الشريك الهارب، ويتفق مع الشريك الموجود على تسليمه نصف المواد والبضائع، أو تعويضه بالمبالغ عنها، ولا ندري أن الأحداث المتلاحقة بعد تاريخ هذا الكتاب الصادر من (طه الجزراوي) والذي نرفقه كوثيقة مع هذا الفصل، هل سمحت بإعطاء الشريك الموجود في الكويت حقه؟

ولم تتحدث الوثيقة المرفقة التي نشير لها برقم (١) عن ممتلكات الدولة التي هاجر المسؤولون عنها خوفاً من القتل والتنكيل، وصارت ملكاً لعلي حسن المجيد وعدي صدام حسين، وحسين كامل، ولمثليين أرسلتهم الوزارات والنقابات والاتحادات لنقلها من الكويت إلى العراق.

الوثيقة المرفقة تكشف عن تمادي (طه الجزراوي) وتشجيع النظام الذي ينتسب إليه، هذا هو حكمننا، وللقارئ الكريم ما شاء أن يصف هذه العصابة، التي جثمت على صدر العراق العزيز ما زاد على ثلاثة عقود ونصف.

نص الوثيقة رقم ١ - (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية العراقية
عضو مجلس قيادة الثورة
النائب الأول لرئيس الوزراء
وزارة التجارة - مكتب الوزير

رقم / ١٤٥٠
تاريخ: ٥ ربيع الأول ١٤١١ هـ
تاريخ: ٢٤ / ٩ / ١٩٩٠ م

م / تسليم مواد

يتخذ ما يلي بشأن المواد والبضائع في محافظة الكويت:

- ١- تسلم المواد والبضائع العائدة للعربي أو الكويتي (صاحب معمل - مخزن - متجر) إلى أصحابها بعد تقديم ما يؤيد عائدتها لهم للتصرف بها داخل القطر.
- ٢- في حالة وجود مشاركة في المواد والبضائع وعدم وجود أحد منهم تصدر حصة غير الموجود منهم ويتفق مع الشريك الموجود على تسليمه نصف المواد والبضائع أو تعويضه بمبالغ عنها.
- ٣- مصادرة المواد والبضائع العائدة للأشخاص غير الموجودين أو العائدة لمن صودرت أمواله.

لاتخاذ ما يلزم.. مع التقدير

طه الجزراوي

النائب الأول لرئيس الوزراء

صورة منه إلى:

رئيس اللجنة

الرفيق علي حسن المجيد - عضو القيادة القطرية للحزب المحترم

راجين الاطلاع.. مع التقدير

(*) زين العتيبي: أسرار المقاومة الكويتية. الوثائق.

إصدار أوامره بالذبح

ومن الانتهاكات السافرة التي نفذتها العصابة الحاكمة في بغداد، ذبحها أبقار الكويتيين في (٣٤) مزرعة في منطقة الصليبية، بحجة أنها مصابة بالأمراض، وخوفاً من انتقالها إلى الإنسان لأنها من الأمراض المشتركة، والوثائق (٢) و(٣) تعبر عن التماس مرفوع من الشركة الكويتية للألبان إلى المحافظ (عزيز النومان)، لغرض استثناء أبقار الحليب والحوامل من الذبح، نظراً للحاجة الماسة إليها.

وعلى ضوء ما تقدم يخاطب محافظ الكويت (عزيز النومان) ممثل وزارة الزراعة والري في الكويت لاستكشاف الأمر، وهذا ما توضحه الوثيقة رقم (٤).

وجواباً على كتاب (عزيز النومان) يأتي الرد الحاسم من الدكتور (عبد الله ناصر حسين) ممثل وزارة الزراعة والري، يؤكد فيه على عدم التراجع عن الذبح، لأنه استلم بهذا الخصوص أمرين: الأول من (علي حسن المجيد) عضو القيادة القطرية وزير الحكم المحلي، الذي يكلف وزارة الزراعة والري بواجب ذبح كافة الأبقار الموجودة في محافظة الكويت، لوجود أمراض خطيرة ومتوطنة في الكويت، وخوفاً من انتقالها إلى محافظات القطر وأن هذه الأمراض مشتركة مع الإنسان، وعليه يعتذر وكيل الوزارة من النظر في طلب الشركة الكويتية للألبان بتأجيل عملية الذبح، والأمر الثاني من (طه الجزراوي) النائب الأول لرئيس الوزراء الذي يؤكد فيه على متابعة عملية الذبح، وإنجاز الواجب بأسرع وقت ممكن، كما هو موضح في الوثيقة رقم (٥).

الأمر المريب هنا: لماذا اللجوء إلى ذبح الأبقار المريضة دون معالجتها مثلاً؟! ولماذا لم تحرق إذا كانت الأمراض بالمستوى الخطير على الناس؟! كما تشير إلى ذلك كتب العصابة الحاكمة في بغداد، ومما يمكن استنتاجه من الوثائق المرفقة أن مكيدة السلطة البعثية مفضوحة تماماً وهي أن عملية ذبح هذه الأعداد الكبيرة من

الأبقار، إنما نفذت لتكون طعاماً لجنود النظام وضباطه!

إن الفاتحين القوميين لم يكتفوا باستباحة الكويت أرضاً وشعباً وأمواًلاً خاصة وعامة، فطالت جريمتهم الأبقار ذات الفوائد المتعددة والنفع العام لأنهم مطبوعون على النظرة القصيرة التي لا تتعدى أنوفهم وتتجسد في الذبح وإسالة الدماء، فنفذوا هذا العمل المدان الذي مهّد له (طه الجزراوي) وهو يقترح على سيده الرئيس بقوله: «عندما يكون لدينا مليون جندي لا نستطيع أن نؤكلهم (نطعمهم)، فلنرسلهم إلى أرض أخرى يأكلون من أنعامها».

ولذلك طبق الفاتحون الجدد هذا الاقتراح، فنهشت جحافل جيشهم الغازي أبقار الكويتيين بدناءة لا توصف في (٣٤) مزرعة في منطقة الصليبية بحجة مختلفة، وما أكثر الحجج المختلفة والحيل الخبيثة التي ينسجها حكام بغداد لتضليل الرأي العام والتمويه على العراقيين، من أجل التعتيم على جرائم بشعة ارتكبوها خلال ثلاثة عقود من حكمهم البغيض.

نص الوثيقة رقم - ٢ -

بسم الله الرحمن الرحيم

الشركة الكويتية للألبان

التاريخ ١٩٩٠ / ١١ / ٢٤

الإشارة:

سعادة المحافظ المحترم

تحية واحتراماً وبعد:

علمنا هاتفياً من ممثل وزارة الزراعة بأن هناك (قرار)^(*) يقضي بذبح جميع الأبقار في منطقة الصليبية ، وحيث أن ذلك القرار يؤثر على معمل الألبان التابع للشركة الكويتية للألبان، فقد سلمنا كتاباً للسيد مبدر المرسومي ممثل وزارة الصناعة والتصنيع العسكري موجهاً للسيد وزير الصناعة والتصنيع العسكري باعتباره الجهة المسؤولة عن الألبان، نطلب فيه استثناء الأبقار الحلوب والحوامل من القرار السالف الذكر، حتى تتمكن الشركة من الاستمرار بعملها لتلبية احتياجات البلاد من الحليب الطازج ومنتجاته، لتوفير الأمن الغذائي للبلاد في الظروف الحالية، حيث أن الشركة تقوم باستلام الحليب الطازج من مزارع الأبقار الكائنة في منطقة الصليبية وعددها ٣٤ مزرعة أبقار، تقوم حالياً بتزويد معمل الألبان بحوالي ٨٥٠٠ لتر من الحليب الطازج يومياً، حيث تقوم الشركة بتصنيعها وتوزيعها يومياً على المستشفيات والجمعيات التعاونية والبقالات وباقي المستهلكين.

لقد علمنا هاتفياً من السيد مبدر المرسومي ممثل وزارة الصناعة والتصنيع العسكري، بأن قرار ذبح الأبقار هو قرار نهائي صادر عن جهات عليا ولا يمكن إجراء أي استثناء عليه.

(*) هكذا وردت في الوثيقة والصحيح (قراراً).

ولدى استفسارنا عن مصير معمل الألبان في حالة ذبح جميع أبقار المزارع، أفادنا السيد ممثل وزارة الصناعة والتصنيع العسكري بأن لكل حادث (حديث) (*) وعندما تنتهي الأبقار يمكن بحث موضوع المعمل.

لقد حاولنا التنسيق مع السيد ممثل وزارة الزراعة لمعرفة برنامج ذبح الأبقار، حتى يتم التصرف مع العاملين بالمصنع طبقاً لكمية الحليب الطازج المتوقع استلامها من المزارع خلال الفترة القادمة، فلم نحصل على جواب (شافي) (*) حول هذا الموضوع الهام، حبذا لو تكرمتم بإعلامنا رأيكم حول الموضوع المذكور أعلاه، لنتمكن من التصرف السليم وبرمجة العمل للفترة المقبلة.

شاكرين لكم حسن تعاونكم معنا

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

نائب المدير العام

(*) هكذا وردت في الوثيقة، والصحيح (حديثاً).

(*) هكذا وردت في الوثيقة، والصحيح (شافي).

نص الوثيقة رقم - ٣ -

بسم الله الرحمن الرحيم

الشركة الكويتية للألبان

التاريخ ١٩٩٠/١١/٢٤

الإشارة:

سعادة المحافظ المحترم

تحية واحتراماً وبعد:

علمنا بأن هناك قراراً بذبح أبقار منطقة الصليبية، نتيجة لإصابتها ببعض الأمراض، وإمكانية نقل هذه الأمراض لغيرها من أبقار المحافظات الأخرى.

ونظراً للظروف الراهنة وللحصار الاقتصادي المفروض علينا، فإننا نتمنى التكرم بالموافقة على تأجيل العمل بالقرار المذكور، وذلك للاستفادة من حليب الأبقار الحلوب والحوامل الموجودة في مزارع أبقار الصليبية، لسد احتياجات البلاد الملحة، وإن لدينا معمل ألبان (متطور)^(*) يقوم ببسترة وتصنيع الحليب الطازج، وبذلك يتم القضاء النهائي على جميع ميكروبات الأمراض التي تصيب الأبقار مما يمنع إصابة الإنسان بالأمراض بشكل قاطع، خاصة وقد كنا نتعامل مع أبقار المنطقة طيلة العشرين سنة الماضية دون حدوث أي إصابة لأي إنسان يتناول الحليب الطازج المبستر، حيث أن عملية البسترة بحد ذاتها تقضي على ميكروبات جميع الأمراض وتجعله آمناً للاستهلاك الآدمي.

إن تأجيل عملية ذبح الأبقار بالوقت الحاضر تؤمن مصدراً ذاتياً للحليب نحن في أشد الحاجة إليه، ويجعلنا نستفيد من طاقات مصنع الألبان الوحيد بالمحافظة المتخصص ببسترة وتصنيع الحليب الطازج، والذي يفقد قيمته تماماً في حالة ذبح الأبقار الحلوب الواردة من مزارع أبقار الصليبية البالغ

(*) هكذا وردت في الوثيقة، والصحيح (متطوراً).

عددها ٣٤ مزرعة، والتي تقوم بتزويد المصنع حوالي ٨٥٠٠ لتر حليب يومياً، يمكن مضاعفتها في حالة إيقاف عملية ذبح الأبقار حالياً، واستقبال الولادات الجديدة التي تؤمن للبلاد مصدراً جيداً مستمراً للحوم الحمراء أيضاً، إضافةً للحليب الطازج كما أسلفنا.

نتمنى أن يلقي كتابنا هذا اهتمامكم ودعمكم لما فيه المصلحة الوطنية، وتأمين الاكتفاء الذاتي والأمن الغذائي للبلاد، خلال هذه الفترة العصيبة والحصار الاقتصادي المفروض علينا.

شاكرين لكم اهتمامكم

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

نائب المدير العام

بسم الله الرحمن الرحيم

العدد ٣٣٧/٢٧/٣

وزارة الحكم المحلي

التاريخ: ١٠ جمادى الأول / ١٤١١ هـ

محافظة الكويت

الموافق: ٢٨ / ١١ / ١٩٩٠ م

الأفراد

إلى / ممثل وزارة الزراعة والري

الموضوع: طلب

نرفق طياً طلب الشركة الكويتية للألبان المؤرخ في ٢٤ / ١١ / ١٩٩٠ م
للاطلاع على ما ورد بالطلب وبيان رأيكم لطفاً.

عزيز صالح النومان

محافظ الكويت

المرفقات:

طلب

نص الوثيقة رقم - ٥ -

بسم الله الرحمن الرحيم

العدد: ٦٤٢

الجمهورية العراقية

التاريخ: ٤ / ديسمبر / ١٩٩٠

وزارة الزراعة والري

الموافق ١٦ جمادى الأولى / ١٤١١

فرع زراعة وري الكويت

إلى محافظة الكويت / مكتب السيد المحافظ

م / طلب

كتابكم المرقم ٣٣٧ في ٢٨ / ١١ / ١٩٩٠ نود علمكم بما يلي:

- ١- إن وزارة الزراعة والري، كلفت بواجب ذبح كافة الأبقار الموجودة في محافظة الكويت، من قبل الرفيق المناضل علي حسن المجيد عضو القيادة القطرية، (بوجود) (*) أمراض خطيرة ومتوطنة في محافظة الكويت، وخوفاً من انتقالها إلى محافظات القطر الأخرى، ومن هذه الأمراض مشتركة مع الإنسان، وعليه (نعتذر النظر) (*) في طلب الشركة الكويتية للألبان بتأجيل عملية الذبح.
- ٢- بلغنا من قبل السيد وزير الزراعة والري في ٢٥ / ١١ / ١٩٩٠، بناء على توجيه السيد النائب الأول لرئيس الوزراء بمتابعة عملية الذبح وإنجاز الواجب بأسرع وقت ممكن.

للتفضل بالاطلاع مع التقدير

د. عبد الله ناصر حسين

ممثل وزارة الزراعة والري

نسخة منه إلى /

الثروة الحيوانية مع الأوليات..

(*) هكذا وردت في الوثيقة، والصحيح (لوجود).

(*) هكذا وردت في الوثيقة، والصحيح (عن النظر).

إن الذي يمعن النظر في ارتكابات الجزراوي الخارجة على القانون في كل مراحل حياته لا يتردد عن وصفه جزراً بامتياز، وفي لقبه شيء من إجماع لما يحمل من نفس لا تتعامل إلا بالحديد والنار في تصفية المعارضين، وتاريخه حافل بجرائم الاغتيال منذ أيام شبابه، فقد شهدت مدينة الموصل أعمال عنف في إدبار مؤامرة عبد الوهاب الشواف، حتى اغتيل في تلك الفترة (٤٠٠) مواطن، جاء هذا الرقم على لسان السيد محمد حديد الشخصية السياسية المعروفة، الذي حدد واحداً من الضالعين بهذه الجرائم وسماه باسمه، وهو طه الجزراوي.

وقد مرت علينا واحدة من مجازر الجزراوي الرهيبة، بعد تعيينه رئيساً للمحكمة الخاصة بمحاكمة المتهمين بحركة عبد الغني الراوي، وكان دوره مشهوداً في التصفيات التي طالت العشرات من الشخصيات الوطنية والقومية والعشائرية.

إن أكثر ما يفرح الجزراوي عندما يتدب لأعمال القتل والتنكيل، وبلغت قسوته غير العادية معدلات عالية في تعامله مع أبطال انتفاضة شعبان ١٩٩١، في الحلة والنجف وكربلاء، فقد أشرف على دفن الآلاف في مقابر جماعية، ولإيغاله في أعمال البطش أمر بدفن سيارة بكامل ركابها، من دون أن يأبه لصراخ المنكوبين فيها، وقد أظهرت عمليات الكشف عن المقابر الجماعية أن طالبات جامعات تم وأدهنَّ، وهُنَّ يحملن حقائبهن اليدوية.

وقد جمعت أيام ما بعد الانتفاضة اللواء الركن صباح فرحان التكريتي قائد الفيلق الرابع آنذاك، مع العميد الركن نجيب الصالحي ضابط ركن الثاني حركات الفيلق ليركبا عجلة نوع باجيرو موديل ٩٠، ومعهما جندي سائق، وآخر حماية، في الطريق إلى محافظة ذي قار، وكان اللواء الركن صباح التكريتي «يردد مع نفسه ولكن بصوت مسموع عبارة (اتلفوا أظبايرهم) وكررها عدة مرات مع نوع من

الحسرة والتأفف البالغين، قلت: ما هو الموضوع (والقول لنجيب الصالحى)..
هل هي نكتة جديدة في بغداد؟

قال: لا، إنها مأساة مررت بها ولم تغادر ذاكرتي منذ بداية العام وحتى هذه
اللحظة.. وسأحكيها لك:

قال: عندما كنت قائداً للفرقة الرابعة مشاة، كلفت في آذار ١٩٩١، بالهجوم
على الحلة والنجف لتطهيرها من (الغوغائيين) وتحت إمرة طه الجزراوي وحسين
كامل، وفي النجف حيث التقيت طه الجزراوي في مقره، وكان عبد الرحمن الدوري
وماهر عبد الرشيد وعناصر من الحرس الخاص والحمايات جالسين أيضاً.. الخ.

دخل علينا أحد المخبرين وقال: توجد مجموعة من علماء الدين مجتمعين في أحد
البيوت، وأعطى العنوان والدلالة كاملة.. فاهتم الجزراوي بذلك وصرخ يأمرهم
(كتفوهم واحضروهم فوراً) وبعد مدة تم إحضارهم، وكانت تظهر عليهم الهيبة
والوقار ويتقدمون باتجاهنا بثقة واطمئنان، تعرّف بعضنا على أحدهم وهو ابن
السيد الخوئي، وكان الخوئي قد أرسل إلى بغداد بناءً على أوامر من صدام نفسه.

وخاطبهم طه الجزراوي: على من تتآمرون يا خونة؟

أجاب أحدهم: لا.. نحن لا نتآمر.. هدفنا تهدئة الأمور وقد أوصينا الناس
بذلك ونعمل على حفظ الأرواح ونتجنب سفك الدماء ما أمكن، وهنا أوماً
الجزراوي إلى ضابط الحماية قائلاً: اتلفوا أضيابيرهم!

وأضاف محدثي صباح التكريتي: فهمت من عبارة (اتلفوا أضيابيرهم) أنه
أمر بإعدامهم، واقتيد العلماء الثمانية إلى مقر قوات النداء حرس جمهوري لتنفيذ
الإعدام فيهم رمياً بالرصاص.. وتم ذلك بالفعل!

وبعد ذلك اتصل صدام هاتفياً، يريد أن يرى هذه المجموعة من العلماء، ويبدو

أنهم كانوا موضوع حديث للسيد الخوئي مع صدام، فأصبح الجميع بمأزق ولا بد أن يتدبروا الموضوع ويلبوا طلب صدام، رغم أن هذا الفعل وهو قتل رجال الدين لا يعرض أحداً إلى المحاسبة، وإنما بالعكس في تلك الفترة بالذات يعتبر صفة للولاء والشجاعة.

ماهر عبد الرشيد اقترح.. أن يقولوا أن الغوغاء قتلوهم!

عبد الرحمن الدوري اقترح.. وضعهم داخل عجلات مقلوبة على الطريق فيبدو موتهم وكأنه حادث!

ثم قال صباح: لا أعلم كيف تمّ تدبير الموضوع!

ولكن كان يبدو عليه تأثيره الشديد لما حدث دون أن يعلن ذلك صراحة، وكان يردد بين الحين والحين ساخراً من عبارة (اتلفوا أضيابيرهم)، وعند وصولنا الناصرية ولقائنا بالمحافظ اللواء الركن عبد الإله العناز، أعاد صباح سرد الحكاية نفسها وبذات التفاصيل والأسلوب ودون أي تحفظ أيضاً.

يضيف العميد الركن نجيب الصالحي قائلاً: بقيت هذه القصة تتردد في ذاكرتي أنا أيضاً، وكنت أحاول تكملة جوانبها الأخرى، وبدأت أبحث عن رواية أخرى أكثر صدقاً، وكيف تمّ تنفيذ حكم الإعدام بمجموعة علماء الدين ومتى ومن هو المسؤول.. الخ، وبعد عام، التقيت بأحد الضباط في مقر قوات النداء حينذاك، وقلت له سمعت كذا وكذا (رويت له ما سمعت)، ما هو رأيك هل في الكلام مبالغة؟، فقال: الكلام صحيح، ولكن القصة ناقصة وسأروي لك الفصل الثاني منها والذي بقي غامضاً، قلت: ما هو؟، قال: جيء بهؤلاء العلماء إلى مقر قوات النداء، حيث كان القائد العميد الركن معتمد التكريتي، وأخبروه بأن هؤلاء محكوم عليهم بالإعدام، وعليك إعدامهم خلال (٣٠) دقيقة وإخبار طه الجزراوي بذلك.

قال معتمد مع نفسه وسمعه قريبون منه، (هاي) ورطة جديدة، ما ذنب هؤلاء الأبرياء، وبدأ يماطل في تنفيذ الإعدام وكان كل نصف ساعة تقريباً يأتي إلى مقر القيادة مسؤول حماية الجزراوي ليتأكد من تنفيذ الإعدام، ويعطيه معتمد عذراً ليصرفه بعض الوقت عسى أن تنجلي بعض الأمور، ولكن طه الجزراوي كان يلح في موضوع الإعدام كثيراً، ومعتمد يدعو الله سبحانه على تخليصه من هذه الشدة، وكان ينتظر وصول حسين كامل عله يؤثر عليه ويمنع تنفيذ الإعدام، وخلال ذلك الوقت الحرج جاء مرافق الجزراوي ليخبر معتمد قائلاً:

الرفيق طه يقول: أمامك ثلاثون دقيقة فقط لتنفيذ حكم الإعدام بهؤلاء الخونة، وإلا سأخبر صدام وأقول له أنك متخاذل أو.... الخ.

وصل حسين كامل الذي استقبله معتمد على الفور شارحاً له الموقف، وأجابه حسين أمام عدد من الضباط لماذا يعدمون، إنهم لم يفعلوا شيئاً، وأبدى تعاطفه الظاهري معهم، ولكنه لم يصمد أمام إصرار الجزراوي على إعدامهم، والذي هدد ثانية بإخبار صدام بهذا التردد والتخاذل، (هؤلاء الناس لا أمان لهم في مواقف الخير، لأن قانون الشر يحكمهم، وما يتعلق بالشر يصرون عليه، فما كان أمام قائد قوات النداء إلا أن ينفذ حكم الإعدام برجال الدين الثمانية على مضض منه).

ومما يذكر أيضاً، أن طه الجزراوي بعد أن فرغ من مهمة محافظة بابل، وتقدم باتجاه النجف، وشرعت قواته وقوات حسين كامل بالهجوم أخبر صدام قائلاً: إننا نطبق على النجف، وإنها فرصة التاريخ لسحق رأس الأفعى، ولا يستغرب مثل هذا الوصف وهو يصدر من شخص الجزراوي، فهو من بين جملة الأفراد الذين حافظوا على بقائهم في مواقعهم من خلال العزف لصدام على النعمة التي تطر به، وإسماعه الكلمات والأوصاف التي يرغب بها، وإعادة التعابير التي تترجم أفكاره، ولذلك فهو على علم بموقف صدام من هذه المدينة، فتراه يوقع بأهلها

الضربات الصاروخية ليقتل أكبر عدد ممكن، ويتجه إلى الحوزة العلمية ليختار من يمثلون وجودها التاريخي وروحانياتها المعروفة، كما كان بحاجة إلى أن يعزز برقيته السابقة إلى صدام بإنجاز فعلي يعزز مركزه لديه، لا سيما وأنه كان قد تأخر في الوصول إلى النجف، بعد تطورات المقاومة في مدينة الحلة وما واجهته من مقاومة عنيفة في طريقه إلى النجف، فقد كثرت الاشتباكات واستمرت على طول الطريق، لقد كان يلاحق الجزراوي شعور بأنه قد تأخر يومين في إنجاز مهمته فكان يخشى عدم رضا صدام عنه»^(١).

ماهر عبد الرشيد يشارك في القمع

«والفريق أول الركن ماهر عبد الرشيد، أُحيل على التقاعد بعد الحرب العراقية الإيرانية، وعوقب بعد حرب الخليج الثانية، بسبب إطلاقه لأحاديث لم تعجب الرئيس (صدام حسين) الذي أبلغه ذات يوم رسالة بواسطة طرف آخر، قال له فيها: «والله لو لم نكن جدين لأحفاد مشتركين لنا، لعرفت ماذا أفعل بك»^(٢)، ومنذ ذلك اليوم وماهر عبد الرشيد يعتزل الحياة، حيث يرعى الأغنام في بادية شمال العراق ما بين تكريت والموصل، حتى أن الرئيس (صدام حسين) عندما قلد أبطال تحرير مدينة (الفاو) أنواط الشجاعة قبل أكثر من ثلاثة أعوام، كان من بين الحاضرين نجليه عدي وقصي، قال ساخراً: «لقد بحثنا عن الفريق الركن ماهر عبد الرشيد ولم نجده، حيث قالوا لنا أنه يرعى الغنم في الجزيرة»^(٣).

وخلال الفترة الممتدة منذ استرجاع شبه جزيرة الفاو إلى يوم اجتياح الكويت، لم يستدعه أحد للاستماع إلى آرائه، «غير أن الانتفاضة التي وقعت في معظم أنحاء

(١) العميد الركن نجيب الصالح: الزلزال، ص (٢٨٦-٢٩١).

(٢) مجلة المجلة العدد (٩٧٦) ٢٥-٣١ أكتوبر (تشرين الثاني) ١٩٩٨.

(٣) المصدر نفسه ونفس العدد.

العراق، أعادته إلى ذاكرة الرئيس، الذي استدعاه لأول مرة بعد ثلاث سنوات مرت على لقائهما الأخير بعد تحرير (الفاو)، ويروي الفريق ماهر التفاصيل الآتية عن لقائه مع الرئيس: عيني الرئيس مستشاراً عسكرياً، غير أنه منذ أن انتهت معارك الفاو لم أتلّق دعوة واحدة، ولم يسألني أحد أو يستشرنني في أية قضية، والرسالة الوحيدة التي تلقيتها كانت عقب أحداث الجنوب والوسط، حيث حمل قصي ابن الرئيس رسالة من أبيه مكتوبة بخط يده، ينتخيني فيها لإعانتته في القضاء على الشغب»^(١).

«وقال: بأنه اتجه مع زوج ابنته السيد قصي إلى بغداد، وكان يرتدي دشداشة وعقالاً (وهو الزي الذي عاد إليه بعد خروجه من الجيش وإحالاته على التقاعد) وقد تجاوزت السيارة التي تنقلهما بغداد باتجاه منطقة الرضوانية، وبعد فترة دخلت في نفق تحت الأرض و(سرنا مسافة طويلة انتهت بفسحة، تركنا السيارة ودخلنا غرفة ضيقة لا تتجاوز (٤×٣) أمتار، تحتوي على سرير عادي وطاولة صغيرة ومصباح، وفوجئت برؤية الرئيس هناك بـ(الروب) وكان يشد كفه بضادة.. فاستقبلني مرحباً وقال: إنه في شدة وإن مدن الوسط والجنوب انقلبت عليه، وليس له سوى أبناء عمومته، فراعني منظره وانكساره، وقلت له بأنني جندي وله أن يأمرني، وهنا طلب أن يجلبوا لي بذلتي العسكرية ورتبتي، فاعترضت على وضع الرتبة فوق كتفي، وارتديت البذلة في الغرفة تاركاً رتبتني العسكرية على الطاولة»^(٢).

هذه هي الشهادة الثانية التي دونها للتاريخ أبناء العمومة على الرئيس، والتي يبدو فيها سيدهم الأكبر في غاية الوهن والانكسار، وكانت الأولى على لسان

(١) سعد البزاز: الجنرالات آخر من يعلم، ص ١٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣١.

(حسين كامل) عندما خاطبه عمه الرئيس في نفس الوقت بقوله: (وليدي حسين انتهينا).

ثم يواصل ماهر عبد الرشيد حديثه عن تلك الأيام، ويدلي من خلاله بشهادته على تصرفات نائب الرئيس (طه الجزراوي) فيقول: «وتوجهت في اليوم نفسه إلى المحاويل، حيث كان الجيش يعسكر هناك.. وأول شيء استفزني في منطقة التحشد العسكري هو أن (طه ياسين رمضان) كان قد استقر في (كرفان) لوحده، وسلب من الجنود (يطغاتهم)، وحالما دخلت أمر أن يجلبوا لي (بطانيات) من الجنود، ودعاني لأن أبيت معه فقلت له بأنه مسؤول كبير ومن حقه أن ينام في المكان الذي يريد، أما أنا فسانام مع جنودي.

وبالفعل نمت تلك الليلة مع الجنود، وكان لهذا التصرف رد فعل عظيم لديهم»^(١).

وواصل يقول: «إنه بعد تطهير مدينة الحلة والتوجه إلى النجف، أمسك الجنود بثلاثة مدنيين شباب وقادوهم إلى حيث كنا أنا (وطه ياسين رمضان)، فاستقبلهم طه بالسباب والشتائم، وكال لهم الاتهامات والنعوت، وسحب أقسام البندقية، أراد إعدامهم، فقفزت لأكون بينه وبين الجنود وقلت له: إن هؤلاء أسرى، وأنا القائد العسكري للعملية، ولست بعثياً مثلك، فحاول أن يبعدي قائلاً: إنهم خونة والعملية برمتها سياسية أولاً وأخيراً، فاعترضت وقلت له: لست بعثياً ولا سياسياً، أنا رجل عسكري، إذا قتلتهم سأقتلك، فهدأ وأطلق سراح الشباب»^(٢).

إن طه الجزراوي هو واحد من الذين لا يأنفون لكرامتهم، ولا يأبهون لحالات الزجر والتحدي الصادرة عن الرئيس وأفراد عشيرته، وتموت عندهم الرجولة

(١) سعد البزاز: الجنرالات آخر من يعلم، ص ١٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٢.

والشجاعة، وتظهر عليهم علامات الخنوع والذلة، كما بان معدن الجزراوي أمام ماهر عبد الرشيد، الذي ملأ أسماعه بالتعنيف والتهديد، وكال له الإهانة ومرغ أنفه بالتراب، لكن شجاعة الجزراوي برزت ماثلة بقوة أمام الشبان المدنيين العزل!!

وبعد التهديد بالقتل، والتجريح القاسي الذي تلقاه (طه الجزراوي) من قبل ابن القرية الحاكمة (ماهر عبد الرشيد التكريتي) في أحداث انتفاضة شعبان المجيدة عام ١٩٩١، في منطقة المحاويل وما جاورها، لم يقف (صدام) إلى جانب نائبه المهزوم، بل فضل الوقوف مع ابن عمه على حساب الرفيق العريق، وأغدق عليه صفات الشجاعة المتميزة والقيادة المسؤولة، واعتبر دفاعه عن كرسي ابن عمه الرئيس، ذوداً عن شرف العراق العظيم، وكرامة الأمة العربية المجيدة، وأصدر مرسوماً جمهورياً منح فيه «الفريق الركن ماهر عبد الرشيد وسام أم المعارك من الدرجة الأولى، وخمسة أنواع شجاعة».^(١)

وفيما يلي صورة طبق الأصل لوثيقة تحمل الرقم (٦) وهي مرسوم جمهوري أصدره الرئيس صدام لمكافحة ابن عمه (ماهر عبد الرشيد أبو عبد المنعم)، وتشجيعاً لما اقترفت يده الأثمتان من جرائم بشعة ضد ثوار الانتفاضة والمدنيين العزل في آذار عام ١٩٩١.

(١) من المرسوم الجمهوري المرفق الصادر بقرار مجلس قيادة الثورة ذي الرقم ٣٢٩ في ٢/٩/١٩٩١.

بسم الله الرحمن الرحيم

مرسوم جمهوري

تقديراً للموقف القيادي المسؤول والشجاعة المتميزة التي أبدتها الفريق الركن ماهر عبد الرشيد، في الذود عن شرف العراق العظيم وسيادته، وكرامة الأمة العربية المجيدة وأمنها في التصدي البطولي لصفحة الخيانة والغدر في أم المعارك، واستناداً إلى أحكام قرار مجلس قيادة الثورة ذي الرقم (٣٢٩) في ١٩٩١/٩/٢، والمادة (٢٦) من قانون الأوسمة والأنواط ذي الرقم (٩٥) لسنة ١٩٨٢ المعدل، رسمنا بما هو آتٍ.

يمنح الفريق الركن ماهر عبد الرشيد، وسام أم المعارك من الدرجة الأولى، وخمسة أنواط شجاعة، على الوزراء المختصين تنفيذ هذا المرسوم.

صدام حسين

رئيس الجمهورية

(١) * العقيد الركن أحمد الزبيدي: أزمة القيادة في العراق: ص ١٤٠.

الجزراوي يتلقى الإهانات

وبعد أزمة حرب الخليج الثانية، وأحداث انتفاضة شعبان المباركة عام ١٩٩١، دعا الرئيس إلى عقد المؤتمر القطري العاشر للحزب، باعتباره الأمين العام للحزب، وقبل الشروع بأعمال المؤتمر، اجتمع بأفراد عشيرته المشمولين بالحضور في المؤتمر كعلي حسن المجيد، وحسين كامل المجيد، وسبعراوي إبراهيم الحسن، ووزع عليهم الأدوار، لتعرية بعض القياديين الذين يراد إسقاطهم، وإهانة البعض الآخر منهم، وذلك بإلقاء تبعات الهزيمة على أكتاف المحسوبين على القيادة من غير أبناء قرية العوجة، وفعلاً تم عقد المؤتمر في ١٢-١٣ أيلول ١٩٩٠، ووقف حسين كامل وسط المؤتمر ليخاطب طه الجزراوي نائب رئيس الجمهورية قائلاً:

«إن علينا عضو في المؤتمر الآن، ونتمتع بحقوق متساوية، ولذلك سأكون صريحاً معك.. فقد كنت جباناً ومتردداً في قمع التمرد في محافظتي كربلاء والنجف.. وقد أضعت الكثير من الوقت عندما كنت مسؤولاً عن ذلك القطاع في تلك العمليات العسكرية، ثم التفت إلى بعض القادة العسكريين المشاركين في المؤتمر وخاطبهم بأسماهم قائلاً: إذا كنت مخطئاً فهؤلاء القادة العسكريون الذين كانوا في المنطقة، ويستطيعون أن يصححوا لي في هذه الحالة»^(١).

وكان حسين كامل المجيد.. وقبل الدخول إلى قاعة المؤتمر، قد التقى القادة العسكريين، وكانوا أعضاء في المكتب العسكري، وأبلغهم الأوامر التي تلقاها في اجتماع التأمير مع عمه الرئيس وشرح لهم الموقف من الرفاق الذين يراد إسقاطهم في المؤتمر، على أن يكون هو المتحدث الأول، وهو الذي يبدأ بإشعال عود الثقاب، ثم يستلمون الإشارة منه للإدلاء بشهاداتهم ضد الرفاق، لتجسيد مبدأ النقد

(١) سعد البزاز: الجذالات آخر من يعلم، ص ٢٥٢-٢٥٣.

والنقد الذاتي المعمول به في حزب (صدام حسين).

و«عندئذ تناوب العسكريون على إظهار عيوب الإدارة لدى نائب الرئيس متهمين إياه بالتردد والخوف من اقتحام المدينتين»^(١).

«ثم عاد (حسين كامل) ليخاطب طه الجزراوي: أنت لم تستطع أن تفعل شيئاً قبل أن أتولى أنا مسؤولية اقتحام المدينتين»^(٢).

شفقة الرئيس عليه

وبعد أن عَنَّف صدام (سعدون حمادي) وقرَّعه، وجعل منه أضحوكة أمام المؤتمرين، «سكت صدام حسين قليلاً ثم قال: أما الملاحظات التي قالها الرفيق (حسين كامل) حول الرفيقين طارق وطه ففيها الكثير من الصحة، لكن ما يشفع لهذين الرفيقين هو تاريخهما النضالي وولاؤهما الذي لا نشك فيه»^(٣).

إن عبارة (ما يشفع لهذين الرفيقين) التي أطلقها صدام في المؤتمر، تحمل كل معاني التسلط والطغيان والجبروت التي لا تستثني أحداً حتى المقرين، فلولا نضالهما في الحزب الحاكم، وولاؤهما الطاغي للرئيس، لكان هذان الرفيقان في خبر كان.

وفي هذا المؤتمر «ألغيت عضوية (عبد الحسن راهي فرعون) بعد أن جرده المؤتمر من عضويته، في مناقشة ديمقراطية قائمة على النقد الموضوعي البناء، بما يكفي لتشكيل قناعة راسخة بأنه قد قصَّر في أداء واجباته الجهادية في أم المعارك.. ولم يمارس دوره القيادي الفعال.

(١) سعد البزاز: الجمرات آخر من يعلم، ص ٢٥٢-٢٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٤.

واتخذ المؤتمر قراراً بإحالة على لجنة حزبية، تشكلها القيادة القطرية لمتابعة التحري عن سلوكه هذا، من مصادر وأعضاء في الحزب ليسوا من أعضاء هذا المؤتمر^(١)، وبعد هذا التاريخ انقطعت أخبار (عبد الحسن راهي فرعون) وصار نسياً منسياً.

وفي هذا المؤتمر طُرد سعدون حمادي من رئاسة الوزراء، وعضوية مجلس قيادة الثورة، وعضوية القيادة القطرية، وطُرد حسن علي نصار العامري من عضوية مجلس قيادة الثورة، والقيادة القطرية، وأُقصي سمير محمد عبد الوهاب الشبخلي من وزارة الداخلية، وعضوية القيادة القطرية، وعُزل لطيف نصيف جاسم الدليمي من عضوية القيادة القطرية، ووزارة الإعلام.

وتعرض (طه الجزراوي) لأزمة حزبية كادت أن تعصف به وتلقيه في مزبلة التاريخ، لولا الشفاعة التي تدخلت في اللحظات الأخيرة فأنقذته من مصير مجهول.

ومما تقدم يبدو أن الجزراوي رغم تفننه في عمليات التصفية التي فاقت التصور، إلا أنه تخلف ولم يلحق بالرفاق الجدد من أعضاء القيادة القطرية في سباقهم المحموم إلى قمع انتفاضة شعبان عام ١٩٩١، فجاء في التسلسل التاسع في انتخابات المؤتمر القطري العاشر، وقد تقدم عليه (أبو الثلج) عزت إبراهيم الدوري، والعريف علي حسن المجيد، ونائب الضابط كامل ياسين الرشيد، والمضمد محمد حمزة الزبيدي وسعدي مهدي صالح، وطارق عزيز، وبائع المرطبات (الدوندرمه)^(٢) المتجول مزبان خضر هادي، ومحمد زمام عبد الرزاق الذي حصل على (١٧٥) صوتاً بينما حصل الجزراوي على (١٥٨) صوتاً.

(١) مجلة ألف باء: العدد ١١٩٩ في ١٠ ربيع الأول ١٤١٢ هـ الموافق ١٨/٩/١٩٩١ م، ص ٦.

(٢) اللواء الركن ضياء الدين المجمععي: حروب صدام، ص ١٧٦.

هذه هي حقيقة طه الجزراوي نائب رئيس جمهورية العراق، وهذا هو المتبقي من قدره، بعد أن هدده ماهر عبد الرشيد بالقتل، وهما يتقدمان لاحتلال مدن الحلة والنجف وكربلاء بعد تحريرها من قبل المنتفضين، وبعد الإهانة التي تلقاها من حسين كامل أمام المؤتمرين ووصفه بالجبان المتردد، وجرأً عليه أعضاء المكتب العسكري الحاضرين في المؤتمر القطري، ليتناوبوا في كيل الأوصاف التي لا يمكن تحملها لعضو القيادتين القومية والقطرية طه ياسين رمضان، ولكن شفاعة الرئيس الحاضرة دائماً أنقذته من الطرد والإهمال، أو أن الرئيس اكتفى بهذا المقدار من العقوبة الموجهة لرفيق دربه.

وهكذا ظلت شفاعة صدام تتدخل في كل فشل ذريع يواجهه طه الجزراوي، فتنقذه من السقوط والنهاية البئيسة، وذلك لأن صدام ضمن ولاء الجزراوي المطلق وتأييده اللامحدود، وهو لا يشك بهما أبداً، وذكر ذلك في مواطن كثيرة، ومنها ما مر قبل قليل، وفي واحدة من إخفاقاته التي وقف فيها صدام إلى جانبه عندما: «أشرف على مكاتبين مهمين في نطاق العمل التنظيمي الحزبي السوري والمصري».

وحمل مسؤولية الفشل فيهما، نظراً لخشونته وفرديته وتجاهله لآراء ومواقف المتعاملين معه، ولم يتجاوب الأمين العام (صدام) مع الانتقادات بحق طه الجزراوي، لأنه وثق به، وليقينه بأنه ينفذ كل ما يلتقي مع رغباته^(١).

هذا النقد اللاذع الموجه للجزراوي، والتصريح العلني بإخفاقه في إدارة المكتبيين التنظيميين المصري والسوري، لم يكن صادراً عن أعداء البعث ومعارضيه، وإنما كان المصدر هو جهاد كرم، أحد قادة حزب البعث في لبنان، والقريب جداً من قاداته في العراق، بعد أن عمل في السلك الدبلوماسي العراقي ثلاثة عشر عاماً.

(١) جهاد كرم: بعثيون من العراق كما عرفتهم، ص ١٣٨.

والشيء المحير في التقييم هو أننا لا ندري من الذي حمّله مسؤولية الفشل في المكتبين المذكورين؟، أهى القيادة القومية، أو القيادة القطرية، أو مجلس قيادة الثورة، وفي جميعها يحتل الجزراوي العضوية المتقدمة؟! ثم إذا كان قد حُكِم عليه بأنه فردي وخشن ويتجاهل آراء البعثيين العاملين، كيف يتم له هذا المكوث الطويل في هذه المواقع وحتى نهاية حياته؟، والجانب الأخطر في هذا التقييم، أن صنوه ورفيقه صدام حسين (وشبيهه الشيء منجذب إليه) لم يتوقف وهو المؤمن العام على الحزب عند هذه الانتقادات، ولم يتجاوب معها أو يعرها اهتماماً، والسبب في ذلك أنه وثق بظه الجزراوي واطمأن إليه، وليس ذلك فحسب، وإنما ليقينه أنه ينفذ كل ما يلتقي مع رغباته، وليس تحقيقاً لتطلّعات البعث في المستقبل وأمانه في الأمة العربية الواحدة، بل الحزب كله ورسالته الخالدة قد اختزل في تحقيق رغبات الرئيس، التي يحرص على تنفيذها طه الجزراوي!!

لا يكلم عن الكذب

في اللقاء الذي أجراه (د. محمد مظفر الأدهمي) مع (طه الجزراوي) عضو مجلس قيادة الثورة نائب رئيس الجمهورية، في برنامج (السراب واليقين) الذي بثه تلفزيون العراق في ٢٥ / ٨ / ١٩٩٢، وطرح السؤال الآتي عليه: هل بإمكانكم أن تحدثونا عن نوعية الدعم الكويتي للعراق خلال الحرب العراقية-الإيرانية؟

فأجاب (طه الجزراوي) قائلاً: «عام ١٩٨٢ توقف الدعم، وكانت الحجة أن ميزانيتهم تواجه عجزاً، واستمر هذا الحال، وكان أسوأ موقف في هذا الجانب هو موقف حكام الكويت.. في بعض الأحيان-للتاريخ- ونحن في مواجهة صريحة مع المواطنين، كانت السعودية تدفع-بين فترة وأخرى- بعض المبالغ التي هي جزء بسيط جداً، لكن حتى هذا الجانب بالنسبة للكويت لم يكن موجوداً، بالرغم من الوفود المتكررة واللقاءات والوعود، أنا يمكن ثلاث مرات مررت على جابر

وآخرين من المسؤولين، وكان في كل مرة يعد لكن لم يكن يوجد شيء، وأذكر مثلاً في عام ١٩٨٧، طلب السيد الرئيس أن نطلع جابر على مديونية العراق وعلى نفس العام والتي هي أضعاف موارد العراق، والعراق في حرب وهذه تفاصيلها، فإذا تصوروا أن الدعم الذي نطلبه هو إعمار بنائية أو لغذاء المواطنين لا يعطوننا.. فإذا كان هو لديون والديون تكونت بسبب معدات عسكرية للدفاع عنهم وعن الأمة فأى شيء يستطيعون المساهمة فيه.. وفعلاً أخذتها وهي خطة سرية، يعني نسبة كبيرة من وزراء الحكومة العراقية لا يعرفونها بسبب معروف وسلمتها له.. وشاهدته وقد شعر بارتياح بالاطلاع عليها.

بعد شهرين أخبرنا بأنه قرر أن يدعم العراق بعشرين مليون دولار مواد غذائية وسلع ومنتجات من الكويت طبعاً، في ذلك الوقت يعني العشرين مليون دولار هي كلفة أقل من ربع يوم من أيام القتال، مما دفع السيد الرئيس أن يرفض هذا الشيء عندما أبلغناه.. وبعدها صار خصمين وأيضاً رفض، لكن الحقيقة كقيادة طلبت من السيد الرئيس أن نقبل بهذا الشيء -وهذا موقف- ولا نعقد الأمور، وانتهوا إلى هذا الحد يعني من عام ١٩٨٢ توقفوا عن أي دعم، وبدأ بالإضافة إلى التوقف للعب بموضوع النفط، وتعرفون أنه حدث مرة أخرى عام ١٩٨٦ تخفيضات في النفط، وكان للسعودية دور أساسي^(١).

إن ما تقدم من كلام (طه الجزراوي) كذب محض، ولدينا أرقام كثيرة تبطله وتدحضه، وما يتفوه به (طه الجزراوي) هو نسخة طبق الأصل لتفكير سيده.

وواضح لدينا جميعاً أنه لا يوجد على وجه البسيطة إنسان يفوق الرئيس العراقي (صدام حسين) في نكرانه للجميل، وإساءته للمحسنين إليه، وإذا أردنا أن نحصي عدد الذين أسدوا له الجميل وأكرموه خلال مراحل حياته المختلفة، فإن القائمة

(١) د. محمد مظفر الأدهمي: الطريق إلى حرب الخليج من موهافي إلى الكويت، في ملاحق الكتاب.

تطول، ولو توقفت الحالة على نكران الجميل فقط لهان الأمر، ولكن المعروف عنه أنه بطش بالكثير من هؤلاء، وخطط لإبادة آخرين منهم، فهو نمط خاص، لا يريد أن يرى بعينه صاحب فضل عليه، وإن صور بعض هؤلاء الذين أحسنوا إليه مائلة أمامنا، من أمثال (طاهر يحيى التكريتي) و (رشيد مصلح التكريتي) و (أحمد حسن البكر) و (عدنان خير الله طلفاح) وخير مثال يجسد قمة الإحسان إلى صدام هو أمير الكويت.

يقول ولي عهد الكويت (الشيخ سعد العبد الله الصباح): إن صدام «كان يتحدث دائماً عما قدمته له الكويت، وكلنا نذكر أنه قلد صاحب السمو أرفع وسام عراقي قبل الغزو بشهور قليلة، وكان يردد على مسامعنا أنه يقول للجنود العراقيين: إن الخبز الذي يأكلونه من الكويت، وأنه أبلغ عائلته وأولاده بأن يلجؤوا إلى عمهم جابر إذا حدث لهم مكروه».^(١)

وعن نفس الموضوع تقول الشيخة (أنوار) كريمة أمير الكويت: «فقد كان صدام يدعي حب والدي لدرجة أنه قال لأبنائه أمام الوالد قبل عام من الغزو، لو حدث لي أي شيء اتصلوا بالشيخ جابر، واعتبروه في منزلة الوالد».^(٢)

وتضيف الشيخة (أنوار): «لا أنسى منظر النيران ودخان المتصاعد من آبار النفط، وهي الآبار التي كانت الدعم والسند للعراق خلال حربه مع إيران، ومن خيرها شكّل جيشه».^(٣)

وفي إحدى خطبه، بعد فراغه من حربه مع إيران، أشاد صدام بالمساعدات السعودية والكويتية، وأثنى على موقف الأردن ومصر من الحرب، وذكر بأن

(١) صحيفة القبس الكويتية، العدد (٧٩٤٢) في ٢/٨/١٩٩٥، لقاء مع ولي عهد الكويت.

(٢) مجلة المجلة، العدد (٦٢٩) في (٢٦/٢/١٩٩٢ - ٣/٣/١٩٩٢).

(٣) المصدر نفسه ونفس العدد.

لليمن لواء قد رابط في العراق طيلة فترة الحرب.

وبعد مرور عام على نهاية الحرب العراقية - الإيرانية، زار الشيخ جابر الأحمد الجابر العراق بتاريخ ٢٣ / ٩ / ١٩٨٩، «واستقبل بحفاوة وأنشد المغنون العراقيون أغاني لم يعتادوا إنشادها لغير قادتهم، واشتهرت بينها أغنية تقول:

يا جابر والله وكفيت بغداد أخت الكويت»^(١).

ولنا أن نسأل المغنين والمداحين العجبر، عن وقفة الشيخ جابر المقصودة في أغنياتهم، وهل هي غير موقفه من الحرب العراقية-الإيرانية، إن في أغنياتهم المذكورة شهادة لا تقبل الشك على وقوفه إلى جانب العراق، وإشادة واضحة بالمساعدات التي قدمتها الكويت للعراق وهو يخوض حربه مع الجمهورية الإسلامية في إيران.

إن هذه الحقائق وغيرها تبطل ادعاء (طه الجزراوي) وتدحضه، وتؤكد على عكسه.

يستأسد على العزل

وبكل صلافة ووقاحة وقلة حياء، يصرِّح (الجزراوي) لمجلة الوسط في عددها (٣٣٣) في العام ١٩٩٨، وهو يتحدث عن عودة المعارضين في الخارج فيقول: «حتى لو كان للعائد موقف سياسي، فنحن على استعداد لاستقباله، ولكن لن نسمح لمن يعود ويريد غطاء ليستمر في خدمة الأجنبي، مثل هذا نقص يده»^(٢)، إن هذا النهج الدموي في التصرف والتصريح والسلوك، إنما تعلمه (الجزراوي) في مدرسة سيده حاكم بغداد، الذي يعلن على رؤوس الأشهاد بأنه يقطع الرؤوس

(١) سعد البزاز: حرب تلد أخرى، ص ٣٨.

(٢) مجلة الوسط: العدد (٣٣٣) في ١٥ / ٦ / ١٩٩٨، ص ٢٧ حوار مع طه الجزراوي.

و(يظر الأجسام أربع وصل) أي (يقطعها إلى أربعة أقسام).

إن طه الجزراوي ما هو إلا واحد من الإفرازات الطبيعية لحزب (ميشيل عفلق)، واستنساخ هجين لسيرة سيده (صدام حسين) وهو يفتخر دائماً بأنه خريج مدرستهما التغريبية، وإن حاكم بغداد بالنسبة له المثل الأعلى والقدوة، لأنه كبيرهم الذي علمهم السحر.

بتاريخ ٢٠٠٣/٨/١٧، أُلقي القبض على طه الجزراوي في إحدى الدور السكنية في مدينة الموصل، وظهر على شاشة التلفزيون خائراً ذليلاً يستعطف معتقله الكرد، وكانت عيناه معصوبتين، ويرتدي دشداشة بيضاء، وكان الكرد الذين اعتقلوه في حالة فرح وابتهاج للمصير الذي آل إليه، لأن الجزراوي تنكَّر لهم وأساء إليهم ولم يتذكرهم، وهم أبناء قوميته طيلة فترة حكم البعث، التي تجاوزت الثلاثة عقود.

وُنقل بالطائرة إلى مطار بغداد، والسؤال الوحيد الذي وُجِّه إليه في المطار هو عن محل اختفاء صدام حسين، ثم نُقل إلى سجن كروبر.

وظهر مرة أخرى على شاشة التلفزيون، في الجلسة الأولى للمحكمة الجنائية العليا، مع المجموعة المتهمة بقضية الدجيل، بتاريخ ٢٠٠٥/١٠/١٩، بعد اعتقال دام ستين وشهرين.

وانضم للدفاع عنه في المحكمة المعروضة على وسائل الإعلام المرئية (١٣) محامياً، منهم ثلاثة محامين منتدبين من قبل المحكمة.^(١)

وَوُجِّهت له تهمة خطيرة هي: تجريف بساتين مدينة الدجيل، لتنصيب موارد

(١) المركز العراقي للمعلومات والدراسات، قسم المعلومات والتوثيق: محاكمة العصر (١) .. قضية الدجيل .. المحاكمة التي أعدمت صدام حسين، الجزء الأول، ص ١٣.

المدينة، وقطع أرزاق سكانها، وهي عقوبة كان صدام يساوي بينها وبين قطع الأعناق في أحاديثه.

والتهمة الثانية التي أُدين بها الجزراوي، هي اندفاع قوات الجيش الشعبي الذي يقوده، لإلقاء القبض على المئات من أبناء المدينة، ليواجه العديد منهم الموت بسبب الحكم بالإعدام، وفضاعة التعذيب، وطول مدة الاعتقال، التي أنهت حياة المسنين من الرجال والنساء.

وأخطر التهم كانت ترأسه للجنة الأمنية، التي بلغه بها صدام باتصال تلفوني، كانت قد عقدت اجتماعها في المجلس الوطني وتنتظر قدومه، وكانت حجته بالالتحاق بها هي للاطلاع على ما حدث، ولكن ما جاء على لسان برزان التكريتي أمام قاضي التحقيق، وقبل أن يمثل أمام قضاة المحكمة الجنائية العليا، قطع عليه الطريق، رغم تنصل برزان لاحقاً عما جاء على لسانه، ولكن بعد فوات الأوان.

«ما جاء بأقوال المتهم (برزان) المدونة أمام قاضي التحقيق في ٢٥ / ١ / ٢٠٠٥، وهذا نصه:

نعم لدي معلومات بهذا الخصوص مفادها أنه سُكِّلت هذه اللجنة من (قبل) المتهم صدام الذي كان يشغل منصب رئيس الجمهورية في حينه، وكانت هذه اللجنة برئاسة المتهم (طه ياسين رمضان) وعضوية مدير الأمن (فاضل البراك) في ذلك الوقت، وعضوية (محمد عليوي) ممثل دائرتنا في اللجنة، الذي كان يشغل مدير مكتبي في تلك الفترة»^(١).

وعلى مدى ثلاث وأربعين جلسة للمحكمة، امتدت من ١٩ / ١٠ / ٢٠٠٥

(١) المركز العراقي للمعلومات والدراسات، قسم المعلومات والتوثيق: محاكمة العصر (١) .. قضية الدجيل .. المحاكمة التي أعدمت صدام حسين، الجزء الثالث، ص (٢٠٨-٢٠٩).

حتى ١٢/٢/٢٠٠٧، أُدين الجزراوي بالتهم الموجهة إليه، وحكمت عليه المحكمة بالإعدام شنقاً حتى الموت لارتكابه القتل العمد كجريمة ضد الإنسانية، ونطق القاضي بالحكم علناً بتاريخ ١٢/٢/٢٠٠٧.^(١)

وتم تنفيذ حكم الإعدام بـ (طه ياسين رمضان الجزراوي) في يوم ٣٠/٣/٢٠٠٧.^(٢)

وانطوت بذلك حقبة سوداء مظلمة، كانت يدا طه الجزراوي فيها، تقطران دماً مما فعل بخصومه في مجازره المرؤعة.

(١) المركز العراقي للمعلومات والدراسات، قسم المعلومات والتوثيق: محاكمة العصر (١) .. قضية الدجيل .. المحاكمة التي أعدم صدام حسين، الجزء الرابع، ص ٢٢٣.
(٢) المصدر نفسه: الجزء الرابع، ص ٣٠٢.

الملاحق



الملحق رقم (١)

رسالة من علي صالح السعدي

الى نجاد محمود الصايف مساعد قائد قوات الحرس القومي

وزارة الارشاد

الشيخ نجاد

ص

ارجو استخدام ما دون

عوني (ابن اهن) لديكم الجليل

ملازم حازم

يعني في الاستخبارات وكيفية
له سيارة ومبلغ ١٠٠٠٠٠

١٤٤٤
علي صالح السعدي

نائب رئيس الوزراء ووزير الارشاد

ص

١٤٤٤

ملحوظة :-

ان مأمون عوني هو عريف كاتب في الجيش وينتسب الى معمل تصنيع الاسلحة والمهمات في معسكر الرشيد .

الملحق رقم (٢)

البيان أو المذكرة التي رفعها عدد من الشخصيات القومية إلى الرئيس عبد الرحمن محمد عارف

السيد رئيس الجمهورية المحترم

تحية طيبة:

لقد أظهرت نكسة حزيران ١٩٦٧، واقعنا المرير في شتى المجالات وعلى كل المستويات، عربياً وقطرياً، وعلى الصعيدين العسكري والمدني، مما جعل الجماهير تفقد ثقتها بالحكم والثورة والقائمين عليها والمسؤولين عنها، وبدلاً من أن تأخذ النكسة أبعادها الإيجابية في تفكير المسؤولين في العراق فوراً، وتكون حافزاً لهم لياشروا بالتغيير الجذري في البناء السياسي أو الاجتماعي والاقتصادي والعسكري الحالي في البلاد، بما يوازي ضخامة المهمة بعد النكسة، والتي سبق أن اتفق عليها في اجتماع القصر الجمهوري الذي عقد في ١٢ حزيران ١٩٦٧، وضم عدداً كبيراً من الساسة (وانتهى دونها نتيجة إيجابية من قبل الحكومة) فإن نظام الحكم القائم بإصراره على مواصلة العمل بعقلية ومفاهيم وأساليب ما قبل النكسة أثبت عدم قدرته على استيعاب المغزى الحقيقي لها، وعجزه عن تفهم عظم التبعات التي ستترتب على إبقاء الأوضاع السياسية على جمودها، والعمل بانعزال تام عن جماهير الشعب وإرادتها.

ولقد أكدت الأحداث، أن نكسة حزيران وما ترتب عليها، قد وضعت على عاتق العراق مسؤوليات جسام تكفي وحدها لإثارة الحماس لدى المسؤولين في العراق لتدارك سوء الأوضاع بتغيير الطبيعة الفردية للحكم، وإصلاح الوضع

الاقتصادي، ومعالجة البطالة المتفشية التي شملت حتى المثقفين من أبناء الشعب، وتعزيز هيبة الدولة بإنهاء الوضع الشاذ في شمال الوطن وفرض سيادة القانون، ومكافحة المحسوبية والعنصرية والطائفية والعشائرية والإقليمية والرشوة المتفشية، وتطهير جهاز الدولة.

كما أن طبيعة الحكم الفردي وضعفه وعدم إدراكه لأبعاد النكسة، قد زاد في عزله عن الجماهير التي تتطلع ليس فقط لإزالة آثار العدوان، وإنما إلى اجتثاث مصدره باستنفار جميع طاقات الأمة والجيش بشتى المستويات، ودعم العمل الفدائي بالمال والسلاح، والضغط من أجل قيام وحدة عسكرية وفعالة من العراق والدول المحيطة بإسرائيل على الأقل.

إن السكوت على هذا الواقع المرير الذي يعيشه بلدنا يخدم مخطط الأعداء ويعتبر جريمة لن تغفرها الأجيال القادمة.

وانطلاقاً من المسؤولية التاريخية تجاه التطورات والأحداث الداخلية والعربية، فقد اجتمع رفاق السلاح الذين ساهموا في رفع راية الثورة في هذا الجزء من الوطن العربي، لتدارس الوضع الداخلي والعربي، وإيجاد الحلول المناسبة لهذه المرحلة، وقد انصبت المناقشات على موضوعين أساسيين هما:

أولاً: دور العراق في المعركة ضد العدوان الصهيوني.

ثانياً: معالجة المشاكل الداخلية التي يعاني منها العراق والمشار إليها أعلاه، بما فيها الوضع الدستوري من أجل ترسيخ الثورة ومكتسباتها، وتهيئة الظروف لتجسيد إرادة الشعب في انتخابات حرة.

وفي ضوء ما تقدم، التقت إرادة المجتمعين على النقاط الواردة أدناه، والتي

طرح في اجتماع القصر الجمهوري يوم السبت المصادف ٣٠/٣/١٩٦٨، الذي دعوتهم إليه تحريراً وحضره السيد رئيس الوزراء ووعدتم بمواصلة مناقشتها في اجتماع آخر تحدون موعده فيما بعد:

١- تشكيل مجلس وطني من ٣٠ عضواً يمارس اختصاصات السلطة التشريعية، ويشارك في رسم السياسة العليا للبلاد، وتشكيل الحكومة وحجب الثقة عنها لحين قيام مجلس وطني منتخب من قبل الشعب.

٢- تأليف وزارة ائتلافية قوية، تتصف بالكفاءة والنزاهة والماضي النظيف والشعور بالمسؤولية لتحقيق ما يلي:

أ- حل مشكلة الشمال.

ب- العمل الجدي ضد العدوان الإسرائيلي، والعمل على إقامة وحدة عسكرية تضم العراق والأقطار العربية المحيطة بإسرائيل.

ج- إجراء الانتخابات العامة في البلاد بأسرع ما يمكن في مدة أقصاها سنتان.

د- تأكيد الهوية القومية التقدمية للحكم، والعمل على إقامة الوحدة العربية الشاملة.

هـ- معالجة المشاكل الداخلية، وتطوير الوضع المالي والاقتصادي، وتوحيد الصف الوطني، وتأمين الاستقرار والأمن، وتحقيق مبدأ سيادة القانون، وضمان الحريات العامة، وتكافؤ الفرص بين المواطنين.

إننا إذ نقدم هذه المذكرة، لا ندعي لأنفسنا تمثيل كل الشعب، ولكن إيماناً منا

بمسؤوليتنا الثورية، وتحسنا بمشاعر الجماهير وكل الثوريين الذين شاركوا في صنع الثورة، نرى أن تأليف مجلس وطني يتولى السلطة التشريعية بالتعاون مع حكومة ائتلافية قوية ونزيهة، يعمل على نقل الحكم إلى الشعب بانتخاب مجلس تأسيسي بأسرع وقت ممكن خلال مدة أقصاها ستان، هو الضمان الأكيد للخروج بالبلاد من أزمتها الحالية.

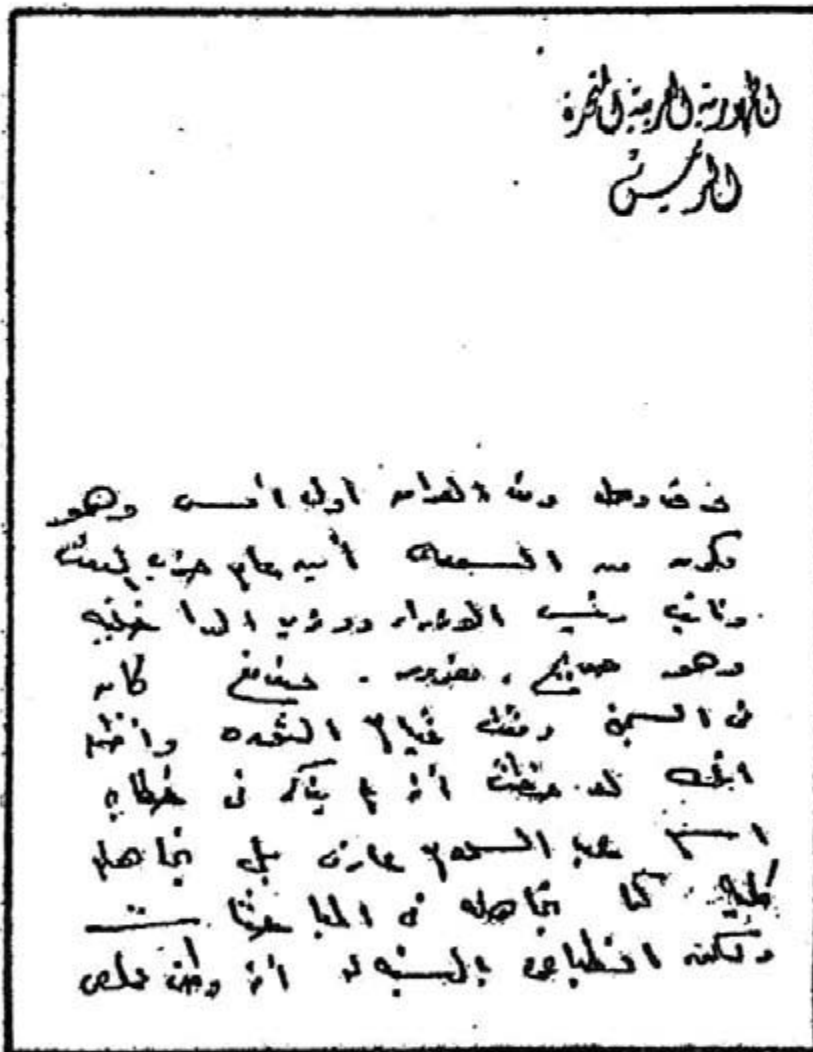
والسلام على من اتبع الهدى...

أحمد حسن البكر	ناجي طالب	عارف عبد الرزاق	عبد العزيز العقيلي
صالح مهدي عماش	رجب عبد المجيد	عبد الهادي الراوي	رشيد مصلح
حردان التكريتي	صبحي عبد الحميد	عبد الستار عبد اللطيف	إسماعيل مصطفى
محمود شيت خطاب			

بغداد في ١٨ محرم ١٣٨٨، المصادف ١٦ نيسان ١٩٦٨

الملحق رقم (٣)

صور لعدد من الصفحات من خطاب كتبه الرئيس (جمال عبد الناصر) بخط يده إلى المشير (عبد الحكيم عامر) بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٦٣، يصف فيها انطباعاته عن أعضاء الوفد العراقي الذي جاء إلى القاهرة بعد الثورة ضد (عبد الكريم قاسم).



تأثيرات الرزق في الخبز
الرئيسي

والذي به علمه ما عايشه رزق الرزاق
وكما انبأنا الرب بين يدي الشبه
وهو طارة ذك. وقد ارتك
بجاء اليه . به هو - بجاء باع
به رزقه انضم الغوا ان
هذه السنة
رطال في شبيب رزق الاربعه وهو
بثه ذك بعد شمس حفا شمس
اليه

عمر الذوق به سنة والثاني
عالمه سنة والثالث عموال سنة
ومع الرزق في الربيع به سنة
وتفككت معم بجاء به حله
اول سنة به انظار الى السام
الراعيه والنصف راس به
العلمه الى سنة الانظار .

تأثيرات الرزق في الخبز
الرئيسي

ديلميا - كما ان الرزق في رزقه
بما صب ربي رزق علة ربيته
مع سنة ٢٤٠٠ . حفا سنة ٢٠٠٠
لهذا منم السنة سنة رزقه
الربيه رات علة لدنا مع اذا رزقه
سببا فانه تنم مع العلم به
سنة رزقه . ون قال عايشه
ار رزق به به انه تنم مع رزقه
اول . رانه ان انما به سببا رزقه
سنة ثامنه به رزق رزقه
ار رزق ثامنه . ربه رزقه تنم
العلمه . ون تفككت معم بجاء به
الانظار اعطار رزق السنة
رانه ان رازق رزق رزقه
هذه رزقه ان سنة رزقه
انما الدراد رزق رزقه للباران
نفا للعبا ان - رزق رزق على انظار

تاريخ العرب في العراق
الرئيس

منفصلين به الخديعة وقد
وانه الرضا على ذلك. وقالوا
لأن الطالب لهم لا يتقون
أمرهم من المدة إلا إذا خضعت
تحتها فليس هذه العود
وصح للبيعة بالعلم الأذن وقد
اوتقوا الفاكه به فيما يشه
وكأنهم لم افعال مع رطل القدر
قبل نيل ما نعتنا وهو في المخرج
أه القدر نعتنا .

عربا يشاءون التناج قدره
الماء كبيه جوا. قال عماشه
أه الملبس الدلمية قد أنه لديه
معنا فقتنا بل أن على الحكم الزراد
ذلك على الحكم الكبريت. حبيب أه
هذه القصة تعلم بالرحمة

تاريخ العرب في العراق
الرئيس

الذ هو الرضا الخديعة فقتوه
وقال في عماشه أنه يوجد به
البيع تاجر من المال الكروي
يهمون بجوابه الى ذخيره وقالوا
لما نزلت واسلموا وطلبوا أنه
يصلوا على الذخيره به عماشه
الدقاد السونوية موفقه عماش
جدا ذخيره الابات والضيع
ولمك الحيا من الاثبات الكريه
والجود على لما نزلت به اننا جيا .
ومشاة برسب وبارد الخ
وقال عماشه انهم امتلوا
١٠٠ خرابط بنوم من ١٥٠
جوابه له به أنه الاسب الذم

أهوية الأربعة عشر
الرئيس

بنة الجارية . ودة وسدا
— بجم ١٩ سواه لقا
واعقلوا اربب الفة شيويه
حانلا عدا كيا نتم برون
قاله ن اول بييم .

عدا الفة أيقان البيت
وبجم الثالث الفية لديره
الدرجال نبة الفرة افله
البيته وعاد عبد الزام فانه ليقان
لبه - فون البسه . والفرة ١٢
باجفة - ٩ بملغ الفيين
ن البيت - فو البيه - ١٠
بشبه . دقة اعد البيه بل
الرب الفرة ١٠ ببيته ون
- ان - الكا شبه بالآخر

أهوية الأربعة عشر
الرئيس

البيته بجم الجلة الكالة
والكا فقة - البيته وشبهه
وقد فلك سم اس ن فوره
بجم كل الثالث الفية فو
لديلا - ان ارتكبه له
تله فاعل الفية بل لعال
ال جوية ار السوية
وكا الروا فم بيمون ال
فستيل ربيوه الاخر .
وعلنه بل بجم كل الفية . ولله
- فو فلك فاه فقه قال اس
فلكت عود - ن الادوية - ان
٢١ عدا سدا برون ١٢ شبه فقا
ومفوم ان البيته فية هذا الثاني
- عود - كما ان البسه قال
فلكت ن الادوية فاه ١٤ .

الأوردية العربية المخرقة
الرئيسية

لأنه ويك - اثنا لثاني
إنه نقاب الرئيس هو الأخير
لأنه يفتن الجميع بكلامه وتعليقه.
وهم ذمته من نقابهم أدرك
بعد آية الله في عددتهم من الجنان
وتبذل سفهم.

وهو - أين أنتم شباب يحتاج
أنا - طابع وقد جوي -

دنة لا حنك أنتم من
النسب لربهم إن - لخصه ثانياً
أدرك جيله.

عما أمته من الخطا - لفت
إنه والجل إن - فاق على قدره لعمام
دليله امامهم إلا اللقاء معنا.

الأوردية العربية المخرقة
الرئيسية

أما حبيب تنقل فيقول
إن عبيدكم طازن يتولى
ألا الأعداء من ضده لرحم الله
سندك نيك أنظار كنيه
عانه طالع يجمع قده - به لبي
والفئات العوية إلا خروني

وقد وصل وفد العراق أول أمس، وهو مكون من السعدي أمين عام حزب البعث، ونائب رئيس الوزراء، ووزير الداخلية وهو صريح، مغرور، مندفع كان في السجن وقت قيام الثورة، وأظن أنك لاحظت أنه لم يذكر في خطابه اسم عبد السلام عارف، بل تجاهله كلية، كما تجاهله في المباحثات، ولكن انطباعي بالنسبة له أنه وطني مخلص.

والفريق علي صالح عماشة وزير الدفاع^(*) وكان أيضاً في السجن يوم الثورة وهو هادئ ذكي، وقد ارتحت جداً إليه، وهو من جماعة الحاج سري ولكن انضم أخيراً إلى حزب البعث.

وطالب شبيب وزير الخارجية وهو بعثي ذكي لبق متحدث وقد استرحت إليه.

عمر الأول ٣٠ سنة، والثاني حوالي ٣٨ سنة، والثالث حوالي ٢٨ سنة، وضم الوفد ضابطين من مجلس الثورة.

وقد تكلمت معهم بصراحة في جلسة أول أمس بعد الإفطار إلى الساعة الواحدة والنصف، وأمس بعد الصلاة إلى موعد الإفطار.

ويظهر من كلامهم أنهم مقدرون المتاعب ويريدون علاقة وثيقة مع ج.ع.م^(*). وقد قلت أننا لا نريد منهم أي شيء سوى وحدة الهدف، وأننا حتى لا نمانع إذا تحررت سوريا في أن تتحد مع العراق بل سنؤيد ذلك، وقد قال عماشة أن سوريا يجب أن تتحد مع مصر أولاً، وأن أي اتحاد بين سوريا والعراق معناه منافسة بين بغداد والقاهرة، أو مظهر منافسة، وبعد بذلك تتحد العراق، وقد تكلمت معهم بصراحة عن الأخطاء - أخطاء حزب البعث - وأن أي ممارسة وتطبيق لأي هدف لا بد أن تتعرض لأخطاء.

(*) المقصود هو صالح مهدي عماش وزير الدفاع.

(*) ج.ع.م. الجمهورية العربية المتحدة.

أما الأكراد وزير وممثل للبرازاني، فقد طلبوا أن يقابلوني على انفراد منفصلين عن الآخرين، وقد وافق الوفد على ذلك، وقالوا لي في المقابلة أنهم لا يثقوا في أي وعود من الحكومة إلا إذا تضمنت شخصياً تطبيق هذه الوعود، وهم يطالبون بالحكم الذاتي وقد أوقفوا القتال بعد قيام الثورة، وكان لهم اتصال مع رجال الثورة قبل قيامها وأخذوا وعود والملاحظ أن الحكومة تتهرب.

عموماً المشاكل التي تجابه ثورة العراق كبيرة جداً، قال عماشة أن المجلس الوطني قرر أن لا بد من موافقتنا على أي حل لمشكلة الأكراد، وكذلك لمشكلة الكويت، حيث أن هذه الأمور تتعلق بالوحدة التي هي الهدف النهائي للثورة، وقال لي عماشة أنه يوجد سبعة ألوية تحارب في المناطق الكردية، وهم في حاجة إلى ذخيرة وقنابل طائرات وأسلحة، وطلبوا أن يحصلوا على الذخيرة من عندنا، لأن الاتحاد السوفييتي موقفه عدائي جداً، ذخيرة الدبابات والمدفعية الخ، وطلب إحياء الاتفاقية العسكرية والحصول على طائرات من إنتاجنا، ورشاشات بور سعيد وبنادق الخ..

وقال عماشة أنهم اعتقلوا ٨٠٠ ضابط شيوعي، منهم ١٥٠ طيار، لدرجة أن الأسراب الآن بدون طيارين، وقد دمروا سرب ميج ١٩ موالى لقاسم، واعتقلوا أربعة آلاف شيوعي، وقتلوا عدداً كبيراً منهم بدون محاكمة في أول يوم.

عموماً الموقف أيضاً في الجيش وبين الفئات القومية لا يدعو إلى الارتياح فمجلس الثورة أغلبه من البعثيين، وعارف عبد الرزاق قائد الطيران ليس من ضمن المجلس، والثورة بما يقرب من ٩٠٪ منها القوميون في الجيش - غير البعثيين - و ١٠٪ بعثيين، وقد اعتمد (البعثيون) على الحرس القومي ١٠٠٪ بعثيين، وفي رأبي أن الكل متربص بالآخر، البعث يريد السيطرة الكاملة والكل متخوف من البعث ومتربص، وقد تكلمت معهم أمس في ضرورة جمع كل الفئات القومية حتى لا يعزلوا، وأن أي نكسة لن تكون لصالح القوميون بل

لصالح الرجعيين أو الشيوعيين وكان الرد أنهم يتجهون إلى المستقبل وينسون الماضي، ويعملون على تجميع كل القوميين، ولكن رغم ذلك فإن عماشة قال أمس لطلعت صدقي - في الأوبرج - أن أمام عبد السلام عارف ٣ أشهر فقط ويفهم أن البعث يعتبر هذا التحالف مرحلة - كما أن السعدي قال لطلعت في الأوبرج بعد أن شرب ١٤ كأس ويسكي - أننا لا نريد أن نقابل الرئيس مرة أخرى لأنه بلشف الجميع بكلامه وتحليله، ورغم ذلك فسأتقابل معهم أول يوم العيد بعد عودتهم من الجزائر وقبل سفرهم.

وفي رأيي أنهم شباب يحتاج إلى رعاية وتوجيه.

وقد لاحظت أنهم في شدة التعب لدرجة أن السعدي نام في أول جلسة. عموماً أعتقد رغم أخطاء البعث أن واجبنا أن نحافظ على ثورة العراق وليس أمامهم إلا اللقاء معنا.

أما صديق شنشل فيقول أن عبد السلام عارف يترك لهم الأمور في هذه المرحلة التي سترتكب فيها أخطاء كثيرة، وأن هناك تجمع قومي من الجيش والفئات القومية الأخرى.

الملحق رقم (٤)

أسماء المشاركين في المؤتمر القطري السابع
المنعقد ببغداد في تشرين الثاني ١٩٦٨

- ١- أحمد حسن البكر
- ٢- صدام حسين
- ٣- طه ياسين رمضان الجزراوي
- ٤- عبد الكريم الشيخلي
- ٥- صالح مهدي عماش
- ٦- عبد الله سلوم السامرائي
- ٧- صلاح عمر العلي
- ٨- عزت مصطفى
- ٩- عبد الخالق السامرائي
- ١٠- عزت إبراهيم الدوري
- ١١- تايه عبد الكريم
- ١٢- طاهر توفيق العاني
- ١٣- مرتضى سعيد عبد الباقي
- ١٤- سمير عزيز النجم
- ١٥- أحمد حسين السامرائي
- ١٦- عبد الفتاح محمد أمين
- ١٧- حكمت إبراهيم العزاوي
- ١٨- سعدون شاكر
- ١٩- عبد الجبار عبد المجيد الكرخي
- ٢٠- صباح الخوراني
- ٢١- جعفر قاسم حمودي
- ٢٢- لطيف نصيف جاسم
- ٢٣- نوري حمادي
- ٢٤- مدلول المحنة
- ٢٥- أنور عبد القادر الحديثي

- ٢٦- محمد حمدان
 ٢٧- عبد الوهاب كريم
 ٢٨- جاسم هجول
 ٢٩- علي عجام
 ٣٠- حبيب جاسم
 ٣١- غازي محسن
 ٣٢- صلاح صالح
 ٣٣- فاخر محسن الزيرجاوي
 ٣٤- حميد كريم كلكاوي
 ٣٥- بدري كريم كلكاوي
 ٣٦- عبد الحسين الرفيعي
 ٣٧- كاظم جعفر
 ٣٨- صفاء العمر
 ٣٩- فاروق مصطفى
 ٤٠- نعيم حميد حداد
 ٤١- جاسم الركابي
 ٤٢- علي حميد حداد
 ٤٣- جعفر العيد
 ٤٤- عبد الشهيد كاطع
 ٤٥- محمد رسول
 ٤٦- حميد الصايغ
 ٤٧- هشام الطالب
 ٤٨- سالم الطائي
 ٤٩- زهير يحيى
 ٥٠- عبد الستار الرماحي
 ٥١- حسن سلطان
 ٥٢- عبد القادر عز الدين
 ٥٣- سعدي عياش عريم
 ٥٤- غانم أحمد العلي

- ٥٥- عبد الواحد الخريط
٥٦- فواز الكبيسي
٥٧- حميد مجيد
٥٨- عبد الرزاق جبير
٥٩- خيرى عثمان الراوي
٦٠- خالد عثمان الراوي
٦١- سيد أسود
٦٢- عدنان خورشيد
٦٣- محمد علي جومير
٦٤- سلوم الحسن
٦٥- صبحي علي الخلف
٦٦- كمال قوام
٦٧- علي حميد حبيب
٦٨- أحمد حمد الدوري
٦٩- حسين محمود
٧٠- طه محمود السامرائي
٧١- علي عليان
٧٢- خليل التايب
٧٣- راسم العوادي
٧٤- عباس محبي
٧٥- صالح عبد الحمد
٧٦- فليح حسن الجاسم
٧٧- ياسين الفدعم
٧٨- فالح عبد الرزاق
٧٩- كريم الجاسم
٨٠- محسن الشعلان
٨١- حسين الجبر
٨٢- محمد عايش
٨٣- بدن فاضل

٨٤- حسين حياوي

٨٥- نبيل صالح

٨٦- منذر عبد الحميد العريم

٨٧- سعد قاسم حمودي

٨٨- فخري قدوري

٨٩- ناظم كزار

٩٠- عبد الرزاق الحديثي

الملحق رقم (٥)

أوائل آذار ١٩٦٤

نص الرسالة التي وجهتها الأمانة العامة للحزب إلى لجنة تنظيم القطر^(١).
بعد انتهاء المؤتمر القومي السابع (الاستثنائي) عينت القيادة القومية قيادة قطرية مؤقتة لقطر العراق، وحملتها الرسالة التالية إلى (لجنة تنظيم القطر)، وكانت هذه تتألف من بعض كوادر الحزب في العراق، الذين أخذوا المبادرة في محاولة إعادة التنظيم بعد ردة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وحتى تعيين القيادة القطرية المؤقتة.

* * *

حزب البعث العربي الاشتراكي
القيادة القومية
تحية عربية وبعد:

ترامى إلى الأمانة العامة للقيادة القومية، بأن لجنة قد تشكلت تحت اسم (لجنة تنظيم القطر) أخذت منذ مدة بمهمة مواولة التنظيم الحزبي لدى بعض الرفاق.
إن الأمانة العامة تحب أن توضح للرفاق النقاط التالية:
أن قيادة قطرية مؤقتة جديدة قد عينت بعد اختتام المؤتمر القومي السابع لقيادة القطر العراقي سياسياً وتنظيمياً.
أن أية تنظيمات أخرى تمت أو تتم بدون علم القيادة الجديدة تعتبر غير شرعية، ومتنافية مع البديهيات الحزبية في القيادة المركزية، وفي وحدة الحزب، وفي وحدة الجهاز وتنظيمه.

أن القيادة القومية مع تميمها لدور الرفاق بعد الضربة التي وجهت للحزب

(١) نشر في (وعي الطليعة) جريدة الحزب الداخلية - القطر العراقي - نيسان ١٩٦٤، وقد طبع هذا العدد في دمشق وأرسل بكميات كبيرة للعراق - المحرر -.

في محاولة إعادة تنظيم الحزب، تعتقد بأن مهمة جميع الرفاق الآن الاتصال بالمركز الجديد ومساندته ودعمه.

أن القيادة القومية قد أفهمت القيادة القطرية الجديدة بأن مهمتها الأولى والأساسية هي إعادة الوحدة للحزب، على أساس أن الجهاز الحزبي والكوادر الحزبية غير مسؤولة بتاتاً عن جميع الملاحظات والأخطاء التي وقعت في الفترة المؤسفة الماضية، التي أتاحت لأعداء الحزب والشعب الإطاحة بالحكم التقدمي الثوري، وتعريض العراق مرةً أخرى لنار النفوذ الرجعي والدكتاتوري والاستعماري، إن وحدة الحزب، أيها الرفاق، هي القبضة الفولاذية التي نشرعها في هذه الفترة الحاسمة التي يتجمع فيها جميع أعداء الشعب - على اختلاف أسمائهم وأشكالهم - في المهمة غير المشرفة وهي تصفية الحزب، وضرب نضاله، بقصد إفقاد أمتنا العربية وجماهيرنا الشعبية حزبها الطلائعي العظيم.

إن الأمانة العامة ترجو أن تتدارسوا هذه النقاط مع الرفيق مندوب القيادة القطرية المؤقتة الجديدة، وتعملوا على ضوئها بالانضباط وبروح المسؤولية الحزبية التي نعهد بها في مناضلي الحزب وأبنائه - وإلى الأمام.

القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي

توقيع: الأمين العام

الملحق رقم (٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم ١٠٩٣

مرسوم جمهوري

استناداً إلى الصلاحية المخولة لنا في البيان رقم (١) الصادر عن المجلس الوطني لقيادة الثورة بتاريخ الثامن عشر من شهر تشرين الثاني لسنة ١٩٦٣. رسمنا بما هو آت:-

تعيين الزعيم أحمد حسن البكر نائباً لرئيس الجمهورية.
كتب ببغداد في اليوم الرابع عشر من شهر رجب لسنة ١٣٨٣هـ المصادف لليوم العشرين من شهر تشرين الثاني لسنة ١٩٦٣م.

المشير الركن

عبد السلام محمد عارف

رئيس الجمهورية

في هذا المرسوم الجمهوري كافأ عبد السلام عارف أحمد حسن البكر، وفي المرسوم الذي يليه في الملحق رقم (٧) كافأ أيضاً طاهريحيى التكريتي، وحرदान التكريتي، ورشيد مصلح التكريتي لمشاركتهم في إطاحة حكم حزب البعث في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣.
وفي المرسومين يبرز ثقل المشاركة العسكرية التكريتية فيما يسمى بردة تشرين.

الملحق رقم (٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم ١٠٩٤

مرسوم جمهوري

استنادا الى الصلاحية المخولة لنا في البيان رقم (١) الصادر عن المجلس الوطني
لقيادة الثورة بتاريخ الثامن عشر من شهر تشرين الثاني لسنة ١٩٦٣.

رسمنا بما هو آت:

اولا:- تعيين السادة التالية اسمائهم انفاه بالمناصب الوزارية المؤشرة ازاءهم:

- | | |
|--|--------------------------------|
| ١- الفريق طاهر يحيى | رئيسا للوزراء |
| ٢- الزعيم الركن حردان التكريتي | وزيرا للدفاع |
| ٣- الزعيم الركن عبد الكريم فرحان | وزيرا للأرشاد |
| ٤- الزعيم رشيد مصلح | وزيرا للداخلية |
| ٥- المقدم الركن صبحي عبد الحميد ^(١) | وزيرا للخارجية |
| ٦- اللواء الركن الحاج محمود شيت خطاب | وزيرا للشؤون البلدية والقروية |
| ٧- الدكتور عبد الكريم العلي | وزيرا للتخطيط |
| ٨- المقدم الركن عبد الستار عبد اللطيف | وزيرا للمواصلات |
| ٩- السيد عبد العزيز الوتاري | وزيرا للنفط |
| ١٠- الدكتور عبد الكريم كتونه | وزيرا للصناعة |
| ١١- الدكتور عبد الكريم هاتي | وزيرا للعمل والشؤون الاجتماعية |
| ١٢- الدكتور احمد عبد الستار الجوارى | وزيرا للتربية والتعليم |
| ١٣- الدكتور محمد جواد العبوسى | وزيرا للمالية |
| ١٤- السيد كامل الخطيب | وزيرا للعدل |
| ١٥- الدكتور عزت مصطفى | وزيرا للصحة |
| ١٦- عقيد الجو الركن عارف عبد الرزاق | وزيرا للزراعة ^(٢) |
| ١٧- السيد عبد العزيز الحافظ | وزيرا للاقتصاد |
| ١٨- الدكتور عبد الفتاح الالوسى | وزيرا للأشغال والإسكان |
| ١٩- الدكتور عبد الصاحب العلوان | وزيرا للإصلاح الزراعي |
| ٢٠- السيد مصلح النقشبندى | وزير الدولة |
| ٢١- الدكتور شامل السامرائى | وزير دولة الشؤون الوحدة |

ثانيا: على رئيس الوزراء والوزراء تنفيذ هذا المرسوم.


كتب ببغداد في اليوم الخامس من شهر رجب لسنة ١٣٨٣ هـ المصادف لليوم

الحادي والعشرين من شهر تشرين الثاني لسنة ١٩٦٣ م.

المشير الركن

عبد السلام محمد عارف

رئيس الجمهورية



قرار منح شرف العضوية

تمسكاً بالروح التي تتجسد في ميثاق جامعة الدول العربية، وبما أن السيد حسين أمين سر القطر، القاضية بمنح شرف العضوية في حزب البعث العربي الاشتراكي للشهداء الذين ضحوا بحياتهم دفاعاً عن مبادئ الشرف وحقوق الوطن والأمة في معركة قادسية صدام ضد العدو الفارسي، واستناداً إلى قرار القيادة القطرية بقرار منح الشهداء شرف العضوية... استثناء من احكام النظام الداخلي. وتأتي هذه المكرمة الرائعة من لدن قيادتنا الحكيمة لمن جعلوا من حياتهم قرباناً للذود عن الوطن وكرامته وبحرير أرضنا ومياهنا المغتصبة... وتقديراً لتضحياتهم الجليلة في ملاحم قادسية صدام العظيمة.

في شهر ربيع الثاني / ١٩٨١ / ١٠
 في دمشق

وزارة الخارجية
 دمشق

الملحق رقم (٩)

الضباط المتقاعدون المعادون إلى الخدمة في ٨ شباط ١٩٦٣

- العقيد ذياب العلكاوي
الزعيم الركن منير فهمي الجراح
الزعيم الركن سعيد محمد الشيخ
العقيد الركن يونس عطار باشي
العقيد الاحتياط إبراهيم الكيلاني
العقيد نوري صالح الراوي
العقيد جميل السعودي
العقيد ياسين محمد السامرائي
عقيد جو محمد ناصر الكسار
الزعيم شمس الدين عبد الله
الزعيم الطبيب نجيب رزوق ميخائيل
الزعيم عبد الرحمن عبد الجبار
الزعيم الركن عبد الجبار خليل شنشل
الزعيم شاكر شريف زين العابدين
الزعيم صالح نجم
الزعيم الركن أحمد توفيق الصائغ
الزعيم عبد الهادي محمد الحافظ
العقيد عبد الحميد عبد الجبار البيروني
العقيد فاضل سلمان العساف
العقيد حمدي سعيد

العقيد الطبيب عبد الأحد بهنام مانع
المقدم محمد يحيى الحافظ
المقدم صبري خلف الجبوري
المقدم الاحتياط سعيد صليبي كريم
المقدم جابر حسن الحداد
المقدم طه ياسين الدوري
المقدم الركن صالح مهدي عمّاش
المقدم الاحتياط عبد الهادي صالح
المقدم عبد العزيز عبد الرحمن
الرئيس الأول حازم عبد الفتاح
الرئيس الأول الركن سعد الله يونس الطائي
الرئيس الأول محيي الدين محمود
الرئيس الأول الركن محمود مختار أحمد عزت
الرئيس الأول عبد الأمير عباس الربيعي
الرئيس الأول الركن محمود خليل الراشدي
الرئيس الأول الركن سالم محمد الحميدة
الرئيس الأول عبد الرزاق محمد النجفي
الرئيس الأول هاشم أحمد الخيرو
الرئيس جابر عبد القادر العاني
الرئيس نجيب السيد إسماعيل أحمد الصباغ
الملازم الأول سعدون فليح حسن
الملازم الأول زهير يونس أحمد
الملازم الأول محمد علي عبد الأمير السباهي

الملازم الأول عبد الرحمن سيد جواد
الملازم الأول أسعد خليل
الملازم الأول سالم علي السعدي
الملازم الأول نشمي علي
الملازم الأول سعد وهيب السامرائي
الملازم هاشم عبد الرزاق السامرائي
الملازم حمودي محمد ياسين
الملازم عبد الجبار محمد الخربيط
المقدم يوسف كشمولة - برتبة عقيد
الرئيس الأول الركن حاتم رشيد - برتبة مقدم
الرئيس الصيدلي أمين كركجي - برتبة رئيس أول
الملازم طارق حسين - برتبة ملازم أول
الملازم هاني عبد القادر - برتبة ملازم أول
الملازم هاشم يونس - برتبة ملازم أول
الرئيس حازم حسن العلي - برتبة رئيس أول
الملازم الأول ساطع شريف الجاسم
الرئيس غانم فتحي
الملازم الأول سالم الحجية
الرئيس صديق الصفار - برتبة رئيس أول
الرئيس محمد سعيد قاسم - برتبة رئيس أول
الرئيس صديق إسماعيل - برتبة رئيس أول
الملازم عبد الرحمن مصطفى - برتبة ملازم أول
الملازم سالم يحيى الحافظ - برتبة ملازم أول

المقدم عبد الله الجبوري - برتبة عقيد
الملازم الأول كامل إسماعيل - برتبة رئيس
الملازم سعيد محمد فتحي - برتبة ملازم أول
الملازم حاتم عبد العزيز - برتبة ملازم أول
الملازم عبد القادر إسماعيل - برتبة ملازم أول
الملازم الأول غانم محمد عبد الله - برتبة رئيس
الامام سعيد عبد العزيز
اللواء طاهر يحيى
الزعيم رشيد مصلح
الزعيم عبد الهادي محمد الراوي
الزعيم الركن عبد الغني محمد سعيد الراوي
الزعيم الركن عبد الكريم فرحان
الزعيم الركن عبد المجيد سعيد العاني
العقيد محمد مجيد
العقيد كامل طه الدبوني
العقيد يحيى عبد الباقي الناصري
العقيد نهاد فخري
العقيد صالح عبد القادر الرمضاني
العقيد إبراهيم عبد الغفور الشيخ
المقدم الركن حسن مصطفى النقيب
المقدم الركن عبد الله سلطان
المقدم محمد فرج الجاسم
المقدم عبد الجبار عبد الكريم

المقدم بهجت سعيد
المقدم عبد المجيد محمود الويس
الرئيس الأول عبد الهادي عبد الله العبيدي
الرئيس الأول فاضل مسيب
الرئيس الأول عبد القادر جميل البزركان
الرئيس الأول عباس محمد علي بعقوبة
الرئيس حسن محمد صالح
الرئيس سلطان خلف
الرئيس علي إحسان شيت - برتبة رئيس أول
الرئيس الطيار عبد الرزاق محمود العزي
الملازم الأول ذنون يونس جاوشين
الملازم الأول الاحتياط هاشم عبد العزيز
الملازم الأول جاسم حميد المصطاف
الملازم الاحتياط أنور عبد الحميد العساف
العقيد مدحت الحاج سري - برتبة زعيم
العقيد عبد الرزاق السيد محمود - برتبة زعيم
العقيد عبد القادر أحمد البهرزي - برتبة زعيم
العقيد عزيز حميد الجلبي - برتبة زعيم
العقيد شاكر محمود السامرائي - برتبة زعيم
العقيد صادق عبد الله التكريتي - برتبة زعيم
العقيد فاهم كامل الكريدي
مقدم الجو - حسن رجب عريم - برتبة عقيد
المقدم يحيى أحمد الخطيب - برتبة عقيد جو

المقدم نافع فجر القصير - برتبة عقيد
المقدم الركن جمال حميد روز - برتبة عقيد ركن
المقدم صباح عبد الله صائب - برتبة عقيد
المقدم خليل إبراهيم القيسي - برتبة عقيد
المقدم صالح شلال - برتبة عقيد
العقيد يونس محمد شيت
العقيد الركن عبد الكريم مصطفى نصرت - برتبة عقيد ركن
المقدم خليل هندي
الزعيم حسين عبد الله الزرفي
زعيم الجو جواد حمودي
العقيد سعيد محمد السكران - برتبة زعيم
العقيد محمد نافع أحمد
العقيد الركن محمد نوري خليل
العقيد نوري حسين العزاوي
العقيد عبد اللطيف حسين
العقيد عبد اللطيف حسن
العقيد صبيح مكي الهاشمي
العقيد يونس حسين - برتبة زعيم
المقدم الركن يونس حمودي - برتبة عقيد ركن
المقدم عبد القادر حلمي - برتبة عقيد
المقدم سعدي ناصر - برتبة عقيد
المقدم عبد الحميد إبراهيم - برتبة عقيد
المقدم حيدر علي الأمين - برتبة عقيد

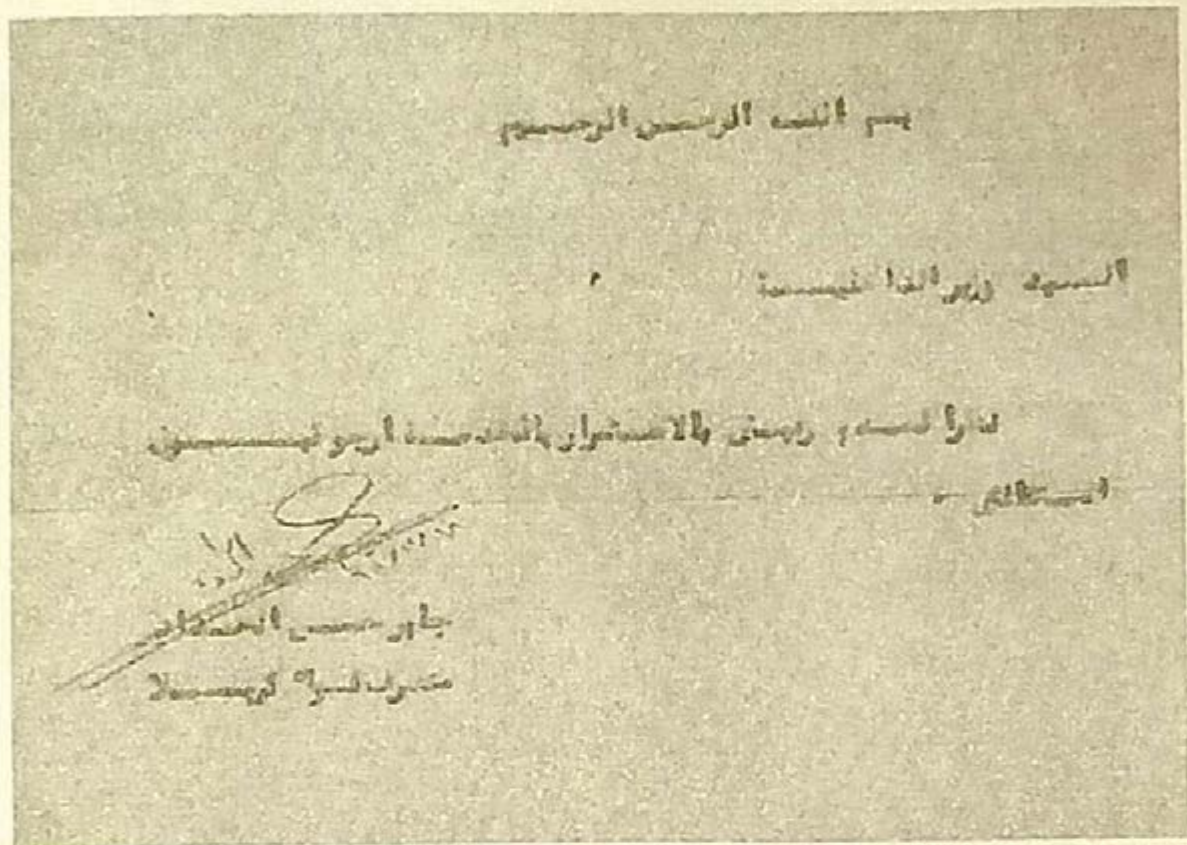
المقدم عبد الرزاق محمد أسود - برتبة عقيد
المقدم إسماعيل خليل الملاح
المقدم حسين علي العبيدي
المقدم الركن محمد أمين عبد الله
الرئيس الأول فتحي أمين العمري - برتبة مقدم
الرئيس خليل إبراهيم عباس - برتبة رئيس أول
الرئيس إدريس طه - برتبة رئيس أول
الرئيس عائد سلمان التكريتي
الرئيس سالم رشيد
ن. ض. ح. فرحان حسن الخليفة - برتبة ملازم احتياط
ن. ض. ح. سامي فتحي - برتبة ملازم احتياط
ن. ض. ح. يونس أحمد حسن - برتبة ملازم غير حربي
العقيد الصيدلي عباس جواد تويج
العقيد الصيدلي توفيق محمد الحافظ
العقيد الصيدلي كامل حسن القزاز
العقيد الركن طه محمد أمين
الرئيس الأول عبد الله نوري
الرئيس الأول الركن محمود عزيز الحاج عبد الله - برتبة مقدم ركن
الرئيس محمد سامي مصطفى - برتبة رئيس أول
الرئيس محمود محمد آل ملكو - برتبة رئيس أول
الملازم الأول محمد ذنون حيدران - برتبة رئيس
الملازم الأول غير الحربي عبد الرزاق حمدي - برتبة رئيس غير حربي
الملازم الأول خير الله عسكر الناصري - برتبة رئيس

الملازم الأول إسماعيل محمد الهادي - برتبة رئيس
الملازم الأول قاسم أحمد عاشور - برتبة ملازم أول
الملازم سالم خليل - برتبة ملازم أول
الزعيم الركن ناجي طالب - برتبة لواء ركن
الزعيم الركن عبد العزيز عبد الله العقيلي - برتبة لواء ركن
الزعيم الركن محمود الحاج شيت خطاب - برتبة لواء ركن
العقيد المهندس رجب عبد المجيد - برتبة زعيم مهندس
العقيد أحمد حسن البكر - برتبة زعيم
الرئيس الأول الركن عبد الستار عبد اللطيف - برتبة مقدم ركن
الرئيس المظلي منعم حميد - برتبة رئيس أول مظلي
الملازم حازم هاشم العمري - برتبة ملازم أول
الزعيم عبد الرحمن محمد عارف
العقيد الركن وحيد صادق الجبوري
العقيد إسماعيل حقي خليل
العقيد بدر الدين محمود
المقدم صعب الخردان
المقدم علي ناصر الكسار
الرئيس الأول نعمة حسون بلال
الرئيس الأول شوكت نجم الصالحي
الرئيس الأول فيصل صادق الخوجة
الرئيس حميد قادر - برتبة مقدم
الملازم الأول شاكر محمود
الملازم الاحتياط كنعان علي رضا الغزالي - برتبة ملازم أول - أ -

- الملازم الاحتياط طارق عبد الله أبو الخليل - برتبة ملازم أول - أ -
- الملازم الاحتياط جاسم حسين يوسف قره علي - برتبة ملازم أول - أ -
- الملازم الاحتياط ظافر رشيد توفيق السامرائي - برتبة ملازم أول - أ -
- الملازم الاحتياط سهيل نجم الأنباري - برتبة ملازم أول - أ -
- ن. ض. ح. أ. حازم عبد سعيد - برتبة ملازم احتياط
- ن. ض. ح. أ. حكمت رشاد الياور - برتبة ملازم احتياط
- ن. ض. ح. أ. يونس مصطفى يحيى نزهت - برتبة ملازم احتياط
- ن. ض. ح. أ. علي أحمد عزت علي - برتبة ملازم احتياط
- ن. ض. أ. خليل إسماعيل حسين - برتبة ملازم احتياط
- ن. ض. أ. طه ياسين رمضان الجزراوي - برتبة ملازم احتياط
- ن. ض. أ. عبد الرزاق سليمان الدليمي - برتبة ملازم احتياط
- ن. ض. أ. عبد الستار غافل التميمي - برتبة ملازم احتياط
- ن. ض. أ. خالد محمد صديق أحمد الجراح - برتبة ملازم احتياط
- ن. ض. أ. محمد نذير عبد القادر - برتبة ملازم احتياط
- ن. ض. أ. عبد العزيز سعد الله أحمد - برتبة ملازم احتياط
- ن. ض. أ. يونس مصطفى العزو - برتبة ملازم احتياط
- الملازم أ. عبد الإله عبد الكريم - برتبة ملازم أول - أ -
- الملازم أ. عبد الإله محمد حسن - برتبة ملازم أول - أ -
- ن. ض. ح. أ. محمد ياسين الجبوري - برتبة ملازم احتياط
- ن. ض. ح. أ. طارق محمد علي الظاهر - برتبة ملازم احتياط
- ن. ض. ح. أ. طارق حسين عيسى المهداوي - برتبة ملازم احتياط
- ن. ض. ح. أ. خالد أحمد الشاهين - برتبة ملازم احتياط
- ن. ض. ح. أ. شكر ولي البياتي - برتبة ملازم احتياط

العقيد أحمد سلمان الجنابي
العقيد غازي غياث الدين
المقدم عبد الصاحب محمود
المقدم الركن طه ياسين
المقدم شكيب شريف الفضلي
المقدم حسن عبد المجيد
المقدم أحمد جميل الخوجة
المقدم عبد السلام محمد
المقدم ناجي جميل
المقدم عبد الرحمن البيروني
الرئيس الأول الركن موفق محمد علي
الرئيس الأول حقي إسماعيل البياتي
الرئيس إبراهيم الطالب
الرئيس هادي النقاش
الرئيس عبد الأمير علوش
المقدم رشيد فليح
الرئيس الأول فاضل عبد المجيد
الرئيس خالد أحمد الدخيل
الملازم الأول كنعان رفيق
الملازم الأول سالم عبد الكريم الزوري
الملازم الأول المظلي عبد الحميد رشيد محمد علي
الملازم الأول عبد الوهاب أحمد الياسين
الملازم عبد الستار عبد الواحد الشاهري - برتبة ملازم أول

الملازم صلاح عارف شاهين
الملازم الطيار حسين عويضة - برتبة ملازم أول طيار
الرئيس الأول عبد الستار مصطفى
العقيد عبد الكريم خالد - برتبة زعيم
الرئيس عبد الستار مهدي الفدعم
العقيد جهاد أحمد فخري - برتبة زعيم
المقدم عبد الخالق محيي الدين شيخ العرب - برتبة عقيد



الملحق رقم (١١)

رقم الشهادة : ١١١
 رقم البطاقة : ١٠٥٧٨
 تاريخ التنظيم : ١٩٧٠/١/٢٢

شهادة وفاة

الجمهورية العراقية
 وزارة الصحة
 مديرية الاحصاء الحيائي والصحي

١- اسم المتوفى وكنيته : محمد علي	
٢- عمره : ٢٢ سنة	
٣- جنسه : ذكر	
٤- دينه أو معتقده : مسلم	
٥- حرفته (مهنته) : معلم	
٦- الحالة الزوجية للمتوفى : متزوج	
٧- اسم والد المتوفى : محمد علي	
٨- اسم والد المتوفى : محمد علي	
٩- اسم والدة المتوفى : سليمة	
١٠- تاريخ الوفاة : الساعة : ١١ ، اليوم : ١ ، الشهر : ١٩٧٠ ، السنة : ١٩٧٠	
١١- اسم المبلغ عن الوفاة : الطبيب المشرف	
١٢- صلتته بالمتوفى : المعلم	
١٣- عنوانه الكامل : بغداد	
١٤- الشهادة الطبية (تتضمن قبل الطبيب المعالج أو الفاحص للجنة) : الحمام	
١٥- اولاً : المرض أو الحالة التي أدت للوفاة مباشرة : ربما بالرصاص	
١٦- حالات أخرى ساعدت على حدوث الوفاة ولكن ليست لأغراض المرض أو السبب المباشر للوفاة : الحمام	
١٧- اتعهد بان الوفاة قد حدثت من الأسباب المثبتة اعلاه	
١٨- عنوان اشتغال الطبيب : المستشفى	
١٩- توقيع الطبيب : محمد علي	
٢٠- توقيع المؤسسة الصحية : مدير المؤسسة الصحية	
٢١- شهادة طبية (تتضمن قبل الطبيب المعالج أو الفاحص للجنة) : الحمام	
٢٢- اسم المبلغ اداء الدكتور : الطبيب	
٢٣- والمرسله من قبل : حسب الاستشارة المراد	
٢٤- تاريخ : في الساعة : / /	
٢٥- توقيع الطبيب : مدير المؤسسة الصحية	
٢٦- معلومات خاصة بمديرية تسجيل الاحوال المدنية الصادرة : سلا من قبل منظم الشهادة وتلخص المعلومات من دفتر نفوس المتوفى او من حرية الاحوال المدنية	
٢٧- صحيفة الاسرة العراقية في السجل المدني : رقم السجل	
٢٨- رقم هوية الاحوال المدنية الصادرة باسم المتوفى : رقم الهوية	
٢٩- رقم الصحيفة : رقم الصحيفة	
٣٠- (وترفق بالشهادة) : اللواء	

قد صالت المحكمة الخاصة المشكلة بأقرار مجلس قيادة الثورة الرقم ٧٢ في ١٩٧٠/١/٢١ جلستها
برئاسة السيد طه الجزائري وحضرة كل من ناظم كزار وولي رضا بأصدرت بتاريخ ١٩٧٠ / ١ / ٢٢
بأتم التصديق للقرار التالي :-

القرار ١ - أحاط السيد وزير العدل بحضرته كل من المتهمين ١ - السيد الركن محمد عباس معلوم
٢ - السيد المتقاعد خضر حمودي ٣ - السيد المتقاعد اسماعيل نجم ٤ - السيد
عبد الله أحمد صالح ٥ - السيد المتقاعد سعد وفي ٦ - السيد الركن داود عادي
المعاضدي ٧ - السيد المتقاعد رافع ناظم الحماوي ٨ - السيد الركن ياسد ايد
البياتي ٩ - السيد الركن هادي ريان محمد شكري المظني ١٠ - الرائد اكرم امين
١١ - الملازم الاول مشعل تركي الواحد ١٢ - الملازم الصلاح عصام مهدي ١٣ -
وعدة قبض كبطان ١٤ - عزيز علي السيد ١٥ - المظاين عبد الحسين عبد الكريم
الدوري ١٦ - احمد كريم عبد الله ١٧ - الرائد احض عبد الله ١٨ - الى هذه المحكمة
لمحاكمتهم وفق المواد ١٥٩ و ١٦٠ بدلالة المواد ٤٨ و ٢١٦ من قانون العقوبات
الصادر في بموجب قرار الاطاع الرقم ٩٧٠ والمؤرخ ١٩٧٠ / ١ / ٢١ وقد ياشرف
المحكمة شرفا بمحاكمة المتهمين المذكورين اعلاه واستصحت الى شهادة الشهود
واطلعت على المستندات الرسمية والرسائل المتبادلة بينهم وبين المحرم عبد القاسم
الواوي وبإية العقاقير وقد اشترط المتهمون كل من السيد الركن بهاب وايد النورين
والسيد الركن ريان محمد شكري المظني والرائد احمد عبد الله والسيد الركن سعد
عصام والملازم الصلاح عصام مهدي والرائد هادي وفي ١٩٧٠ / ١ / ٢٢
والدور المتقاعد اسماعيل نجم من اقليم قاموا بتنفيذ الواجبات بحسب توجيهات
قضاة المحكمة الايرانية المتفرقة الملبثت ان يتم الحكم بالبراءة واليمين بحسب توجيهات
كما تبنت المحكمة من الادلة الموجودة والرسائل المتبادلة من ان كل من السيد
الحسين عبد الكريم الدوري واحمد كريم عبد الله كان لهم اسهام مباشر وعليه قد
المؤامرة وبمساعدة الشا من ولده فقد جعلته القناه لدى المحكمة بادانتهم و
تجريمهم وفق المواد ١٥٩ و ١٦٠ بدلالة المواد ٤٨ و ٢١٦ من قانون العقوبات
عقوبتهم بمقتضاها ولم تجد المحكمة دليلا مقنعا ضد كل من المتهمين الملازم الامين
تركلي الراشد والسيد المتقاعد رافع ناظم الحماوي والسيد احمد صالح والسيد
المتقاعد سعد وفي والسيد المتقاعد خضر حمودي والرائد اكرم امين نظرا لبرائتهم
من التهمة المستندة اليهم صدر القرار بالانفاق وافهم علما في ١٩٧٠ / ١ / ٢٢

عليه رئيسا
خضير
ناظم كزار
تصديق
طه الجزائري
رئيس المحكمة الخاصة

الخاص باستيزار طه الجزراوي لأول مرة

مرسوم جمهوري رقم (١٨٠) (١)

استناداً إلى أحكام الفقرة (أ) من المادة الخمسين المعدلة من الدستور المؤقت،

وبناءً على موافقة مجلس قيادة الثورة رسمنا بما هو آت:

تعيين كل من:

١. طه الجزراوي، عضو مجلس قيادة الثورة، وزيراً للصناعة.
٢. مرتضى الحديثي، عضو مجلس قيادة الثورة، وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية.
٣. صلاح عمر العلي، عضو مجلس قيادة الثورة، وزيراً للثقافة والإعلام.
٤. خالد مكي الهاشمي، وزير الصناعة، وزير دولة للشؤون العسكرية.
٥. أنور عبد القادر الحديثي، وزير العمل والشؤون الاجتماعية، وزيراً للنقل.
٦. حامد الجبوري، وزير الثقافة والإعلام، وزيراً للشباب.
٧. عدنان أيوب صبري، وزير الدولة، ووزير المواصلات بالوكالة، وزيراً للمواصلات.
٨. إحسان شيرزاد، وزيراً للشؤون البلدية والقروية.
٩. محمد محمود، وزيراً لإعمار الشمال.
١٠. نوري شاويس، وزيراً للإشغال والإسكان.

(١) جريدة الثورة - بغداد - العدد (٤٨٢)، الاثنين ٣٠ آذار ١٩٧٠م - ٢٢ محرم ١٣٩٠هـ.

١١. صالح اليوسفي، وزيراً للدولة.

١٢. نافذ جلال، وزيراً للزراعة.

أحمد حسن البكر

رئيس الجمهورية

كُتِبَ ببغداد في اليوم الحادي والعشرين من محرم الحرام سنة ١٣٩٠هـ

المصادف في اليوم التاسع والعشرين من شهر آذار سنة ١٩٧٠م.

ملحق الصور





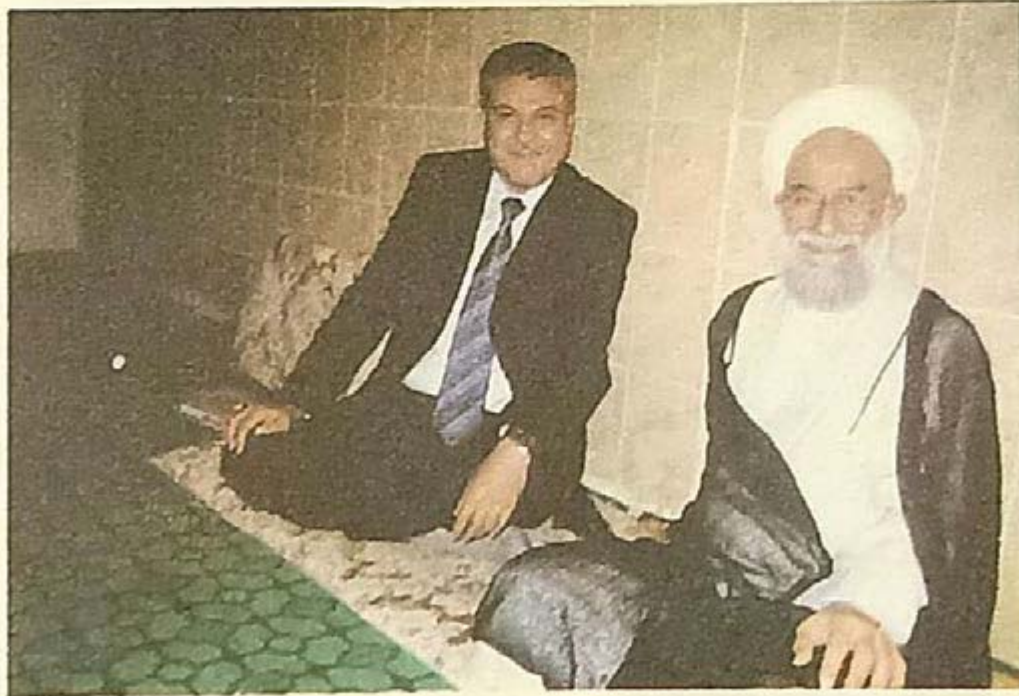
المفكر الإسلامي الكبير السيد الشهيد محمد باقر الصدر (رض)



سماحة السيد حسين هادي الصدر، والمؤلف.



سماحة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (رحمه الله) والمؤلف



سماحة الشيخ محمد مهدي الأصفي، والمؤلف



سماحة السيد طالب الرفاعي، والمؤلف



تضم الصورة من اليمين والدة الشهيد السعيد حميد الخيون، شقيق
الباحث د. رشيد الخيون، والمؤلف، ووالدة الشهيد السعيد تحسين
علي كاظم الأسدي



الأستاذ سعد صالح جبر، والمؤلف

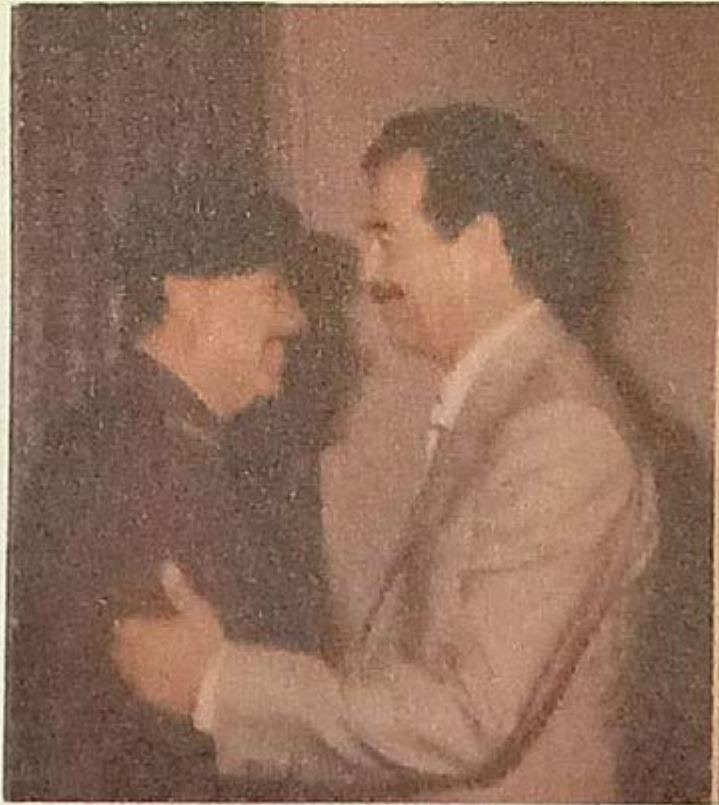


الوزير الأسبق السيد أحمد الحبوبى، والمؤلف

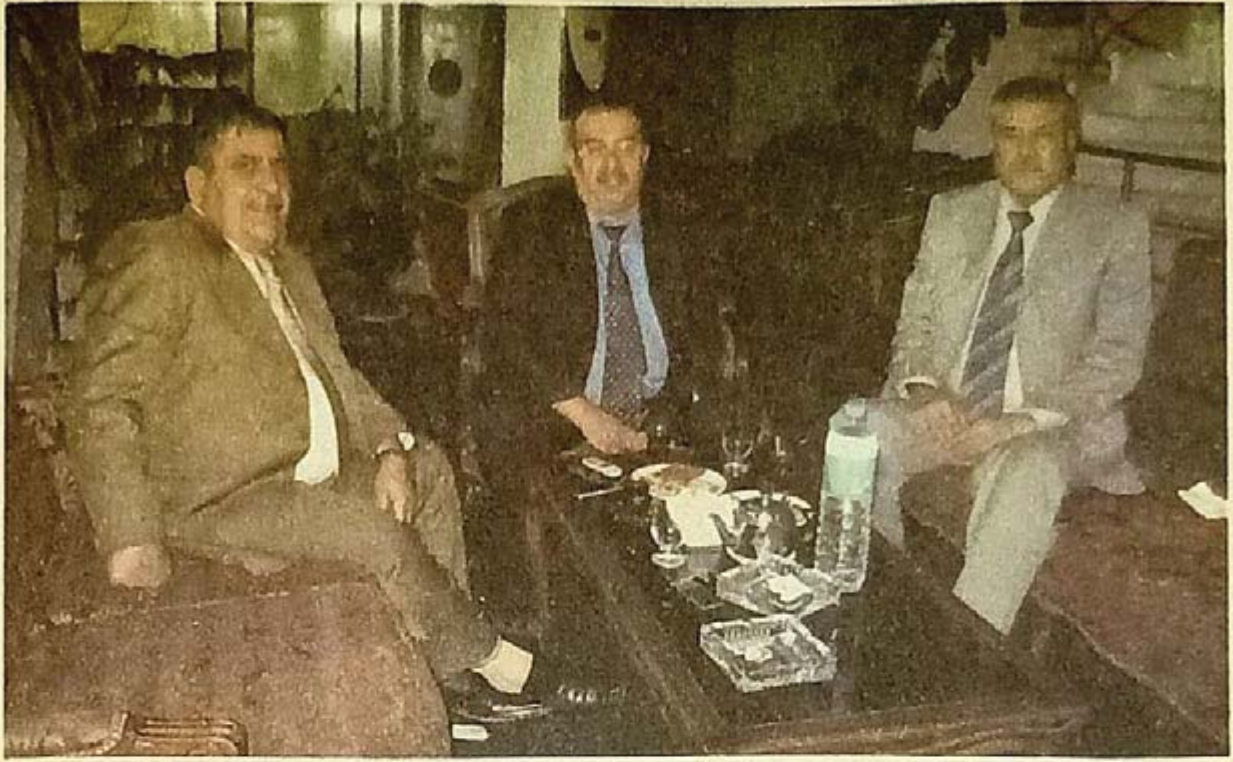


الأستاذ عبد العزيز بابطين، والمؤلف

قال عدنان خير الله للأستاذ عبد العزيز بابطين في آخر لقاء لهما :
إن هذا الرجل سيقتلني، ويقصد بذلك صدام، وبعد (٣٤) يوماً وصل
نعيه إلى الأستاذ بابطين.



صدام حسين مع ابن خاله ووزير دفاعه عدنان خير الله طلفاح



البرفسور بهرام خضر مولود رئيس جامعة صلاح الدين يتوسط
الدكتور علي محمود جكل عميد كلية اللغات، والمؤلف



صورة تذكارية ليوم التخرج في جامعة صلاح الدين - أربيل، تضم من
اليمين الأستاذ الدكتور عثمان أمين صالح (ابن عم علي صالح السعدي)
والمؤلف (المتخرج الأول على قسمه) والدكتور شاخوان عمر قادر، واحدى
المتخرجات في القسم نفسه.



في شارع المتنبي ببغداد
الباحث د. عقيل الناصري
مع المؤلف



العميد المتقاعد قيس نجل رئيس
الجمهورية الراحل
عبد الرحمن عارف، في منزله
بعمان مع المؤلف



الوزير الأسبق الدكتور مالك دوهان الحسن، والمؤلف



من اليمين سماحة الشيخ جميل مال الله الربيعي،
وسماحة الدكتور الشيخ عدنان فرحان آل قاسم، والمؤلف



الأستاذ الكاتب حسن السعيد، والمؤلف



جمال عبدالناصر يداعب ابنة عبد الحميد السراج وبجانبه فؤاد
الركابي وخلفه أنور السادات.. حفل زواج فؤاد الركابي على سلوى
الدرّة في بيت عبد الحميد السراج عام ١٩٦٢



عقد قران فؤاد الركابي على سلوى محمود الدرّة
بحضور جمال عبد الناصر



حفل زواج فؤاد الركابي

جمال عبد الناصر- عبد الحكيم عامر- فؤاد الركابي



فؤاد الركابي في السجن عام ١٩٧٠ ومع زوجته سلوى محمود الدرہ
وابنة أخته عايذة وابن أخته رياض وعلى يديه أيمن فؤاد الركابي



فؤاد الركابي في المغرب ويصافح ملك المغرب محمد الخامس



فؤاد الركابي - عبد السلام عارف -
فاضل عباس المهداوي رئيس محكمة الثورة الشهيرة



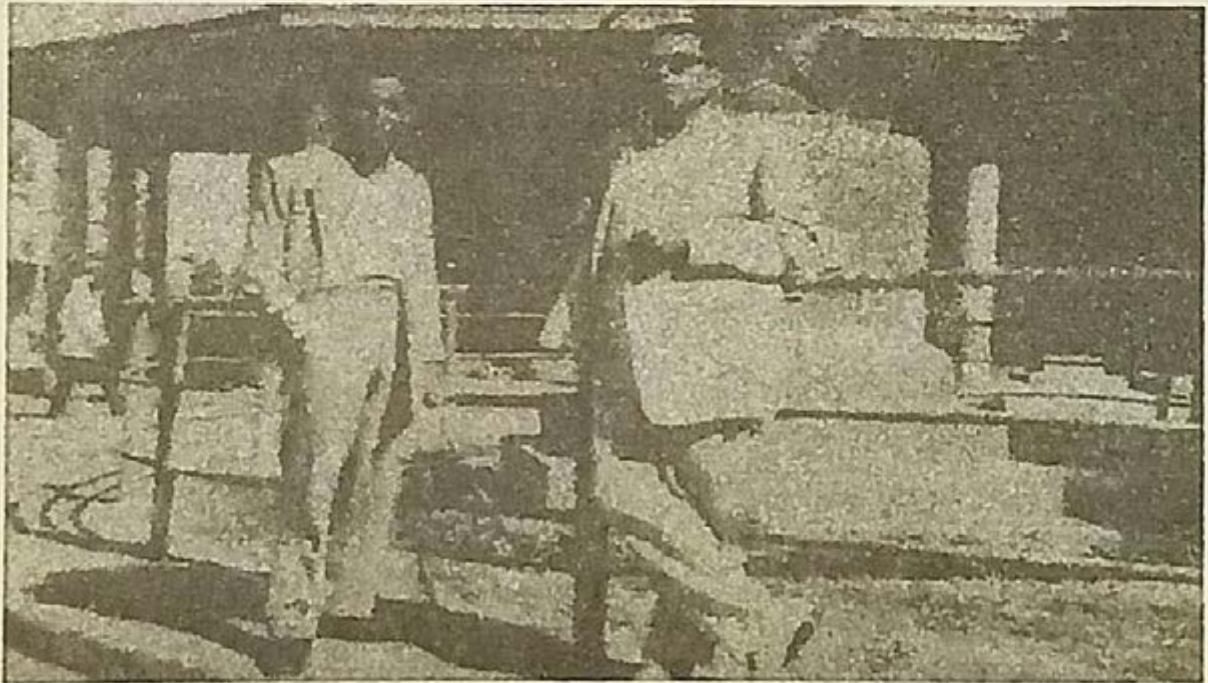
عبد السلام عارف - صبحي عبد الحميد - شكري صالح زكي -
فؤاد الركابي السفارة العراقية في القاهرة سنة ١٩٦٤



عبد السلام عارف وفؤاد الركابي ويرى في الصورة ميشيل عفلق
سنة ١٩٥٨



عبد الرزاق الدليمي قاتل فؤاد الركابي



أبو القاسم محمد كرو مع فؤاد أحمد الركابي في أحد المقاهي في
شارع النهر في الناصرية ١٩٥١/٧/٥



أبو القاسم محمد كرو مع فؤاد الركابي في الناصرية عام ١٩٥١



هناء العمري
زوجة علي السعدي



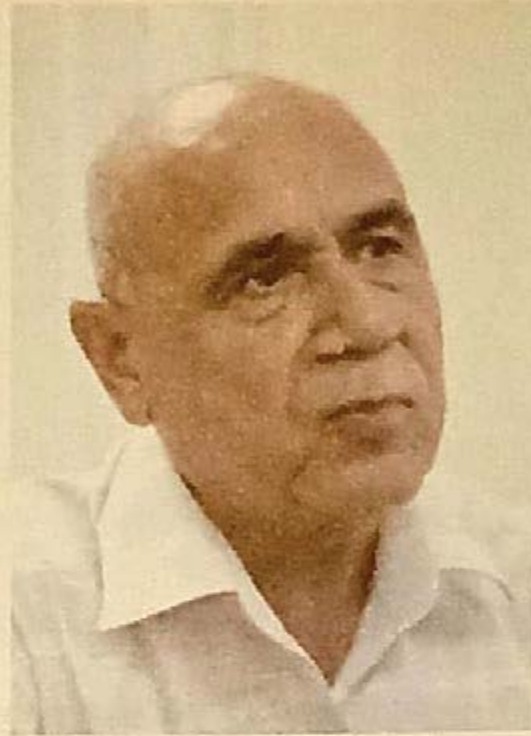
علي صالح السعدي
نائب رئيس الوزراء
ووزير الداخلية عام ١٩٦٣



علي صالح السعدي



الرئيس جمال عبد الناصر في استقبال الوفد العراقي برئاسة
علي صالح السعدي ويظهر في الصورة إضافة إلى رئيس الوفد
حردان التكريتي وصالح مهدي عماش وزكريا محيي الدين
وعلي صبري في ٢٥/٢/١٩٦٣



حمدي عبد المجيد

عضو القيادة القطرية وعضو المجلس الوطني لقيادة الثورة

عام ١٩٦٣



ياسين الحافظ

صاحب المنطلقات النظرية



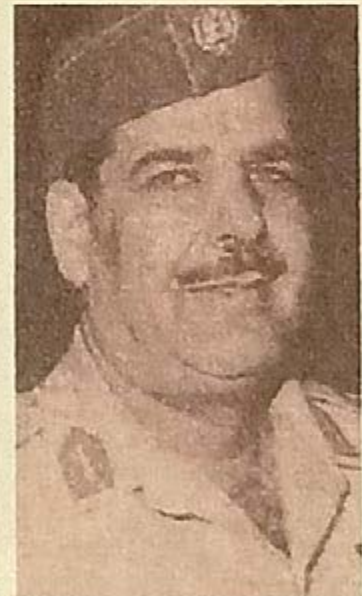
من اليمين ناظم كزار، صدام حسين، عبد الكريم الشихلي



عبد الوهاب كريم، أداة صدام في تنفيذ عمليات غادرة، لم يسلم من القتل على يد رفيقه صدام



ثلاثة وزراء خارجية
من اليمين طالب شبيب، عبد الكريم الشихلي،
وفي أقصى اليسار مرتضى سعيد عبد الباقي



الفريق الطيار الركن حردان التكريتي
نائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع



طالب شبيب
وزير الخارجية عام ١٩٦٣



الفريق الأول الركن
صالح مهدي عماش
نائب رئيس الوزراء
ووزير الداخلية



عمار علوش
قتل على يديه عشرات
الضحايا



المهندس بهاء شبيب
شارك في التحقيق مع أنصار
الزعيم قاسم



العميد الركن

صبحي عبد الحميد

وزير الخارجية عام ١٩٦٤



اللواء الركن

عبد الكريم فرحان

وزير الإرشاد عام ١٩٦٤



طه الجزائروي



اللواء الركن

عبد العزيز العقيلي

وزير الدفاع

١٩٦٥/٩/٢١ - ١٩٦٦/٤/١٨



الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل وفد المتصرفين العراقيين
(المحافظين) ويظهر الى يساره جابر حسن الحداد محافظ كربلاء



محافظ كربلاء جابر حسن الحداد
مع الرئيس الأسبق عبد السلام عارف



العقيد جابر حسن الحداد في آخر رتبة عسكرية له



جابر حسن الحداد برتبة مقدم
وأمر لكتيبة الدبابات الخامسة

ضحايا محكمة (طه الجزراوي . ناظم كزار . علي رضا باود)
عام ١٩٧٠م



نظام الدين عارف



العقيد جابر حسن الحداد



العقيد المتقاعد

صالح مهدي السامرائي

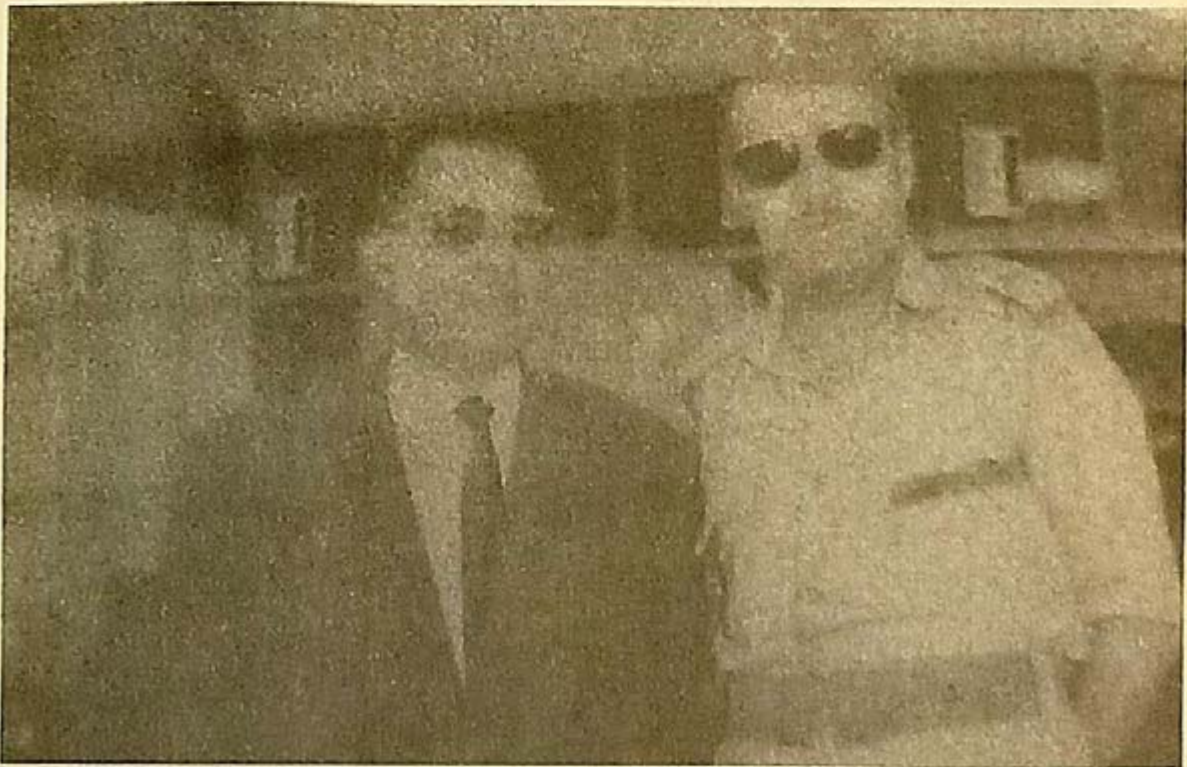


العميد

محمد رشيد محسن الجنابي



وزير الداخلية رشيد مصلح التكريتي
أحد ضحايا محكمة (طه الجزراوي، ناظم كزار، علي رضا)



من اليمين رشيد مصلح الحاكم العسكري العام
مع العقيد هادي خماس



السيد محمد حديد

نائب رئيس الحزب الوطني الديمقراطي
وممثل الحزب في أول حكومة بعد ثورة ١٤ تموز
وقد شغل وزارة المالية



الدكتور سامي الجندي

وزير الثقافة والإرشاد القومي السوري
من مواليد السلمية ١٩٣١



الشهيد الشيخ راهي الحاج عبد الواحد آل سكر
مع الملك فيصل الثاني في قصر المشخاب



الرفيق الركن ماهر عبد الرشيد
ابن عم صدام وقائد أحد
الفيالق لقادسيته



الشيخ فيصل حبيب الخيزران
عضو القيادتين القومية
والقطرية لحزب البعث سابقاً
وشيوخ عشائر عزة لاحقاً

المصادر

* القرآن الكريم

- ١- إبراهيم أحمد الفاضلي: لأجل أن نكسب المعركة الفاصلة، تقديم العقيد جابر حسن الحداد (متصرف لواء كربلاء)، الطبعة الثانية، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٨م.
- ٢- إبراهيم الزبيدي: بلا مكان، دار ناره للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ٢٠٠٦.
- ٣- إبراهيم الزبيدي: دولة الإذاعة.. سيرة ومشاهدات عراقية ١٩٥٦-١٩٧٤، الطبعة الأولى، دار الحكمة، لندن ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ.
- ٤- ابن ماجه: سنن ابن ماجه (الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني) الجزء الثاني، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م.
- ٥- ابن منظور: لسان العرب، ج ٢، الطبعة الأولى (طبعة جديدة محققة) دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٦- أبو القاسم محمد كرو: حصاد العمر، المجلد الأول، الطبعة الأولى، دار المغرب العربي، تونس ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٧- أبو محجن الثقفي: ديوان أبي محجن الثقفي، نشره وقدم له الدكتور صلاح الدين المنجد، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م.

- ٨- د. أحمد أبو مطر: سقوط دكتاتور .. دراسات- تقارير- وثائق، الطبعة الرابعة، مطبعة الأنصار الإسلامية، بيروت، أكتوبر ٢٠٠٤.
- ٩- أحمد الحبوبى: أشخاص كما عرفتهم، الطبعة الأولى، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٢ م.
- ١٠- أحمد الحبوبى: ليلة الهرير في قصر النهاية، الطبعة الأولى، دار البراق، لندن ١٩٩٩.
- ١١- أحمد الرجيبى الحسينى: النجوم الزواهر في شجرة السيد الأمير ناصر، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧١.
- ١٢- العقيد الركن أحمد الزيدى: أزمة القيادة في العراق، الطبعة الأولى، دار الرائد، لندن ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م.
- ١٣- أحمد ساجر جاسم الدليمى: سياسة العراق النفطية (١٩٦٣ - ١٩٦٨)، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢.
- ١٤- أحمد الشقيرى: الهزيمة الكبرى، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت ١٩٧٣.
- ١٥- أسعد رزق: موسوعة علم النفس، مراجعة د. عبد الله عبد الدائم، الطبعة الثالثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٧.
- ١٦- إسماعيل العارف: أسرار ثورة ١٤ تموز وتأسيس الجمهورية في العراق، دار الحياة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- ١٧- أكرم الحوراني: مذكرات أكرم الحوراني، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٠.
- ١٨- د. أمير إسكندر: صدام حسين مناضلاً ومفكراً وإنساناً، هاشيت - فرنسا ١٩٨٠.
- ١٩- أمير الحلو: مذكرات أمير الحلو.. نقاط الحبر الأخيرة، الطبعة الأولى، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد ٢٠١٣.
- ٢٠- أمين هويدي: كنت سفيراً في العراق (١٩٦٣ - ١٩٦٥) الطبعة الأولى، دار المستقبل العربي، القاهرة ١٩٨٣.
- ٢١- باقر ياسين: الاجتثاث ودكتاتوريات العقيدة الواحدة في العراق، الطبعة الأولى، دار آراس للطباعة والنشر، أربيل ٢٠١٢.

- ٢٢- باقر ياسين: شخصية الفرد العراقي، الطبعة الأولى، دار آراس للطباعة والنشر، أربيل ٢٠١٠.
- ٢٣- برزان التكريتي: محاولات اغتيال الرئيس صدام حسين، الطبعة الثانية، الدار العربية، بغداد.
- ٢٤- بن پورات، يوري دان: جاسوس من إسرائيل (إيلي كوهين)، الطبعة الأولى، مطابع دار العلم للملايين، بيروت، تشرين الثاني (أكتوبر) ١٩٦٧.
- ٢٥- بهاء الدين نوري: مذكرات بهاء الدين نوري (سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي)، الطبعة الأولى، دار الحكمة، لندن، آب ٢٠٠١م - جمادى الثانية ١٤٢٢هـ.
- ٢٦- تايه عبد الكريم: مذكرات تايه عبد الكريم (حوارات أجريت معه على قناة البغدادية الفضائية) وجمعت في كتاب.
- ٢٧- الترمذي: أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، سُنن الترمذي، الجزء الرابع، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٢٨- توفيق التميمي: شهادات عراقية.. حوارات في ذاكرة عراقية، (١)، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الحصاد، دمشق، ٢٠١١.
- ٢٩- توفيق التميمي: شهادات عراقية.. حوارات في ذاكرة عراقية، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ٢٠١٢.
- ٣٠- ثامر عبد الحسن العامري: موسوعة العشائر العراقية، الأجزاء: الأول، والخامس، الطبعة الثانية، الناشر: العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩.
- ٣١- ثمينة ناجي يوسف ونزار خالد: سلام عادل سيرة مناضل، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق ٢٠٠١.
- ٣٢- جعفر الحسيني: ثورة في العراق ١٩٥٨ - ١٩٦٣، دار الكتب العلمية، للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ب - ت.
- ٣٣- جعفر الخليلي: هكذا عرفتهم، الطبعة الأولى في إيران، منشورات الشريف الرضي، إيران - قم ١٤١٢ هـ - ق - ١٣٧٠ هـ ش.
- ٣٤- أ. د. جعفر عباس حميدي: تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري،

- الجزء السادس من (٨ شباط ١٩٦٣ - ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣)، الطبعة الثانية (منقحة وموسعة)، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٥ م.
- ٣٥- أ. د. جعفر عباس حميدي: تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري، الجزء السابع من (١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ - ١٤ تشرين الثاني ١٩٦٤)، الطبعة الأولى، بيت الحكمة، بغداد، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٣٦- جلال الدين السيوطي: الدر المنثور، الجزء السادس، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت ١٩٦٣.
- ٣٧- جلال السيد: حزب البعث العربي، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٧٣.
- ٣٨- جليل العطية: فندق السعادة.. حكايات من عراق صدام حسين، الطبعة الأولى، دار الحكمة، لندن ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ٣٩- جهاد كرم: بعثيون من العراق كما عرفتهم، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- ٤٠- جواد هاشم: مذكرات وزير عراقي مع البكر وصادم.. ذكريات في السياسة العراقية (١٩٦٧ - ٢٠٠٠) الطبعة الأولى، دار الساقى، بيروت ٢٠٠٣.
- ٤١- حازم جواد: مذكرات حازم جواد، حلقات نشرتها جريدة الحياة وجمعت في كتاب مع الردود عليها.
- ٤٢- حازم صاغية: بعث العراق.. سلطة صدام قياماً وحطاماً، الطبعة الأولى، دار الساقى، بيروت ٢٠٠٣.
- ٤٣- حامد البياتي: صدام حسين والمؤامرة الكبرى.. أسرار انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ في العراق في الوثائق السرية الأمريكية، الطبعة الأولى، مؤسسة الرافد للنشر والتوزيع، لندن، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٤٤- حامد الجبوري: عصر البكر وصادم (مذكرات) قناة الجزيرة (شاهد على العصر) حلقات جمعت في كتاب.
- ٤٥- حزب البعث العربي الاشتراكي: القطر العراقي- التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع حزيران ١٩٨٢، مطبعة دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠.

- ٤٦- حسن السعيد: البعث والقطار الأمريكي، مركز النهوض للبحث والتوثيق، بغداد، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- ٤٧- حسن السعيد: نواظير الغرب.. صفحات من ملف علاقة اللعبة الدولية مع بعث العراق (١٩٤٨ - ١٩٦٨) الطبعة الأولى، مؤسسة الوحدة للدراسات والتوثيق، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٤٨- حسن صبرا: سورية.. سقوط العائلة.. عودة الوطن، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- ٤٩- حسن العلوي: العراق.. دولة المنظمة السرية، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، ١٩٩٠.
- ٥٠- حسين الصدر: نقاط على الحروف، الطبعة الأولى، دار الحكمة للنشر والتوزيع، لندن، ٢٠١٢.
- ٥١- حمدان حمدان: صدام مرّ من هناك، الطبعة الأولى، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، أيار ٢٠١٠.
- ٥٢- حنا بطاطو: العراق.. الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار، ترجمة عفيف الرزاز، الكتاب الثالث، الطبعة العربية الأولى، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٩٢.
- ٥٣- خالد علي الصالح: على طريق النوايا الطيبة.. تجربتي مع حزب البعث، الطبعة الأولى، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٠.
- ٥٤- خليل الدليمي: صدام حسين.. من الزنزانة الأمريكية.. هذا ما حدث!، الطبعة الأولى، شركة المنبر للطباعة المحدودة، الخرطوم، ٢٠٠٩م.
- ٥٥- أ. د. خليل شمة: صفقة مع الشيطان، دار الجواهري، بغداد ٢٠١٢.
- ٥٦- خير الله طلفاح: الشعبية.. عدو العرب الأول، الطبعة الثانية، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٣.
- ٥٧- الدكتور ذوقان قرقوط: في تاريخ الأمة العربية الحديث.. المشروع القومي الذي لم يتم، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٦.
- ٥٨- رشيد الخيون: أمالي السيد طالب الرفاعي، الطبعة الأولى، دار مدارك للنشر، دبي، مارس (آذار) ٢٠١٢.

- ٥٩- د. زهير عبد الجبار الدوري: حزب البعث العربي الاشتراكي.. الدور السياسي والنضالي في العراق.. منذ النشأة إلى سنة ١٩٦٨ م، الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١١ م - ١٤٣٢ هـ.
- ٦٠- د. زينب عبد الحسن الزهيري: عبد الرحمن عارف.. ودوره السياسي في العراق (١٩٦٦ - ١٩٦٨ م)، الطبعة الأولى، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان ٢٠١٢ م.
- ٦١- زين العتيبي: أسرار المقاومة الكويتية، الطبعة الأولى، الزهراء للإعلام العربي قسم النشر، القاهرة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
- ٦٢- ساطع الحصري: الأعمال القومية، القسم الثالث، الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، أيار (مايو) ١٩٩٠.
- ٦٣- د. سامي الجلوي: وين ماشي بينا سيدي؟.. قطر والجزيرة.. أسرار وعلاقات، الوطن، القاهرة.
- ٦٤- سامي الجندي: البعث، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٦٩.
- ٦٥- د. ستار نوري العبودي: عبد العزيز العقيلي.. حياته ودوره العسكري والسياسي في العراق (١٩١٩ - ١٩٨١ م) الطبعة الأولى، مكتبة مصر- دار المرتضى، بغداد ٢٠٠٩.
- ٦٦- سعد البزاز: الجنرالات آخر من يعلم، الطبعة الثالثة، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، كانون الأول ١٩٩٦.
- ٦٧- سعد البزاز: حرب تلد أخرى، الطبعة الثانية، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن - عمان، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٦٨- سلام عبود: من يصنع الدكتاتور؟.. صدام نموذجاً، الطبعة الأولى، منشورات الجمل، كولونيا (ألمانيا)، بغداد ٢٠٠٨.
- ٦٩- الطبيب اليهودي العراقي سلمان درويش: كل شيء هادئ في العيادة (مذكرات)، رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق، مطبعة الشرق العربية، القدس، ١٩٨١.
- ٧٠- سليم النجار: مرافئ الذاكرة.. حوارات مع ناصيف عواد من رام الله إلى مكتب صدام حسين، الطبعة الأولى، دار دجلة، الأردن - عمان ٢٠١٤.

- ٧١- د. سنان صادق حسين الزيدي: سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العراق، عهد الرئيس عبد السلام محمد عارف، شباط ١٩٦٢ - نيسان ١٩٦٦، الطبعة الأولى، مكتبة مصر - دار المرتضى، بغداد، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.
- ٧٢- د. سنان صادق حسين الزيدي: سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، تجاه العراق في عهد الزعيم عبد الكريم قاسم ١٩٥٨ - ١٩٦٣، دار المرتضى، بغداد، ١٤٢٤هـ - ٢٠١٣م.
- ٧٣- سيد قطب: في ظلال القرآن، المجلد الأول، الطبعة الشرعية الرابعة والثلاثون، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٧٤- سيف الدين الدوري: علي صالح السعدي.. نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، وسلطة البعث الأولى في العراق ١٩٦٣، الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١٠م - ١٤٣٠هـ.
- ٧٥- شامل عبد القادر: الاغتيال بالدبابة، الطبعة الأولى، دار الجواهري، طبع، نشر، توزيع، بغداد، ٢٠١١.
- ٧٦- شامل عبد القادر: لمحات صحفية عن عراق صدام حسين ١٩٦٨-٢٠٠٣، الطبعة الأولى، دار الجواهري، بغداد ٢٠١١.
- ٧٧- شامل عبد القادر: مجزرة قاعة الخلد تموز ١٩٧٩، الطبعة الأولى، دار الجواهري، بغداد، ٢٠١٢.
- ٧٨- شوكت خزندار: سفر ومحطات.. (الحزب الشيوعي العراقي.. رؤية من الداخل)، الطبعة الأولى، دار الكنوز الأدبية، بيروت ٢٠٠٥.
- ٧٩- صالح مهدي دكلة: من الذاكرة (سيرة حياة)، الطبعة الأولى، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ٢٠٠٠.
- ٨٠- صبحي عبد الحميد: مذكرات.. العراق في سنوات الستينيات، ١٩٦٠ - ١٩٦٨، الطبعة الأولى، دار بابل للدراسات والإعلام، دمشق ٢٠١٠.
- ٨١- صبري الربيعي: أوراق في الصحافة والحياة، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مؤسسة البركة للنشر، بغداد ٢٠١٣.
- ٨٢- صلاح الخرسان: حزب الدعوة الإسلامية.. حقائق ووثائق، الطبعة الأولى،

المؤسسة العربية للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دمشق ١٤١٩هـ -
١٩٩٩م.

٨٣- اللواء الركن ضياء الدين المجمعى: حروب صدام.. شاهد عيان لأحداث ثلاثة عقود من تاريخ العراق الحديث، الطبعة الأولى، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٦.

٨٤- الدكتور طارق مجيد تقي العقيلي: بريطانيا ولعبة السلطة في العراق.. التيار القومي والطائفية السياسية، مؤسسة مصر مرتضى، بغداد ١٤٣١هـ -
٢٠١٠م.

٨٥- طالب الحسن: اغتيال الحقيقة.. عبد السلام عارف وإشكالية الكتابة في تاريخه السياسي، الطبعة الثانية، دار أور للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٨٦- طالب الحسن: بطانة السلطان.. أشباه رجال في دائرة الضوء، الطبعة الأولى، دار أور للطباعة والنشر، بيروت ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٨٧- طالب الحسن: بعث العراق.. من البداية المريبة حتى النهاية الغربية، الطبعة الثانية، دار أور للطباعة والنشر، بيروت ١٤٢٣هـ - ٢٠١٢م.

٨٨- طالب الحسن: حكومة القرية.. فصول من سلطة النازحين من ريف تكريت، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار أور للطباعة والنشر، بيروت ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٨٩- طالب الحسن: طه الجزراوي.. الهزيل المنفوخ، الطبعة الأولى، دار الموقف، دمشق، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٩٠- طالب الحسن: عزت إبراهيم الدوري.. الصنم، الطبعة الأولى، منشورات دار الموقف، دمشق ٢٠٠٠.

٩١- طه ياسين رمضان: صدام حسين الرفيق والأخ والقائد، الطبعة الثانية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٩.

٩٢- عبد الإله توفيق الفكيكي: الوهم والحقيقة.. في انقلاب ١٧-٣٠ تموز ١٩٦٨، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٩٣- عبد الحليم خدام: التحالف السوري الإيراني والمنطقة، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠.

٩٤- الدكتور عبد الخالق حسين: الطائفية السياسية ومشكلة الحكم في العراق،

- الطبعة الأولى، دار ميزوبوتاميا، بغداد، ٢٠١١.
- ٩٥- عبد الخالق ناصر شومان: قراءات، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٣.
- ٩٦- عبد العزيز القصاب: مذكرات عبد العزيز القصاب، إعداد وتحقيق: د. خالد عبد العزيز القصاب، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧.
- ٩٧- الدكتور عبد الفتاح علي البوتاني: التطورات السياسية الداخلية في العراق، ١٤ تموز ١٩٥٨ - ٨ شباط ١٩٦٣، الطبعة الأولى، دار سبيريز للطباعة والنشر، كردستان العراق، دهوك، ٢٠٠٧.
- ٩٨- الدكتور عبد الفتاح علي البوتاني: صفحات من الذاكرة الموصلية، الطبعة الأولى، مركز الدراسات الكردية وحفظ الوثائق في جامعة دهوك، كردستان العراق، دهوك، ٢٠١١.
- ٩٩- عبد الكريم فرحان: حصاد ثورة (مذكرات).. تجربة السلطة في العراق (١٩٥٨-١٩٦٨)، الطبعة الأولى، دار البراق، لندن، ١٩٩٤.
- ١٠٠- عبد الملك أحمد الياسين: في ذكريات ومحطات.. حتى لا تضيع الحقيقة، دار أمانة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان.
- ١٠١- عبد الوهاب الصافي: السيد عبد الحكيم الصافي.. حياته ومآثره، الموسم ٩٧، أكاديمية الكوفة، هولندا، ٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ.
- ١٠٢- د. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٣.
- ١٠٣- د. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، الجزء الرابع، الطبعة الخامسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.
- ١٠٤- عدنان الأمير: بقية الصوت، الطبعة الأولى، دار الزوراء، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٠٥- الدكتور عدنان فرحان آل قاسم (أبو أنس): مفهوم العزة في الإسلام، الطبعة الأولى، دار المحجة البيضاء، بيروت ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

- ١٠٦- عزيز الحاج: شهادة للتاريخ.. أوراق في السيرة الذاتية السياسية، الطبعة الأولى، مؤسسة الرافد للنشر والتوزيع، لندن، حزيران، ٢٠٠١.
- ١٠٧- د. عقيل الناصري: عبد الكريم قاسم في يومه الأخير (الانقلاب ٢٩) الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٣.
- ١٠٨- الدكتورة علياء محمد حسين الزبيدي: العهد العارفي في العراق ١٩٦٣-١٩٦٨، الطبعة الأولى، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد ٢٠١٣م.
- ١٠٩- الإمام علي بن أبي طالب (ع): ديوان الإمام علي (المنسوب له)، ترتيب وتحقيق وحيد قطب، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، ٢٠١٤.
- ١١٠- الإمام علي بن أبي طالب (ع): نهج البلاغة.. المختار من كلام أمير المؤمنين (ع) لجامعه الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى، تحقيق السيد هاشم الميلاني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
- ١١١- د. علي كريم سعيد: العراق.. البيرية المسلحة.. حركة حسن سريع وقطار الموت ١٩٦٣، الطبعة الأولى، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢.
- ١١٢- د. علي كريم سعيد: عراق ٨ شباط ١٩٦٣.. من حوار المفاهيم إلى حوار الدم.. مراجعات في ذاكرة طالب شبيب، الطبعة الأولى، دار الكنوز الأدبية، بيروت ١٩٩٩.
- ١١٣- الدكتور علي كمال: النفس.. انفعالاتها وأمراضها وعلاجها، الجزء الثاني، الطبعة الرابعة، دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع، طبع الدار العربية، بغداد، ١٩٨٨.
- ١١٤- علي الكوراني العاملي: إلى طالب العلم، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
- ١١٥- د. علي الورددي: الأعمال الكاملة (٩)، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، الطبعة الأولى، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
- ١١٦- عوض فخري: من أوراق السفير العراقي عوض فخري، الطبعة الأولى، دار الوثائق للدراسات والطبع والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
- ١١٧- غسان شربل: صدام مر من هنا، الطبعة الأولى، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، كانون الثاني (يناير) ٢٠١٠.

- ١٤٤- محمد حديد: مذكراتي.. الصراع من أجل الديمقراطية في العراق، الطبعة الأولى، دار الساقى، بيروت ٢٠٠٦.
- ١٤٥- محمد حسن الكشميري: مع الصادقين، الجزء الرابع.
- ١٤٦- محمد حسنين هيكل: حرب الخليج أوهام القوة والنصر، الطبعة الأولى، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ١٤٧- محمد حسنين هيكل: سنوات الغليان، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ١٤٨- محمد حسين فضل الله: تفسير من وحي القرآن: المجلد العشرون، الطبعة الثالثة، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م.، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ١٤٩- محمد سعيد الطريحي: جمهورية الزعيم، القسم الأول، الموسم، العدد ١٠٢، أكاديمية الكوفة، هولندا، ٢٠١٣م.
- ١٥٠- محمد عيسى الخاقاني: مئة عام مع الوردى، الطبعة الثانية، دار الحكمة، لندن ٢٠١٣.
- ١٥١- محمد المشاط: كنت سفيراً للعراق في واشنطن، حكايتي مع صدام في غزو الكويت، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٢٠٠٨.
- ١٥٢- د. محمد مظهر الأدهمي: الطريق إلى حرب الكويت من موهافي إلى الكويت، الطبعة العربية الأولى، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن - عمان، ١٩٩٧.
- ١٥٣- محمد مهدي الأصفي: في رحاب القرآن (١١)، الطبعة الرابعة، المشرق للثقافة والنشر، النجف الأشرف، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ١٥٤- المنحرفون: الطبعة الثانية، الهلال للنشر والتوزيع، ١٩٩٥.
- ١٥٥- منصور سلطان الأطرش: الجيل المدان.. سيرة ذاتية، الطبعة الأولى، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، شباط (فبراير) ٢٠٠٨.
- ١٥٦- مهدي الحكيم: مذكرات الشهيد السيد مهدي الحكيم، المفرغة من الكاسيت على شكل ملازم، لم تطبع لحد الآن، وهي ليست المذكرات المطبوعة في كتاب.
- ١٥٧- د. مهدي مكية: قصة حياتي، الطبعة الأولى، الانتشار العربي، بيروت ٢٠١١.

١٥٨- مير بصري: رحلة العمر من ضفاف دجلة إلى وادي التيمس (ذكريات وخواطر)، منشورات رابطة الجامعيين اليهود النازحين من العراق، أورشليم-القدس ١٩٩٢.

١٥٩- العميد الركن نجيب الصالحي: الزلزال، الطبعة الأولى، مؤسسة الرافد للنشر والتوزيع، لندن ١٩٩٨.

١٦٠- نزار عبد الكريم فيصل الخزرجي: الحرب العراقية- الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨) ... مذكرات مقاتل، الطبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، كانون الثاني (يناير) ٢٠١٤.

١٦١- نضال البعث: الجزء العاشر، القيادة القومية ١٩٦٣-١٩٦٦، الطبعة الثانية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، شباط ١٩٧٦.

١٦٢- نضال حزب البعث العربي الاشتراكي عبر بيانات قيادته القومية (١٩٥٥-١٩٦٢)، الطبعة الثانية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، أيلول ١٩٧١.

١٦٣- د. نوري عبد الحميد العاني، د. علاء جاسم محمد الحربي: تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري، الجزء الخامس، ١٤-١٥ مايس ١٩٦١ - ٨ شباط ١٩٦٣، الطبعة الثانية، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٥.

١٦٤- هادي حسن عليوي: دور حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق.. في الحركة الوطنية منذ تأسيسه حتى ١٤ تموز ١٩٥٨، الطبعة الأولى، مكتبة الشرق الجديد، بغداد ١٩٧٩.

١٦٥- هادي رشيد الجاوشي (وكيل وزارة الداخلية سابقاً): الزعيم عبد الكريم قاسم وموعده مع التاريخ، الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١١م-١٤٣٢هـ.

١٦٦- هاني الفكيكي: أوكار الهزيمة.. تجربتي مع حزب البعث العراقي، الطبعة الثانية، دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، نيسان (أبريل) ١٩٩٧.

١٦٧- هيثم غالب الناهي: خيانة النص في الخريطة السياسية للمعارضة العراقية، الطبعة الأولى، الدار الأندلسية، لندن ٢٠٠٢.

١٦٨- وزارة الإرشاد: السلسلة السياسية (١)، الكتاب الأسود (اعترفات الشيوعيين) طبع دار الجماهير، بغداد، حزيران ١٩٦٣.

الكتب المخطوطة

- عبد الزهراء عثمان محمد، الشهيد (عز الدين سليم): صفحات من أيامي..
الشهيد يتحدث عن نفسه.

الرسائل الجامعية غير المنشورة

- ١- حامد قاسم محمد الجبوري: نشأة حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، بغداد، صفر ١٤١٠هـ - أيلول ١٩٨٩م.
- ٢- سهيل صبحي سلمان: المؤتمر القطري السابع لحزب البعث العربي الاشتراكي في القطر العراقي (دراسة تاريخية وثائقية)، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢ آذار ١٩٨٧م - رجب ١٤٠٧هـ.
- ٣- عبد الحميد كاظم حمادي الشكري: العلاقات العراقية- البريطانية ١٩٥٨-١٩٦٣، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٠.
- ٤- عزيز شيال جبر: دور حزب البعث العربي الاشتراكي في الحركة الوطنية في القطر العراقي للفترة ١٩٥٨-١٩٦٣، رسالة ماجستير قدمت إلى مجلس كلية القانون والسياسة في جامعة بغداد، تشرين الأول ١٩٨٠.

المجلات

- ١- مجلة آخر ساعة: القاهرة.
- ٢- مجلة ألف باء: بغداد.
- ٣- مجلة حراس الوطن: بغداد.
- ٤- مجلة الحوادث: بيروت.
- ٥- مجلة القصب: بيروت.
- ٦- مجلة المجلة: لندن.
- ٧- مجلة الوسط: لندن.

الصحف

- ١- الاتجاه الآخر: دمشق
- ٢- الأهرام: القاهرة
- ٣- بغداد: لندن
- ٤- البلاد: بغداد
- ٥- التآخي: بغداد
- ٦- ١٤ تموز: بغداد
- ٧- الثورة: بغداد
- ٨- الجهاد: طهران
- ٩- الحياة: لندن
- ١٠- الرأي العام: الكويت
- ١١- الشرق الأوسط: بيروت
- ١٢- الصباح: بغداد
- ١٣- الصباح الجديد: بغداد
- ١٤- القبس: الكويت
- ١٥- المحرر: دمشق
- ١٦- المواطن: بغداد
- ١٧- الموقف: دمشق
- ١٨- الناصرية: الناصرية

الفهرس

٥	المقدمة بقلم الشيخ محمد مهدي الآصفي
١١	المقدمة
٢٣	التمهيد
٣٧	الفصل الأول: علي صالح السعدي والقطار الأنكلوأمريكي
٩٨	قصة لطفي العبيدي
١٠٥	الفصل الثاني: علي صالح السعدي.. رجل الملدات!
	الفصل الثالث: السلوك العنيف والعنف الدموي
١٣١	في شخصية علي صالح السعدي
	الفصل الرابع: عبد الكريم عبد الستار الشيخلي
١٦٣	وعملية اغتيال الزعيم قاسم الفاشلة
١٦٥	عبد الكريم عبد الستار الشيخلي
١٨٩	الفصل الخامس: عبد الكريم الشيخلي وما عليه

- ٢٢٦..... مشاركة الشيخلي في تصفية حردان
- ٢٤١..... الفصل السادس: عبد الكريم الشيخلي.. محطات أخرى
- ٢٧٥..... الفصل السابع: تجربة قومية للمزايدة
- ٢٨٤..... ٢- عبد الكريم كراسنة
- ٢٨٩..... ٤- علي صميذة
- ٢٩٩..... ٥- عبدو الديري
- ٣٠٠..... ٦- صباح حوراني
- ٣٠١..... ٧- زهير البيرقدار
- ٣٠٥..... الفصل الثامن: في سلطة صدام حسين لا مكان للمنافس والمعارض
- الفصل التاسع: طه الجزراوي النشأة الأولى
- ٣٣٧..... والاستحواد على أهم المناصب
- ٣٤١..... طه ياسين رمضان الجزراوي
- ٣٤٤..... من بواب في بيت البكر إلى عضو قيادة قطرية
- ٣٥٢..... التآمر على الرفاق القياديين
- ٣٥٧..... مجزرة ١٩٧٩ / ٨ / ٨
- ٣٥٧..... الرزاز يلقي حتفه بوشاية طه
- ٣٦١..... الانقلاب الأسود
- ٣٦٢..... التراشق بالكلمات الساخرة

- الكذاب الأشر ٣٦٤
- وزير لأول مرة ٣٦٥
- التسييح بحمد الطاغية ٣٧٠
- استحواذه على مواقع حزبية ومناصب رسمية ٣٧٠
- طه الجزراوي.. العاشق ٣٧٤
- الفصل العاشر: الجزراوي بطل مجزرة ١٩٧٠ ٣٨١
- العقيد المتقاعد جابر حسن الحداد محافظ كربلاء الأسبق ٣٨٩
- انكشاف المؤامرة ٤٠١
- المغدور حسن الخفاف ٤٠٤
- جزاء سنهار ٤٠٥
- مؤامرة أم تخويف؟ ٤٠٨
- الفصل الحادي عشر: غزو الكويت، تداعياته،
ومجازر الجزراوي لا تنتهي ٤١٩
- الجزراوي يمرض على اجتياح الكويت ٤٢١
- الوثائق تدين الجزراوي ٤٢٢
- إصدار أوامره بالذبح ٤٢٥
- الجزراوي يجمع انتفاضة ١٩٩١ ٤٣٣
- ماهر عبد الرشيد يشارك في القمع ٤٣٧

٤٤٢	الجزراوي يتلقى الإهانات
٤٤٣	شفقة الرئيس عليه
٤٤٦	لا يكل عن الكذب
٤٤٩	يستأسد على العزل
٤٥٣	الملاحق
٤٩٧	ملحق الصور
٥٢٥	المصادر
٥٤١	الفهرس

هذا الكتاب

بعث العراق مأساة أمة، ونكبة جيل، وخيبة آمال، وسقوط سياسي فاضح، وانحراف على مستوى الأخلاق، وردة على المثل والقيم الأصيلة، وتجاوز على حرية الإنسان ومعتقداته، وهو مصدر لكوارث ظلت تتلاحق، ونيران تشتعل في أكثر من صعيد، وهزائم على أكثر من جبهة.

مأساة الأمة تجسدت، وأمالها خابت، عندما تصدى لبعثها من جديد عصابة من الشباب المراهق، وزمرة من النضر المنافق، ذوي الميول الطائشة، والتحصيل الدراسي المتواضع، والتجارب المحدودة، لم تنضج لديهم الأفكار، ولم تتسع عندهم المدارك، انتموا للبعث وهم طلاب، وصاروا عليه قادة قبل الأوان، ولما يبرحوا مقاعد الدراسة، لم تؤهلهم أعمارهم لتلقي الأفكار العميقة، والمفاهيم المركزة، والنظريات الجادة، تصدوا للعمل السياسي صغاراً، ليست لديهم موهبة تميزهم عن غيرهم، تكرات ومجاهيل، وفتية مارقون لا يفقهون من السياسة ألف بائها، متاعهم الفكري مصطلحات يرددونها، وزادهم الثقافة مقالات كتبت في جريدة البعث السورية، ومصادرهم المطبوعة كلمة ألقاها كبيرهم الذي علمهم السحر على مدرج جامعة دمشق في (ذكرى الرسول العربي)، ابتكروا الاغتيال السياسي وأقحموه على السياسة، وشوهوا المظاهرات العامة بأساليب الشقاوات وأعمال (البلطجة).

وهذا الكتاب يكشف الزيف المخبوء في تاريخ البعث منذ بدايته المريبة، ويميط اللثام عن كل مفسده وسوءاته، ويزيح الستار عن مخازيه وآثامه، وهو بعد كل هذا شر مطلق وسوء محض.

أما المؤلف فهو الكاتب والباحث طالب الحسن، الذي أتحف المكتبة العربية ببحوثه الرصينة وكتبه القيمة المدعومة بالوثيقة الدامغة والقرينة الصادقة، وهو يقول عن كتابه هذا، بأنه صرف عليه وقتاً طويلاً من أجل إظهار الحقيقة التي طمسها إعلام (غوبلر العفلق).